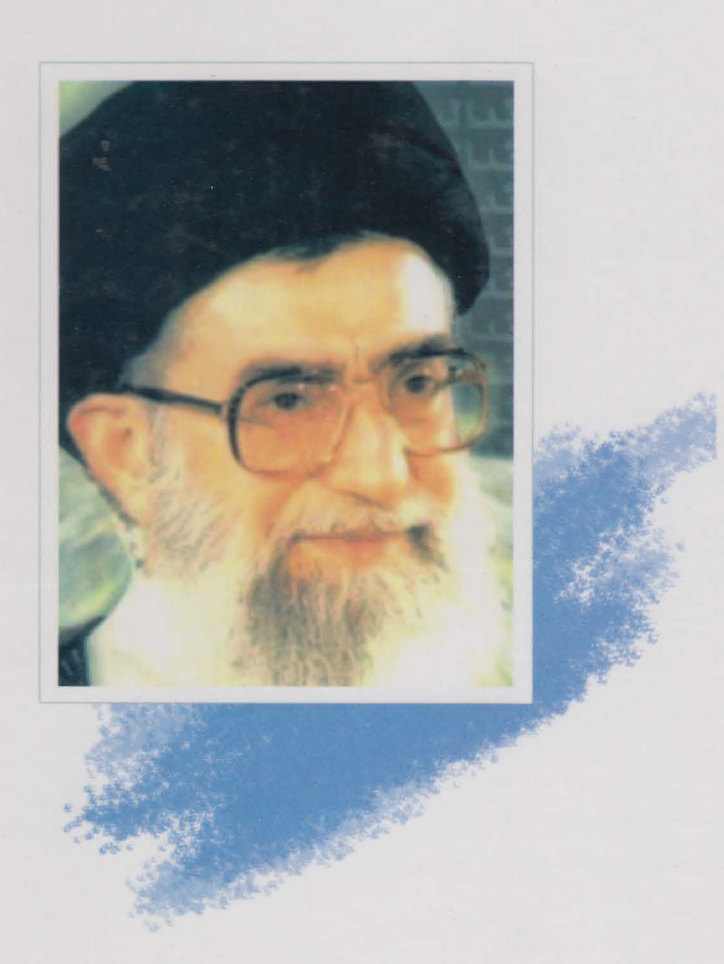
الثقافة و بناء المجتمع

في ضوء إرشادات السيد القائد الخامنئي دام ظله



دار الولاية للثقافة والإعلام

الثقافة وبناء المجتمع

في ضوء إرشادات سماحة القائد (دام ظله)

الثقافة وبناء المجتمع

في ضوء ارشادات سماحة القائد (دام ظله)

إعداد ونشر

دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة الأولى

محرم الحرام / ١٤٢٥ هـ . ق

مارس/ ٢٠٠٤م

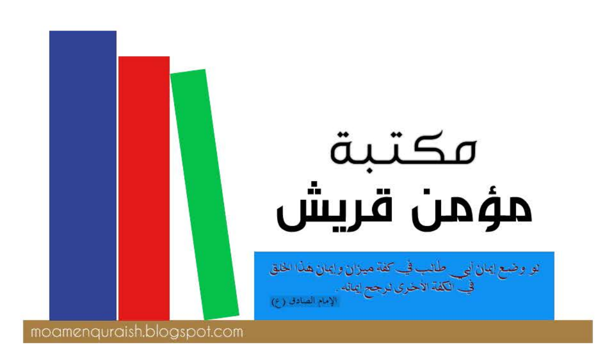
الجمهورية الإسلامية

قم المقدسة

ص . ب : ٦٦١ / ٣٧١٨٥

www.alwelayah.net

alwelayah@alwelayah.net





دار الولاية للثقافة والإعلام

الثقافة وبناء المجتمع

في ضوء إرشادات سماحة القائد دام ظله

دار الولاية للثقافة والإعلام

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هي الثقافة ومن هو المثقف؟

من أين نستمد ثقافتنا؟

ما هو دور المثقف الإسلامي في صياغة مجتمع واعٍ؟

ما هو الغزو الثقافي وما الفرق بينه وبين التفاعل الثقافي وما هو موقف الدين الإسلامي من الاستفادة من علوم غير المسلمين؟

ما هو دور الثقافة والمؤسسات الثقافية؟

ما الذي يجب على النظام الإسلامي عمله من اجل المجتمع في المجال الثقافي هل هو مسؤول عن ذلك أم أن الأفكار والعقائد لا تدخل ضمن صلاحيات النظام؟

إلى غير ذلك من الأسئلة التي يجد القارئ الكريم أجوبتها ضمن هذا الكتاب الذي هو ترجمة لبعض كلمات سماحة القائد الخامنئي (حفظه الله) حول الثقافة والمثقفين وغيرهما من المحاور المهمة.

اهمية هذا الكتاب

يكتسب أي كتاب أهميته من عدة عوامل تعد مجتمعة مكونات أساسية للكتاب ويكون لها الأثر في بروزه وتأثيره، وأهم تلك العوامل:

١ـ شخصية الكاتب ومستوى ثقافته وتوجهه الفكري والثقافي والتجارب التي مر بها وتحملها شخصيته مما يؤثر في النتائج والتوصيات التي يخرج بها المؤلف للقراء.

٢. الموضوع الذي يتناوله الكتاب وهل له دخل في معالجة قضية كبيرة من قضايا الأمة وهل يساهم في حل إحدى المعضلات والمشاكل الآنية أو المتجددة؟

٣. المُخَاطب بهذا الكتاب الذي وجهت له الكلمات بشكل مباشر من قبل المُلقي أو المرسل أو الكاتب حيث أن سعة وضيق مسؤوليته ومدى تأثيره في مجتمعه وكذلك المستوى الثقافي الذي يحمله هذا المخاطب يتناسب مع اهتمام الكاتب به.

عزيزي القارئ إن هذا الكتاب الذي بين يديك يكتب أهميته من اجتماع النقاط الثلاث الأنفة فيه.

فكاتبه وهو غني عن التعريف بشخصيته أحد حملة الفكر وناشريه ذو خلفية ثقافية استمدها من التاريخ الذي يعتز به ويفتخر فهو بخلاف الكثير ممن انقطع عن تاريخ أمته ما زال يدافع عن أي نقطة إيجابية يمكن أن يراها في تاريخ هذه الأمة يقول سماحته في هذا الصدد **(إن العصور الوسطى التي يحاول الجميع التبرؤ منها ومن آثارها لم تكن قرون مظلمة بالنسبة لنا نحن المسلمين بل كان يحيطها الجهل وتطبق عليها الغفلة في البلاد الغربية والأوربية على وجه الخصوص، أما نحن فقد كانت عصورنا من العصور التي انتشر فيها العلم والإبداع في أوساطنا)** على أن هذا التمسك بالجذور لم يمنع سماحته من الإطلاع عن المنتج الثقافي الحديث وفي الأوساط الغربية والشرقية على حد سواء مستفيداً من تلك التجارب قارئاً لها قراءة الناقد البصير الذي يحاول أن يضع إصبعه على مكامن الخلل ونقاط الضعف في تلك

التجارب الثقافية التي لم يحل وجودها مشكلة الانحراف عن الفطرة والوقوع إما في محذور التبعية أو محذور الغطرسة واستعباد الآخر وهما آمران باتا لا يحتاجان لأي استدلال من أجل إثبات واقعيتهما.

لقد تناول سماحته حياة وثقافة المفكر الإسلامي إقبال اللاهوري في أحد المؤتمرات التي عقدت قبل عقدين من الآن وطرح نقاطاً عن دور هذه الشخصية في حياة مسلمي شبه القارة الهندية وما هي أسباب التخلف التي أحاطت بتلك المنطقة بما لا مزيد عليه بحيث أن أقرب شخصية للمفكر محمد إقبال (ابنه) اعتلى المنصة بعد سماحته ليعلن للحضور أن لا مزيد لديّ لأقوله بعد ما طرحه (رئيس الجمهورية الإسلامية)[1]، لقد قرأ سماحته الكثير من الروايات التي كتبت وكان لها الأثر في حياة الشعوب كالروايات الروسية سواء تلك التي كانت تبشر بثورة ١٩١٧ أم التي كتبت بعدها من أجل نشر متبنياتها الفكرية وسط الشعب الروسي والشعوب الأخرى حيث ترجمت إلى عدة لغات وطبع منها عشرات ملايين النسخ لتوزع في أنحاء العالم.

كما اطلع عن كثب ـ وهذا ما سيلحظ القارئ الكريم بعض الإشارات إليه في هذا الكتاب ـ على تجارب وثقافة حركات التحرر في أمريكا الجنوبية وغيرها.

هذا الإطلاع الواسع إذا ما أضفنا إليه الأساس الذي بُنيت عليه شخصية سماحته وهو النص الديني وتاريخ الأمة ولا يسع المجال للحديث عنها في هذه المقدمة أمكننا الوصول إلى الإعجاب والتقدير اللذين تبديهما شخصيات لها وزنها لسماحته.

---

(١) كان ولي أمر المسلمين حينها رئيساً للجمهورية الإسلامية في إيران.

في ذروة التصادم بين التيار الإسلامي والتيارات الأخرى والذي أعقب انتصار الثورة الإسلامية بادر بعض الجهلة إلى اغتيال العلامة الشهيد مرتضى مطهري الذي كان يمثل أحد أهم المنظرين للثورة الإسلامية وقد مثل فقده خسارة كبرى وفادحة لم يكن أحد يتصور انه بالإمكان سدها وخاصة في المجال الفكري والثقافي في الأوساط الشبابية وطلاب وأساتذة الجامعات الذين كانت تتلاقفهم الأفكار اللقيطة العاصفة.

لقد وقف الجميع متحيراً وسط هذه الأزمة الفكرية التي كان أقل ما يخشى منها حرف الثورة عن مسارها إن لم يكن وأدها وهي في المهد . في هذه الأثناء ينبري الإمام الخميني(قدس سره) وهو البصير بأصحابه وأتباعه وصاحب النظر العميق في تقييم الشخصيات ليخاطب طلاب جامعة طهران الذين وفدوا عليه ليشتكوه حالهم بعد فقد مربيهم ومرشدهم وما آلت إليه الأوضاع الثقافية والدينية في الجامعة بعد تلك الخسارة ليقول لهم **(نعم يجب أن يأتي للجامعة أشخاص متكلمون ليسدوا الفراغ الذي خلفه مطهري وإني أقترح أن يأتي للجامعة السيد علي خامنئي وذلك أمر حسن للغاية فهو يتمتع بفهم عميق ويستطيع أن يعطي في المحيط الجامعي ويمكنكم أن تذهبوا صوبه وتبلغوه رأيي هذا من أجل أن يحل محل مطهري... وإني أراه شخصاً صالحاً لهذا العمل)** .

كما يتميز سماحته (حفظه الله) بالتواجد وسط الميدان وفي المحيط الثقافي لا ليتلقى الأفكار من غيره أو لينّظر من البروج العاجية كما هو دأب الكثير من أصحاب النظر الذين لا يتجاوز نشاطهم القلم فلم تتجاوز أفكارهم الأوراق بل إن سماحته تفاعل مع الأحداث وانفعل بها وسط الجماهير وهذا ما يجده القارئ لتاريخ حياته (حفظه الله) فهو عالم الدين ذو الثقافة العالية وهو العالم المعتقل، وهو العالم في منفاه، وهو العالم وسط ملايين المتظاهرين، وهو رجل الحرب

والمحراب، وهو رئيس أول دولة إسلامية في العصر الحديث التي تحتاج إلى تفكير ووعي دائبين من أجل تخليصها من بين فكي المفترسين ثقافيين وسياسيين وعسكريين، وهو رئيس ـ ولمدة ثمان سنوات ـ المجلس الأعلى للثورة الثقافية اكبر مجلس يضم خيرة أبناء البلد في المجال الثقافي وتقع على عاتقه مسؤولية البناء الثقافي في البلد كله، هذا البلد الذي تريد له الثورة أن تتبدل الكثير من مفاهيمه المغلوطة التي شب وشاب عليها لذا لا يمكن أن ينتابنا العجب إذا سمعنا سماحته يجيب عن سؤال أحد الإعلاميين عن شوقه وحبه للكتاب (**إن جميع من في بيتي لا يمكن أن يخلدوا للنوم على فراشهم إلاّ والكتاب بين أيديهم**) أو نسمعه يوصي بعض الشباب (**عليكم حتى وانتم تشاهدون برنامجا تلفزيونيا أن تحملوا الكتاب لتستغلوا أوقات المقاطع الإعلانية لتقرأوا**).

أما الجانب الثاني من أهمية هذا الكتاب فهو الموضوع الذي يتناوله وهو الثقافة والمثقفين والأدوات والوسائل التي يمكن الاستفادة منها في العمل الثقافي. وكذلك قراءة التيار الثقافي والمثقفين وانتاجاتهم وأهدافهم.

أضف إلى ذلك مقولة الغزو الثقافي هذه المقولة التي أصر القائد على واقعيتها وحقيقتها منذ زمن مبكر فحذر من مغبة التساهل في التعامل معها أو محاربتها بطريقة غير مدروسة في حين أصر آخرون على كونها وهماً، فلم ينتبهوا لها إلا وقد غزت دورهم وعقول أقربائهم وبدت للعيان بصورة واضحة، هذه الظاهرة يسلط سماحته الضوء عليها بإسهاب وتفصيل واضعاً إصبعه على أهم المفاصل فيها وهو التميز بين التفاعل الثقافي والغزو الثقافي مبدياً الفروق بين الاثنين بما سيأتي ضمن تشجيعه على الأول إلى درجة أن يكون واجبا دينيا

وبنفس القدر أو أكثر، معارضاً للثاني معارضة شديدة وشرسة لا تقبل التهاون أو غض النظر عن أبسط الأمور فيها.

في هذا الكتاب أيضاً يتطرق سماحة القائد (حفظه الله تعالى) إلى دراسة واحدة من أهم الظواهر التي ابتلى بها الشرق عامة وهو دور ما يصطلح عليهم بالمتنورين في الوسط الاجتماعي وتغيير ثقافة المجتمعات الإسلامية ليكشف للقارئ الكريم ومن خلال ملاحظات دقيقة عن كون بعض هؤلاء على الأقل لا يعدو دورهم دور التاجر الذي يساوم على ما يملك من معلومات من أجل ربح مال أو منصب، فيذكر أن أحد الإيرانيين الذين كانوا يعتبرون رواد تيار التنوير كان سمساراً لشركة أوربية من أجل نهب خيرات الشعب الإيراني، وآخرون كانت السفارات الأجنبية في طهران تغدق عليهم بهداياها في مقابل أن ينشروا ما تريد حكومات تلك البلدان، في حين يأخذ سماحته على أكثر المثقفين الإيرانيين ابتعادهم عن هموم مجتمعهم وتفضيلهم السلامة على خدمة المجتمع، ففي الوقت الذي كان الآلاف يتساقطون بآلات الحرب الحكومية في طهران وغيرها كان أغلب هؤلاء يفضلون الجلوس في البيت أو كتابة ما هو بعيد عن هموم مجتمعهم وشعبهم حتى لا يكونوا في معرض الاتهام بمعارضة الديكتاتور ويقول: (**عندما كنت في مشهد قبل انتصار الثورة أعطاني أحد الأشخاص رواية لأحد الكتاب أسمها الوقوف على التل وبعد قراءتي لها قلت للشباب إن الواقف على التل في الحقيقة هو كاتب هذه الرواية**) في حين يشيد سماحته بمواقف البعض القليل من المفكرين والفلاسفة الغربيين الذين اتخذوا خطوات عملية إلى جانب الشعوب المستعمرة ضد حكوماتهم التي كانت تحتل تلك البلدان.

الجهة الثالثة التي تعكس أهمية هذا الكتاب هي الصنف الذي ينتمي إليه من أُلقيت عليه هذه الكلمات وكان المخاطب الأول لكلام سماحته.

إن أغلب التوجيهات التي جمعها هذا الكتاب كان سماحته قد وجهها إلى المسؤولين الكبار في الجمهورية الإسلامية وخاصة في الحقل الثقافي والذي تقع على عاتقهم رسم السياسات الكلية للجانب الثقافي والعلمي في الجامعات والمراكز والوزارات ذات الطابع الثقافي كوزارة الثقافة والإرشاد ووزارة التربية والتعليم ووزارة العلوم والتحقيق والإبداع وأعضاء مجلس الثورة الثقافية المتشكل من أهم الشخصيات الثقافية والسياسية في البلد ومنظمة الأعلام الإسلامي وأئمة الجمعة والجماعات والملحقيات الثقافية خارج إيران ومسؤولي الصحف والمجلات والمخرجين السينمائيين وغيرهم.

من هنا فإن ما تقرأه أخي الكريم في هذا الكتاب يمكن أن نعتبره زبدة أفكار سماحته في هذا الجانب.

وفي الختام لا يفوتنا أن نذكر أن ما يتضمنه هذا الكتاب هو بعض ما تفضل به سماحته خلال الاثنى عشر سنة الأخيرة راجين من العلي القدير أن يوفقنا لإتمام ما بدأناه خاصة وأن كلام سماحته (دام ظله) وأطروحاته سواء على مستوى الوقاية وتأصيل الفكر الإسلامي الصحيح أم على مستوى علاج بعض الانحرافات الثقافية كثير وكثير جداً بل إن سماحته يعتبر هذا الحقل هو من أهم الحقول التي ينبغي الاهتمام بها إن لم يكن أهمها على الإطلاق لما يجد من تأثيره المباشر وغير المباشر في حياة ومستقبل الشعوب.

ولنختم مقالتنا هذه بكلمتين لسماحته في هذا المجال:

الأولى: عندما سأله مراسل إحدى المجلات في آخر أيام رئاسته للجمهورية الإسلامية أين ستكون مسؤوليتكم بعد انقضاء فترة رئاستكم للجمهورية؟

فأجاب القائد: **(لو خليت ونفسي فإني سأعود للنشاط الثقافي إن لم يوجب عليَّ الإمام أمراً آخر).**

الثانية: في إحدى لقاءاته مع علماء الحوزة في قم تفضل سماحته **(أتمنى بعد انتهاء مسؤوليتي هذه (رئاسة الجمهورية الإسلامية) أن أعود للحوزة لاضطلع بتربية ولو مجموعة صغيرة من الطلاب من أجل نشر المعارف الإسلامية الحقة).**

دار الولاية للثقافة والأعلام

مولد ثامن الحجج ١٤٢٤هـ. ق

الفصل الأول

أمــور عــامة

تعريف الثقافة

فالثقافة هي عبارة عن العمل والتحرّك والفعل المرتبط بنشاط الفكر. والمثقف هو الذي يعمل بفكره أكثر من عمله بساعده، وبأعصابه أكثر من عضلاته.

هناك فرق بين العلم والتقنيَّة وتبعاتهما، وبين الثقافة. فهما مقولتان منفصلتان، وان كان العلم يعدّ فرعاً من الثقافة. فالثقافة بمعناها الخاص، هي بالنسبة لأمة من الأمم، عبارة عن الأفكار والمعتقدات والسنن والآداب والذهنية العامة، والذخائر الفكرية والعقلية لتلك الأمة.

ومن هذه الجهة بالذات لسنا فقط غير متأخرين عن ركب العالم المتقدم علمياً وتقنياً، بل نحن متفوقون عليهم في الكثير من هذه الجهات.

بديهي لا نريد أن ننساق وراء التهويل والمبالغة ولا أن نسقط في هوّة الأحكام المطلقة، فالأجانب والأوربيون بالذات متقدمون علينا في بعض فروع الثقافة[1].

الثقافة مثل الماء والهواء، الثقافة هي هذه الآداب والمراسم التي تحكم حياتنا أنا وانتم. الثقافة تعنى عقائدنا وما أشبه من الأمور التي نتعامل بها في حياتنا الشخصية والاجتماعية في المنزل ومكان العمل.

مصدر الثقافة

انّه أمر يبعث على الأسف الشديد (أن تبرز مظاهر الغزو الثقافي وتميل بعض التيارات إلى الغرب) في شعب مثل شعبنا، له خلفية حضارية وثقافية

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء علماء تبريز، ١٣٧٢/٥/٥

ومعرفية عريقة.. إن جزءاً من عراقة شعبنا تمتد طوال ١٣٠٠ سنة بعد دخول الإسلام، وهذه الفترة مملوءة حقاً بالإنجازات والنقاط المضيئة.

لا نملك المعلومات الكافية عن فترة ما قبل الإسلام، بيدَ أنّا نفهم إجمالا، أن شعباً بهذه الخصوصيات، كانت له ـ ولابدّ ـ ثقافة بالغة.

ما يعنينا هو تأريخ الإسلام، فببركة الإسلام برز الشعب الإيراني وأظهر نبوغاً وتميزاً، فعادت إنجازاته ومآثره لتعم ليس دنيا الإسلام وحده، بل العالم بأسره.. وقد دوّن التأريخ مآثره وخطّها سطراً سطراً.

وإذا كنا في غفلة عن هذه المسألة، فبمقدورنا أن نعود إلى التأريخ كي نتلمسها.

إنّ عامة الأمور الّتي استطاعت الشعوب الأوربية من خلالها تحقيق التقدّم في حياتها قد أكّد عليها الإسلام وأوصى بها.

فليس من الصدفة أنّ شعوباً كانت تعيش في منتهى الجهل والظلام والخرافات والتخلّف، ولم تكن تعرف ما هو الكتاب ولم يكن لديها مكتبات، وكانت محرومة من مبادئ العلوم والمعرفة، إلاّ أنّها استطاعت فجأة وخلال قرن من الزمن من أن تخرج من ذلك المستنقع ـ طبعاً في الجوانب الماديّة فقط ـ وللأسف فإنّ هذه الحركة الّتي قامت بها أوروبا ترافقت مع ما يسمّى بالتنوير الفكري، حيث أدّى ذلك عمليّاً إلى إلغاء الدّين من حياة الناس وأعطى قيمة أكبر لفكرة أصالة الإنسان في الفلسفة والسلوك.

وهذا هو النقص الّذي عانى منه الأوربيون، ولو أنّهم لم ينحّوا المعنويات جانباً لكانت حياتهم اليوم ـ بلا شكّ ـ أفضل من السابق بأضعاف المرات، ولتضاعف نور العلم في تلك المنطقة مئات بل آلاف المرّات.

ولكنّهم ـ على كلّ حال ـ ركّزوا على جوانب إيجابيّة في الحياة استطاعوا من خلالها الخروج من تلك المستنقعات الّتي كانوا يعيشون فيها. وأنتم إذا ما طالعتم تاريخ أوروبا فسيكون بإمكانكم العثور على تلك الجوانب والنقاط الايجابية، وأنّ كافة الأخلاق الايجابية الّتي بإمكانها إنقاذ المجتمع من حضيض البطالة والفقر والذلّ والتخلّف، وأن تبلغ به قمّة التقدّم المادّي كان الإسلام قد أعارها أهمّية كبيرة وأوصى بها بصورة مؤكّدة، وكلّ من يراجع المفاهيم الإسلاميّة سوف يعترف بصحّة هذا الموضوع (الثقافة العامة للمجتمع). ونحن إذا استطعنا أن نجعل أخلاق المجتمع وثقافته أخلاقاً وثقافةً إسلامية، وإذا استطعنا تربية المجتمع على الأخلاق الإسلامية ونحيي في نفوس أبناء شعبنا تلك الخصال التي خلقت من جماعة صغيرة ـ في صدر الإسلام ـ مجتمعاً عظيماً مقتدراً، فإننا سنوفق للحصول على أهم النتائج وأطيب الثمار.

إنني أرجو منكم أن تنتبهوا إلى هذه النقطة وهي: أن وجود هذه الحالة في صدر الإسلام كان ناشئاً من القيم والأخلاق التي غرسها الإسلام في نفوس الناس، ولذا فقد اهتم المسلمون بالعلم والعمل وبذلوا المساعي والجهود وقاموا بالتجديد في كافة المجالات.

إن معرفة طبيعة الإنسان والتأريخ، ومعرفة طرق العيش والتعامل الحسن والأخوي كلها أمور ترتبط بالثقافة، ولا يستطيع أي جهاز مقتدر إيجادها ما لم يتمكن من تصحيح ثقافة ونظرة الناس. وتدخل في هذا المضمار مسألة العدالة الاجتماعية أيضاً. فلو أن العدالة الاجتماعية فصلت عن الثقافة السليمة فستكون عدالة مفروضة، وهو الشيء الناقص والخاطئ الذي كان موجوداً في الدول الشيوعية، وقد رأيتم ماذا ارتكبوا من أعمال باسم العدالة الاجتماعية وخلقوا الفوضى في كافة المجالات ولم يعطوا أهمية لشعوبهم.

إنّ الدول الشيوعية كانت دولاً عظيمة وقد كانت شعوبها تهدف إلى ضمان وتحقيق العدالة الاجتماعية، إلا أن الطبقات المرفّهة في الحكومة والدولة أوجدت قيصراً جديداً وأوصلت إلى السلطة ستالين الذي كان أكثر فساداً وظلماً وقسوة من الأنظمة السابقة. والعدالة الاجتماعية تصبح هكذا حينما تنفصل عن الأخلاق والثقافة السليمة.

العدالة الاجتماعية أمر اجتماعي محض ويرتبط بالحكومة والسياسة وأسلوب الحكم في المجتمع، وهي من ثمرات ونتائج ثقافة سليمة مرتكزة في أذهان كل فرد من أبناء المجتمع، وهي أمر لا يمكن فرضه على الناس. وكذلك الأمر بالنسبة لكافة الانتصارات في جميع الميادين.

وأنتم إن كنتم تريدون نقل الثقافة الإسلامية إلى هذا المجتمع وتُعيدون للمجتمع المسلم تلك القيم التي سُلبت منه فيجب عليكم القيام بعمل كبير جداً.

وقد ورد في دعاء مكارم الأخلاق «**واستصلح بقدرتك ما فسد مني**»[١] ومصداق هذه الفقرة هو ما تريدون القيام به.

◆ ◆ ◆

(١) مفاتيح الجنان، ص٥٩٩ .

الثقافة العامة للمجتمع

دور العامل الثقافي في تقدم المجتمعات

فيا ترى كم هي نسبة مساهمة العامل الثقافي في تحقيق ذلك؟ هذا هو السؤال الذي شغل ذهني كثيراً. وعندما نقول العامل الثقافي، نعني ما يقابل العوامل الأخرى كالمال والعلم والصناعة وأمثالها. وإنّني أتصور ـ ليس بالاعتماد على أرقام وإحصائية علمية دقيقة، لكن طبقاً للمعايير الفكرية ـ أنّ للعامل الثقافي نسبة عالية من التأثير. فعلى سبيل المثال إن قلنا إنّ نسبة تأثير العامل الثقافي ٧٥٪، وأنّ ٢٥٪ الباقية لسائر العوامل لم نبالغ في ذلك. لماذا؟

لأنّ الوصول إلى ذلك المستقبل بحاجة إلى العمل والإخلاص والسعي الحثيث والتضامن والشوق والأمل ، فإن كنا نتمتع بكل شيء دون هذه الأمور، فهل يمكننا بلوغ ذلك؟ بالطبع كلا، ولو أمتلك شعب الثروة والعلم والاقتصاد لكنّه لا يملك الأمل والعمل وكان مصاباً بالتميّع، فهل يمكنه بلوغ ذلك؟ كلا ودون شك، بل سوف يخسر ما يملكه أيضاً.

إن العامل الثقافي يشكّل الضمانة المستقبلية، وهو الضمانة الفعلية أيضاً. فـ ٢٥٪ هي العوامل الفعلية والـ ٧٥٪ ضمانة لهذه العوامل والعوامل المستقبلية المكتسبة، وأتصور أن هذه العوامل جميعها تصنع المستقبل، والعامل الثقافي هو الضمانة لهذه العوامل، وإلاّ فلا يمكن للثروات الموجودة في باطن الأرض ولا حتى الصناعة من عمل شيء، كذلك لا يمكن للحضارة الحالية عمل شيء؛ لأنّه لولا السند الثقافي والضمانة الثقافية للحضارة لتلاشت الحضارة، ولأنّ ضعف العامل الثقافي كان سبباً في سقوط الحضارات وزوال المدنيات.

النقطة الثانية المكمّلة للأولى هي أنّ العامل الثقافي المعتمد عليه هو غير العامل الذي تتصّدى له الوزارات المختصة بالشؤون الثقافية مباشرة، لأنّ تلك الوزارات في الواقع متصدية للعلم أكثر من الأبعاد الثقافية الأخرى، والعلم جزء من الثقافة، لكن الأخلاق والبعد الأخلاقي للثقافة لها الأثر الأوفر في ضمان المستقبل، وهذا ما لا تتكفلّه تلك الوزارات، لو فرضنا من باب المثال فوزارة الثقافة والإرشاد متكفّلة بها بمقدار أكثر ثم وزارة التربية والتعليم ومن بعدهما وإلى حدّ ما وزارة التعليم العالي، في حين أن المجلس الأعلى للثورة الثقافية يتكفّل الجانب العلمي أي العلوم البحتة أكثر من الجوانب الأخلاقية، لهذا فإنّني عندما أنظر ـ من بعيد ـ لجهودكم الموفّقة والمباركة أيّها السادة الأكارم أعضاء المجلس الأعلى، أتصّور أنّه يلزم عمل حثيث لضمان الجوانب الأخلاقية والثقافة العامة. وعندما نقول الأخلاق، فلا يتبادر إلى الذهن الأخلاقيات الفردية ليقال: أن نجلس ونعظ الناس، كلا المقصود هو الأخلاقيات العامة. على سبيل المثال إنّنا طرحنا مع بدء هذا العام شعار «ضمير العمل والانضباط الاجتماعي»، فهذان نوعان من الأخلاق.

العامل الثقافي ضمان الحضارات

على أيّة حال ما أودّ قوله بمناسبة لقائي بكم أيّها الإخوة الأعزاء وبعد الشكر والتقدير للجهود المبذولة ـ التي عرضها الشيخ الهاشمي ـ في هذا المجال هو التركيز على الضمانة الثقافية العامة والإسلامية والثورية لتكون ضمانة لهذه البلاد، فليس بإمكان أي بلد بلوغ مرحلة أرقى دون السعي الحثيث والمستمر ودون الإخلاص في العمل وعدم الاعتناء بالزخارف الدنيوية والمادية إلى حدّ ما، فقد كان المخترعون والمكتشفون في العالم قليلو الاعتناء بزخارف الدنيا،

ولو لم يكونوا كذلك لما حصل كل هذا التقّدم العلمي، وبدون المجاهدة لا تبلغ الأمم القمم.

فيجب تبيين السلوكيات الاجتماعية التي تهيّئ الأرضية اللازمة للسير نحو المدنية المنشودة والتي نوّد الوصول إليها وإيصال الدنيا إليها، فيجب تبيين هذه السلوكيات والقيام بحركة عظيمة لأجل إدخال هذه السلوكيات في حياة الناس، أيّ تبديل السلوكيات السيئة الحالية ـ طبعاً ذلك المقدار السيئ، فالطيّبة موجودة ولله الحمد ـ بسلوكيات طيّبة ومفيدة ومؤثّرة، ويجب القيام بحركة أخلاقية وحركة ثقافية عظيمة في هذا البلاد. وإنني ألفت الأنظار إلى الجانب الأخلاقي أكثر، ولا أودّ أن أقول إنّ الثقافة أخلاق، ولا يمكن القيام بذلك إلاّ بتصدي جماعة ـ أي أنتم أيّها السادة ـ لهذه الحركة، وقد يلزم إضافة واجبات إلى أعمالكم وحذف أخرى، وتغيير تنظيم وترتيب العمل وإضافة أفراد آخرين.

إن عملكم يا أعزائي تتخلله صعوبات من وجوه شتّى، إذ انه يماثل عمل الطبيب، فإذا حصلت منه أيّة غفلة في وصف الدواء وحصل منكم أي إهمال وقدمتم للقارئ كتاباً يضره، فقد لحقتم بأنفسكم ضرراً معنويّاً بالغاً، ولن يتسنى حينها لكم ولا لنا ولا لوزارة الإرشاد ولا للمعاونية المعنية بالقضية التنصل من عبء ووزر ما تقدمونه للقارئ.

وظيفتنا إزاء الهجوم الثقافي

إنني أعتقد بإلحاح أنه لابد من مقولة تستقطب الاهتمام في المحافل صاحبة القرار في نظام الجمهورية الإسلامية، وهذه المقولة هي مقولة الثقافة. إن الهمّ الثقافي والاهتمام بقضية الثقافة قد يكون حالة من الحساسية الشخصية أحياناً، وقد يكون أيضاً ناتجاً عن النظرة إلى الثقافة. ولعل الحساسية الشخصية وكذلك الأهداف والمقاصد الفردية قد لا تكون ذات بال ولا قيمة، بل إن

المهم هو أن نعرف ما هو تأثير الثقافة على مصير البلاد في الواقع، وكيف أن الاهتمام بالمسألة الثقافية والشعور بالحساسية إزاءها يمكن أن يقوم بدور مشهود في صناعة المستقبل الذي نهواه ونعمل من أجله. وبرأينا فإن عقائد وسلوك الفرد أو المجتمع تمثل القسم الأعظم من الثقافة. وإن السلوك الاجتماعي الذي يشكل جزءاً من الثقافة العامة والوطنية ينبع من هذه العقائد. وفي الحقيقة فإن العقائد والأخلاقيات هي التي تعمل على إيجاد سلوكيات الإنسان وتبلورها.

إن الأخلاقيات الاجتماعية تعمل على انبثاق وإيجاد السلوكيات الاجتماعية، وكذلك الأخلاقيات الفردية، ولهذا فإن المقولة الثقافية تشتمل على السلوكيات أيضاً في أحيان كثيرة، غير أن أساس الثقافة وأصلها عبارة عن العقيدة وانطباع كل إنسان عن واقعيات وحقائق العالم والوجود وكذلك الأخلاق الفردية والأخلاق الاجتماعية.

ولسوف أستعرض فيما يلي عدداً من نماذج الأخلاق الاجتماعية والقومية التي تقرر مصير شعب أو أمّة؛ فمنها مثلاً العزم والإرادة، والكبرياء الوطنية، والإحساس بالقوة والعنفوان، والشعور بالقدرة على الإقدام والعمل والبناء، وكذلك الانضباط، والنشاط، والتعاون والمشاركة. ولو افترضنا أن أمّة تمتلك هذه الأخلاقيات إلى جنب ما تمتلكه من إيمان وعقيدة، لوجدنا كيف أنها تشدّ أزرها في بلوغ أهدافها وطموحاتها. ولهذا فإننا نعتقد بأن مقولة الثقافة لا يمكن مقارنتها بشيء آخر من حيث تأثيرها على مستقبل بلد أو أمّة، ومن هنا تأتي أهمية مقولة الثقافة.

ولذلك فإن كل ما يبعث على قلق الإنسان إزاء مستقبل بلدٍ ما وأهدافه وآماله هو بعينه ما يبعث على القلق بخصوص القضايا الثقافية. وعلى هذا الأساس فإن هذا الهم الثقافي نابع من القلق حيال إنسانية الإنسان وحيال

الأهداف الإنسانية السامية وحيال تلك الأشياء والمقاصد التي نريد بلوغها في الحقيقة والتي نسعى ونعيش من أجلها. وبالتالي فإننا لو افترضنا أن نتاجاً ثقافياً غير صحيح ينتشر في بلدٍ ما ـ كالفكر غير الصحيح، والأخلاق غير السوية، والسلوك غير المناسب، والوسائل الثقافية غير الموضوعية، والإعلام غير السليم، والكتاب غير المفيد، والأساليب الفنية غير اللائقة ـ والذي من شأنه المساس بالعقائد وإضعافها عن طريق الخرافات والأفكار والأساليب غير الصحيحة والمنحرفة، فلابد وأن ننظر إلى هذا النتاج أنه نتاج معادٍ للإنسانية، وأنه لابد من مواجهته بهدف الدفاع عن الإنسانية، وأن على الجميع أن يشعروا بالمسؤولية في هذا الصدد. فهذه هي وجهة نظرنا حول الثقافة.

◆ ◆ ◆

الثقافة بين رؤيتين

أولا: في المنظور الإسلامي

على أن الأمر يختلف تماماً عندما يتعلق الحديث بالإسلام، حيث إن النظرة إلى القضايا العقائدية والأخلاقية في الإسلام ليست نظرة غير مبالية أو غير مكترثة ولا مسؤولة؛ فالإسلام يعطي شطراً من نشر العدالة لقضية العقائد والأخلاق، أي أن الذي يتجاهل الحيلولة دون انحراف شخص ما، مع تمكنه من ذلك، يكون قد أجحف بحقه، كما أن الذي يستطيع هداية شخص ما أو توعيته وإرشاده على الصعيد الأخلاقي ثم يتوانى عن ذلك، يكون قد ظلم ذلك الشخص وأجحف في حقه.

وهناك عدة روايات حول تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، حيث يقول الإمام‌ﷺ: أي الذي يخلّص إنساناً من الحرق أو القتل. ولكنه يقول في رواية أخرى: أي الذي يهدي إنساناً. ثم يعقب قائلاً: وذلك تأويلها الأعظم[2].

فهداية إنسان واحد كأنها هداية للإنسانية جمعاء، وذلك لأن الجوهر الإنساني واحد في هذا الإنسان كما في كافة البشرية؛ فعندما تقومون بمدّ يد العون للجوهر الإنساني متمثلاً في شخص واحد وتفيضون عليه من قبس الهداية ـ سواء على صعيد الدين أو في مجال الأخلاق ـ تكونون قد منحتم العون

---

(١) المائدة الآية: ٣٢.

(٢) انظر تفسير العياشي: ج١، ص٣٤٢.

والمساعدة للجوهر البشري بأجمعه، ولهذا فإن الدرجة والقيمة واحدة في الحالتين.

إن هذا يدل على أن هداية البشر والعمل على خلاصهم ليس بالأمر الهيّن على كل إنسان، فحتى عندما يقول تعالى ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلى طَعَامِهِ﴾[1] فإن الإمام﷫ يصرّح في بعض الروايات بأن هذا الطعام هو الطعام المعنوي أي طعام الدين والأخلاق. والنظر إلى الطعام معناه إعطاء الأهمية لما يتناوله الإنسان أو ما يعطيه للآخرين لكي يتناولوه، وهذا يدل على أهمية الغذاء الروحي والمعنوي.

وهناك رواية أخرى تقول بأن أمير المؤمنين علي﷫ كان يستعد للسفر إلى اليمن من أجل تولّي أمر القضاء ـ ويبدو أن ذلك كان في أواخر حياة الرسول ﷺ ـ فذهب إلى النبي ﷺ يسأله الوصية والنصيحة؛ وعندئذ قال له الرسول ﷺ «**يا علي، لئن يهدي الله بك رجلاً خير مما طلعت عليه الشمس**»[2].

وهذا يعني أن الإنسان لو قدّموا له كل ثروات العالم ومنحوه كافة أنواع السلطة والسيطرة وحاز أسمى المناصب المادية فإن ذلك كله لن يرقى إلى مرتبة أن يهدي الله به شخصاً واحداً.. وهذا أمر طبيعي؛ لأن الثروة والسلطة والمنصب كلها عرض زائل وليست لها قيمة حقيقية، ولكن هداية إنسان واحد لها كل هذه الأهمية الكبرى عند الله تعالى.

ثانيا: في الرؤية المادية

وطبعاً فإن الثقافة ـ بمعنى العقيدة والأخلاق ـ ليست لها هذه المنزلة في الرؤية المادية لقضايا العالم؛ أي أن العقيدة والأخلاق لا تحظى بهذه الأهمية التي تحظى بها عندنا بالنسبة لأولئك الذين ينظرون إلى قضايا العالم وشؤون

---

(١) عبس الآية: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار ج٩٧، ص٣٤.

البشرية وأمور الحياة نظرة مادية صرفة. ولهذا فإن الغرب المادي يتخذ موقفاً على صعيد العقائد والأخلاق غير الموقف الذي يتخذه في مجال السلطة والمال والذي تتجسد من خلاله المصالح المادية والملموسة؛ فحيثما يشعر الغرب بأن ثمة مجالاً للوصول إلى السلطة وكسب الثروة والأرباح أو المنافسة فإنه ينزل إلى الميدان بكل ما لديه من قوة دون أي تساهل أو تسامح أو مداراة، وهذا ما لا يفعله في مجال العقيدة والأخلاق ـ أو على أقل تقدير في مقام الادعاء ـ حيث يدّعي التسامح وعدم التعصب أي أنه لا يقيم لها وزناً، فلكل شخص أن يختار عقيدته أو أخلاقه بالشكل الذي يريد، وإن كنّا نرى أحياناً أن الغربيين يبدون الكثير من العصبية في المجال الثقافي أي عندما يكون الأمر متعلقاً بمصالحهم السياسية أو التوسعية أو السلطوية بشكل أو بآخر، فإنهم حتى على الصعيد الثقافي يدخلون الميدان بعنف وعصبية دون إبداء شيء من المرونة أو التسامح. ولكن القاعدة العامة عندهم هي عدم إظهار الحساسية أو اتخاذ موقف ما عندما يتعلق الأمر بقضايا العقيدة والدين والثقافة.

وهذه هي العلمانية أي الفكر المحايد وغير المبدئي في مجال العقيدة والأخلاق وما إلى ذلك، هذه هي الرؤية المادية الغربية. وبالطبع فإن الغربيين ليسوا هكذا جميعاً، بل إن في الغرب أيضاً فكراً معنوياً وإلهياً وعرفانياً يعلن عن نفسه في بعض الأحيان ـ ولاسيما في أيامنا هذه ـ ولكن هذا هو مبنى الفكر المادي السائد في الغرب بصفة عامة.

المثقف الوطني والمثقف التابع (إيران نموذجا)

سبق لي وان ذكرت عدّة مرات أن الثقافة بما تحمله من خصائص متحققة على أرض الواقع ـ والتي يمتزج فيها الفكر العلمي بالنظرة المستقبلية، والنباهة والذكاء الذي يواكبه تحسس الآلام الاجتماعية وخاصة المتعلّق منها بالثقافة ـ

ولدت في إيران مريضة. ويعود سبب ذلك إلى أن رواد الثقافة في بلدنا كانوا مرضى، ولو أردت الإشارة إلى أسماء بعضهم لذكرت منهم الميرزا ملكم خان الأرمني، والميرزا فتح علي آخوند زاده، والحاج سياح محلاتي. وهؤلاء هم الذين استلهموا أولى معالم ثقافة القرن التاسع عشر في أوربا ونقلوها إلى إيران. وكانوا أشخاصاً غير ثقاة؛ فالميرزا ملكم خان ـ على سبيل المثال ـ الذي كان يتبجّح برفع لواء الثقافة والتثقيف ضد السلطة الاستبدادية لناصر الدين شاه كان سمساراً لمعاملة استعمارية فادحة الضرر لحساب وكالة رويتر.

وكما تعلمون فان الامتيازات الأجنبية في العشرين سنة الأخيرة من حياة ناصر الدين شاه دمّرت البلد تدميراً تاماً. فالإنجليز حصلوا على امتياز الجمارك، والتبغ، والسكك الحديد وما إلى ذلك. وكان الروس من الجانب الآخر يحتجون على الامتيازات التجارية التي حصل عليها خصومهم ويطالبون بالحصول على امتيازات في مقابلها، فقدّموا لهم الامتيازات وأطلقوا على ذلك تسمية «التوازن الايجابي»؛ أي الموازنة بين الروس والإنجليز في السياسة الخارجية والعلاقات الاقتصادية، ولكن على أساس التنافس والتسابق.

فما أن يعطى لإحدى القوى امتياز حتى تسارع القوة الأخرى للمطالبة بامتياز مماثل، فيمنح لها، فتعترض الأولى على أساس أنها أصبحت أدنى حظاً، فيقدّم امتياز آخر لها. فكانوا ينهبون إيران لصالح العائلة الملكية؛ أي ناصر الدين شاه وأفراد بلاطه وكل من كان بميسوره انتهاب لقمة من تلك المائدة.

إذن فهذا الشخص الذي يعتبر من أبرز دعاة الثقافة في إيران وأعني به الميرزا ملكم خان كان سمساراً لوكالة رويتر. وحتى أن صفقة امتياز التنباك الشهيرة التي حرّمها وتصدّى لها مرجع التقليد آنذاك؛ الميرزا الشيرازي، كان سمسارها الميرزا ملكم خان نفسه.

وكانت من أكبر صفقات السمسرة لهذا الشخص هو الامتياز المعروف بـ«رزي» الذي نال موافقة البلاط. مثل هذا الشخص يريد أن يكون رسولاً للثقافة في إيران وداعية للتجدد والحداثة بين الناس.

لا علم لي بمدى إطلاعكم على التاريخ المعاصر وكم طالعتموه. ويا حبّذا لو تضعون لأنفسكم منهجاً لاستثمار وقت فراغكم في العطلة الصيفية وتطالعون في الأثناء أيضاً شيئاً من التاريخ المعاصر ومن ضمنه قضية التنباك التي كُتبت بشأنها كتب عديدة.

وأقصد طبعاً الكتب التي ألّفها أشخاص أمناء لأن البعض يأبى الاعتراف بهذه المفخرة الكبرى أو التحدث عنها انطلاقاً من عدائه للدين وللعلماء الذين كان لهم دور أساسي فيها.

وكان الميرزا فتح علي آخوند زاده ـ من أفق آخر ـ شبيهاً بالميرزا ملكم خان.. كان آخوند زاده من أهالي خامنه، وقد سمعت عنه الكثير مما يتناقله عنه أهالي تلك المنطقة وبعض أقاربنا هناك. توجه هذا الشخص إلى بلاد القوقاز قبل ثورة أكتوبر وأخذ يقتات على موائد قياصرة روسيا، وقرر على حد زعمه الاستعانة بهم ومكافحة السلطة الاستبدادية في إيران تحت كنفهم. إلا أن مثل هذا الكفاح لم يكن مقبولاً ولا قائماً على أسس وثيقة. وكان أول ما جعلوه غرضاً لهم ـ وبدلاً من محاربة الاستبداد والاهتمام بالجوانب السياسية ـ إنهم أخذوا يحاربون الدين ومعتقدات الشعب والتقاليد الوطنية الأصيلة، وهو ما سأتحدث عنه لاحقاً.

والمثال الثالث على هذا الاتجاه هو الحاج سيّاح الذي دوّن تاريخ حياته في سفره إلى أوربا. ولا يشك كل من يطالع هذا الكتاب انه تعمد عن سابق قصد، عند الحديث عن أية قضية لأحد رجال الدين الأحرار الكبار دور فيها، طمس اسم رجل الدين وكتمان الإشارة إلى دوره.

هكذا ولد التوجه الثقافي في إيران

العهد القاجاري

لم تكن أجيال الاتجاه الثقافي اللاحقة في إيران موضع ثقة أيضاً لأنّ أكثر أفرادها كانوا من الأمراء والأعيان. إقرأوا تاريخ حياة عبد الله المستوفي الذي كتبه بنفسه في ثلاث مجلّدات، كان هذا الرجل من جملة أولئك المثقفين وكان في الوقت ذاته من الأمراء المتنفّذين في الحكومة القاجارية. لكنه كان بطبيعة الحال شخصية متزنة لا مؤاخذات عليها. وستعرفون إذا قرأتم هذا الكتاب من هم الأشخاص الذين كانوا في طليعة دعاة الثقافة، وحملة لوائها الأوائل الذين عرفوا واشتهروا بها.

وهكذا انتهى العهد القاجاري بدون أن يظهر فيه بين تلك الثُلة من المثقفين الإيرانيين، مثقف وطني غيور وحريص إلا من ندر.

العهد الشاهنشاهي

ولمّا حل عهد رضا خان وضع مثقفو تلك الفترة من الأساتذة والكتاب والمفكرين الذين كانوا يعتبرون النخبة حينذاك، أنفسهم في خدمة رضا خان، وأخذوا يدافعون عنه بدون أي مبرر؛ فهو لم يكن شخصاً متعلماً ولا مثقفاً ولا وطنياً. والجميع كانوا على معرفة أن رضا خان منفّذ لسياسة الإنجليز الذين جاءوا به ورفعوه حتى أوصلوه إلى سدّة الحكم وساندوه ومهدوا له السبيل وأزالوا كل العوائق أمامه. ومع كل هذا فقد أضحى المثقفون آنذاك منظّرين يبتدعون التبريرات والمسوّغات الفكرية لأي عمل كان يحلو لرضا خان القيام به.

أود التحدث معكم عن هذا الموضوع لا بصفتي كمسؤول وإنما بصفتي كطالب للعلوم الدينية وباعتباري قضيت كل فترة شبابي تقريباً في الأجواء

الفكرية التي كانت سائدة يومئذ وكانت لي معرفة وثيقة بالكثير من هذه الوجوه الثقافية المعروفة، أو أنني كنت على معرفة بآثارهم، وأعرفهم على وجه الدقّة سواء كانوا شعراء أم كُتاب أم فنّانين. وأريد منكم انتم شباب هذا العهد معرفة الأجواء الثقافية لبلدكم، لأنكم تدخلون في عداد الطبقة المثقفة، وحريّ بكم التعرف على ما كان، وما هو كائن حالياً وما ينبغي أن يكون.

بعد ذهاب رضا خان عام ١٣٢٠(هـ. ش) حيث تشكلت حينذاك حكومة مثيرة للسخرية انضم بعض مثقفي تلك الحقبة إلى حزب توده. ومن الطريف أن أخلص أولئك المثقفين وأكثرهم صدقاً هم الذين انضموا إلى ذلك الحزب مع علمهم وإقرارهم بالتبعية للاتحاد السوفيتي الذي كان له دور في إيجاد ومساندة ذلك التنظيم، فكانوا بمثابة الطابور الخامس الذي يعمل لصالح الاتحاد السوفيتي في إيران.

طالعوا مذكّرات كيانوري وغيره من زعماء حزب توده الذين تهاووا أمام النظام الإسلامي. وقد نشرت هذه المذكرات التي تتحدث عن قضايا ما قبل خمسين أو ستين سنة. وعلى الرغم من احتمال عدم رغبتهم في التصريح بجميع الحقائق ولكن يستشف من بين ثنايا كلماتهم حقيقة ما كان عليه حزب توده يوم ذاك. ومع كل هذا فقد التقى في ذلك التنظيم أخلص وأصدق المثقفين، وكان من جملتهم المرحوم جلال آل أحمد وخليل ملكي وغيرهم ممن كانوا في بداية الأمر في تنظيم حزب توده.

أنقل لكم عن المرحوم جلال آل أحمد ـ ولا أتذكر إن كنت سمعت ذلك منه، أم نقله لي عنه أحد الأصدقاء ـ إذ قد دار أمثال هذا الحديث في لقاء جمعنا وإياه عام ١٣٤٧ عند قدومه إلى مشهد، انه قال: إننا كُنّا نتقدّم في حزب توده من غرفة إلى أخرى بانتظام ـ وكان مراده أنهم يقطعون المراحل والدرجات الحزبية

- إلى أن بلغنا مرحلة سمعنا فيها صوتاً يأتي من خلف الجدار، فسألنا أين نحن الآن؛ فقيل لنا: في موسكو، فقلنا لهم: إننا لسنا معكم، وتركناهم وعدنا. أي بمجرد أن شعروا عبر سلسلة المراتب الحزبية أن هذا التنظيم مرتبط بالأجانب خرجوا من صفوفه. وبعد ذلك بادر هو وخليل ملكي وجماعة آخرون إلى تأسيس «القوة الثالثة» التي التفَّ حولها المخلصون. واستمرت الأوضاع على هذا المنوال إلى عهد الدكتور مصدّق تقريباً، وإلى ما بعد أحداث ٢٨ مرداد عام ١٣٣٢.

بعد واقعة ٢٨ مرداد ساد أجواء الثقافة صمت مطلق من حيث الإعراب عن موقف الإنسان المثقف إزاء السلطة الفاسدة، وتحول الكثيرة ممّن حلّ عليهم غضب السلطة في العشرينات إلى مؤيدين مطيعين في الثلاثينات.

ويتحدث المرحوم آل أحمد في كتابه «خدمة وخيانة المثقفين» عن هذه المرحلة بالذات؛ أي مرحلة الثلاثينات. إذ دوّنه ما بين عام ١٣٤٣ وحتى عام ١٣٤٧، وهي السنة التي قدم فيها إلى مشهد والتقيته هناك، ودار بنا الحديث إلى ذكر هذا الكتاب فقال: انه منهمك منذ مدّة بعمل ما. وفهمتُ في ما بعد انه كان مشغولاً منذ عام ١٣٤٣ بتأليف ذلك الكتاب. كان حينها يريد منّا الحصول على مواضيع كان يتصور أننا نملك معلومات عنها؛ ففهمنا حينها انه كان يؤلف هذا الكتاب الذي صدر بعد وفاته. ولم يكن كتابه ذاك مما يأذن النظام البائد بنشره وإنما كان يدخل في عداد الممنوعات القطعية ولم يكن بالامكان نشره بأي حال من الأحوال.

لقد اتخذ جلال آل أحمد مواقف حسنة جداً، لكنه وعلى الرغم من شدّة اعتقاده بالدين وتمسكه بالتقاليد الإيرانية والوطنية وحبّه للأدب واللغة الفارسية وعدائه للغرب والتغرّب، إلا انه بقي يفكر ويتأمل ويتحدث بنفس تلك الأجواء

والصيغ الثقافية، وهذا هو معنى قولنا أن الثقافة ولدت مريضة في إيران، وبقي ذلك المرض ملازماً لها ومواكباً لمسيرتها إلى أين ما حلّت.

ولكن ما هو ذلك المرض؟ وأين كان يظهر؟ فهذا ما أنقله لكم عن لسان آل أحمد شخصياً. ذكر آل أحمد: من جملة سمات المثقف هي السمات العاميّة. ثم قال: وليس المراد من العامية هو التصور الذي يحمله العوام عن المثقف، وإنما قد يحمل المثقف نفسه مثل هذا التصور أحياناً. وأشار إلى أن تلك السمات ثلاثة:

الأولى: هي وجوب مناهضته للدين والمذهب؛ بمعنى أن المثقف يجب أن يكون مناوئاً للدين.

الثانية: الميل إلى التقاليد الغربية والسفر إلى أوربا وما شابه ذلك.

الثالثة: هي التحصيل الدراسي.

هذه هي التصورات التي يحملها العوام عن الثقافة، وهي خصائص المثقف. أي إذا كان الشخص متديّناً فهو حتى وان كان علامة دهره أو أفضل فنان أو أكبر فيلسوف، فهو لا يعد شخصاً مثقفاً.

ثم يضيف: إن هذه الخصائص الثلاثة التي تمثل تصور العوام عن المثقف هي في حقيقتها انعكاس لخاصّيتين أخريين يمكن بيانهما بأسلوب علمي أو بلغة ثقافية، وهما:

أولاً: تجاهل التقاليد الوطنية والثقافة الذاتية. وهنا تخرج القضية عن إطارها العامّي وتصبح أمراً حتمياً.

ثانياً: الاعتقاد بالنظرة العلمية المحضة للكون، والربط العلمي بين الظواهر وعمد خضوعها لحقائق القضاء والقدر. ثم يضرب أمثلة لتلك الخصائص.

في حين أن الثقافة بالمعنى الذي صاغه وطرحه الغرب ـ واقتبسوه هم من الغرب واستوردوه منه ـ لا يتضمن مثل هذا المعنى ولا يحمل مثل هذا التوجه على أي نحو كان. فلماذا يجب أن يتجاهل المثقف تقاليده الوطنية؟ فالثقافة هي عبارة عن العمل والتحرّك والفعل المرتبط بنشاط الفكر. والمثقف هو الذي يعمل بفكره أكثر من عمله بساعده، وبأعصابه أكثر من عضلاته. ولهذا السبب فهو يذكر في الفصول اللاحقة من كتابه حين يتحدث عن الطبقات المثقفة يذكر، الشاعر والكاتب والمفكر ويبتدئ بهم طبقة المثقفين إلى أن يصل إلى أستاذ الجامعة، والطالب الجامعي، والمدرّس والمعلم والصحفي ـ وآخرهم المحرر الصحفي والمراسل الصحفي ـ وما إلى ذلك.

ما هو السبب الذي يدعو إلى أن يكون من يعمل بفكره، غريباً أو مناهضاً بالضرورة لتقاليده القومية ولوطنه ولتاريخه؟ أو أن يكون معادياً للدين؟

يمكن استخلاص جواب هذا السؤال من بين ثنايا كلام المرحوم نفسه أو غيره من الكلمات التي تحدثت عن هذا الموضوع. وهو أن السبب الذي دعا إلى ظهور مفهوم الثقافة للمرة الأولى في فرنسا هي الظروف التي كانت فيها فرنسا وأوربا تنتقل من فترة القرون الوسطى نابذة وراءها الديانة المسيحية التي طبعتها الكنيسة آنذاك بالعنف والخرافات وقتل العلماء ومحاكمة المخترعين والمكتشفين وإبادتهم أو نفيهم، وإتلاف الكتب العلمية.

فكان من الطبيعي أن يظهر حينذاك عقلاء يعرضون عن مثل ذلك الدين الحافل بالخرافات وبكل ما لا يرتضيه أي إنسان، ويتوجهون صوب أعمال جديدة ويضعون موسوعة فرنسية جديدة، ويشرعون بأعمال علمية كبرى.

من البديهي أن طبيعة عمل أولئك الأشخاص كانت توجب عليهم الإعراض عن ذلك الدين.

عهد الثقافة الغربية

ثم جاء المثقف الإيراني المقلّد في العصر القاجاري حينما أدخل مفهوم الـ«انتلكتول» إلى البلد وأطلق عليه اسم «منوَّر الفكر» أولاً، واسم «المثقف» تالياً ـ بما يحمله من خصوصية مناهضة للدين ـ وجعله في مواجهة الإسلام الذي يحمل أفضل الأفكار والمعارف وأمتن الأدلة وأسمى الأخلاق، وكان يؤدي في ذلك الوقت في إيران نفس الغاية التي كان المثقفون الغربيون يطمحون إلى تحقيقها في بلدانهم.

في حقبة من حقب العهد الاستعماري أصبح المثقفون الغربيون يداً واحدة مع الشعوب المُستَعمَرة. فإذا كانت أسبانيا على سبيل المثال، قد استعمرت كوبا وهيمنت على ثروتها ـ كأن يكون السكّر مثلاً ـ نجد أن جان بول سارتر الفرنسي يدافع عن شعب كوبا وعن فيدل كاسترو وعن جيفارا ضد الاستعمار الفرنسي، ويؤلف كتاباً اسمه «حرب السكر في كوبا». وبعبارة أخرى، كان المثقف الغربي في برهة من الزمن يناضل ضد دولته وضد النظام الحاكم في بلده لصالح الشعوب الضعيفة. ولكن من هم الذين كانوا يضطلعون بمثل هذه المهمة في إيران؟

كان يقوم بهذه المهمة في إيران كل من الميرزا الشيرازي والميرزا الاشتياني في طهران، والسيد عبد الحسين اللاري في إقليم فارس، وهؤلاء هم الذين كانوا يحاربون التغلغل الاستعماري. ومن هم الذين كانوا يمهّدون للسيطرة الاستعمارية وعقد المعاهدات الجائرة؟ كان يقوم بهذا العمل الميرزا ملكم خان وإضرابه، إضافة إلى الكثير من رجال الحكم القاجاري الذين كانوا يعتبرون في عداد المثقفين.

وهذا يعني أن الأدوار قد بُدّلت. ولكن في الوقت ذاته حلّت محل مكافحة الديانة الخرافية المسيحية، في الثقافة الإيرانية محاربة الإسلام. وعلى هذا الأساس أصبحت إحدى خصائص المثقف في إيران مناهضة الإسلام ومعاداته. وكان مما تمخّض عن ذلك بطبيعة الحال أن مثقفي العهد البهلوي لازال أتباعهم من كُتاب وشعراء ومحققين وكُتّاب سيرة، يقتفون على نحو صريح أحياناً نفس تلك الخُطى ويمجّدون شخصاً كالميرزا فتح علي آخوند زاده وكأنهم يمجدون نبياً؛ لأنه ارتمى بسبب عدائه ومحاربته للإسلام في أحضان القياصرة واقتات على موائدهم وتلقّى العون منهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لمّا دخل البلاشفة والشيوعيون بلدة خامنه أطلقوا هناك معزوفة باسم الميرزا فتح علي آخوند زاده.

بما أنني لم أقض فترة طفولتي في تلك المنطقة، فقد نقل لي بعض الأصدقاء ممن عاشوا فترة طفولتهم هناك أن قوات الاتحاد السوفيتي لما دخلت على عهد «بيشه وري» عام ١٣٢٤ و ١٣٢٥ إلى تبريز وسيطرت على بعض أجزاء أذربيجان وأقامت هناك ما يُسمى بالحكم المحلي ـ ثم دُمّروا في ما بعد تدميراً تاماً ـ صنع البلاشفة بعد احتلالهم لتبريز ودخولهم خامنه معزوفة باسم الميرزا فتح علي آخوند زاده، أي أن هذا الشخص كان له أنصار في الحكومة القيصرية، كان له في الوقت ذاته أنصار في الحكومة البلشفية التي أطاحت بالقياصرة.

تلاحظون إذن أن هذا الرجل كان ذا شخصية متذبذبة، وإلا فما هو القاسم المشترك بين الحكومة القيصرية والحكومة الشيوعية؟

لاشكّ في ان القاسم المشترك بينهما هو العداء للدين والإسلام، وكان هذا الشخص من دعاة مناهضة الدين.

من الطبيعي أنكم تعتقدون أن الثقافة بمعناها الحقيقي لا تنطوي على أي عداء للدين ولا للتعبّد. وبإمكان الإنسان أن يكون مثقفاً ـ بالمعنى الذي ذكره جميعهم للمثقف، أي من ينظر إلى المستقبل ويؤدّي عملاً فكرياً، ولديه توجّه نحو التطور ـ وان يكون في الوقت ذاته متديّناً ومتعبّداً، وان يكون كالمرحوم الدكتور البهشتي، وكالشهيد المطهري، وكمثل الكثير من شخصياتنا المثقفة المتديّنة التي رأيناها. وليست هناك من ضرورة تدعوه لمعاداة الدين.

ومن المثير هنا حين احتساب عدم التعبّد شرطاً مؤكداً من الشروط الأساسية للثقافة ينتج عن ذلك أن العلامة الطباطبائي الذي يعتبر من أكبر فلاسفة عصرنا ويقصده من فرنسا فلاسفة وشخصيات كبيرة مثل هنري كوربان ويمكثون عدّة سنوات هنا للاستفادة منه، لا يعتبر مثقفاً! أما المتشاعر (شاعر ليس لشعره قيمة تذكر) الذي لا يؤمن بالدين ولا بالتقاليد الإيرانية العريقة، وأمضى عدّة أيام في أوربا وأمريكا فهو مثقف! وكلما كان قد مكث هناك أكثر، فهو أعمق ثقافة! ياله من تعريف مغلوط وياله من جو قبيح أشيع في إيران باسم الثقافة.

وفي الأحداث الكبرى التي مرّت على هذا البلد أدى المثقفون دورهم على نفس هذه السمات والخصائص، فلم يند عنهم أي موقف حقيقي معارض على هامش قضية ٢٨ مرداد.

من الطبيعي أن تكون واقعة ٢٨ مرداد قديمة جداً بالنسبة لعهدنا وبعيدة عن المتناول، إلا أن موقف النظام في تلك الحادثة وقسوته مع المثقفين الذين بدرت منهم أحياناً ميول للدكتور مصدق وللنهضة الوطنية دفع بهم إلى التنحي جانباً وعدم اتخاذ أي موقف مناهض للنظام من قبل مجموع المثقفين. في حين أن واجب المثقف يدعوه إلى النزول إلى الميدان ويكتب وينظم الأشعار ويبث الوعي بين الناس بما يخدم الشعب ومستقبله إلا أن موقفاً كهذا لم يحصل.

أما إذا وصلنا إلى حادثة الخامس عشر من خرداد، وهي أكبر حادثة وقعت في بلدنا في القرن الحاضر، بين الشعب والنظام الحاكم آنذاك، فنجد ان الكلمة التي ألقاها الإمام الخميني (قدس سره) بمدينة قم في يوم عاشوراء قد أحدثت ضجّة كبرى، في اليوم التالي وما بعد في طهران، وبدون أية زعامة معيّنة هناك. ثَمَّ وثائق مطبوعة تعكس المحادثات التي أجرتها الحكومة في تلك الأيام لمجابهة تلك الحادثة. لقد أحدثت كلمة الإمام زلزالاً هائلاً وجاء وقع حركته على أشد ما يكون، وأدت إلى استنهاض أبناء الشعب، ثم تلا ذلك نزول قوات النظام إلى الشوارع وإطلاق الرصاص على الجماهير، مما أدى إلى إراقة الدماء ومقتل عدة آلاف من الناس الذين لم نتمكن قط من الحصول على إحصاء دقيق عنهم.

ذكر جلال آل أحمد في كتابه ذاك «خدمة وخيانة المثقفين»: إن مثقفينا الإيرانيين ـ قد وصفهم بمثل هذا التعبير على ما أعتقد ـ غسلوا أيديهم بدماء الخامس عشر من خرداد، أي أنهم لم ينبسوا ببنت شفة! هؤلاء هم المثقفون المعروفون وهؤلاء هم الذين كانوا ينظمون الأشعار، ويكتبون القصص، ويدبّجون المقالات، ويطرحون التحليلات السياسية، وهم الذين كانوا يدّعون لأنفسهم زعامة الشعب، وهم الذين كانوا يعتقدون بوجوب قبول الجميع أي رأي يطرحونه هم في صحيفة أو مقالة ما، إلا أن هؤلاء جميعاً التزموا الصمت حيال تلك القضية مما يدل على ابتعادهم عن الشعب وقضاياه، وبقي هذا الابتعاد قائماً على حاله.

كانت تصدر عنهم حينذاك بعض المؤشرات الضعيفة بين الحين والآخر، ولكن ما كادت السلطة تبدي سخطها حتى كانوا يتراجعون أمامها. ومن الأمثلة على ذلك ان شخصاً كان معروفاً توفي قبل بضع سنوات ولا أريد هنا ذكر اسمه،

ولكنني أذكر اسم كتابه ومن عرفه فليعرفه. كان هذا الشخص قد كتب قبل الثورة مسرحية تحت عنوان ((آ) ممدودة و (ا) غير ممدودة) وهو عنوان رمزي يعبّر شطره الثاني ـ أي الألف بدون مدّة ـ عن الإنجليز، وشطره الأول ـ أي الألف بمدّة ـ عن الأمريكيين وقد قرأنا حينذاك تلك المسرحية التي يظهر في المشهد الأول منها عهد التسلط الإنجليزي، ويظهر في المشهد الثاني منها عهد النفوذ الأمريكي.

وفي كلا العهدين تمارس طبقات الشعب عملها ونشاطها كل من موقعه، أما المثقف الذي يظهر في تلك المسرحية تحت اسم ((الواقف على التل)) فيبقى بمعزل تام عن مجريات الأحداث، وقد يتفوّه بين الحين والآخر بكلمة إلا انه لا يجازف مطلقاً ولا يزج بنفسه في وسط الأحداث.

بعدما وصلني كتاب تلك المسرحية وأنا في مشهد، تحدثت ذات مرّة للطلبة الشباب عقيب إحدى الصلوات وقلت في سياق كلامي ان الشخص الذي كتب هذه المسرحية هو نفسه ((الواقف على التل))، وانه في هذه المسرحية قد صوّر نفسه تماماً وكيف انه يعيش بعيداً عن الشعب!.

وعلى هذا الأساس كان أسوأ ما يمكن ان تقوم به جماعة مثقفة في إيران، هي الأعمال التي قام بها مثقفونا في الأعوام الخمسة عشر للنهضة حيث ابتعدوا عن الساحة ابتعاداً تاماً، وكانت النتيجة معلومة سلفاً. فقد ابتعد عنهم الشعب أيضاً. إلا ان عدداً ضئيلاً منهم بقي في الساحة، وكان منهم المرحوم جلال آل أحمد نفسه، وحتى أصدقاؤه وتلاميذه لم يدخلوا الساحة وإنما بقوا يتحركون عن بعد.

كانت السجون مليئة بأبناء الشعب من العلماء وطلبة الجامعات وطلبة العلوم الدينية، والعمال والكسبة، وكان أكثرهم من أنصار نهضة الإمام الخميني(قدّس

سرّه) لأن أعمالهم ونشاطاتهم كانت تثير الرعب في أوصال أزلام السلطة. فهذه الشخصيات البارزة التي تعرفونها جميعاً دخلت السجون وذاقت أمر ألوان التعذيب لساعات متمادية، أما أولئك السادة فلا!

لاشكّ في ان البعض منهم كانوا يدخلون السجن لأسباب بسيطة؛ لكنهم كانوا يبادرون من ساعتهم لكتابة رسائل يعربون فيها عن ندمهم وتوبتهم. ويوجد حالياً بين الوجوه المعروفة التي تريد ان تصبح عناصر للرجعية الثقافية في وقتنا الحاضر ـ وهو ما سأتحدث عنه لاحقاً ـ أشخاص كانوا يكتبون للسلطة رسائل ندم وتوبة ويبكون ويتضرعون، ونحن نعرفهم حق المعرفة. وهم يعلمون أيضاً اننا نعرفهم إلا ان الشباب لا يعرفونهم. لقد أثبتت تلك الفئة منذ ذلك اليوم وحتى عهد الثورة انها فئة لا يمكن الركون إليها في قيادة الشعب فكرياً.

لقد حدث نوع من التحرّك قبل انتصار الثورة بسنة أو سنتين، وكان سببه ان مدّ الثورة سرى إلى كل الأوساط بما يحمله من ثقل معرفي وعقائدي. وكان الكثير من الأشخاص لا يعتقدون بالإسلام، بيد أنهم ـ وبفضل تلك النهضة ـ أخذوا يعتقدون به، وكانت الكثير من الفتيات لا يعترفن بالحجاب إلا أنهن أخذن في أيام النهضة بارتداء الحجاب بدون أن يأمرهن أحد بذلك.

وهذا يعني أن نهضة الإمام عبر امتدادها واتساعها وبلوغها أوجها، ومن خلال اتّخاذها طابعاً كربلائياً وتقديمها للمزيد من التضحيات والشهداء كانت تكسب المزيد من الأنصار، وينضم إليها المزيد من الدعاة، وكلما كان مدّ الثورة يتسع أكثر كان ينتشر معه نداء الثورة بما يحمله من دعوة للتديّن والتمسك بالأصول والمعارف الإسلامية، وانضمت إليه مجموعة ـ أشخاص معيّنون لا أريد ذكر أسمائهم ـ دخلوا إلى الساحة إلى أن انتصرت الثورة.

التيار الثقافي بعد الثورة

بعد انتصار الثورة لم يسقط التيار الثقافي في إيران من الاعتبار، حيث كان هناك تيار ثقافي، إلا انه اتخذ في الحقيقة طابعاً جديداً حيث ظهر في عهد الثورة كُتّاب ومحققون وشعراء وناقدون ومحققون ومخرجون وسينمائيون ورسامون وكُتاب مسرحية من كلا الطائفتين اللتين خلقت الثورة عناصر أحدهما، وقلبت ماهية عناصر الأخرى التي كانت موجودة قبل الثورة.

وعادت الثقافة تحمل طابعها الوطني الأصيل للمرّة الأولى في إيران بعد ما يقارب المائة عام من بداية التحرك الثقافي فيها، وبات الأشخاص المعنيون بالشأن الثقافي ومن يعيشون في إطار هذه الدائرة؛ من كُتاب وشعراء إلى غيرهم من أصحاب الاختصاصات الأخرى كالفنانين والرسّامين ومن حذا حذوهم، يفكرون للمرّة الأولى كإيرانيين، ويتحدثون كمسلمين، ويقدّمون نتاجاً أدبياً وثقافياً وفنيّاً يصب في هذا الإطار، وكان هذا عهداً جديداً.

نعم، كان هناك بطبيعة الحال مقاومة من البعض، إلا أن التحرّك الثوري الهائل الذي كان كل شيء بمثابة المقدّمة التمهيدية له ـ واعلموا أن كل فكر وعمل يُعد مقدّمة لمثل هذا التحرّك، كالتحرك الذي انتهى إلى قيام الثورة في بلدنا ـ عاد على البلد بأوسع العطاء. لهذا هيمن المد الثقافي الإسلامي والوطني بفروعه المختلفة على كافة المجالات فبدأ الموسيقار والملحّن والفنان والأديب والشاعر يفكرون ويعملون على النمط الإسلامي، أو يحاولون على أدنى الاحتمالات أن يكونوا كذلك. وهذه طبعاً ظاهرة حديثة العهد.

كانت الحرب حقلاً خصباً لبروز مثل هذه الطاقات، وأنتم تعلمون أن الأحداث الكبرى والعصيبة التي تمر بكل بلد ومن ضمنها الحرب تؤدّي عادة إلى ازدهار الآداب والفنون فيه.

ومن المعروف أن أجمل الروايات وأفضل الأفلام، وربّما أطول الأشعار هي تلك التي أعدت وأنتجت للحروب وفي أيام الحروب، وهكذا كان الحال في حربنا أيضاً.

لقد اعتُدي علينا في هذه الحرب وتعرّضنا لظلم مرير من دون أن نعتدي على أحد أو نوفّر له ذريعة العدوان علينا، ولم نطلق ولا حتى رصاصة واحدة على الأراضي العراقية إلا أن طبيعة الثورة هي التي دفعتهم للهجوم علينا.

زار أحد الزعماء الوطنيين الأفارقة (أحمد سيكوتوري) رئيس جمهورية غينيا سابقاً، زار إيران عدة مرّات في عهد رئاستي للجمهورية، وكانت إحدى تلك الزيارات في أيام الحرب وقال لي حينها: لا تعجبوا من هذه الحرب التي فرضت عليكم. فكل ثورة تهب بوجه القوى الاستكبارية والاستعمارية العالمية المتنفذة فأول عمل تلقاه منهم هو أنهم يألّبون عليها جيرانها، ولا تعجبوا أن شملكم هذا القانون العام، وإذا كانوا قد هجموا عليكم من طرف حدودي واحد، فأنا قد هجمت عليّ خمس دول من خمسة أطراف حدودية؛ لأن بلدنا صغير وتجاوره بلدان متعددة.

وانما تعرّض بلده للهجوم لأنه كان زعيماً ثورياً جاء إلى السلطة بواسطة الثورة.

لقد شارك الشعب كله في الحرب، وكان دور القيادة فيها دوراً بارعاً، وكانت القيادة سبباً في المشاركة الشعبية الواسعة، وأدّت ظاهرة الالتحاق بقوات التعبئة، وتشكيل الحرس الثوري، والتحرّك الهائل للجيش وما واكب كل ذلك من دعم ومساندة جماهيرية إلى ايجاد الجو اللازم للرقي بالثقافة في الاتجاه الصحيح.

هذه هي الحالة الغالبة، ولا نقول ان الجميع كانوا هكذا؛ بل فيها استثناء، ففي أثناء الحرب كتب أحدهم قصة عن الحرب، إلا ان قصته تلك كانت فيها إدانة لإيران! وهكذا تكون النتيجة عندما يرفض المرء التخلّي عن مواقفه المغلوطة بأي ثمن كان. فما هي المؤاخذة التي تؤاخذ عليها إيران حين تعرضت الأهواز وآبادان وخرمشهر لهجوم عسكري معاد، وهبت الجمهورية الإسلامية قيادة وحكومة وقوات مسلحة وشعباً للذود عنها؟

في حين نرى تلك القصة تزخر من أولها إلى آخرها بالانتقاد والاستهزاء بالشعب وبمسؤولي تلك المنطقة، وقد صدرت أمثال هذه الأمور من بعض القدماء أيضاً إلا أن السياق العام لم يكن هذا، النهج العام كان وبقي إلى ما بعد مرحلة الحرب وما تلاها يسير في الاتجاه الصحيح.

كان هذا تقدماً ورقياً يتطابق مع ما تمليه طبيعة الثقافة في عالم الحركة الثقافية؛ لأن من طبيعة الرُقي السير قدُماً، وهذه هي الحالة السليمة التي تنقذها من ذلك المسار المغلوط ومن تلك الأوضاع السقيمة. بيد ان مثل هذا التحوّل ما كان له ليحدث في ظروف ما قبل الثورة، وانما ظروف الثورة هي التي مهدت له السبيل.

بقيت لي كلمة واحدة ألخّص فيها الموضوع الذي طرحت هذا البحث من أجله، وتلك الكلمة هي ان عملاً جاداً قد بدء من بعد انتهاء فترة الحرب لإعادة الثقافة الإيرانية إلى حالتها المرضية التي كانت عليها قبل الثورة، أي النكوص والرجوع إلى الوراء والخصام مع الدين ومناهضة المؤسسات الوطنية والأصيلة، والتوجه نحو الغرب والتبعية له بلا قيد أو شرط، والترحيب بكل ما يأتي من الغرب ـ من أوربا وأمريكا ـ وإكبار كل ما هو أجنبي، واحتقار كل ما هو ذاتي،

بما ينطوي عليه هذا المعنى تلقائياً من ازدراء بالشعب الإيراني واستهانة بمؤسساته، وهذا ما ألمس وجوده حالياً.

ولكن من هم الذين يبذلون مثل هذه الجهود؟ من الممكن طبعاً تخمينهم، ولكنني لا أستطيع ان أقدم هنا خبراً قطعياً متيقّناً. لاشك في ان بعضهم ممن لم يؤمنوا بالله طرفة عين، ولم يعتقدوا بالإسلام ولا بإيران.. لم يرفعوا رؤوسهم في السنوات التي سادت إيران تياراتُ الثقافة الإلهية والإسلامية والدينية والحقيقية والإيرانية ـ أو سمّوها ما شئتم ـ وإنما انعزلوا في زاوية أو سافروا إلى الخارج وعثروا هناك على معبودهم وقبلتهم ومعشوقهم.

ولم تكن لهذا الشعب ولهذا التاريخ ولهذه التقاليد ولهذه الثقافة أية أهمية لديهم، ومن الطبيعي ان مستقبل هذا الشعب لا أهمية له عندهم. وهؤلاء حتى وان تكلموا أو زعموا أمراً ما، إلا ان الماضي لا يحمل دلالة على صدقهم. وهم لا يفكرون بمصالح الشعب وانما يفكّرون بمصالحهم الذاتية.

من المحتمل ان البعض قد يقع تحت تأثير ما يثيرونه من عناوين ومسمّيات رنّانة، كما ويحتمل ـ ولا أجزم بذلك ـ ان يكون البعض مسخّرين لهذا الغرض بالأجرة؛ فمن جملة الأمور التي قد تدخل في خدمة المال بكل بساطة هي الأدب والفن والكتابة والشعر.

ولا عجب في ذلك؛ فقد كان هناك شعراء كبار امتدحوا بأشعارهم ملوكاً كانوا يستحقون اللعن والهجاء. هناك أشخاص كثيرون دافعوا عن صروح العار والمخازي رغبة في المال والشهوة والمطامع الدنيوية، في حين كان ينبغي لهم البراءة منها. وكما سبق وان أشرت فإن كلامي هذا قائم على الحدس والتخمين وليس كلاماً قطعياً ومؤكّداً. وهذا ما يفرض على مثقفينا المسلمين (المتمسكين بالدين) عدم السماح لهم بالعودة بعجلة الثقافة إلى الوراء.

الفصل الثاني

في خطر الغزو الثقافي

وسبل مواجهته

اولا ـ مفهوم الغزو الثقافي

معنى الغزو الثقافي والمرادُ منه، هو ان تقوم مجموعة سياسية أو اقتصادية بالهجوم على الأُسس والمقومات الثقافية لأمة من الأمم، بقصد تحقيق مآربها، ووضع تلك الأمة في إسار تبعيتها. وفي سياق هذا الغزو تعمد المجموعة الغازية إلى أن تُحِلَّ في ذلك البلد وبالقسر، معتقدات وثقافة جديدة، مكان الثقافة والمعتقدات الوطنية لتلك الأمة[١].

الغزو الثقافي كالعمل الثقافي؛ إذ هو ممارسة تتسم بالهدوء وعدم إثارة الضجيج ولفت الانتباه[٢].

يروم الغزو الثقافي ان يسلخ الجيل الجديد عن معتقداته بضروبها المختلفة. فهو من ناحية يهزّ قناعة هذا الجيل بمعتقده الديني، ويقطعه من ناحية ثانية عن الاعتقاد بالأصول الثورية، ويهدف من ناحية ثالثة إلى قلعه عن هذا الطراز من الفكر الفعّال الذي دفع الاستكبار والقدرات الكبرى لاستشعار حالة الخوف والخطر[٣].

في عملية الغزو الثقافي يقوم العدو بدفع ذلك الجزء من ثقافته الذي يرغب هو بدفعه، إلى البلد الذي يروم غزوه، ويغذي الأمة التي يستهدفها بما يريد.. ومعلوم ماذا يريد العدو وَما الذي يرغب فيه[٤].

---

(١) خطاب قائد الثورة في العاملين بالحقل الاعلامي والمسؤولين عن دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

(٢) خطاب قائد الثورة في العاملين بالحقل الاعلامي والمسؤولين عن دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

(٣) من حديث قائد الثورة مع وزير التربية والتعليم ومعاونيه، ١٣٧٠/١٠/٢٥.

(٤) خطاب قائد الثورة في العاملين بالحقل الإعلامي والمسؤولين عن دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

يقوم الغزو الثقافي ــ وهو المصطلح الذي كررته مراراً وأشعر إزاءه بحساسية خاصة تملأ وجودي وتأخذ بكياني قلباً وروحاً ـ على ركنين، جديرين باهتمامكم:

الركن الأول: ويتمثل في استبدال الثقافة المحلية (الثقافة الوطنية الخاصة) بالثقافة الأجنبية. وهذه الممارسة هي في واقعها استمرار لتلك السياسة التي كانت قائمة في العهد البهلوي، وكان يُرَوَّجُ لها بشكل كبير، وتشيع على نطاق واسع من دون ان يكون ثمة حاجز أو رادع. ثم ما لبثت ان انقطعت ـ بحمد اللّه ـ مع انتصار الثورة الإسلامية، بَيدَ أنهم لازالوا يمارسون الضغوط من أجل استئناف ذلك المسار في ترويج الثقافة الأجنبية وإشاعتها.

الركن الثاني: ويتمثل في الهجوم الثقافي على الجمهورية الإسلامية، وقيم هذه الجمهورية وقيم شعبها، بوسائل مختلفة، من مصاديقها في داخل بلدنا إنتاج الأفلام والمسلسلات التمثيلية التي تتسق مع أهدافهم، ونشر الكتب والمجلات التي تغذى بتوجيه خارجي[1].

ثانيا ـ الفوارق بين التفاعل الثقافي والغزو الثقافي

في البداية أشير إلى هذه النقطة وهي انّ الهجوم الثقافي يختلف عن التبادل الثقافي.

فانّ التبادل الثقافي أمر ضروري ولا تكون أمّة في غنى عن أن تكتسب العلوم والمعارف من الأمم الأخرى في كافّة المجالات ومن ضمنها المجال الثقافي وما ينضوي تحت هذا العنوان.

---

(١) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٦٨/٩/٢١.

وعلى مدى التاريخ كان الأمر كذلك وكانت الأمم تتبادل فيما بينها آداب الحياة والأخلاق والعلوم والأزياء وآداب المعاشرة واللغات والمعارف الدينية. وهذا التبادل الثقافي كان أهمّ من سائر المبادلات الاقتصادية وتجارة البضائع. وكثيراً ما أدّى هذا التبادل الثقافي إلى تغيير الدين في دولة بأسرها، وعلى سبيل المثال فانّ أهمّ ما حمل الإسلام إلى دول شرق آسيا والمشرق الإسلامي كأندونيسيا كان هو السلوك الشخصي لأبناء الشعب الإيراني وليس النشاط الإعلامي لناشري الإسلام.

لقد ذهب التجار والسياح الإيرانيون إلى هناك وكان عاقبة تلك الرحلات ان اعتنق الإسلام شعب كبير ـ ربما هو أكبر الشعوب الإسلامية اليوم ـ وهو الشعب الاندونيسي.

انّ الذي حمل الإسلام إلى هناك لأوّل مرة لم يكن السيف ولا القتال بل تلك الرحلات التجارية والسياحية، وأمّتنا كذلك استلهمت الكثير من الأمم الأخرى وهذا نهج ضروري لتجديد المعارف والحياة الثقافية في كلّ أرجاء العالم، وهذا هو معنى التبادل الثقافي والذي هو معنيً مرغوب فيه ومطلوب.

أما معنى الهجوم الثقافي فهو أن تشنّ قوّة سياسية أو اقتصادية حرباً على المبادئ الثقافية لشعب من الشعوب وذلك لتنفيذ أهدافها الخاصة والتحكم بمصير ذلك الشعب. انهم يفرضون بالقوة عقائد جديدة على تلك الدولة وعلى شعبها من أجل ترسيخها بدلاً من ثقافة ومعتقدات ذلك الشعب وهذا هو الهجوم الثقافي.

ان الهدف من التبادل الثقافي ترميم ثقافة الأمة، ولكن الهدف من الهجوم الثقافي هو اجتثاث أصول الثقافة الوطنية والقضاء عليها. في التبادل الثقافي تستلهم الأمة الثقافة والأمور الملائمة والمناسبة لها. افرضوا انّ شعبنا يلاحظ انّ

الشعوب الأوروبية تسعى بجدّ لتطوير نفسها مستفيدة من روح المغامرة والإقدام ويتعلّم منها ذلك، فهذا أمر عظيم الفائدة ولو انّ شعبنا يتّجه نحو شعوب الشرق الأقصى فيشاهد انّ تلك الشعوب دؤوبة في عملها ومقدّرة لقيمة وقتها وأمورها منظمة تتبادل فيما بينها الودّ والوئام والاحترام فيتأثر ايجابياً بتلك الخصال فإن هذا أمر حسن أيضاً.

في التبادل الثقافي تتمكن الأمة من اكتساب الأبعاد الإيجابية في الثقافات المتبادلة والمسائل التي تكمل ثقافتها، وكما يقصد الإنسان الضعيف الطعام أو الدواء المناسب حتى يستعمله فيصحّ جسمه، فإن الأمة تبحث عما يلائمها من الأمور الثقافية فتتعلّمها.

أما في الهجمة الثقافية فإن ما يهجمون به على أمة من الأمم لا يكون الا شرّاً، فمثلاً عندما شنّ الأوروبيون حملتهم الثقافية على بلادنا فإنهم لم يأتونا بروحية الاهتمام بالوقت ولا بالشجاعة ولا بحبّ المغامرة في القضايا والبحث والتنقيب العلمي ولم يحاولوا بإعلامهم ان يصنعوا من إيران شعباً محبّاً للعمل والعلم، لقد جاؤونا بالتحلل الجنسي فقط. فإن أمّتنا كانت منضبطة جنسياً لآلاف من السنين مضت، أي أنها تراعي قضية تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، طبعاً لا بمعنى انّ أحداً لم يكن يرتكب خطأً أو مخالفة، فإن الخطأ أمر واقع لا محالة في جميع العصور وفي مختلف المجالات، وأفراد البشرية معرّضون للخطأ دائماً.

ارتكاب أخطاء متفرّقة شيء وأن يصبح الخطأ عرفاً اجتماعياً مقبولاً لدى الأمة شيء آخر، شعبنا منزّه عن الخوض في اللهو والعبث الواسع وهذه الأمور كانت منحصرة بالمترفين والسلاطين والأمراء وأمثالهم الذين كانوا يحيون ليلهم حتى الصباح بممارسة الفواحش.

ولأن الأوروبيين كانوا يقضون ليلهم ونهارهم في نوادي الخمور والفحشاء، أرادوا ان يفرضوا علينا هذه العادة المشؤومة الفاسدة، اذهبوا وانظروا في السجل التاريخي لأوروبا ستجدون انّ الفساد كان منتشراً بينهم على طول تاريخهم الحضاري وكانوا يسعون جاهدين لنقل هذا الفساد إلى شعبنا وقد حقّقوا هذا الأمر بمقدار ما كانوا يستطيعون.

في الهجمة الثقافية يعطي العدو لهذا الشعب أو ذاك الجانب الذي يريده من الثقافة ومن المعلوم ما هو نوع الجانب الثقافي الذي يريد أن يعطيه لشعب عدوّ ذلك الشعب. واذا كنّا قد مثّلنا للأمة المكتسبة للثقافة في باب التبادل الثقافي بإنسان يبحث عن علاج أو غذاء عن إنسان مريض ملقيً على الأرض ولا يقدر على الحراك ويأتيه عدوّ له ليزرقه إبرة، فمن الواضح نوع الإبرة التي سيزرقها ذلك العدو المفترض انّ هذه الإبرة تختلف جوهرياً عن الدواء الذي تذهبون بأنفسكم وتختارونه لزرقه في أبدانكم حسب الرغبة.

انّ التبادل الثقافي فعل منسوب إلينا أمّا الهجوم الثقافي فهو من فعل الأعداء، والعدو يقوم به ليجتث جذور ثقافتنا. التبادل الثقافي يتحقّق في حالة تكون الأمة بكامل قوتها ووعيها، أما الهجوم الثقافي فيحصل عندما تضعف الأمة. ولذا فإنكم تلاحظون انّ المستعمرين عندما قصدوا احتلال آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أرسلوا الهيئات المسيحية والحركات التبشيرية المسيحية قبل ان يرسلوا رجال السياسة والجيش إلى تلك المناطق.في البداية نصّروا السكان الملونين والسود ثمّ ألقوا بحبالهم على رقابهم، ومن ثمّ طردوهم من ديارهم.

ثالثا - خطر الغزو الثقافي

نحنُ إيرانيون.. فعلينا إذاً ان نبحث عما يتصل بنا، ونعثر عليه. بديهي هذا لا يعني ان لا نتعلّم من محاسن الآخرين. فالإنسان يتعلّم مما لدى الآخرين من

محاسن وأشياء جيدة، ولكن من الأفضل ان يذوّب ما يكسبه داخل إطاره الثقافي، ثم يستفيد منه.

لقد تحدّثت مرّة عن الثقافة؛ وقلت لا ضير من تلقي ثقافة الآخرين، ولكن على نحوٍ يتم فيه التمييز بين كيفيتين. ولتقريب المسألة نضرب لها مثالاً من عمل جسم الإنسان.. فجسم الإنسان يتعاطى مع العناصر الغريبة عنه بكيفيتين.. في الكيفية الأولى يتناول الإنسان طعاماً يحوي فيتامينات مختلفة، فيخلط الطعام باللعاب ويدفعه إلى داخل المعدة. وحينئذ تمتص المعدة ما تراه مفيداً مناسباً للجسم، وتترك الباقي، فتدفعه وتلفظه.

هذا هو التعاطي الايجابي، وبإزائه ثمة نوع آخر من التعاطي؛ إذ نأتي بالإنسان ونرسف يديه بالقيود، ثم نزرق في بدنه مادة لا يريدها ولا يرغب بها. هذه الحالة هي غير الحالة الأولى في التعاطي مع العناصر الغريبة عن الجسم، وكان يمكن للمسألة أن تهون لو ان التزريق في الحالة الثانية، يتم من قبل طبيب عارف، وحريص على الإنسان.

ولكن ماذا لو كان هذا الطبيب عدواً، فماذا تراه يزرق بجسم خصمه؟

هذا المثال، يلخص قصتنا مع الثقافة الغربية، فنحن اليوم مع الأسف، نستهلك الثقافة الأجنبية، وهي تجدُ طريقها سالكاً إلى أجسامنا، من دون ان يصدر عنّا ردّ فعل.

وهذا هو ما يصطلح عليه بالغزو الثقافي.

يتخيل بعضهم انه هو المعني بالقضية. في حين انَّ المسألة تأخذ بعداً آخر، فالغزو الثقافي يأتينا من جهة معادية.. من جهة الغرب، وعلينا ان نستيقظ ونعي المسألة.. فنحن لا يسعنا ان نقول للعدو لا تتعامل معنا بعداوة وخصومة، لأنَّ العداوة من طبيعة العدو. لذلك لا نملك، أنا وأنتم، سوى ان نستيقظ ونلتزم جانب الحذر.

أجل، لو عثرنا في معارف الغرب على ما يناسبنا، فعلينا أن نجذبه، ونتعاطى معه كما يتعاطى الإنسان السليم مع الغذاء، إذ هو يجذب المفيد لجسمه ويدفع الضار. وكذا الحال ـ مع منتجات ثقافة الغرب ـ إذ علينا ان نتعامل معها تعامل الجسم السليم الحي.. نأخذ ما يفيدنا ونلفظ مالا ينفعنا.

في ضوء ذلك، لا يصح ان نتعامل مع ثقافة الآخر، تعامل الإنسان الفارغ، الخالي من أي شيء.. الفاقد لكل خلفية، كما لا يصح ان نتعامل معها تعامل الإنسان الحائر الثَّمِل.

لا أدري ماذا دهانا، حتى تزرق الثقافة الغربية بمثل هذا الشكل في أبداننا، في حين اننا نملك إمكانية الاختيار؟ ما هو حاصل الآن ان موج الثقافة الغربية يغزونا وينفذ في وجودنا من خلال الراديو والتلفزيون وكتب الموضة والموديلات والمجلات، ومن خلال الموج الدعائي والصخب الاعلامي[1].

مساوئ الارتباط بالغرب

إذا انفتح مجتمع ما على المعارف، فستزداد مناعته في مقابل العدو. وإذا كان للمجتمع رغبة وولع في العلم، فسيبادر حين يتواصل مع البلاد والمجتمعات الأخرى، لكسب العلم وأخذه منها.

لقد مارست القدرات الاستعمارية نشاطها في إيران منذ سنوات بعيدة، وعندما جاء الحديث عن التبادل والتفاعل فيما بين بلدنا والبلدان الأخرى، رأينا المسألة تأخذ مساراً ضاراً. فبدلاً من ان نعرض ثقافتنا العظيمة أمام العالم ليتعلّم الآخرون منها، ونستفيد نحن في المقابل من علوم الآخرين، رأينا أنفسنا نعرض صناعاتنا اليدوية مثلاً في معارض الآخرين، ونعطيهم نفطنا لكي يدير عجلة مصانعهم، وبالمقابل، نبقى جلوساً هكذا بانتظار ان يهبونا ثقافتهم الفاسدة!

---

(١) حديث قائد الثورة لأعضاء اللجنة المركزية لجمعية النساء، ١٣٧١/٢/١٥.

هذه هي خلاصة قصة طلائع دعوة ارتباط إيران ثقافياً مع الغرب. فأولئك الرموز والروّاد الأوائل، لم يَدْعوا مواطنيهم الإيرانيين أبداً إلى كسب ما يستطيعون كسبه من العلم من الغرب. ولو كانوا قد دعوا إلى ذلك لاستقبلنا دعوتهم.

ونحنُ الآن نعلنها بصراحة.. ان العالم شهد تقدماً في العلوم، وأبقانا متخلفين قرنين أو ثلاثة قرون عن ركبه.. علينا ان نلحق بالركب ونبلغ التقدم.. علينا ان نستفيد من علومهم ونكتسبها. الدعاة الأوائل لارتباط إيران والتحاقها بالغرب (المتغربون الأوائل) لم يقولوا هذا، وإنما دعوا إلى ان تلتحق إيران بالغرب ظاهراً وباطناً.. في الشكل والمظهر.. وفي اللباس.. وان تكتسب شكلاً غربياً في الأخلاق وفي الارتباطات والعلاقات اللامشروعة وفي كلّ شيء.

وقد لمسنا تبعات هذا الارتباط غير السليم أواخر العهد الملكي المنحوس، وما زالت رواسب ذلك العهد ـ في مجتمعنا ـ حتى الآن.

التعليم والتعلم أمران ضروريان.. وعلى كل واحد منّا ان يتعلّم.. فحين نعود إلى الإسلام في الحديث المشهور « **اطلبوا العلم ولو بالصين** »[1]، نجد انه لم يكن ثمَّ ما هو أبعد منها، من البلدان عن وطن المسلمين. ومؤدّى المثال ان يكابد المسلم المشاق ليكسب العلم وليتعلّم.

هكذا علّم النبيﷺ المسلمين.. ونحنُ اليوم على هذه العقيدة.. علينا ان نستفيد من جميع العلوم، ولكن بشرط ان يكون مبتغانا تعلم العلم ونيله، وليس كسب مفاسد الأخلاق.. التلوّث الأخلاقي.. الإدمان.. الأمراض الخطيرة المميتة كالطاعون الأمريكي المسمى بالإيدز، وبقية ضروب المفاسد الأخلاقية.

---

(١) بحار الأنوار ج١: ص١٧٧.

ينبغي ان ينفتح المحيط الاجتماعي على قضية التعليم، بحيث يشيع حالة التعليم والتعلّم وتنشط في أجوائنا. بديهي اننا نحتاج إلى التربية والتهذيب الأخلاقيين إلى جوار التعليم. ولو سلكنا الطريق السليم في التعليم، فهو ينطوي على التزكية[1].

يحصل أحياناً وان يكون العلم بيد أعدائنا، فنذهب إليهم ونتحني أمامهم لكسبه.. ليسَ في ذلك ضير، فالعلم أرفع شأواً من ان ينصرف عنه الإنسان لعداوةِ مع من يستحوذ عليه. ولكن ما نريد الوقوف عنده هو ان يخضع الإنسان إلى تأثير العدو ويكون تبعاً له وتحت سلطته، وذلك في المسائل التي لا تنتسب إلى العلم.. أي في السياسة والثقافة وما شابه ذلك.

ما يريدونه لما يطلق عليه بالعالم الثالث، وما يخططون له، هو التبعية الثقافية والسياسية. لقد رتبوا الأمور على نحو لا يتم فيه تبادل العلم والتقنيَّة.

ويمكن ان ندرج معضلة فرار العقول وهجرة الأدمغة، التي يعاني منها العالم المتخلّف منذ عشرات السنين، في هذا المضمار.. فهم يخطفون أفضل الطاقات والعقول التي تتحلى بها بلادنا، بل ولم يسمحوا ـ في إطار إبقاء حالة التخلّف وترسيخ التبعية ـ للطاقات المستعدّة التي تلقت تعليمها في العالم الثالث نفسه، ان تعود للخدمة إلى بلادها[2].

معالجة خطر الغزو الثقافي

ثَمّ فارق بين الغزو الثقافي وبين التفاعل أو التبادل الثقافي. يُعبّر التفاعل الثقافي عن ضرورة تحتاج إليها الشعوب. فليسَ ثمة شعب من الشعوب يستطيع

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء مع أبناء الشعب بمناسبة يوم العمال، ١٩٧١/٢/٩.

(٢) حديث قائد الثورة إلى مجلس الثورة الثقافية، ١٣٧٠/٩/٢٠.

الاستغناء عن الإفادة من معارف الشعوب الأخرى.. والثقافة والمسائل التي تندرج في العنوان الثقافي هي من بين ذلك.

لقد كان مسار التاريخ كاشفاً أبداً عن حالة التفاعل هذه ويشهد عليها.

قادت العلاقة بين الشعوب والتواصل فيما بينها، إلى التفاعل فيما بينها على صعيد آداب العشرة.. الأخلاقيات العامة.. العلم.. شكل اللباس.. طراز الحياة.. اللغة.. المعارف.. والدين، وهذا الضرب من التفاعل يفوق في أهميته عملية التبادل الاقتصادي والسلعي.

شهدنا طوال التأريخ أمثلة قادَ فيها التفاعل (التبادل) الثقافي إلى تغيير دين بلد بأكمله. فالذي حصل على سبيل المثال في شرق آسيا، أي في شرق المنطقة الإسلامية، هو دخول الإسلام إلى بلاد من أمثال اندونيسيا وماليزيا، وأجزاء مهمة من شبه القارة، عن طريق أفراد قلائل (آحاد) من الشعب الإيراني. وَلم يتم نشر الإسلام هُناك عن طريق ممارسة المبلغين للدعوة.. وإنما تحوّل الشعب الاندونيسي الذي ربّما يعد اليوم أكبر الشعوب الإسلامية، إلى الإسلام عن طريق حركة التجار والسيّاح الإيرانيين.

إذن لم يصل الإسلام إلى تلك المنطقة للمرة الأولى، لا عن طريق الدعاة والمبلغين الدينيين، ولا عن طريق السيف والحرب، بل كانت الفضيلة لعملية التزاور والتبادل الثقافي.

لماذا نذهب بعيداً ونحن نجد ان شعبنا تعلّم أشياء كثيرة طوال تأريخه من الأمم الأخرى، وحالة التفاعل هذه تعدّ أمراً ضرورياً للعالم برمته، لكي تبقى الحياة الثقافية والمعرفية نابضة بالحركة والحيوية والتجدّد.

هذا هو ما نعنيه بالتبادل الثقافي الايجابي والمطلوب[1].

الهدف من التبادل الثقافي هو إثراء الثقافة الوطنية وسوقها صوب التكامل. أما الغزو الثقافي فهو يهدف إلى استئصال الثقافة الوطنية واجتثاثها.

في مسار عملية التبادل، تأخذ الأمة ما تراه لائقاً جيداً من ثقافة الآخرين، وما هو مورد علاقة بالنسبة إليها.

افرضوا مثلاً.. ان الشعب الإيراني رأى في الشعوب الأوربية انها تتصف بالمثابرة (بمعنى الصبر والاصرار على انجاز الشيء) والتوثّب وروح المغامرة، فلو انه أخذ هذه الصفات منها، لكان ذلك أمراً حسناً.

وفي مثال آخر، نرى انّ الإيراني حين يذهب إلى أقصى نقاط شرق آسيا يجد الناس تتحلى بالاحساس بالمسؤولية، وبوجدان يقظ في الانكباب على العمل.. وبالمثابرة والانضباط والنظم.. وتظهر شوقاً وافراً للعمل.. تستثمر الوقت وتقدّر قيمته.. تتبادل المحبة فيما بينها، وتتحلى بالأدب، فلو انه اكتسب منها هذه الخصال لكان ذلك أمراً حسناً.

يبادر الشعب في التبادل الثقافي إلى النقاط الايجابية، وما يقود إلى تكامل ثقافته واثرائها فيستعمله، تماماً كالإنسان الذي يُصاب بالضعف في بدنه، فينكب على تناول الغذاء الجيّد أو الدواء المناسب، لكي يتعافى وتعود إليه السلامة مجدداً.

أمّا في الغزو الثقافي، فإنّ الأمة المستهدفة بالغزو تُغذى بأمور سلبية وثقافة ضارَّة. على سبيل المثال، عندما بدأ الغزو الثقافي الأوربي لبلدنا، لم يصطحب الأوربيون معهم قيماً من قبيل روحية احترام قيمة الوقت.. الشجاعة والاقدام..

---

(١) خطاب قائد الثورة في العاملين بالحقل الاعلامي والمسؤولين عن دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

تحمل الأخطار في مواجهة الأمور.. وروحية التدقيق والمثابرة في البحث العلمي، ولم يريدوا لشعبنا ان يتربى على هذه القيم ويتبعها، لكي لا يكون الشعب الإيراني شعباً يتحلى بالمسؤولية وبضمير يقظ في الانكباب على العمل.. ولا أن يتصف بالمثابرة العلمية.

كلّ الذي جلبوه إلى هذه البلاد هو التحلّل والاباحية الجنسية[1].

الاستفادة من ثقافة الآخرين هو أمر يبعث على التكامل. ولكن ثمَّ فرق بين حالة يمتلك فيها الإنسان حرية انتخاب الطعام أو الدواء الذي يوائم جسمه وصحته، بحيث يختار ما يحتاج إليه من بين مئات الأطعمة والأدوية، بمعرفة ويقظة ووعي، وبين ان يُجبر على طعام أو دواء يكون بضرره. ليفترض أحدنا انه بحاجة إلى فيتامين (C) فحينئذ ينصرف للبحث عنه، ثم يتناوله على قدر حاجة جسمه له. وهذا فعل ايجابي، لا ضير فيه، حتى لو كان من منتجات الأجانب وصناعتهم.

وثمة إلى جوار هذه الحالة، حالة ثانية يسقط فيها الإنسان مغشياً عليه، فيأتي أحدهم ويزرق جسمه بدواء ما.. لا نعرف طبيعة هذا الدواء.. ولا مقداره وكميته.. وفيما إذا كان نافعاً ومفيداً.. أو مخدراً ضاراً أو سماً زعافاً، في مثل هذه الحالة يسقط الاختيار ولا يكون ثمة معنى للانتخاب.

هذه أُمور ينبغي ان ننتبه إليها، فالذي كان يحصل في العهد البهلوي البائد هو ممارسة من هذا القبيل، حيث كان هذا الشعب يغذّى بثقافة الأجانب. بمعنى انَّ أخذ ثقافة الآخر في الماضي لم يكن بهدف تحقيق التكامل، بل بهدف اغراق الشعب بمستهلكات الثقافة الأجنبية التي لا قيمة لها.

---

(١) خطاب قائد الثورة في العاملين بالحقل الاعلامي والمسؤولين عن دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

والشكلُ السليم هو أن يكون ثمة اختيار وانتخاب، لكن لم يكن للشعب اختيار في المسألة.

وإذا شئنا الانصاف فإن ثقافة الغرب الآن تنطوي على عناصر ايجابية مفيدة.. وهذه مصيرية بالنسبة إلينا.. علينا ان نجذبها ونتعلمها.. الأشياء النافعة في ثقافة الغرب كثيرة.. وإذا لم يكن ثمة وجود لهذه الأشياء النافعة لم يكن الغرب يصل إلى ما وصل إليه اليوم.

الفساد الواسع الذي يضرب بجرانه المحيط الغربي، وكان يفترض ان يأتي على الغرب، ويستأصل وجوده من الجذور، إلا انَّ سبب بقاء كيانه واستمراره يعودُ إلى وجود عناصر، هي حقاً عناصر متينة في وجودهم، من قبيل ان إنسانهم إنسان منظم.. مثابر.. كثير العمل.. لا يتعب.. عنده إصرار.

لذلك كله يجب علينا أن نأخذ العناصر الايجابية في ثقافتهم ونستفيد منها[1].

رابعا ـ علل وجذور الغزو الثقافي الاستعماري للعالم الإسلامي.

اسباب عامة

١ . الإسلام عائق كبير امام المستعمرين

في كل مكان يتواجد فيه الإسلام، لا بقاء لأركان النظام السلطوي العالمي.

وفي كل مكان يستقر فيه الإسلام سيكون ذلك علامة على مواجهة الظلم والعدوان.. والاستعمار والاستغلال.. وإذلال الناس.. وعلامة على مواجهة المرتكزات التي يتقدّم بها نظام التسلط في العالم المعاصر[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء أعضاء القسم الأدبي في الدائرة الأدبية التابعة لمنظمة الاعلام الإسلامي، ١٣٧٢/٧/١٢.

(٢) من حديث القائد في لقاء مع مجموعة من علماء وأئمة جمعة مازندران، ١٣٦٩/٢/٢٢.

يسعى هؤلاء ـ أعداء الإسلام والقوى المستكبرة ـ لمحو الإسلام، بحيث لا يبقى له في العالم اسم ولا أثر.. لأنَّ الإسلام يواجه علوّهم وطغيانهم.. أمريكا تخاف الإسلام وستظل تخشاه، وكذلك القوى العالمية الأُخرى، لذلك توازروا على مواجهته والقضاء عليه[1].

ما نقصدهُ بالعالم الاستكباري، هو هذه القوى السياسية العالمية.. هذه الحكومات والدول.. سواء كانت قدرات كبرى، أم قدرات صغيرة استبدادية وتابعة. ان في طليعة أهداف هؤلاء في العالم، حذف الإسلام؛ لأنه يخالف استبدادهم[2].

لماذا كل هذا العداء الاستكباري للإسلام؟ لأن الإسلام حائل كبير أمام مطامع الاستكبار،ففي كل مكان يستقر فيه الإسلام لن يسمح للقوى الاستكبارية أن تمارس النهب، وتفعل ما تريد كما يحلو لها[3].

الإنسان الذي يفتقر للإيمان الديني سيفقد الأمل الواضح .. والإنسان الذي يفتقد للإيمان الديني، سيفتقد القدرة على مُواجهة المشكلات بشكل أساسي، وحينئذ سيبقى في مُنتصف الطريق، أو يعود القهقرى. لذلك رأيتم ان البلدان التي تحكمها أنظمة لا دينية .. الحادية .. بعيدة عن اللّه، تسقط في منتصف الطريق. هذا ما حصل مع الأنظمة الماركسية التي حمّلت شعوبها الفكر الماركسي فتوقفت عجلتها، فغلبها الغرب وانتصر عليها.

أما مع الإسلام فثمة قصة أُخرى.. الحركة الإسلامية حركة مستدامة، وجهاد الإسلام من أجل حياة كريمة عادلة للإنسان هو جهاد دائمي متواصل.

---

(١) من حديث القائد في مجموعة من عوائل شهداء خرم آباد، ١٣٧٠/٥/٣٠.

(٢) من حديث القائد في مجموعة من علماء مدينة جهار محال وبختياري، ١٣٧١/٧/١٥.

(٣) من حديث القائد في مجموعة من أهالي مدينة جهار محال وبختياري، أثناء لقائه معهم في ملعب مدينة شهركرد، ١٣٧١/٧/١٥.

هذه الخاصية هي التي تفسّر لنا عداءهم للإسلام.. فما من يوم يمرّ إلاّ وثمة مؤامرة على الإسلام والمسلمين تخرج من جعبة الاستكبار.

انظروا إلى أوضاع العالم لتتبينوا هذا المعنى.. فهذه أمريكا والقوى الشيطانية المستكبرة، تدخل بكل قوتها في حرب ضدّ الإسلام، وهي تبذل ما تقوى عليه في هذا المضمار. بيد أنّ هذا الوجود ينمو ويتسع كل يوم ـ بحمد اللّه ـ فقدرة الإسلام في تزايد.. وروحية الإيمان الإسلامي تنتشر في العالم أبداً.. وهذا هو ما يخشاه الاستكبار[1].

عندما سعى المستعمرون لبسط مشروعهم في الفتوحات السياسية.. الاقتصادية.. الاجتماعية.. والثقافية، اصطدموا بحائل مهم، تمثل بالمعتقدات الدينية للشعوب. بديهي انّ المعتقدات الدينية لا تقف في كل مكان في مواجهة النهج الاستعماري.. فالدين المحرّف.. والدين الذي صنع بيد القوى (الدولية) لا يعارض ـ بالبداهة ـ القوى الاستكبارية.

لذلك فإن الإسلام هو الدين ـ وهو المصداق الأتم للدين ـ الذي ينهض حقاً لمعارضة الاستعمار، ويواجه عدوانهم على الإقليم الإسلامي، وقد أدرك المستعمرون هذا المعنى من خلال بحوثهم.

جرّبوا ذلك في الهند.. في البلاد العربية.. وفي إيران. ففي كل مكان كان الوجدان الديني مستيقظاً بين الناس، واجه الاستعمار مانعاً يقف دون مشروعهم. من أمثلة ذلك ثورة التبغ في إيران.. والحركة الدستورية.. والحوادث الدموية التي ألمت بالهند في مواجهة الإنجليز.. ومواجهة المسلمين الأفغان للإنجليز أواسط القرن التاسع عشر.

---

(١) من حديث القائد في مجموعة من أهالي مدينة جهار محال وبختياري، أثناء لقائه معهم في ملعب مدينة شهر كرد، ١٣٧١/٧/١٥.

ومن الأمثلة الأخرى في هذا المضمار نهضة السيد جمال الدين الأسد آبادي في مصر، التي هزّت الإنجليز[1].

طوال سنوات متمادية مارست الثقافة الغربية الفاسدة دوراً تخريبياً في البلاد الإسلامية، دون ان يكون ثمة سدّ يحول بينها. فالحكومات التابعة لم تستطع ان توفّر ذلك السدّ الذي يُنتظر من حكومة صالحة، لمواجهة المؤامرات الثقافية والسياسية للأعداء. لذلك كلّه اندفع قادة الغرب في توسيع دائرة الثقافة الغربية الفاسدة في البلدان الإسلامية، في سبيل تعزيز سلطتهم السياسية والنهب الاقتصادي.. من دون ان يكون ثمة رادع[2].

٢ ـ الحيلولة دون نهضة الشعوب الإسلامية

عندما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، حصل ما كان متوقعاً من انجذاب الشعوب الإسلامية ـ وحتى غير المسلمين ـ إلى الإسلام، وذلك كأثر من آثار الثورة ومحبوبيتها. لذلك استنفرت الأجهزة الاستعمارية قواها لمواجهة النفوذ المعنوي (المتزايد) للإسلام.. وإلا هل يمكن ان نجد سبباً يحلل لنا حالة الاستنفار الشاملة لأجهزة الاستكبار، سوى معرفتهم بأنَّ اتساع نفوذ مفاهيم الإسلام في أية بقعة من العالم يعني الإيذان بانهاء سلطتهم وكفّ أياديهم؟

لقد جسّد انتصار الثورة المعنى الصحيح للتوحيد ونفي عبودية غير اللّه، وتمثلها في الواقع، مما دفع المسلمين في الكثير من مناطق العالم للاحساس بشخصيتهم وعزتهم فبعث فيهم روحاً لمواجهة القوى المتجبرة، وتدشين عهد جديد من جهاد الشعوب الإسلامية.

---

(١) من حديث القائد في لقائه مع مجموعة من الطلاب والجامعيين، ١٣٦٩/٩/٢٨.

(٢) من حديث سماحته في مراسم بيعة مجموعة من أهالي مشهد وعشائر خوزستان، ١٣٦٨/٤/٢٢.

من الأمثلة البارزة على ولادة عصر الجهاد الجديد بين الشعوب الإسلامية يمكن الاشارة إلى جهاد المسلمين في أفغانستان.. وفي فلسطين، وتصدّي الشعب الفلسطيني للأحزاب المساومة.. وانطلاق النهضات الإسلامية في البلدان الأفريقية المسلمة.. وفي آسيا.. بل وحتى في أوربا.

انطلقت كل هذه النهضات على أساس جاذبة الإسلام، والشوق لتنفيذ الأحكام الإلهية.. والاحساس بأنَّ هذا الدين يمثل طريق عزتهم وخلاصهم.

قبل انبثاق الجمهورية الإسلامية، لقنوا القاعدة الإسلامية العظيمة، بأنَّ الإسلام غير قادر على ان يمنحهم العزة والعظمة، وان يكون لهم خيار الانقاذ والخلاص، وألقوا في ذهنها انَّ طريق الخلاص يتمثل إمّا بتمثل النموذج الغربي المتحرك في اطار الثقافة (الحضارة) الأوربية الأمريكية، أو الاتجاه صوب نظرية خيالية فارغة تعكسها الأيديولوجية الماركسية.

بيد انَّ الذي أبطل النسيج الاستعماري الغربي، هو انتصار الثورة الإسلامية، وتأسيس الجمهورية الإسلامية، التي حققت العزة لشعب إيران، وأظهرت قدرة الإسلام على أن يكون خياراً لانقاذ الأمة من حالة الضعف والركود، وايصالها إلى ذروة العزة والشجاعة، عن طريق الاعتماد على النفس.. كما أثبتت (التجربة الإسلامية في إيران) قدرة الإسلام على تشكيل نظام ثابت ومقتدر، له القدرة على قطع دابر الظلم الاستكباري، ووضع نهاية لما كان يتعرض له الشعب من احتقار وذل على يد الاستعمار[1].

القوى (الدولية) تعادي الإسلام ونهضة المسلمين.. وعلى هذا الأساس يفسّر موقفها المعادي لإيران المسلمة. فهي تبذل ما في وسعها للقضاء على التحرك الإسلامي في العالم.

---

(١) من بيان أصدره سماحته في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

وأمريكا تقف في رأس هذه القوى المعادية، تأتي بعدها قوى صغيرة وكبيرة، تواجه الإسلام على أساس خلفية تأريخية، أو على أساس ما يمثله من معارضة لمصالحها، أو انها تحاربه لخشيتها منه.. ان عداء هؤلاء لإيران المسلمة، يعود إلى كونها تمثل مركزاً لحركة الاحياء الإسلامي.. فالشعوب الإسلامية اليوم تستمد الأمل بالنصر من هذه الثورة، وتتقدم بخطى ثابتة ـ استلهاماً من روحها ـ.

ثمة حقيقة يجب ان نعيها جيداً، وان لا نخطئ في فهم العدو، فلو قدر وان فشل الإسلام في هذه التجربة (إيران) فسيكون ذلك أكبر نصر يحققه الأعداء إزاء حركة الاحياء الإسلامي التي تعم العالم. لذلك كلّه علينا ان لا تتصوّر أن العدو كفَّ عن عدائه للإسلام والمسلمين[1].

لم تكن القوى الناهبة والمستبدة في العالم، على وفاق مع الإسلام في أي يوم من الأيام.. بيد ان عداءها وبغضها للإسلام اليوم بلغ مدىً كبيراً لم تبلغه فيما مضى.. لقد تضاعف مرّات عداء القوى الشيطانية للإسلام.. فقد أصابتها الضربات الموجعة التي أنزلها بها الإسلام اليقظ، وتجرعت مرارتها. أثر ذلك فهم الشيطان الأمريكي ـ وأذناب أمريكا أيضاً ـ ما معنى ان ينهض شعب مسلم ويقوم باسم اللّه.

لذلك أضحى خوفهم من الإسلام أشد.. وأضحت عداوتهم وبغضهم له أكثر[2].

يقول سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[3]. وهذا النص هو من معجزات القرآن حقاً، فالأعداء لن يتركوا

---

(١) من حديث القائد في لقائه مع العلماء وأئمة الجماعات.

(٢) من حديث سماحته اثناء لقائه بمجموعة من عوائل الشهداء، ١٣٦٨/٦/٢٤.

(٣) البقرة الآية: ١٢٠.

المسلمين حتى يتخلوا عن دينهم، ولن يرضوا عنهم بأقل من ذلك. أما المراد من التخلّي عن الإسلام فهو أن تموت تلك الروح والطاقة الإسلامية النابضة، في أوساط المسلمين، وان تتعطّل أحكامه الحيّة. فلو كان المسلمون يجهلون أصول الإسلام الأساسية، ويتمسكون بظواهر شكلية جزئية ـ لا أثر لها ـ فإن الأعداء لا يعبأون بهم.

بيد أن المشكلة في تلك الحال، ان هذا الذي بين يدي المسلمين لا يُعدّ حينئذ إسلاماً.. ولا يعكس الإسلام الذي جاء به النبي، والذي على أساسه يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]،[2].

اسباب انطلقت مع انتصار الثورة

١ ـ إحياء الإسلام المدافع عن قضايا الأمة

في كلّ مرّة ينكشف فيها وجه الإسلام الواقعي خلال تأريخه الممتد منذ ١٤٠٠ سنة، ترى الدنيا تصطف لمواجهته، بأشكال العداوة الشديدة، وضروب البغض العميق، وأنواع الخيانات العجيبة الغريبة. وبالعكس في كل مرحلة تنكفأ فيها صورة الإسلام الواقعية، وتختفي معالمه المتألقة الناصعة، وتتراجع دعواته الكبيرة، ترى تضاؤل حركة العداء، وقلة اصطفاف القوى المناهضة له.

هذه المعادلة مطّردة في مسار الإسلام منذ اليوم الأول حتى هذه اللحظة. فحينما تنظرون إلى مرحلة النبي في مكة، ترون ان أنواع العداوة والبغضاء وضروب المكر قد اصطفت في مواجهة هذا النبي العظيم ودعوته (الإسلام) وانطلقت من قبل القوى الهمجية الشريرة.

---

(١) آل عمران الآية: ١١٠.

(٢) من خطاب لسماحته في لقائه مع مجموعة علماء وأئمة جماعات طهران، ١٣٧١/٥/٧.

وفي مرحلة المدينة لكم ان تلاحظوا أشكال البغضاء والعداوة ومقدار ما تمثلته المواجهة البغيضة من دموية، وهي تصدر من الأشرار التافهين.

فقد كان من بين الأحزاب ـ ثمة سورة في القرآن بهذا الاسم ـ التي ناهضت الإسلام وظاهرت نبيه العظيم، مشركوا قريش، ومشركوا ثقيف، وأهل الكتاب الذين ابتعدوا عن كتابهم، واليهود والنصارى، والمنافقون، فقد اصطفت هذه القوى جميعاً، وتكاتفت أجنحتها لتدمير الإسلام ونبيه، واتحدت كلمتهم وأصبحوا يداً واحدة، ووقف الإسلام بكل تألقه وإشعاعه في مواجهة هؤلاء، وحيداً.

وحين آل الأمر إلى سلطان بني أُمية وبني العباس، رأينا حملة الإسلام الواقعي ـ الإسلام المحمدي ـ عرضة لألوان الضغط وصنوف التضييق وضروب مختلفة من الملاحقة والتعذيب. تأملوا حياة الإمام موسى بن جعفرعليه السلام والأئمة الآخرينعليهم السلام، وتفحصوا حياة العلماء والمحدثين الكبار، لتعرفوا ما حلَّ بهم من قبل خلفاء الجور.. تعرضوا للضرب بالعصي والسياط.. للسجون ولأصناف الأذى والعذاب.

هذه جميعاً تظهر لكم واضحة من خلال مطالعة التأريخ. من خصوصية الإسلام الواقعي الحقيقي، انه كلما تجلى للعيان وظهر ـ موضوعياً ـ اصطفت قوى الشر والفساد لمواجهته بكل ما تملكه من قوة.

وفي المقابل لا تدخل القوى المضادّة في مواجهة مع إسلام خال من روحه.. تخلى عن شعاراته الأصيلة.. إسلام لا ينهض لمواجهة الظلم.. إسلام تعايش مع ضروب الفساد الأخلاقي.. إسلام ينطوي على بعض الشعائر بيد انه ضيّع الأصول وافتقدها.. إسلام مثل هذا لا يثير القوى المناهضة، ولا تصطف لمواجهته قوى الشر والفساد.. ولهذا الشكل من الإسلام فصل عريض في

التاريخ، بامكانكم أن تعودوا إليه لتقرأوه وتطّلعوا عليه، ولكم ان تلاحظوا ـ هذه القاعدة المطّردة ـ في عصرنا هذا المملوء بالفساد، فساد النظام البهلوي والأنظمة الأخرى التي سبقته في إيران.

ان التجلّي الأول للإسلام ـ الإسلام الواقعي ـ ممتد في جميع أنحاء الدنيا. وإسلام مثل هذا، مقاوم للظلم والتسلّط والنهب والفساد، عليه أن يترقب عداء القوى الكبرى وأمريكا والصهاينة وشركات النهب العالمية، والسلاطين الفاسدين، والرؤساء المفسدين.. فكل هذه الجبهة العريضة من قوى الفساد والشرّ تناهض إسلاماً مثل هذا، وليس أمام مثل هذا الإسلام إلا ان يترقب عداءها[1].

خطر الإسلام على مصالح المستكبرين

تبرز في صراع القوى المتسلطة مع الثورة ونظام الجمهورية الإسلامية قضية الإسلام الصحيح، الخالي من تشويهات أيادي الاستكبار العالمي وتحريفاتهم. وبعبارة أُخرى فان القضية بالنسبة لنا ـ في هذا الصراع ـ وبالنسبة لأعدائنا على حد سواء، هي مسألة الإسلام. والاستكبار يواجهنا بسبب الإسلام.

إنّ هدف الاستكبار العالمي وعلى رأسه أمريكا، وفي قاعدته جميع الأجهزة الشيطانية المسلطة على العالم ـ وحتى غير المسلطة ـ التي تعمل من أجل مصالح الاستكبار، هدفها جميعاً من مواجهة إيران المسلمة هو الإسلام.. الإسلام فقط وليس أي شيء. اننا لا نخوض جهادنا من أجل ان تعم الحياة الإسلامية الطيبة بيننا وحدنا، بل من أجل أن تعم البشرية. فجهادنا هو من أجل الإنسانية أيضاً.

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أهالي شيراز وبندر عباس وساري، ١٣٦٨/٤/٢١.

بيد ان ذلك لا يعني اننا نجهّز الجيوش، ونمضي بها حيثما تخل أيادي الاستكبار بالحياة البشرية الطيبة، فنخوض المعركة ضدّها، كلا، فهذه الحرب ليست من سنخ هذه المقولة.

اننا نسعى من موقع الإسلام وقاعدته ان نثبت أن البشرية التي تعيش راهناً في ظلال وطأة حاكمية الاستكبار الخبيثة، تتجرع الآلام، وتقترب يوماً بعد آخر من الشقاء أكثر. والهدف من سعينا أن الإسلام يمكن ان يكون رسالة إنقاذ للبشر.

لقد أثبتنا ـ مرّة ـ ومانزال نسعى ان نثبت ان الإسلام قادر على مواجهة القوى العالمية الكبرى، وضرب قواعد الأنظمة الظالمة في العالم.

الاستكبار يعيش حساسية من هذه المسألة. ولذلك تراه يبغض أية أمة أو دولة أو نظام يرفض ثقافة السلطة أي يرفض حاكمية أنظمة البيوتات والزور وإمبراطوريات السلطة العالمية.

وفي عالم اليوم، هذا هو الإسلام، وها نحن الذين نخوض معركة رفض نظام التسلّط في العالم، ونعتبر ان نظام الهيمنة العالمي هو المسؤول عن شقاء الإسلام والبشرية في كافة أرجاء العالم.

نحن لم نهلع من التهم التي تنهمر على ثورتنا وشعبنا من أجهزة الدعاية المرتبطة بالغرب، ولن نضطرب. فمنذ أوائل انتصار الثورة، راح أكثر الرجعيين رجعية في هذا العالم يرمون شعبنا وثورتنا بتهم الرجعية، رغم ان ثورتنا أنجزت في هذا العصر أكثر الحركات (التغييرية) رقياً وتقدمية، ومع ذلك لم نهلع ولم نضطرب[١].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مع ضيوف مؤتمر الفكر الإسلامي، ١٢/١١/١٣٦٨.

ترى القوى الاستكبارية الغربية نفسها، انها في مواجهة مع الإسلام اليوم. هم يخشون الإسلام ويعدّوه خطراً.. وكل مظهر إسلامي ينطلق يعتبرونه طليعة خطر جدي يهدّد قدرتهم ومصالحهم.

والشيء البديهي أن الإسلام المحمدي هو خطر حقيقي للأنظمة التي تقوم على أُسس الظلم والفساد والانحطاط، لما ينطوي عليه من رفض للفساد والانحطاط الأخلاقي في محيط الحياة البشرية.

وهذا في الواقع ما يفسّر لنا سلوك جميع القوى الشيطانية العالمية اليوم، في مواجهتها لتجليات الإسلام ومظاهره، بأقسى ما تكون أساليب المواجهة وأعنفها، بحيث راحت تلك القوى تسحق بأقدامها أشد الأصول بداهة مما كانت تنطق به شعاراتها[١].

إنّ القوى الكبرى التي انطوت على حال العداء الدائم للثورة الإسلامية لم تعلن ـ ولن تعلن ـ صراحة أسباب عدائها للجمهورية الإسلامية. فلو أن أمريكا أعلنت صراحة أن باعث عدائها لإيران، هو عداوتها للإسلام، لوضعت في الصف المقابل لها مليار مسلم في العالم يكونون في مواجهتها[٢].

في كل مكان تظهر فيه تجليات الإسلام الواقعي ترى القوى الخبيثة تتوافق في الاصطفاف ضدّه، بيد أن الذي يحصل أن تُبادر القوى الإنسانية الخيرة والقلوب النقية، والأرواح السامية والفطرة النظيفة للدفاع عن الإسلام الواقعي وحماية وجوده بإزاء ذلك الاصطفاف المعادي[٣].

---

(١) بيان قائد الثورة في تجمع قادة جيش العشرين مليون، ١٣٦٨/٩/٢.

(٢) بيان قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

(٣) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أهالي شيراز وبندر عباس وساري، ١٣٦٨/٤/٢١.

منذ اللحظة التي انتصرت فيها الثورة الإسلامية في إيران، انطلق المؤمنون الملتزمون للعمل على أساس الإسلام. ومعنى ذلك أن الإسلام في بلدنا لم يكن لقلقة لسان ولن يكون، انما اختار شعبنا التحرك على هدي ما أراده القرآن للمسلمين، من مواجهة للشياطين ومبارزة القوى الظالمة.

لقد تخلّى شعبنا عن كلّ شيء، من أجل السير في سبيل اللّه، تماماً كما أراد الإسلام ـ من المسلمين ـ أن يبذلوا التضحيات من أجل الحفاظ على عزتهم في مقابل القوى العالمية.

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. العزة للمؤمن، لأنَّ المؤمن هو الشخص الوحيد الذي يواجه بوجوده كلّه، أيَّ بؤرة شرّ شيطاني وفساد. ومنذ اللحظة التي استطاع فيها الشعب الإيراني ان يجسّد بانتصار الثورة، دين اللّه ـ الإسلام ـ في إطار نظام اجتماعي، انبثقت المخاوف في قلوب المستكبرين.. فبدأوا جهودهم لمواجهة الإسلام بأي طريق ممكن.

من هنا فانَّ مواجهة الجمهورية الإسلامية ونصب العداء لها كان بسبب الإسلام. وآية ذلك انهم تعاملوا مع الجمهورية الإسلامية على انّها خطر كبير، في اللحظة التي تمسكت بالتزام ثابت بالمعتقدات والأصول الإسلامية. ففي البداية لم تظهر منهم حساسية (وردود فعل عنيفة) وذلك حين لم تكن الأمور قد اتضحت لهم بشكل كامل، ولم يعرفوا ما هي الجمهورية الإسلامية، وإلى أي مدى يمكن أن تلتزم بمبانيها وتثبت على شعاراتها.

إنّنا اليوم إذن أمام حركتين متقابلتين، قد امتلأتا بالدروس والعبر بالنسبة لشعبنا. فمن جهة نرى الضغوط الاستكبارية المتزايدة، وعداء القوى المادية،

---

(١) المنافقون الآية: ٨.

ضدَّ أي مظهر من مظاهر الانبعاث الإسلامي، مما تصلنا أخباره يومياً ونلحظه باستمرار، حتى انَّ هذه القوى لا توفّر في عدائها مظهراً منه، حتى تجلياً صغيراً من تجليات انبعاث الإسلام، يظهر في بلد أوربي، إذ سرعان ما تتحول هذه الظاهرة إلى مركز للصراع، يدفع المسؤولين والسياسيين لمواجهته!

هذه هي الحركة الأولى في طرف القضية.

أما في الطرف الثاني، فاننا نجد ان قلوب البشر في العالم تنجذب إلى الإسلام، بالأخص ما يحصل للشباب والمثقفين والناس الواعين، فهم ينفتحون على الإسلام رغم شدّة الضغوط العالمية ضدَّ الإسلام والمسلمين.

وهاتان الحقيقتان، هما اللتان تؤمّنان نمو الإسلام الحقيقي واتساع رقعته.

ان الإسلام الذي تضرب جذوره في الفطرة الإنسانية، والذي يخوض المواجهة الشاملة مع كافة أجهزة الظلم، هو الذي يستطيع ان يجذب إليه البشرية، وهو الذي سيظل ويثبت.. وإليه سيؤول حكم العالم.

العظة التي تكون لنا ولشعبنا، هو أن نسعى في الداخل لتنفيذ أحكام الإسلام أكثر فأكثر. انّ الذي يؤمّن لشعبنا التحرّر من جميع القيود والأغلال، لن يكون سوى النظام الإسلامي وأحكام الإسلام[1].

هُم (الأعداء) يعادون من أعماق وجودهم إسلاماً مؤطراً (في صيغة نظام) كما هو عليه في نظام الجمهورية الإسلامية، وهم على استعداد لضرب هذا الكيان والقضاء عليه بمختلف الطرق والوسائل. يشهد على ذلك ما كنّا عليه من صراع منذ أوائل الثورة حتى الآن، ومازلنا الآن في صراع على الجبهات كافة؛

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مع مجموعة من أبناء الشعب وأعضاء لجنة صلاة جمعة طهران، ١٣٦٨/٩/١.

الاقتصادية والثقافية والسياسية، وعلينا ان نهيّئ أنفسنا ونتجهز في جميع المواقع[1].

يعود عداء المعسكر الاستكباري لإيران المسلمة في الوقت الحاضر، إلى الإسلام. هم في عداوة مع الإسلام، فيضغطون على الجمهورية الإسلامية. إنّهم يخشون إحياء القرآن، وبسبب ذلك يعادون الشعب الإيراني.

وما ينبغي للشعوب الإسلامية التي تريد التضحية من أجل الإسلام والحركة في خطّه، هو ان تعدّ نفسها وتستعد لمواجهة أعداء الإسلام.

نحن ـ الشعب الإيراني ـ نشعر بالفرح والفخر لهذه الحال، فنحن مرمى لسهام المستكبرين وبغضهم وعداوتهم من أجل اللّه وبسبب القرآن[2].

يرتبط الاستكبار العالمي وقوى النهب والهيمنة السياسية، بعلاقة سيئة مع الإسلام، وهم أعداء للنظام الإسلامي. فهم غارقون في الانحطاط والفساد، ويتحركون على أساس الظلم والاستبداد والاضطهاد، والإسلام هو الذي يفضحهم ويعريهم عن ما هم عليه.. الإسلام هو الذي يهدّد وجودهم، ويقظة المسلمين هي أكبر خطر بالنسبة إليهم. لهذا السبب تراهم في مواجهة شديدة للإسلام وللنظام الإسلامي.

والشيء الطبيعي، أنهم يبادرون لفعل كل ما يستطيعونه، ضدّ النظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية[3].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير ومعاوني التربية والتعليم، ١٣٧٠/١٠/٢٥.

(٢) حديث قائد الثورة إلى الضيوف الأجانب المشاركين في الذكرى السنوية الثانية لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٧٠/٣/١٥.

(٣) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة وزير ومسؤولي وزارة التربية والتعليم والمعلمين لسماحته، ١٣٦٧/٣/٢٦.

والله، انّ أمريكا لا تتأذى من الشعب الإيراني لشيء؛ قدر أذيتها من إسلامية هذا الشعب وارتباطه بالإسلام المحمدي.

هي تريد لهذا الشعب ان يفك ارتباطه بهذا الإسلام.. وهي تريد منكم ان تقطعوا صلتكم بهذه العلقة التي تبعث على الفخر والاعتزاز[١].

سر انتصار الإسلام

لقد اكتشف العدو المستكبر ـ القوى العالمية المتجبرة والسلطات الرجعية التابعة ـ السرّ الذي اكتشفناه، فقد أدركوا انّ السرّ الأكبر وراء انتصار شعبنا ومكانته هو الإيمان. لذلك تظافر العدو بجميع ما يملك من إمكانات وقوى من أجل ضرب هذا الإيمان وتدميره.

وفي هذه المسألة ـ نلتقي ـ مع المحرّك الأصيل، مثلما كان عليه الحال في صدر الإسلام، وفي حياة النبي الأكرمﷺ حين كان الإيمان هو العامل الأساسي وراء عداء أولئك ـ للإسلام وللنبي ـ لأن الإيمان هو العامل الأساسي وراء التقدّم الذي حصل[٢].

ان ما يهدّد الاستكبار في الوقت الحاضر، ليس القنبلة الذرية أو الصواريخ الذرية، وانما الذي يحمل رسالة هادفة.. ونحنُ اليوم نحمل مثل هذه الرسالة الهادفة. ولو أنا عملنا بشكل صحيح، وكان لنا تعاط إيماني، وشجاعة إسلامية كافية، ولم نعش عالة على الإسلام، ولم نبذّر بيت المال.. فالشيء الأكيد انَّ العدو سيصاب بالضرر والأذى نتيجة ذلك.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من المعلمين والمسؤولين عن الشؤون الثقافية، ١٣٦٩/٢/١٢.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أهالي مدن باختران وآراك ورشت مع سماحته، ١٣٦٨/٤/١٤.

ان أمريكا سترضى عنّا في الوقت الذي نتخلى فيه عن الإسلام. ولكن هل هناك من هو مستعد للتخلّي عن الإسلام؟ إذا تخلينا عن الإسلام فما وجهُ بقائنا على رأس الأمور إذن؟ ليأتِ جهاز آخر ويتسلم الحكم.

ترى لماذا يريدنا الشعب ويرغب بنا؟ انّ الشعب يرغب بي وبكم لأجل الإسلام، لأننا خدّام الإسلام، ولأننا أعلنا بأن حركتنا هي من أجل الإسلام.

﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾[1] هذا ـ القول الكريم ـ هو أحد معجزات الإسلام.. فالأمور تجري اليوم على ما ينص عليه القرآن. لقد كنا في وقت من الأوقات نتصوّر انَّ النص (مصداق النص) يرتبط بالماضي، فقد كان (القوم) على مثل هذا الموقف في الماضي وما يضرّهم ـ الآن ـ ان يتقلد أحد المسلمين الأمور ويمسك بزمامها!

كلا. إنّهم يعارضون الحالة الإسلامية في جميع مراحلها وأشكالها، ويحملون لبعضها عداوة شديدة.. كما هو شأن المرحلة التي نحن فيها. ويعارضون حتى الحالة الإسلامية التي عليها مسلمو البوسنة، فهم يعيشون مرحلة ضعيفة، ومع ذلك رأينا ورأيتم أنهم يعارضون هذه الحالة الإسلامية رغم كونها ضعيفة وباهتة، وهم ليسوا على استعداد لتحملها.

وبعد البوسنة ستكون ألبانيا هدفهم التالي. وسيجهدون لو استطاعوا أن يلحقوا أشدّ ضروب الأذى بالمسلمين الأوربيين[2].

لن يرضى العدو، مع ما يحمله من بغض من الأعماق للإسلام والثورة، إلاّ كما قال العزيز المتعال في خطابه للمسلمين ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

---

(١) البقرة الآية: ١٢٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه سفراء الجمهورية الإسلامية والعاملين في السلك الدبلوماسي، ١٣٧١/٥/١٩.

فالاستكبار لا يرضى بأقل من ركوع الشعب واستسلامه، ولن يرضى عن شعب من الشعوب حتى يتخلى عن أُصوله ويتنصل عن دينه ويتركه.

انّ البغض الذي يكنّه الاستكبار لشعبنا، يعود إلى معتقدات هذا الشعب واستقلاله وشعار «لا للشرق ولا للغرب» الذي يحمله؛ كما يعود لعلقته العميقة المستحكمة بالإسلام.

ومن هذا المنطلق لن تكون ثمة نهاية لعداوة الاستكبار وبغضه.

بيد أني على ثقة من انّ هذا الشعب سيستطيع ان يتقدم ـ بعناية اللّه ولطفه أن شاء اللّه ـ برغم الحقد العميق الذي يكنه الأعداء والاستكبار العالمي ضدَّ هذا الشعب، ويبلغ المقاصد الإلهية في جميع الأبعاد سواء كانت اقتصادية أم سياسية أم ثقافية، وسيجبر ـ إن شاء اللّه ـ العدو على التراجع في جميع المجالات[1].

إنّ رسالة الثورة وإيصال هذه الرسالة هي من الأصول الإسلامية الثابتة. التبليغ يعني الايصال، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ﴾[2] وهو يعني تجاوز الحُجب والعقبات، وايصال كلمة الحق إلى حيث ينبغي أن تصل.

لقد انطلقت الصيحة مدوية صادقة، في وسط أجواء تتعاضد فيها ـ بشكل عام ـ جميع العوامل ضدَّ الاتجاه الإيماني والديني؛ وضدَّ الاتجاه الإسلامي بشكل خاص، برغم ان الشعوب تعيش ظمأً للجانب المعنوي والروحي.

وبسبب صدق هذه الصيحة المدوية واخلاص الذي أطلقها؛ وبسبب الخلفية العملية التي كانت لها؛ إذ لم تكن مجرد كلمات وحسب؛ وأخيراً بسبب عداوة الوجوه الاستكبارية والرجعية القبيحة لها والعناصر الأُخرى التي تلتقي

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أهالي مدينة زنجان ومدن إيرانية أُخرى، ١٣٧١/٥/١٩.

(٢) الأحزاب الآية: ٣٩.

معها، بسبب ذلك كلّه اكتسبت هذه الصيحة موقعها في قلوب الشعوب، وبالأخص الشعوب الإسلامية، وأوجدت تأثيراً حقيقياً، وعميقاً إلى حدّ ما[1].

الإسلام اليوم هو في حال اتساع وامتداد في المجتمعات البشرية. هذه حقيقة واضحة تبدو بشكل محسوس في جميع أنحاء العالم. والذي له دراية بأوضاع العالم يلمس هذه الحقيقة ولا يقوى على إنكارها.

والإسلام يسري في المجتمعات التي تعاني من ظلم القوى الشيطانية، والأنظمة الطاغوتية، وهي تتطلع إلى فكر جديد و نهج آخر، كما هو عليه حال البلدان الأفريقية والآسيوية وأمثالها بل حتى في البلدان الأوربية، فالإسلام يمتد وهو في حال نمو في هذه المجتمعات.

أما أي إسلام هذا الذي يسري ويمتد، فهذه مسألة خاضعة للبحث. إذ هناك حركتان تتظاهران باسم الإسلام، وربما دلّت بعض الظواهر على تشابه هاتين الحركتين وتماثلهما. إلاّ أنهما تبقيان تختلفان في الروح والجوهر وفي الاتجاه.

الإسلام الحقيقي.. الإسلام القرآني.. الإسلام المحمدي، هو ذلك الإسلام الذي يدعو أتباعه إلى نقلة جديدة في الحياة، وهو الإسلام الذي لا يكون تحت طائلة أصحاب القوة ورؤساء الشرق والغرب، وفي إطار نفوذهم.

وثمة «إسلام» آخر هو «إسلام» يحمل من الإسلام اسمه ويأخذ منه مظاهره، بيد انه يتجه بسهولة لخدمة أمريكا؛ والشرق والغرب. وهذا «إسلام» يتمثل في السلطات الظالمة التي تهيمن على بعض البلدان الإسلامية. فرموز هذه القوى تتكلم عن الإسلام، وانما تعني به ما يكون بمثابة حانوت للكسب، ووسيلة للعيش، وأُسلوب في الهيمنة والتسلّط.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء الممثلين الثقافيين للجمهورية الإسلامية خارج البلد، ١٣٧٠/٢/٣.

وإلاّ إذا كان المراد من الإسلام، هو الإسلام القرآني، فهذا الأخير يرفض صراحة تسلّط أمريكا على مصير المسلمين، وهيمنتها على ثرواتهم النفطية.. كيف يكون الإنسان مسلماً، ومنقاداً إلى أمريكا في الوقت ذاته؟ وكيف يكون مسلماً، ومن أهل الفساد واللذّات المحرمة وباقي الابتلاءات الأخلاقية؟ وهل يكون المسلم مسلماً، ويكون في الوقت نفسه على رأس سلطة ظالمة، يحقق لأعداء الإسلام رغباتهم في ظلم المسلمين والضغط عليهم؟ ما يصح في وصف هؤلاء الأدعياء، هو تعبير «الإسلام الأمريكي» الذي أطلقه إمامنا الراحل مراراً في الاشارة إلى هؤلاء.

إن ما ينفذ إلى القلوب ويسري في جوانب المجتمعات البشرية، هو الإسلام الحقيقي، الإسلام الذي لا يعرف التخاذل والاستسلام.

من هذا المنطلق ترون الحكومات التابعة تدخل في مواجهة مع المسلمين في البلدان الإسلامية مثل (بعض البلدان العربية والأفريقية). حين تنتشر المساجد في هذه البلاد وتنهض جماعة باسم الإسلام، تراها تضع المساجد تحت الحصار وتبطش بالمسلمين الناهضين وتطلق عليهم وصف الإرهابيين. ما معنى هذا؟ أليس معناه ان ما هو سائد ـ من إسلام ـ في تلك البلدان بعيد عن جوهر الإسلام وحقيقته، وان الغيارى والمؤمنين وذوي الضمائر اليقظة، هم بشأن اعادة الإسلام الواقعي وترسيخ حاكميته، مما يؤدي إلى التصادم والمواجهة بين الطرفين؟

هي حقيقة ماثلة أن الإسلام اليوم في حال تقدم، وهذه واحدة من معاجز الإسلام والقرآن. لأنهم بذلوا الكثير ضد الإسلام، لاسيّما في السنوات العشرة الماضية، حيث انفقوا من الأموال وبذلوا من الدعاية المضادّة، وشدّدوا العداء، ما لم يتحقق ـ ربما ـ ضدّ أي فكر أو عقيدة أُخرى في المدة المماثلة[1].

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقاء مجموعة من أبناء الشعب، ١٣٦٨/٩/١.

رسالة الثورة الإسلامية

كانت رسالة الثورة وكلمتها الأولى، هي الإعلان عن بداية عهد حاكمية القيم المعنوية. إلاّ أن الذين فهموا هذه الكلمة ـ الرسالة وصدّقوها، هم قلّة من الأفراد؛ فالعالم تحيط به الأمواج المادية من كل صوب، وتقبض عليه القوى التي ترتكز على المادة، الذي حصل في الوقت الحاضر ان الكثير لمسوا هذه الحقيقة وأدركوها.

إن القيم المعنوية تتجه في العالم المعاصر، نحو الإحياء الجديد، وتم إحياء الكثير منها بالفعل. وفي المقابل أبانت المادية عن عجزها في مظاهرها المختلفة، سواء في طريقة التفكير الماركسية، أو فيما هو أخطر منها، مما هو ماثل في العالم الاستكباري حيث تتزاوج المادة مع المال مع القوة مع الدعاية، كما يتجلى على نحو أكثر تركيزاً في الحكومة الأمريكية.

الرسالة الثانية لثورتنا تمثلت في الكشف عن عجز القوى المادية في مواجهة القيم المعنوية وحركة الإرادة الإنسانية، وقلة في العالم هُم الذين لم يفهموا هذه الحقيقة بعد، وهذه القلة لا تنظر إلى أوضاع العالم بدقة[١].

هذا عصر استيقظ فيه العالم الإسلامي، وأخذ المسلمون في جميع أنحاء العالم يشعرون بالعزة والرفعة. لقد مضى ذلك العهد الذي كان فيه المسلم يخجل ـ في أية نقطة من نقاط العالم كان ـ من انتمائه إلى الإسلام، ومن إعلان هذا الانتماء. انّ المسلمين اليوم يفخرون بانتمائهم إلى الإسلام، ومردّ هذا الشعور يعود إلى هذه الثورة التي فجرها القائد الكبير الإمام الخميني، بتضحيات

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء الضيوف الأجانب المشاركين في الذكرى السنوية لانتصار الثورة، ١٣٦٩/١١/١٧.

الشعب الإيراني العظيم وإيثاره المدهش، فأفضى انتصارها في هذه البقعة الحساسة من الدنيا، إلى ذهول العالم.

عشر سنوات والجمهورية الإسلامية تصمد بشهامة في وجه مختلف المؤامرات الاستكبارية، وهي تدافع عن قوة الإسلام واقتداره، وعن وجودها وثباتها، حتى استطاعت أن ترد كيد العدو إلى نحره.

لقد كانت الدول الاستكبارية تظن انّها تستطيع ان تنال منّا، من خلال ثماني سنوات من الحرب المفروضة، وبالحصار الاقتصادي والدعائي، وبإشاعة ضروب التهم ضدّنا في أرجاء العالم. وقد غفلوا عن حقيقة انّ الإسلام؛ يقظة المسلمين وصحوتهم، هي التي تهز مضاجع سلطتهم، وان سهام اليقظة الإسلامية النافذة، تهز مع مضي كل يوم، عروش فراعنة العالم أكثر فأكثر[1].

نحن شهود في هذا العصر على يقظة الشعوب، وهذه حقيقة أُخرى تبعث الأمل في القلوب وتأذن بعهد وضّاء. صحيح أن هيمنة القوى الاستكبارية تزايدت أكثر فأكثر على شؤون الشعوب، بفضل تقدم وسائل (التقنية) الجديدة كالتلفاز والمذياع وأجهزة الدعاية والإعلام، وبحكم المال والقدرات الصناعية. بيد أنها سنّة اللّه التي مضت على أن تستيقظ الشعوب وتصحو.

إننا نرى أن الشعوب في حال يقظة متزايدة يوماً بعد آخر، وهذه اليقظة تفسّر على أساس الأمل وثقة هذه الشعوب بالمستقبل.

عنصر الأمل يعتمل في يقظة الشعوب، وعلينا أن لا نشك في أن أهم عامل بعث الأمل لدى الشعوب خلال السنوات العشرة الأخيرة، هو انتصار الثورة الإسلامية في إيران وتشكيل حكومة شعبية في إطار مستقل عن الشرق والغرب، وتصاعد نهج المقاومة بوجه القوى الاستكبارية.

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أبناء الشعب، ١٣٦٨/٤/٢٢.

لقد بعث ذلك الانتصار وهذه المقاومة، الأمل لدى شعوب العالم، وبالأخص المسلمين. لقد استيقظ المسلمون في جميع أجزاء الدنيا، وهذا من الصنع الإلهي، ومن قدرة الله[1].

افتقدت جميع الشعوب الإسلامية خلال النصف قرن الأخير، أملها بذاتها وطاقاتها تماماً، بل وفقدت الأمل حتى بطاقة الإسلام نفسه وإمكاناته، وذلك أثر سياسة التلقين المتواصل التي مارستها القوى المضادة للإسلام.

وفي المقابل تجلى الأمل كرسالة في كل واقعة من حوادث الثورة، وفي كل خطاب واشارة من قبل إمام الثورة (الراحل)، وكان الأمل ينبض في كل حركة تصدر من الشعب ونشاط يبذله على هذا الخط.

وقد التقط المسلمون رسالة الأمل هذه فعادت ثقتهم بذاتهم، وأصبحوا على بصيرة من الضعف الذاتي للاستكبار، وإذا قدّر للعالم ان يشهد بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران الشعوبَ الإسلامية في كل مكان، وهي تتحرك بنحو يُخبر عن ثقة بالذات وإيمان بها في طريق العود إلى الهوية والثقافة الإسلامية الذاتية، فإن سبب ذلك يعود بشكل دقيق إلى إبطال المبارزة الشجاعة لشعب إيران، تلك الحيلة الاستعمارية ـ الاستكبارية التي أشاعوا من خلالها عدم قدرة شعوب الشرق، والشعوب الإسلامية، على دحر القوى الأوربية وأمريكا، حيث أشارت ـ الثورة وجهاد الشعب الإيراني ـ إلى موقع القوة الواقعية وموطنها. فالقوة الواقعية هي التي تكون بالناس مع الإيمان.

وفي مقابل قوة شعبية مسلحة بالإيمان، لا تستطيع أية قدرة مادية مهما كانت كبيرة ومجهزة أن تفرض إرادتها عليها[1].

---

(١) حديث قائد الثورة إلى العاملين في وزارتي التجارة والزراعة، ١٢/١٢/١٣٦٨.

في كل مكان يكون فيه شعب مبتلٍ بهذه القوى (الدولية المسيطرة) يكون لهذا الشعب علاقة مع هذه الثورة وميل إليها، لكونها تفصح عن مكنونات قلوب ذلك الشعب وتعبِّر عن تطلعاته. كثيرة هي الشعوب المملوءة غيظاً ورفضاً لحضور أمريكا، ونفوذ الاستكبار، وللقواعد العسكرية، والتدخلات الاقتصادية، ولإشاعة الثقافة الأجنبية في بلادها، بيد أنها تفتقر للجرأة في التعبير عن ذلك وتفتقد قدرة الحركة باتجاه الرفض والمقاومة، والأهم من ذلك أنها تفتقد القيادة التي تتحرك؛ فالاختناق شديد ويحوط بها الإرهاب والقمع من كل جانب.

والأنظمة الرجعية التي ترتبط بأمريكا، هي غالباً من هذا القبيل. ومثل هذه الشعوب المقهورة حين تجد أمامها شعباً يواجه النفوذ الأمريكي بقوة وبإرادة حرَّة من دون خوف، ويهتف ضدَّ ثقافة الغرب وتدخل الاستكبار؛ وضدَّ الحضور العسكري الاقتصادي والثقافي للأجانب، ويعمل على طريق هذه المواجهة ويثبت عليها، فإنها ترى قلوبها مضطرة للميل إلى هذا الشعب، وتكون على علاقة مع الثورة.

والمعطى العالمي يكون بهذا المعنى. يعني ان يكون لشعبنا، ولثورتنا رسالة إلى بقية الشعوب. ومؤدّى هذه الرسالة، انّ الشعب إذا أراد؛ وإذ التف حول قيادة واحدة، واجتمع من خلال محور واحد، فهو يستطيع ان ينجز ما لم يكن قابلاً للإنجاز قبل ذلك.

وثمة رسالة ـ أُخرى ـ يحملها شعبنا وثورتنا للمسلمين جميعاً. ومؤدّى هذه الرسالة انَّ بمقدور المسلمين ـ إذا أرادوا ـ ان يعيدوا الإسلام إلى المجتمع وإلى

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة اليوم الوطني لمواجهة الاستكبار العالمي، ١٣/٨/١٣٦٩.

موقع الحاكمية، رغم ما بذلته ـ وتبذله ـ الأيادي المعادية للإسلام في سبيل استئصاله والقضاء عليه.

هاتان رسالتان لشعبنا وثورتنا. وعليكم ان لا تظنّوا أن الشعوب الأُخرى لم تدرك هذه الرسالة ولم تستمع إليها، ان ما ترونه في الحج من وقوف الأفريقي والآسيوي والشرق أوسطي من العرب والأتراك وبقية الشعوب إلى جواركم، وترداد هم لشعاراتكم نفسها، واشتراكهم في مسيرتكم هو في حقيقته جواب على رسائلكم"[1].

كان الكثير من المسلمين قبل ذلك يخجلون ـ في الكثير من نقاط العالم ـ من القول: بأننا مسلمون ، أو من الاعلان عن ذلك، وكان الحال كذلك في داخل بلدنا أيضاً، بيد انَّ المسلمين اليوم يفخرون من أقاصي آسيا حتى غرب أوربا ـ وفي المناطق الأخرى من العالم ـ بانتمائهم إلى الإسلام.

لقد أضحى الإسلام عزيزاً، واكتسب ـ بحمد اللّه ـ طابع المجتمع الإسلامي، وقد غدا هذا المجتمع متجذراً مستقراً"[2].

لقد بلغت النهضة العظيمة للشعب الإيراني إلى النصر ـ بحمد اللّه ـ وقامت على قاعدتها حكومة على أساس الدين. لقد أخذت الحياة تنبض في وجود المسلمين والمتدينين، بعد قرون من تحقير أهل الدين والاستخفاف بهم. وذلك على اثر عزة النفس التي أخذت تسوق صوب الرفعة والكرامة. كما انبثقت الأحاسيس الإسلامية وتأججت العواطف، وأخذ الشعور بالهوية الإسلامية ينمو في دنيا الإسلام.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مع أبناء المدن المختلفة، ١٣٦٨/٨/٣.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة علماء وطلاب الحوزة العلمية لمدينة مشهد، ١٣٦٨/٤/٢٠.

فما نراه اليوم من انطلاق جماعات إسلامية تدعو في البلاد الأفريقية إلى الحكومة (الإسلامية) وما نشاهده من جهاد المسلمين للحكومات الظالمة، وهم يهتفون بشعار (اللّه أكبر)، هو أمر جديد.

وما نراه في الجهة الثانية من اضطرار للتظاهر بالإسلام حتى من قبل أولئك الذين كانوا يتبرؤون منه، هو شيء جديد أيضاً، ناشئ من صبح وضّاء أطلّ على تأريخ الشعوب الإسلامية ببركة انتصار الثورة الإسلامية. وهذه ترتهن بالحركة العظيمة ـ التي عمت الوجود الإسلامي ـ لجهود علماء كبار، في طليعتهم جهود ذلك الرجل العظيم الذي أسس هذه الحركة الكبيرة ومسك زمام قيادتها، وحقق الانجاز بقلب مملوء بالإيمان والعزم والارادة وبتوكل لا متناه، قربة إلى اللّه، وإخلاصاً له تعالى.

ولقد جاء الانجاز كبيراً مدوياً حقاً لا نظير له في التأريخ.

ومع تشكيل الحكومة الإسلامية، وتطبيق النظام الإسلامي، أصبحنا نقترب من الأحكام الإسلامية يوماً بعد يوم؛ وينبغي أن نقترب منها.

لقد استيقظت الشعوب الإسلامية، وبدأت الحركة باتجاه اتساع رقعة الإيمان الإسلامي واطّراده.

هذا ما حصل حتى الآن. ولعلماء الإسلام، وبالأخص علماء الشيعة دور كبير في ذلك. فمن مزايا هؤلاء وخصائصهم حبهم للعلم.. اخلاصهم للّه.. شجاعتهم وعدم خوفهم من القوى المتجبرة الظالمة، وأخيراً استقلالهم وعدم ارتباطهم بسلطات الجور والظلم، وذخائرنا ـ في الحقيقة ـ هي هذه[1].

---

(١) حديث قائد الثورة إلى العلماء والوعاظ على مشارف شهر رمضان المبارك، ١٣٦٩/١٢/٢.

نشعر الآن ان الضغوط تتزايد على المسلمين في جميع أرجاء العالم، كما نلحظ ان هناك عودة إلى الدين في البلدان الشيوعية، رغم انها عاشت عمراً بعيداً عن الدين وظلت في غربة عن اللّه.

والملاحظ ان هناك حساسية من المسلمين في هذه البلدان، وفي البلدان الأخرى.

لقد انتعشت الكنائس في بلدان أمضت خمسين سنة من حياتها ـ أو أكثر من ذلك أو أقل ـ لم تقرع فيها أجراس الكنائس، أو في بعض مناطقها على الأقل (كناية عن الرغبة بالدين).

والذي يحصل في هذه البلدان وفي قلب أوربا، وفي البلاد التي تتبجح بالحرية والديمقراطية، وفي الهند ونقاط أُخرى من العالم هو وجود ضغوط لا نظير لها ضدّ المسلمين بالخصوص، ما هو سبب ذلك؟

أخضعوا هذه المسألة للتحليل، أفلا تجدون عندئذ انَّ العلة وراء هذه الضغوطات القاسية يعود إلى شعور الأجهزة المتجبرة، بأنَّ الإسلام يعيش في جميع أرجاء الدنيا انبعاثاً آخر وحياةً جديدة؟ ألا يعود السبب إلى شعور العدو بأنَّ الهوية الإسلامية أخذت تنبض بين المجتمعات الإسلامية وهي تنبعث في طاقة وروح جديدة؟ ألا يعد ضرب المسلمين في فلسطين المحتلة بالرصاص الحي دليلاً على انَّ وجود الإسلام أضحى جاداً في الأراضي المحتلة؟ وألا يعود ذلك إلى إحساسهم بأنَّ الحركة الإسلامية والرؤية الإسلامية أخذت تتجذر أكثر وتجذب لها الأتباع، في البلدان العربية سواء تلك التي تجاور فلسطين المحتلة أم غير المجاورة، وأن أصحاب الفكر والشعور والفطرة النقية التفوا حول الإسلام المناضل؟

لا يمكن الشك لحظة بأنّ القضية تكمن في المسار المشار إليه[1].

لقد قادت الصلابة الإسلامية وثبات الشعب الإيراني المسلم، والصيحات المدوية التي أطلقها محطّم أصنام القرن، مع الفضل الإلهي والنصر الذي شمل ذلك العبد الصالح وأصحابه دائماً، قاد إلى ان تحقق عملية تصدير الفكر الإسلامي الثوري ـ الذي يخشاه العدو ويخاف منه بشدّة ـ من نفس الطرق التي حاول الأعداء ان يحولوا من خلالها دون تصدير الثورة، أو يكيدوا عبرها لضربها.

لقد تحولت مظلومية الشعب الإيراني وتحمله للشدائد، إلى باعث لإثبات أحقية هذا الشعب العظيم، ولامتداد الثورة إلى الكثير من البلدان، بحيث منح ذلك المسلمين عزماً أرسخ، ووطّن فيهم الشعور بالهوية الإسلامية أكثر.

مواقف أيادي الاستكبار العالمي في مواجهته للإسلام في الوقت الراهن مواقف انفعالية.. وما يحملوه من حقد للإسلام وضغينة سواء عبَّر عن نفسه بوسائل ثقافية أم سياسية أم من خلال التوسل بالقوة، ينطلق من شعور الاحساس بالضعف والخوف في مقابل أمواج الإسلام الممتدة.

وهذا أيضا من الألطاف الإلهية حيث تتحوّل كل مبادرة تنطلق من العدو للنيل من الإسلام إلى عامل لإثارة غضب المسلمين، وتنقلب إلى باعث لرسوخ إرادتهم في الدفاع عن الإسلام.

المثال البارز لهذه الحال هي قضية تأليف «الآيات الشيطانية» من قبل المرتد الإنجليزي المهدور الدم، حيث بَغَت الدول الاستكبارية إضعاف الإسلام من خلال هذا العامل إلا أن إرادة اللّه قضت أن تتحول مبادرة هؤلاء إلى سبب

---

(١) حديث قائد الثورة إلى مجموعة من الطلبة الجامعيين وعوائل الشهداء، ١٣٦٩/٣/٢.

لفضيحتهم، ومع صدور فتوى الإمام بهدر دم هذا الكاتب عاد الصوت الإسلامي ليكون أوضح، وحلّ الانسجام بين المسلمين أكثر.

إنّ جميع جهود العدو في مواجهته للإسلام ستؤول ـ ان شاء اللّه ـ إلى مثل هذا المآل. ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1]،[2].

انتعاش الصحوة الإسلامية

تعيش الدعوة للإسلام اليوم حالة انتعاش في أوربا وفي قلب المدنية الغربية والثقافة الغربية التي تنظر للإسلام خصماً لها.. تواجهه بالعداء.

أُنظروا إلى الآثار الفاعلة لهذه الحالة، في الواقع أن المستقبل خاضع لهذه الحقيقة التي بشّر بها أنبياء اللّه العظام ووعدنا بها الإسلام من أن النصر سيكون نصيب الإسلام الذي سيكتسح كافة الاتجاهات المعادية، وينتصر عليها في العالم كلّه. فإذا قدّر وان قيل للناس العاديين يوماً ان عدّة من الناس ستنتظم في قلب أوربا شوقاً للإسلام فسيكون من الصعب عليه تصديق ذلك، وإذا قيل لهم انّ الإمبراطورية القائمة على أساس المادية والتضاد مع اللّه ستأفل وتتلاشى، فسيكون تصديق ذلك صعباً أيضاً.

وإذا قيل لهم ستظهر في هذه البلدان الرجعية ـ التي تتبجح بالظاهر الإسلامي وهي في الباطن خاضعة للقوى التابعة للغرب ومتواصلة مع الأجهزة المعادية للإسلام ـ حركات إسلامية تقدمية، سيكون تصديق ذلك صعباً.

وإذا قيل لهم ان الجماهير ستنهض في أقاصي البلاد الإسلامية بدافع من إيمانها وتبادر للتضحية من أجل ان تكون كلمة الإسلام هي العليا، فسيكون من الصعب تصديق ذلك.

---

(١) النساء الآية : ٧٦.

(٢) كلمة قائد الثورة إلى حجاج بيت اللّه الحرام، ١٤/٤/١٣٦٨.

لماذا يصعب تصديق كل ذلك؟ لأن حاكمية الاستكبار العالمي، وهيمنة السلطة الشيطانية نظمت بطريقة بحيث يكون فيها الدين وعالم المعنى، وبالأخص الإسلام، خارج الساحة تماماً.

بيد انَّ المعجزة الإلهية تحققت، ودخل الإسلام الميدان وقلب المعادلة بطرد أعدائه من الساحة.

لم يبق اليوم من القطبين السياسيين والاقتصاديين الشرقي والغربي سوى قطب واحد، فقد تلاشى القطب الشرقي تقريباً، ولم يعد هناك وجود للمعسكر الشرقي، حصل ذلك من دون ان يكون ثم من يصدّق الأمر.

أما أنا فأعتقد شخصياً أن نمو الإسلام واتساع نفوذه وامتداده، سيكون أسرع من هذا بكثير، وان البشرية ستشهد في وقت ليس بعيد اضمحلال حاكمية الغرب وتلاشي ثقافة الهيمنة، وزوال المنظومة المعادية للقيم التي تحكم البشر، وفي النتيجة سيتلاشى ما يعرف اليوم باسم المعسكر الغربي الذي جفا العالم بظلمه، ويسدل عليه الستار ويختفي.

ومن بركات الإسلام أن البشرية ستشهد في المستقبل القريب تراجع الحكومة الصهيونية الغاصبة، وبلوغ الشعب الفلسطيني المظلوم لحقوقه. هذه هي طبيعة حركة الزمان، وهذا هو الاتجاه الذي تختزنه الحقائق في عالم اليوم. وينبغي للمسلم المؤمن الذي ينطوي على الاعتقاد أن يستعد، وأن يدرك بأن هذا العصر هو عصر تقدم الإسلام، وان الإسلام سيحكم منطقة التفكير البشري، كما سيحكم وقائع الحياة إن شاء اللّه[١].

نحن ـ أعني الشعب الإيراني ـ نعمل اليوم باسم الإسلام، ونجاهد من أجله. وهذا تعبير عن المعجزة التي وقعت في عصرنا حين اكتسب قوام شعب من

---

(١) حديث قائد الثورة إلى ضيوف مؤتمر الفكر الإسلامي، ١٢/١١/١٣٦٨.

الشعوب شكل النظام الاجتماعي القائم على أساس الدين والمفاهيم والقيم الإلهية. لم يكن يمكن تصوّر هذا الانجاز في نطاق الحسابات المادية، والشيء الواقعي أنَّ الشعوب الإسلامية مجذوبة إلى هذه الحركة حقاً.

هذه ليست مبالغة، بل هي تعبير عن واقع يفرض وجوده برغم كافة ضروب الدعاية المضادة للجمهورية الإسلامية. نحنُ نلحظ انَّ الشعوب الإسلامية تحمل عن الثورة الإسلامية، وعن الجمهورية الإسلامية انطباعاً حسناً، وتتحرك في المسار الذي عليه الثورة والجمهورية. وفي الحقيقة من النادر ان نجد شعباً من الشعوب الإسلامية لم يقع تحت تأثير هذه النهضة.

وهذا الشوق.. والحب والتطلع يبقى في الشعوب مادمنا لم نتخلّ عن إيماننا الكامل بدين اللّه غير المشروط قيد أُنملة. وكذلك ينبغي لنا ان نتمسك بالثبات نفسه في مجال تعاملنا مع القضايا العالمية، وفي اطار تنظيم السياسة الخارجية، وإدارة البلد داخلياً. علينا أن نسعى لإبراز سرّ سعادة المجتمع الماثل بالاتفاق حول الإيمان باللّه كمحور لحياتنا ولنظامنا الاجتماعي، بحيث يبرز هذا المعنى ويكبر لحظة بعد لحظة.

كما علينا أن نسوق الشعب صوب التربية الإسلامية على نحو أوسع وأعمق.. نربّي الشباب في المجتمع بكيفية إسلامية، كما تقع على جامعاتنا مسؤولية تربية الشباب المسلم، والمتخصص المسلم، والعالم المسلم ـ وليس العالِم فقط من دون توفره على الهوية الإسلامية ـ وعلى هذا المنوال ينبغي ان ننهض بالمسؤولية في المدارس الابتدائية بحيث يكون للقيم الإسلامية الدور المطلق في المجتمع، ويتضاءل تأثير القيم الأُخرى ووجودها.

يجب ان يتجه السعي والتخطيط في هذا الاتجاه، كما ينبغي ان تتحرك مؤسسة الإذاعة التلفزيون في هذا المسار.

لقد عرفتنا شعوب العالم على اننا شعب ونظام يتحركان بعنوان الدفاع عن الإسلام والتضحية له والبذل في سبيله، لذلك لا مناص من ان نعمل بطريقة تحقق هذا المعنى ـ الذي عرفتنا به شعوب العالم ـ ونثبته[1].

أضحت الكثير من بلدان العالم اليوم تتخذ من كلامكم ومعتقداتكم ونهجكم وشعاراتكم مناراً لها، بل وحتى من العادات والتقاليد الثورية للشعب الإيراني. فكثيرة هي الشعوب التي ترفع الشعارات نفسها، وتعمل بالتقاليد الثورية ذاتها.

لقد شاهدت شخصياً قبل عدة سنوات في إحدى البلدان البعيدة التي تفصلها عن بلدنا مسافة شاسعة، انَّ الفتيات ـ ويبدو أنهن من الجامعيات ـ يرتدين حجاباً مشابهاً لما ترتديه النساء الثوريات في إيران.

لماذا حصل هذا؟ اننا لم نرسل أحداً إلى ذلك البلد ليدعوا فتياته أن يرتدين حجابهن على شاكلة اللباس السائد هنا. هذه الظاهرة تعبير عن الامتداد الطبيعي لرسالة الثورة. ورسالة الثورة تعني هذه الكلمات والشعارات؛ وهذه العقائد والأهداف التي تنتشر اليوم في الكثير من بلدان العالم، وبالأخص الإسلامية منها، وتطرح هناك فتجذب إليها الجماهير المتحمّسة ولاسيّما الشباب. وهذا هو ما يخاف منه الاستكبار.

أُريد أن استنتج نقطتين من هذا الكلام القصير، هما:

أولا: ما دامت علاقة الارتباط المعنوي بين شعبنا وثورتنا مع الشعوب الأخرى هي علاقة خطيرة بنظر الاستكبار فهو يسعى لقطعها.

ولكن كيف تقطع هذه العلاقة والصلة؟ يمكن تحقيق ذلك من خلال عدّة أشكال. منها ان تمارس الضغوط ضدّ تلك الشعوب من قبل الأنظمة التابعة

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء أعضاء الحكومة، ١/٦/١٣٦٩.

وجلاوزتها، وهذه طريقة لا يحالفها التوفيق. لأنه كلما ازدادت الضغوط كلما ازدادت علاقة ذلك الشعب بالثورة الإسلامية، وبالنظام الإسلامي أكثر.

الطريق الآخر يتمثل بأن تلجأ وسائل الدعاية العالمية للحديث بطريقة توحي انّ علاقة الشعوب تضاءلت مع إيران، وهذا ما تفعله هذه الأجهزة منذ أول انتصار الثورة حتى الآن. هم يفعلون ذلك عن طريق رمينا بالرجعية والأصولية، ومن خلال حديثهم المتواصل عن أرقام التعذيب والاعدام في البلد.

ففي كل مرّة ينال أحد تجار المخدرات ـ من أعداء الشباب والإنسانية ـ جزاءه، ترى وسائل الدعاية الاستكبارية تتحدث عن موت أحد المعارضين السياسيين للدولة!

وبدورها تبادر المنظمة التي يطلق عليها بـ«منظمة العفو الدولية» ـ وهي منظمة مرتبطة بمحافل القوى الدولية ـ إلى ان تصدر بين الفينة والأخرى قوائم تحشد فيها أرقام مصطنعة يبثها أعداؤنا، تتحدث من خلالها عن أرقام الاعدامات والتعذيب، وأشكال القتل والاعتقال في إيران.

هم يبادرون إلى مثل هذه الأفاعيل لكي تتضاءل علاقة الشعوب في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية بالشعب الإيراني وحكومته الإسلامية حين تسمع لهذا الكلام والمواد الدعائية.

وهذا طريق آخر مارسوه منذ أوائل الثورة حتى الآن.

هناك طريق أخطر من الاثنين السالفين يتمثل بمنعنا من التفكير بايجاد علاقة مع الشعوب الأخرى، بحيث تنقطع العلاقة من قبلنا نحن الشعب الإيراني. وسيلتهم في ذلك أنهم يدأبون على تلقيننا بالقول: ما شأنكم بالشعوب الأُخرى؛ عليكم بأنفسكم، اعتنوا ببناء أنفسكم وحل مشكلاتكم. هذا الأُسلوب أخطر من الذي سبقه، ويمكن أن يجد له آذاناً صاغية بين بعض أفراد الشعب بحيث يؤثر

على البسطاء السذّج؛ وهم يغفلون عن أن مشكلات شعب ثوري تحل بأعمال مختلفة وصيغ متنوعة، من بينها هذه الحماية العالمية.

الكثير من مشكلاتنا جاءت إلى بلدنا من خلال الأعداء؛ وإلاّ ليس من الصحيح الاعتقاد اننا ننطوي تلقائياً على المشكلات. لقد أوجد الأعداء المشكلات وفرضوها علينا بالحصار الاقتصادي، بالضغوطات، بفرض الحرب، وبالكثير مما يشابه هذه الفعال.

انّ الكثير من ضروب المؤامرات الاقتصادية حاكها الأعداء لنا خارج الحدود، ولم تنبثق من قبل الأعداء الموجودين في الداخل.

إذا شاء الشعب الإيراني ان يحل مشكلاته فلا يكفي أن يتقوقع على نفسه في الداخل ويدور من حولها، وهو يظن انّ هذا هو السبيل لتجاوز العقد والمعضلات الواحدة تلو الأخرى. وانما عليه ان يبطل مؤامرات العدو في الخارج وعلى الجبهة العالمية أيضاً من خلال مواجهته.

وأفضل وسيلة على هذا السبيل هي (كسب) الرأي العام للشعوب.

لذلك لا ينبغي لنا ان نقطع العلاقة من طرفنا مع الشعوب، طبيعي ان العدو سيمارس الدعاية في هذا الاتجاه.

مؤدى النقطة الأولى إذن ان علاقتنا والارتباط المعنوي لشعبنا وثورتنا مع بقية شعوب العالم هو أمر مفيد بل لازم وضروري، وان العدو يسعى لقطع هذه العلاقة وضربها.

ثانيا: النقطة الأُخرى التي أود أن أُبينها ان الشعب الإيراني إذا شاء أن يبقى محبوباً على الدوام تقبله الشعوب الأُخرى وترغب بالعلاقة معه، فعليه ان يحافظ في الداخل على شخصيته الثورية، ونهجه الثوري، ومعالم صورته الثورية، ذلك انّ الذي كبّركم في عيون الشعوب هو أولاً وقبل كل شيء وحدتكم، فعليكم

إذن أن تحافظوا على هذه الوحدة لأنها تنطوي على قيمة كبيرة جداً. ان وحدة شعب من الشعوب هي أسوة لبقية الشعوب.

أما العنصر الثاني الذي جذب إليكم الشعوب فهو شجاعتكم، وعدم خوفكم من الأعداء. ولقد اثبتّم تمسككم بهذه الخصلة في الحرب، وفي وقائع الثورة، وفي مواطن أُخرى. وعليكم أن تحافظوا على هذه الشجاعة كما تحليتم بها حتى الآن بحمد اللّه.

ثم هناك خصلة ثالثة تتمثل بهذه الصلة الحميمة بين الشعب والمسؤولين؛ هذه الوحدة بين الاثنين. فهذه لوحة تجذب إليها العالم، إذ قلما يقع في العالم ان يتحلى رؤساء البلد ومسؤوليه بهذا القدر من الحب بين أبناء شعبهم.

بيد ان هذه المحبوبية كائنة في بلدنا الثوري ونحن نشاهدها ونلمسها[1].

٢ ـ الثورة الإسلامية بداية عصر الدين والمعنى

وقعت نهضة العلماء ونهضة الدين في إيران سنة ١٣٤١هـ(١٩٦٣) ولم يهتم العالم لانطلاقة هذه النهضة بادئ الحال إلى ان راحت تنمو في حجمها ومعناها وتزداد في سعتها وتأثيرها وقوتها يوماً بعد آخر ـ خلافاً لما كان يتوقعه المحللون والمراقبون ـ حتى انتهت فجأة إلى انفجار وقع في بقعة من بقاع العالم (إيران). وعندها شعر الماسكون بمقاليد القوة العالمية أنهم أخطأوا في تقويم هذه الظاهرة، فحاولوا أن يتداركوا ما فاتهم بيد ان الوقت كان قد فات.

عندما حدثت الواقعة لم يهتم بها أحد في العالم، بل لم تجد واقعة ١٥ خرداد برغم ما رافقها من قتل ومداخلات، الصدى الكافي الذي ينبغي ان يكون لها في أرجاء العالم.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء مجموعة من أبناء الشعب من عدد من المدن الإيرانية، ١٣٦٨/٨/٣.

بدا وكأنها لم تبعث أملاً عريضاً في أحد؛ كما لم تبعث الخوف الكبير.

كانت في الظاهر وكأنها شعلة توهجت ثم انطفأت، تماماً كما يحصل في نار تلتهب بمجموعة أوراق ثم تنطفئ بعد لحظات. وهكذا خيّل للجميع انّ كلّ شيء قد انتهى، غافلين عن ان النار تتلظى تحت هذه الشعلة حيث أخذ أوارها يتقد بوقود لا ينتهي من دون أن ينتبه لذلك أحد.

لقد استمرت شعلة النار وهي تلتهب تحت الرماد إلى أن حدثت واقعة ٢٢/ بهمن (شباط ١٩٧٩) حيث انبثقت فجأة حكومة الجمهورية الإسلامية التي شيدت على قواعد الدين والمعنى، وعندئذ كانت الفرصة قد فلتت من يد أعداء الدين وعالم المعنى، بحيث أنهم كلما ضربوا النهضة وظلموها زاد ذلك من نفوذها المعنوي في العالم، وفي انجذاب قلوب المسلمين إليها أكثر.

أخذت النيران تتوهج في أرجاء الدنيا، وربما لم يدر بعضهم من أين مُنبثق هذه الشُعلة المتوهجة.

انظروا إلى عواطف المسلمين وحماسهم اللاهب الذي عمَّ دنياهم ـ كما سمعتم في الأخبار ـ بدءاً من أفريقيا ومنطقة الشمال الأفريقي التي تتحدث باللغة الفرنسية ـ الذي يؤسف له انّ الأوربيين وظفوا نفوذهم كثيراً في هذه المنطقة على المستوى الثقافي وفرضوا ثقافتهم عليها ـ انتهاءً إلى شرق العالم الإسلامي في الهند وكشمير وتركستان الشرقية.

ومعنى ذلك انّ المسار الذي كان يريد أن يبلغ الذروة قد انقطع، وأصبحنا راهنا ـ أنا وأنتم ـ في لحظة هذا القطع. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ﴾[1].

---

(١) يونس الآية: ١٤.

أنا وأنتم نستطيع من خلال العمل والارادة والحزم ان نترسم معالم هذا الطريق ـ إذا تحركنا بشكل صحيح ـ لنؤمن للمسار بقاءه ونضمن له سلامته ودوامه. وعندئذ سيتبدل وجه العالم، بحيث يستطيع البعد المعنوي ان يستوفي حقه المرتهن بيد القوى العالمية ويستعيده[1].

انبثاق عصر الثورة الجديد

لقد انبثق عصر جديد في هذا العالم يفترق عن الذي كان سائداً على أثر انتصار الثورة الإسلامية وتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية، وكحصيلة للجهاد الطويل الذي خاضه شعبنا خلف راية قائده العظيم من أجل الحفاظ على الثورة والإسلام.

العصرُ الجديد هذا ينطوي على خصائص تفترق عن ملامح العصر السابق.

لقد أطل هذا العصر على العالم بخصوصياته المتميِّزة، وبدأ مشواره وما يزال يتقدم، سواء رضيت القوى المادية العالمية بذلك أم لم ترض، وسواء أرادت أمريكا ذلك أم لا. وقد بلغ من قوة انطلاقة هذا العصر ان تأثيراته بدت واضحة على الشعوب والدول الضعيفة؛ وكذلك على الدول والكيانات القوية.

وفي اللحظة التي يبدأ فيها عصر جديد في تاريخ البشر، فلا أحد يستطيع أن يصون نفسه من تأثيراته ويبقى بمنأىً عنها.

جرت أشواط التأريخ البشري في الماضي على هذا المنوال؛ إذ لم يكن بمقدور أحد أن يبقى بعيداً عن تأثيرات عهد أطلَّ على العالم بإشراقات إلهية وإنسانية ثابتة.

---

(١) حديث قائد الثورة إلى جماعة من العلماء، ١٣٦٩/٢/٢٢.

وما نريد أن نعلنه أن العالم وان وقع الكثير من شعوبه ودوله تحت تأثير هذا العصر الجديد بحيث تغيّرت حتى الخريطة السياسية للعالم، إلاّ أننا لا نتوقع من المحليين المرتبطين بقوى السياسة العالمية ان يعترفوا ببدايته. هم لا يعترفون ببداية هذا العصر وان أحسّوا به ووقعوا تحت تأثيراته.

ينبغي ان نطلق على هذا العصر عصر الإمام الخميني.

لهذا العصر عدد من الخصائص التي لا تنفك عنه، أحدها نمو المعتقدات الدينية واتساعها. فبعد ان كانت سياسة الهيمنة ونظام التسلّط العالمي يهدف إقصاء الدين وعالم المعنى من حياة الناس كلياً، بحيث تتربى المجتمعات بعيداً عن الدين والإيمان والاعتقاد بالقيم الإلهية، جاء هذا العصر ليتحرك بنهج معاكس لذلك تماماً.

ومسألة العودة إلى المعتقد الديني لم تقتصر على إيران أو البلدان الإسلامية بل عمّت العالم أجمع، وأخذ الجانب المعنوي ينمو وسط مجتمعات عاشت عشرات السنين في إطار منهج حياتي معاد للدين.

وهذه الحركة ستمضي في المستقبل على نسق بحيث تكون قوة جذبها للشعوب أكثر في كل مكان يكون فيه الأحياء المعنوي أعمق وأكثر سلامة وخلوصاً وتطابقاً مع الفطرة.

لقد ولّى ذلك العهد الذي يعتبر فيه الدين والجانب المعنوي مُضاداً للقيم، وموضع هزأ الآخرين وسخريتهم.

انّ ما يعدّ اليوم مناقضاً للقيم هو اللادينية وعدم الإيمان، وعدم الالتزام بالمعتقد الديني. وقد ساد هذا المعنى بقاعاً واسعة من العالم، وستحل في الكثير من المناطق الأخرى.

هذه واحدة من خصوصيات العصر الجديد الذي بسط رايته في أرجاء الدنيا ذلك الرجل الكبير ـ من دون ان يصدّق أحد ـ ودعا إليه فانجذبت إليه القلوب.

الخصوصية الأخرى للعصر الجديد هو منح معنى للقيمة الإنسانية، ولحضور القاعدة المليونية من الناس بشكل مؤثر، هذا المعنى لحضور الملايين العريضة بدأ مع إمامنا (الخميني) ولم يقتصر على إيران وحدها. لقد تحولت جماهير الناس إلى قوة لها وزنها في مجريات الأمور ولها دورها في القرار، وإليها يعود تحديد اتجاه الأحداث.

هناك ثورات كثيرة تقدمت في الماضي من خلال عواطف الناس وحماس الجمهور، بيد أن الأمر يختلف اليوم. ففي عالم عاش عقوداً يخضع لهيمنة القوى العالمية بعد الحرب العالمية الثانية، اعتادت الناس ان تخضع لإرادة تلك القوى من دون اعتراض بل ومع سحق إرادتها الخاصة، وإذا بهذا العالم يشهد فجأة في بلدان أوربا الشرقية الملايين الشعبية وهي تتحرك بالطريقة نفسها التي واجه بها شعبنا المسلم نظام الشاه الظالم.

وإذا شئنا ان نعبّر عن هذه الصفة التي يتسم بها العصر الجديد بكلام آخر فيمكن القول أنها تتمثل بانتصار الدم على السيف.

فما حصل هناك يشبه ما حصل في إيران حيث خرجت الجماهير من دون سلاح، ونزلت إلى الميدان بأجسادها وهي تحمل الأرواح على الأكف، فضيّقت ـ من خلال هذا الحضور ـ حلقة الحصار على النظام الظالم.

لقد أصبح هذا الأسلوب معروفاً في عالم اليوم واصبح واضحاً ما لحضور الجماهير من قوة وهي تنزل الميدان ولو بدون سلاح. وعلى القوى الكبرى ان

تعي بعد ذلك بأنَّ شعبنا جسّد خلال مقاومته شاهد صدق على صحة هذا الادّعاء.

انَّ ثورتنا العظيمة تنطوي على خصوصيات ترتبط بها ـ وقد تكرّر القول عن هذه الخصوصيات في أشكال التحليل (السياسي والفكري والحضاري) المنبثقة من داخل مجتمعنا ومن العارفين بالثورة ـ فللمرة الأولى تبرز ثورة تقوم على أساس الإسلام، وتهدف ايجاد حكومة إسلامية، واعادة النظر في المفاهيم السياسية للعالم من قبيل الحرية، الاستقلال، العدالة الاجتماعية، والمفاهيم الأخرى، بحيث تسوق حركتها صوب عالم ومجتمع يقومان على أساس القيم الإسلامية.

ومؤدى هذه الخصوصية انه لا يمكن للنظام ان يستمر بحكمه على رغم ارادة الملايين العريضة. وكلما امتدَّ هذا الموج وانبسط في العالم كلما يكون استمرار السلطات الظالمة غير القانونية، والكيانات المعادية للبشرية أصعب.

هذه هي النهضة التي انطلقت في بلدنا إيران على يد الإمام العظيم وببركة وعي الشعب وإيمانه، وأضحت مثالاً يحتذى للعالم.

لقد خطى شعبنا بسيره وراء قائده الاستثنائي الخطوة الأولى في طريق العصر الجديد، بحيث أضحت قواعد هذا العهد ثابتة تتسم بالاستحكام[1].

الحضارة البشرية شاهدة اليوم على (تجربة) بلد يقوم على أساس ولاية الفقيه، أي يخضع لحاكمية الدين والتقوى ويدار بواسطتهما. وهذا اختيار مهم ومصيري للبشرية التي جرَّبت أنواع النظم، ولم تجد غايتها في علاج معضلاتها الأساسية في أي منها.

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٤.

علينا جميعاً أن نعرف بأن هذا النظام المقدّس إذا استطاع ان يوفر الاستقرار الجسمي والروحي للإنسانية، ويجتث الفقر والجهل والتميز، ويستأصل حالة غياب الإيمان والعدالة، ثم ينهض في الساحة العالمية لمواجهة معضلات البشرية المزمنة، يكون قد قدّم للتاريخ الإنساني أعظم خدمة، وفتح أمام البشرية سبيلاً جديداً.

والنهوض بمثل هذه المهمة يتطلب ان لا يتوانى أحد من المسؤولين لحظة عن جهاده وثباته بدءً من القائد وكبار المسؤولين وانتهاءً بالبقية، كلّ بحسب موقعه ومسؤوليته، كما عليهم أن لا يستسلموا للشك، ولا يهنوا أمام أي تهديد ـ مهما كان ـ بحيث يعدوه عقبةً أمامهم[1].

هذا العصر هو عصر القرآن. فبعد التجارب الفاشلة التي مرّت بها البشرية خلال قرون النهضة؛ أي بعد ان عجز البشر عن صياغة نظام للحياة الإنسانية يتناسب مع الثورة العلمية المدهشة، بدأت السُبل تتفتح تدريجياً على نهج التوحيد وسبيل الدين.

لقد أضحى الإنسان اليوم أقرب إلى النضج، وما تخلى عنه وتناساه في غمرة الغرور والجهل اللذين ترافقا مع عصر التقدم العلمي، عاد ليبحث عنه اليوم.

وبحث الإنسان عن ضالته التي تناساها وأدار لها ظهره في السابق، يتم في العصر ذاته الذي حقق فيه الدين حاكميته في بقعة من بقاع العالم ـ إيران ـ واستطاع ان يمسك من خلال ثورة استثنائية عظيمة زمام حياة الملايين من بني الإنسان. هي فرصة تأريخية استثنائية إذن تلك التي تحل في هذا العصر، يستطيع

---

(١) كلمة قائد الثورة بمناسبة بداية الدورة الثانية لأعمال مجلس الخبراء، ١٣٦٩/١٢/١.

من خلالها القرآن ان يظهر إمكاناته في هداية الفكر والسلوك الانسانيين، ويبرز قدراته في القيمومة على الحياة[1].

عهد الاصلاح الجديد

تبدو العقول العليلة للمحللين الماديين عاجزة حتى الآن عن فهم وتحليل الحوادث الإسلامية التي احتضنها العقد الأخير. أجل، هذه العقول لا تستطيع ان تدرك ما حصل فعلاً. فقد مضت مائتا سنة على جهود الاستعمار في العالم الإسلامي، استخدم فيها ألوف الوسائل من أجل حذف الإسلام ودفعه خارج ميدان الحياة، بل ودفعه بعيداً حتى عن صفحة أذهان الناس وقلوبهم. والأهم من ذلك انه بعد قرون مما نال الدين من توجيه سيء وتلقين سلبي على يد القوى المستبدة، وما طاله من انحرافات لا تحصى على يد وعاظ السلاطين والعلماء المرتبطين بالبلاط حتى أثرَّ ذلك على صفائه ووضوحه، وتحوّل إلى دواء لا أثر له، وجسم لا روح فيه، بعد هذا كلّه وإذا بالإسلام يعود اليوم يبسط جناحيه في قلب العالم الإسلامي، ويبسط بظلال رحمته في جميع أرجاء دنيا الإسلام وكأنه شمس وضّاءة اشرقت على قلوب المسلمين فمنحتهم الروح والنشاط والأمل.

الذي يوقع أولئك المحللين في حيرة هو كيف استطاع هذا الإسلام الذي بدأ يختفي تدريجياً ليلفه عالم النسيان من دون ان تكون له القوة على بعث الأمل في القلوب الملتاعة، ان يتحوّل إلى مُلهم؛ بل إلى أمل وحيد للشعوب الإسلامية، وبالذات للشباب، ولذوي المعاناة واللوعة؟

انّ فهم وتحليل هذا المسار المذهل، وان كان غير ممكن لتلك العقول الأجنبية الغريبة عن حقيقة الإسلام الجاهلة بماضيه الواقعي، إلاّ انه يتمثل لأصحاب البصيرة بكلمة واحدة: انها معجزة الثورة.

---

(١) كلمة قائد الثورة إلى تجمع مدرسي مادة القرآن للصفوف الثانوية الأولى، ١٣٦٨/٧/٢٠.

لقد تجلت النهضة الإسلامية في إيران بقيادة منقذ العصر الزعيم الكبير الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ في اطار ثورة عظيمة، اتّبع فيها الإمام نهج النبي الأعظم والرسول الخاتم سنام الوجود وذروة ولد آدم محمد المصطفى ﷺ

وهذه هي طبيعة الثورة إذا قامت على بنى سليمة ومنطقية، تأتي بركاناً مدوياً يزلزل الأركان وتؤثر في كل ما حولها.

لقد نهض مصلحون إسلاميون وظهر مفكرون خلال المائة وخمسين سنة الماضية رفعوا راية الدعوة الإسلامية ومارسوا احياء الفكر الإسلامي، وذلك من قبيل السيد جمال الدين ومحمد اقبال وغيرهما ورغم ما قدمه هؤلاء من مكاسب جليلة، إلاّ ان مسارهم ـ بأجمعهم ـ اكتنفه نقص كبير تمثل باكتفائهم بممارسة الدعوة الإسلامية واصلاح المجتمعات المسلمة، ليس بقوة الثورة وحركيتها بل بالجهد الثقافي فقط، وبأدوات الكتابة والبيان، وذلك بدلاً من ان يتجهوا بجهودهم نحو تفجير ثورة إسلامية.

النهج الذي سار عليه أولئك المصلحون والمفكرون هو نهج ممدوح وهم مأجورون عليه، ولكن لا ينتظر منه أبداً نتائج كتلك التي أثمرها نهج أولي العزم من الأنبياء ، وهم صنّاع المقاطع الأصلية في التأريخ واللحظات الحاسمة فيه.

إنّ عمل المصلحين والمفكرين ـ في اقتصارهم على الدعوة دون الثورة ـ لا يوفر في حال خلوه من العيوب السياسية والنفسية سوى أرضية لانطلاق حركة ثورية ليس أكثر.

على ضوء ذلك يُلحظ ان السعي الحثيث المثابر لأولئك المصلحين والمفكرين لم يستطع في جهود المخلصين من هذه الجماعة أن يوقف أبداً الحركة العكسية التي كانت تسير بالمسلمين نحو الانحطاط، كما لم تفلح في

اعادة مجد المسلمين الغابر، وعظمتهم الآفلة التي كان يتحدث عنها أولئك، ويتجرعون في سبيل استعادتها الغصص والآلام، ويذرفون من أجلها الدموع.

الأكثر من ذلك ان جهود أولئك المصلحين والمفكرين، لم تنهض حتى بتقوية المعتقد الإسلامي على نحو واسع بين الجماهير المسلمة، بحيث تستنفد طاقتهم في خدمة المسار. كما لم يستطع أولئك ان يمتدوا بجغرافية الإسلام ويوسعوها. وهذا ما يتفاصل بشكل كامل مع نهج نبي الإسلامﷺ كما لا يخفى على أي إنسان له أدنى اطلاع على تأريخ بعثة النبي الأعظمﷺ وهجرته[1].

يُعد القرن الحاضر قرن ظهور المصلحين الكبار. فكم ظهر من كبار المصلحين والثوريين والسياسيين منذ أواسط القرن الماضي حتى اللحظة، وكم هي الحركات الكبيرة التي فجّرها أولئك ودفعوها في العالم، أو في جزء منه! نحنُ نعرف تلك الحركات، بيد ان أياً منها لا يقاس بهذه النهضة العظيمة، وهذه الثورة المعنوية العالمية.

لقد جرى اسم اللّه ونطقوا بـ«بسم اللّه» في برلمانات بلدان كان الدين فيها يعد جريمة رسمية، وهوأمر محضور ينظر إليه كشأن قديم لفّه غبار النسيان، وتقليد مضر ولّى زمانه وأُلقي به بعيداً بحيث لا ينظر إليه أحد!

وليس هيناً ولا أنّه شيء عادي صغير ان ترتفع راية المعنى والإسلام في العالم المادي[2].

أضحت جميع آمال الأنبياء والأولياء قابلة للتحقق على أيديكم ـ أنتم الشعب الإيراني ـ فكل ما كان للأنبياء من آمال كبيرة على صعيد استقرار العدل

(١) كلمة قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أعضاء مجلس الخبراء، ١٣٦٧/٣/٢١.

الإلهي، وانقاذ المستضعفين، وازالة الظلم على المستوى العالمي، هذه جميعاً أصبحت قابلة للتحقق.

بديهي ان الوعد الإلهي القاضي باستقرار العدل العالمي الكامل في عهد ظهور بقية اللّه فقط ـ الإمام المهدي أرواحنا له الفداء ـ هو حق لاريب فيه. بيد ان بمقدور شعب مؤمن مجاهد أن يمهّد الأرضية لهذه الحكومة، كما استطاع الشعب الإيراني أن يفعل ذلك حتى الآن ويسيطر على الكثير من المشكلات[1].

إنّ عصرنا هو عصر الحوادث الكبيرة. فقد وقعت على المستوى العالمي، وعلى مستوى بلدنا خاصة الكثير من الوقائع العظيمة. كانت أولى الحوادث هي واقعة الثورة هذه الظاهرة الاستثنائية الكبيرة، ثم جاءت الثانية متمثلة بتأسيس الجمهورية الإسلامية، والجمهورية الإسلامية هي نظام قائم على أساس القيم الأخلاقية والمُثل المعنوية والدينية، وذلك في وقت كانت الأجهزة الاستكبارية تسعى فيه لعزل القيم المعنوية والأخلاقية وازوائها جانباً حتى تكون عرضة للنسيان التام.

وفي مثل هذه الأجواء كان تأسيس نظام على أساس القيم المعنوية هو عمل عظيم، أشبه ما يكون بالمعجزة. بل يحكي تبديل هذا الشعب من الضعف والاستسلام والخنوع إلى شعب مقاوم شجاع مواجه يحكي بحدّ ذاته حصول تحوّل عظيم.

وأمامنا الكثير من الأعمال العظيمة التي وقعت على هذه الشاكلة في عصرنا وفي بلدنا[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة حرفيي مدينة مشهد، ومؤسسة الخامس عشر من خرداد ومركز محو الأمية، ١٣٦٨/٤/٨.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أعضاء الحكومة، ١٣٦٨/٣/١٦.

شكّل انطلاق هذه الثورة طموحاً للشعوب الإسلامية جميعاً. ولا نبالغ إذا قلنا ان جميع المصلحين والمفكرين والأحرار كانوا يطمحون طوال التأريخ، بأيام مثل هذه للإسلام والمسلمين.

كم بُذِل طوال عشرات السنين من الثروة والفكر؟ وكم ارتكبت من الجرائم والأكاذيب والدعاية المضادَّة من أجل إقصاء الإسلام كلياً عن حق حياة البشر؟ ثم جاءت ثورتنا في مسار معاكس تماماً لما كان يريده الشياطين وأعداء الإسلام.

أضحى الإسلام عزيزاً، واستيقظت الشعوب الإسلامية، ووصلت النهضة الإسلامية في الكثير من البلدان الإسلامية إلى الذروة.

لقد أضحى الإسلام اليوم ومعه الثورة الإسلامية والنهضات الإسلامية يمثل قيمة وطنية واجتماعية وسياسية كبيرة، حتى بلغ الأمر إلى ان يتحدّث عن الإسلام ويضرب على وتره، مَن لم تكن له أية علقة به، لمصالح زمنية.

أصبح الإسلام اليوم عزيزاً[1].

يزخر واقع العالم اليوم بالكذب والأحابيل والشهوة، وهو يميل لترجيح القيم المادية على القيم المعنوية. هذه هي الدنيا، وهذه الخصائص لا تقتصر على هذا الزمان، بل منذ قرون والجانب المعنوي في الدنيا ينحدر نحو الضعف والأفول.

لقد سعى أصحاب القوة إلى إقصاء المعنويات، وسعى أرباب السلطة وعبدة الثروة والمال إلى بسط نظام مادي في العالم تتربع على قمته سلطة مثل أمريكا

---

(١) حديث قائد الثورة إلى جماعة من الأحرار (١)أسرى العائدين إلى أرض الوطن)، ١٣٦٩/٥/٢٩.

هي الأكثر من غيرها كذباً وخديعة واهمالاً للفضائل الإنسانية، وأشدّها قسوةً على بني البشر.

قوة مثل هذه تتبوأ رأس النظام يليها حلفاؤها كلٌ حسب مرتبته. هذا هو وضع العالم اليوم.

والثورة الإسلامية في مؤدّاها هي إحياء ثانٍ للإسلام؛ إحياء لقيمة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. وقد جاءت هذه الثورة وأمامها مهمة ضرب مرتكزات ذلك النظام الخاطئ لكي تصوغ بديلاً عنه نظاماً جديدا[2].

الأثر المباشر الذي ظهر على المستوى العالمي لثورة دينية وإسلامية هو تأسيس نظام سياسي واجتماعي يقوم على مباني الدين.

كانت واقعة عظيمة جذبت أنظار العالم إلى الدين ـ سواء كان الإسلام أم غيره ـ وجدّدت النظرة إلى مسائل الدين.

والذي حصل بعد ذلك بفعل الآثار غير المباشرة لثورتنا هو اضمحلال قواعد التفكير المادي الذي كان يتجلى في شكل اتجاه ونظام اجتماعي. الأكثر من ذلك كان هذا التفكير والنظام المنبثق منه يسوّق على نطاق عالمي ويدفع بادّعاءات كبيرة على أساس انه يستطيع ان يدير الحياة البشرية!

لقد وقف هذا الفكر وهذا الاتجاه حائلاً عشرات السنين دون الظاهرة المعنوية سواء تمثلت بالفكر أو العمل أو الأخلاق أو أي شيء مفيد.

لقد انهار هذا الفكر مرّة واحدة وكأنه عمارة من ثلج وقد ذاب كالملح في الماء، تماماً كما حدث لبني أُمية والمنصور العباسي عندما انهار البناء الذي

---

(١) الحجرات: الآية ١٣.

(٢) حديث قائد الثورة إلى قادة كتائب قوات التعبئة الشعبية، ١٣٧١/٤/٢٢.

أشادوه، لأن ظاهره وان كان يشبه الصخر إلاّ ان حقيقته كالملح فسرعان ما تهاوى وذاب.

بعد الانهيار المدوّي لذلك الفكر ـ وأنظمته ـ أخذ عالم المعنى يعبّر عن نفسه. وقد اتضح ان النمو المعنوي، وازدهار الفكر الديني وبالأخص ازدهار الفكر الإسلامي، لم يكن قد توقف في أتون ضجيج ذلك الفكر وأنظمته. ففيما كان أولئك يجهدون ان لا يبقوا له عيناً ولا أثراً كان هو يواصل نموه.

ولكن غاية ما هناك ان الرياح العاصفة والضجيج والصخب والغبار كانت تمنع تبلور هذه الحقيقة الواقعية وتجليها، والآن بعد ان هدأ ذلك الصخب المجنون عادت الحقائق لتعبّر عن نفسها بجلاء[1].

٣ ـ تكون مركز للحركة العالمية للإسلام

واحدة من أهم مسائل العالم الإسلامي اليوم هي البغض والعداء الجنوني الذي تكنه الجبهة الشيطانية وبخاصة الشيطان الأكبر (أمريكا) للإسلام وللمفاهيم والعقائد الإسلامية.

والعداء المخطط والشامل ضدّ الإسلام وان كان يعود إلى المرحلة التي ترافقت مع ظهور الاستعمار وما قام به المستعمرون في القرون المتأخرة عندما توجهوا لممارسة النهب والقتل في العالم الإسلامي، وتعاملوا مع الإسلام على انه العقبة الكؤود والسد المحكم الذي واجه فتنهم، مما جعله عُرضة لهجوماتهم الشديدة سياسياً وثقافياً، ودفع بهم إلى غرس مخطط فصل المسلمين عن القرآن والإسلام بضروب المكر الشيطاني مثل إشاعة الفساد والانحلال والفحشاء، ولكن الأمر اختلف عندما انطلق بركان الثورة الإسلامية وراح يحرق آمالهم العراض ويذرها هباءً مع الريح، ويعيد إشاعة الأمل في قلوب المسلمين، وينعش

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم تجديد بيعة أعضاء مؤسسة باقر العلوم الثقافية، ١/١١/١٣٦٨.

الحياة في الإسلام ثانيةً على الصعيد العالمي.. فعندئذ اندفعت القوى الاستكبارية تهاجم الإسلام كالذئب الجريح وتندفع في معاداته بشكل شامل وجنوني. وهذا النمط من العداوة والهجوم لم يكن مستبعداً في غضون التحوّل الذي حصل.

ستتحقق حتماً السنن الإلهية القاضية بفضيحة أولئك وهزيمتهم ان شاء اللّه، تماماً كما نصَّ على ذلك القرآن: ﴿وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾[1]. ولكن بشرط أن يلتزم المؤمنون بالإسلام وبوظائفهم ازاء هذه المؤامرات ولا يتوانوا فيها.

بديهي ان المركز الذي استهدفته الأمواج الأساسية لجميع المؤامرات التي ابتغت الغيلة للإسلام خلال العقد الماضي هو الجمهورية الإسلامية التي تعدّ أم القرى للعالم الإسلامي وطليعة حركته العالمية. لقد تلقى الشعب الإيراني خلال عقد من العداء الذي استهدف الإسلام والقوى الثورية العظيمة أنواع الضربات. فهناك الحرب المفروضة التي دامت ثماني سنوات، الحصار الاقتصادي، وعدد لا يحصى من الهجومات السياسية والدعائية والاقتصادية ضدَّ الجمهورية الإسلامية، والتي انطلقت في حقيقتها بدافع الضغط على الإسلام وعلى خلفية العداء له.

نحن نفخر بأننا أصبحنا على مدار سنوات هدفاً للقوى العالمية في غضبها الجنوني وحملاتها الانتقامية الشرسة ضدّنا، بسبب الجوهر الفريد الذي نحمله متمثلاً بالإيمان باللّه والعمل بالإسلام.

أجل: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[2]، [3].

---

(١) الرعد: الآية ٣١.

(٢) البروج الآية: ٨.

(٣) كلمة قائد الثورة إلى حجاج بيت اللّه الحرام، ١٣٦٨/٤/١٤.

الانجذاب نحو الإسلام

ان السر وراء الاعتلاء الإسلامي المعاصر واليقظة العامة للمسلمين يكمن في انبثاق وليد مبارك في مركز دائرة هذه الحركة ـ إيران الإسلامية ـ متمثلاً بالثورة. لقد أينعت شجرة الإسلام الطيبة مرة أُخرى، وأثمرت الولادة، انبثاق الجمهورية الإسلامية بما تحظى به من بنية ثابتة استمدتها من الإيمان الإسلامي ومن القدرة الإيمانية للقائد والشعب.

لقد حافظ هذا الكيان على ثباته واستقامته، لم تنل منه دسائس الشياطين وثورات غضبهم وأحابيلهم، بل ظلَّ عزيزاً مقتدراً رغم ظُلامته، ومضى وضاءاً أمام العالم ثابتاً على الدعوة إلى الإسلام باستقامة وصلابة.

إن للإسلام الأصيل طبيعة جذّابة يستقطب إليه القلوب السوية الخالية من الضغينة والبغض. وهذا الإسلام هو الذي طرحته ثورتنا وإمامنا أمام العالم للمرة الثانية، وعرضاه للقلوب المتطلعة.

لا مكان في مدرسة الثورة ـ التي أرسى إمامنا (الخميني) دعائمها ـ للإسلام السفياني والمرواني.. الإسلام الشكلي الذي يقتصر على الظواهر.. الإسلام الذي يكون في خدمة المال والقوة؛ وبكلمة: الإسلام الذي يكون آلة بيد السلطات وحرباً على الشعوب.

لقد قضت مدرسة الثورة على ذلك النوع من «الإسلام» ليحل محلها الإسلام القرآني المحمدي، إسلام العقيدة والجهاد.. الإسلام الذي يخاصم الظالم ويكون للمظلوم عوناً.. الإسلام الذي يكون حرباً ضدَّ الفراعنة والطواغيت.

وبكلمة: الإسلام الذي يصعق الطغاة والجبارين ويشيد أركان حكومة المستضعفين.

حلَّ إسلام الكتاب والسنة في الثورة الإسلامية بدلاً من إسلام الخرافة والبدعة.. وصار إسلام الجهاد والشهادة بديلاً لإسلام القعود والاستكانة والذل.. وأخذ إسلام التعقل والتعبّد محله بدلاً من إسلام الجهل والتلفيق الالتقاطي.. وأضحى إسلام الدنيا والآخرة بديلاً لإسلام عبادة الدنيا وإسلام الرهبانية والاعتزال.. وأمسى إسلام العلم والمعرفة بمكان إسلام التحجر والغفلة.. وإسلام الدين والسياسة بديلاً لإسلام التحلل واللامبالاة.. واستبدل إسلام المقاومة والعمل بإسلام الجمود واليأس.. وأخذ إسلام الفرد والمجتمع مكانه بدلاً من الإسلام الشكلي الذي لا روح فيه.. وصار الإسلام الذي ينقذ المحرومين بديلاً للإسلام الذي كان آلة بيد القوى الكبرى..

وبكلمة: أصبح الإسلام المحمدي الأصيل ـ في الثورة الإسلامية ـ بديلاً للإسلام الأمريكي.

ان استعادة الإسلام بهذه التركيبة وبهذا التكوين، وبمثل هذه الجدية كان سبباً لحالة الغضب الجنوني الشامل لأولئك الذين كانوا يتمنون زوال الإسلام ليس في إيران وحدها بل في جميع البلدان الإسلامية.. أو لأولئك الذين لا يريدون للإسلام إلاّ أن يكون اسماً وحسب من دون محتوى، ووسيلة لاستحماق الناس واستغفالهم.

لذلك كله لم يتوان أولئك عن تضييع أية فرصة للهجوم على الجمهورية الإسلامية ومركز حركة العالم الإسلامي ـ إيران ـ والحاق الضرر بها والتآمر ضدّها منذ أول يوم انتصرت فيه الثورة الإسلامية حتى الآن[1].

الدين عميق وراسخ في النفوس، إذ تكفي (في استعادة دوره وتنشيطه) حركة تشير للاتجاه الصحيح، وأن يُنفَض عنه الغبار المتراكم، ويُشار إلى

---

(١) كلمة قائد الثورة بمناسبة الذكرى الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٠/٣/١٣٦٩.

أشكال التعاطي الخاطئ في فهمه. وهذا ما يخشاه الأعداء.. فهم يدركون ان هذه العملية (استعادة دور الدين وتنشيطه) ستلحق أضراراً فادحة بنمط الحياة الفاسدة والهيمنة الطاغوتية التي تتصف بهما أمريكا اليوم وأذنابها وأياديها. لذلك تراهم يخشون هذه العملية (الصحوة الدينية والانبعاث الإسلامي) وقد أدركوا ان مركز هذه الحالة هي إيران المسلمة.

اعلموا انهم يوظفون اليوم جميع قوتهم لإلحاق الهزيمة بالجمهورية الإسلامية، وهم لا يوفرون أية وسيلة يمكن أن تثمر بهذا الاتجاه ولا يتوانون عن ارتكاب أي عمل. والمحور في هذه الحركة المعادية هي أمريكا. وهذا ما يتضح من الاطلالة على المشهد. ان الإنسان ليذهل من مثابرة أمريكا وجديتها وهي تبحث عن سُبل الحاق الأذى بإيران.. ويشعر أحياناً بالفرح وهو يتأمل المشهد، ويرى عجز أمريكا في تحقيق مبتغاها[1].

الإيمان والوعي الإسلامي

لا تكمن المشكلة بالنسبة للاستكبار العالمي وأسوأ أشكاله المتمثلة بالحكم الأمريكي الظالم، في أنه فقد سوقه في إيران أو مصادر الثروة في هذا البلد وحسب. طبيعي لهذا العامل دوره لأن المال والربح المادي هو كل شيء بالنسبة لأجهزة التراكم الرأسمالي. بيد ان هذا العامل لا يملأ الصورة برمتها بل يمثل جزءاً من المسألة.

يدرك الجهاز الاستكباري بما يتحلى به من رؤية مستقبلية ان الحركة الإسلامية إذا شقت طريقها بهذا الشكل وهي تتحلى بالثبات والايمان والاعتماد على إيمان الجماهير وعواطفها، فسيصعب استمرار السلطة الاستكبارية لأمريكا

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء مجموعة من الطلبة الجامعيين، وأعضاء اللجنة السباعية، وعوائل الشهداء، ١٣٦٩/٣/٢.

وأياديها بل سيغدو ذلك مستحيلاً. هم يعون هذا المعنى، والحق معهم، ونحن لا نتخفى على ذلك.

بديهي ليس لنا أي دور مباشر أو غير مباشر قد خططنا له في انطلاق الحركة الإسلامية في العالم، ولم يكن لنا مثل هذا الدور من أول الأمر أيضاً؛ وانما هو دور الإسلام ذاته. ان عملية ثبات الشعب الإيراني وتمسكه براية الإسلام المناضل.. إسلام الحياة.. الإسلام المحمدي الأصيل كما كان يعبّر إمامنا العزيز (وليس إسلام الإذعان أمام أعداء اللّه ولا إسلام الطاغوت أو الإسلام الأمريكي) وعدم ضعفه في ذلك أدَّت تلقائياً إلى انبعاث الأمل في دنيا المسلمين.

إنطلاقاً من هذه النقطة وقعت على عاتقنا مسؤولية مهمة؛ فما أشرت إليه هو وصف للوضع العالمي والحالة الحساسة التي يتسم بها العصر، وبمعرفة حساسية المرحلة تتضاعف مسؤولياتنا جميعاً وبالأخص مسؤوليتكم أنتم الشباب[1].

لا يقتصر ما حدث على أن شعباً نهض ثائراً في بلدٍ من البلدان وأطاح بنظام تابع فاسد وأسس محله النظام الذي يريده وحسب، بل تتجاوز المسألة هذه الحدود كثيراً. لا أُريد أن أزعم ان الشعب الإيراني كان يفكر بشكل واعٍ ودقيق بهذا الهدف الأسمى وبهذه المسؤولية المهمة الملقاة على عاتقه اليوم منذ أول أيام المواجهة، بيد ان الشيء الثابت ان هذا الشعب تحرك في الساحة ولم يرض باستمرار النظام البهلوي الفاسد والتابع وما يفضي إليه بقاؤه من مشكلات تحل بالبلد.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء مجموعة من الطلبة الجامعيين، وأعضاء اللجنة السباعية، وعوائل الشهداء، ١٣٦٩/٣/٢.

وهذا هو الإسلام الذي جذبه إلى الساحة، وحُبُّ الدعوة الإسلامية الذي دفعه إلى الميدان لمواجهة نظام فاسد مضاد للإسلام، والقضاء عليه وعلى أتباعه في البلد وتشييد نظام إسلامي بدلاً منه كما فعل ذلك إمام هذا الشعب وقائده العظيم.

وعندما أدرك الشعب هذا المعنى بذل الدم والأرواح ونهض للمواجهة. هذا هو القدر الثابت في قصة هذا الشعب مع النهضة.

ولكن القضية اكتسبت بعد تأسيس الجمهورية الإسلامية أبعادا أوسع بكثير على المستوى العالمي، فقد أحست شعوب العالم فجأة والشعوب الإسلامية خاصة انها تشترك مع الشعب الإيراني ومع مليار من المسلمين في همٍ مشترك، يتمثل بابتعادها عن أصالتها وسقوطها ألعوبة بيد أوثان القوى الاستكبارية التي راحت تترك بصماتها على جميع شؤون حياة هذه الأمة وتعرض حياتها للدمار.

لقد توفرت الأمة الإسلامية العظيمة على هذا الوعي بشكل واسع بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران. وكان بروز هذا الوعي باعثاً في أن يكون العداء للإسلام وللجمهورية الإسلامية خاصة جزءاً من البرنامج الأساسي للاستكبار العالمي آنئذ ـ أعني المعسكرين الشرقي والغربي ـ الذي قرّر الحؤول دون إمتداد آثار هذا النظام الإسلامي ونفوذه إلى الشعوب، لأن مثل هذا التأثير يخلق لهم المشكلات، وبذلك انطلق العداء لهذا الكيان[1].

لا يمكن لكم أن تعثروا على امتداد التأريخ على صاحب دعوة حق لم يدخل في مواجهة مع الشياطين والطواغيت؛ وان الطواغيت والشياطين والمعاندين لم يدخلوا في عملية صراع مشوبة بالعداوة والبغضاء والحقد ضدّه.

---

(١) حديث قائد الثورة إلى أعضاء القوة الجوية بمناسبة يوم القوة الجوية، ١٣٧٠/١١/١٩.

ان الاستكبار العالمي يسعى راهناً إلى أن يخنق أي صوت ينطلق ضدَّ نظام الهيمنة الحاكم على العالم ويقضي عليه في مهده.

لقد أضحى صوت الإسلام أقوى صيحة وأبلغها ضدَّ نظام وحاكمية الاستكبار العالمي للقضاء على الظالم منذ أن انتصرت الثورة الإسلامية. كذلك صار القضاء على صوت الإسلام هو في طليعة وأهم أولويات الأعداء والطغاة. ان ما بذل طوال عقد أو إحدى عشرة سنة من انتصار الثورة من فعاليات معادية قادتها أجهزة الاستكبار العالمي على المستوى الدعائي والثقافي والسياسي والعسكري والاقتصادي ضدَّ الدعوة الإسلامية، ولا سيّما مركز الإسلام الثوري - إيران المسلمة - لم يضاهيه أي نشاط آخر بذله الاستكبار العالمي والقائمون على النظام الدولي تلقاء أية ظاهرة من الظواهر الأُخر[1].

لاحظوا ما يفعله الآن أعداء الإنسانية؛ أي الجهاز الاستكباري وعلى رأسه القوى الشيطانية أمريكا وجميع القوى الشيطانية الأُخرى التي تتابعها ضدَّ القيم الإنسانية.. لاحظوا كيف يجرّوا البشرية إلى الابتذال والسقوط، وكيف يسخروا بجميع التجلّيات المعنوية!

لقد أضحت الجمهورية الإسلامية اليوم مرمى لسهام العداوة والبغضاء لأنّها رفعت راية المعنوية وراحت تسير في طريق الإسلام وتسعى من أجل الإسلام والقيم الإسلامية. انّ الإنسان ليدهش أحياناً لكل هذا العداء للإسلام وللمعنوية، فلماذا كل هذا العداء؟

لقد أنفقوا أموالاً طائلة لكي يشوهوا الجمهورية الإسلامية في عيون الناس وأمام العالم بما يبثوه حيالها من أكاذيب وتهم وسموم دعائية.

---

(١) حديث قائد الثورة إلى ضيوف مؤتمر الفكر الإسلامي، ١٢/١١/١٣٦٨.

لماذا يحتاجون للعمل ضدّ الجمهورية الإسلامية بهذا القدر؟ لأنَّ نظام الجمهورية الإسلامية ينطوي على جاذبية عظمى للشعوب لو تُرك وحاله دون دعاية مضادّة.

لقد استبد الغضب بالجهاز الاستكباري وبالأخص أمريكا، لأنهم يرون الصحوة الإسلامية تعم العالم الإسلامي وتتسع يوماً بعد آخر.

كانت الأمنية التي تخالجهم هو أن تخبو شعارات الجمهورية الإسلامية في العالم بمرور الوقت وتصير قديمة، بيد ان شيئاً من ذلك لم يحصل[1].

ما دامت هذه الثورة قرينة باسم اللّه فهي في مواجهة الشياطين أبداً.. وما دامت تأخذ بجانب المستضعفين المظلومين فستبقى في صراع مع الطغاة والمستكبرين والجبارين على الدوام.. وما دمتم تسعون من أجل القيم الإنسانية فلن يرضى عنكم ذلك الإنسان الذي يعادي هذه القيم. لذلك عليكم أن تتهيئوا وتستعدوا نفسياً لكل ذلك.

إن بيد هذا الشعب اليوم راية عظيمة.. راية أيقظت الدنيا عندما اهتزت بأيديكم.. انظروا إلى مآل الأوضاع الآن في فلسطين وشمال أفريقيا، وكيف يستعيد الإسلام حقه (المضيّع) في المجتمعات الإسلامية. وكل ذلك ثمرة لنهضتكم وما فعلتموه؛ على حين كان الإسلام في حال هزيمة وفرار إزاء ثقافة الكفر والاستكبار.. بديهي الإسلام لا يفر أبدا، وانما وهنَ المسلمون فأحسّوا بالضعف. في المواطن التي أضحى فيها لملايين المسلمين قسطاً من المشاركة في الحكم لم يكن أحد يجرؤ على ذكر الإسلام قبل الثورة الإسلامية. وفي

---

(١) حديث قائد الثورة إلى قادة وأعضاء الحرس الثوري والقوات المسلحة في ذكرى يوم الحرس الثوري، ١٠/١٢/١٣٦٨.

البلاد الإسلامية التي راح فيها أئمة الجمعة والجماعات يبادرون لتأسيس الصيغ التنظيمية، حيث راحت تزدهر المساجد وهي تتحوّل إلى مركزٍ للحركة، لم تكن المساجد فيما سبق أكثر من أماكن لتجمع الشيبة وكبار السن والضعفاء. أما الآن فقد صارت موطناً للشباب ومصدراً للحركة والفاعلية، وكل ذلك ثمرة لنهضتكم ولقائدكم العظيم ذلك الرجل الإلهي (الإمام الخميني). ولذلك ترون أعداء الإسلام غاضبين عليكم.

يقول (سبحانه): ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1].. فما دمتم متمسكين بالإسلام غير متخلين عنه، سيبقى أعداء الإسلام على معارضتهم لكم.

والنقطة التي يثيرها العدو في هذا السياق تتلخص بما مفاده: ما دمت أعارض ذلك الشخص (الشعب أو البلد أو الأمة) فينبغي أن يزول من الوجود. لقد استطاعوا أن يغرسوا هذه القناعة في الشعوب الضعيفة والذي يثبت الآن هو عكس القضية تماماً؛ أي ان كل من يعارض الإسلام ينبغي أن يزول، وقد شقَّ الإسلام طريقه في العالم، وسيفعل ذلك مجدداً[2].

٤ ـ تضاد الثورة الإسلامية مع النظام السلطوي العالمي

يتضارب كيان المعنوية الإلهية المتمركز في إيران مع جميع ضروب الظلم والعدوان والفساد في العالم، لذلك ترى القوى العالمية مصممة على إلغاء هذا الكيان واجتثاثه عملياً، وان لم تستطع ذلك تعمد إلى تغيير محتواه[3].

---

(١) البقرة الآية : ١٢٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مقاتلي شهداء السابع من تير وأهالي الأسرى والمفقودين والمعلولين، ١٣٦٩/٤/٦.

(٣) حديث قائد الثورة إلى قادة القوة البرية التابعة لحرس الثورة، ١٣٧٠/٢/٢١.

يكمن خلافنا مع العالم أنّنا نريد شعباً يتمتع بالاستقلال الذاتي، لا أن يكون ذيلاً تابعاً للقوى المتجبرة في العالم المعاصر. انّ الأمر يشبه سلوك الشقاوات قديماً إذ لا يتحرك أحد في المنطقة إلا بإذنهم، وإذا قرّر الإنسان أن يتجنبهم فهم لا يتركونه إلا أن يدفع الإتاوة. أما إذا كان مع الإنسان شيئاً ذا قيمة فالويل له من هؤلاء فهم لا يتركونه حتى يسلبوه ما عنده.

إنّ الوضع العالمي اليوم يشبه هذه الحالة، ولا يقتصر الأمر على الوضع الراهن بل كان كذلك منذ انبثاق عصر الاستعمار.

الويل للبلد الذي يملك نفطاً.. يملك يورانيوم.. الويل للبلد الذي يملك معدناً مميزاً في الصناعة العالمية.. فمثل هذا البلد ينبغي ان يصير تحت هيمنة هؤلاء!

والعلاقة لا تتحرك في اطار التعامل العادل حتى نقول نحن بلد يملك النفط، وأنتم بحاجة إلى النفط فتعالوا ـ إذن ـ وتعاملوا كمشتري يدفع الثمن ازاء البضاعة التي يحصل عليها.

لو كان الأمر كذلك لما كان هناك صراع، فجميع البلدان النفطية تفرح ببيع نفطها؛ هذا لو كانت المعادلة تتحرك في اطار البيع والشراء. ولكن المسألة تتحرك في اُفق آخر، فالاستبداد العالمي المهيمن على اُمور العالم لا يرضى بذلك وانما يعد كل شيء ثمين تمتلكونه عائداً إليه ينبغي أن يستفيد منه. لذلك تراه يسعى للنفوذ ولتوسيع تغلغله، ويُعدّ كل ما يحول دون تغلغل هذا النفوذ ويمنعه سيئاً والإسلام يمنع ذلك ولا يرضى به. وهذا موقف الإسلام ليس اليوم وانما أدرك الاستعمار ذلك منذ اليوم الأول لمجيئه، وعرف ان الإسلام سدّ كبير يحول دون مآربه، لذلك تحامل عليه بالعداوة الشديدة والبغضاء هذه هي المسألة.

ولما كان هؤلاء ـ الأعداء ـ متقدمين على الصعيد العلمي والتكنولوجي، ويستفيدون من وسائل اتصال حديثة، لذلك ترى صوتهم (رؤيتهم) تملأ أركان الدنيا وتصل لجميع الآذان، أما الكلام الذي يتضاد ـ ورؤيتهم ـ فيتلاشى ويضيع هباءً في الهواء[1].

تعارض الجمهورية الإسلامية نظام الهيمنة الراهن في العالم. طبيعي نحن لا نعارض الترتيبات العرفية السائدة، فلكل ممارسة عرفها ونحن نقبل الأعراف السائدة بين مختلف الشعوب، أما أن تكون الهيمنة في عالم السياسة والحياة بيد عدد من البلدان الكبيرة والغنية بحيث تتلاعب بمصائر البلدان الأخرى فهذا الذي نرفضه.

ونرفض ايضاً ما يراد من انحدار الثقافات المنحرفة الفاسدة التي تصدر من المجتمعات الأوربية والأمريكية صوب المجتمعات الأخرى التي تحظى بثقافاتها الخاصة، بحيث ينبغي لما تراه أوربا جيداً أن يكون جيداً بمعايير جميع الشعوب ولو تعارض مع ثقافتها! كما نرفض الحالة التي تسعى ان تُعمّم المعيار الأوربي بالاتجاه الآخر، إذ يكون كل ما تراه أوربا سيئاً ينبغي ان يكون سيئاً لدى بقية الشعوب ولو كان ذلك خلافاً لمعيار ثقافتها كما هو حاصل الآن في العالم، هذا هو ما نرفضه[2].

إنَّ الثقافة المهيمنة بنظر الأوربيين هي ثقافتهم وحسب، حيث ينبغي لهذه الثقافة ان تسود وان يذعن لها الجميع. فكل ما يراه الأوربيون حسناً ينبغي للبشرية أن تراه حسناً!

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء طياري (١)اجا) في قاعدة الشهيد بابايي الجوية في أصفهان، ١٣٧٠/٧/١٨.

(٢) حديث قائد الثورة الى جمع من العلماء وأئمة الجمعة، ١٣٦٩/٢/٢٢.

اننا واجهنا هذا «المنطق» ونواجهه.. والإسلام يواجه سلطة الهيمنة هذه في كل مكان يتواجد فيه، ولذلك يعارضون الإسلام[1].

تقضي الطبيعة السلطوية لنظام الاستكبار العالمي أن يواجه أي شعب أو نظام لا يذعن لسلطته ولا يقدم له الإتاوة والرشوة. والقضية تشبه سلوك اللصوص والشقاوات فإذا ما أعطيتهم الإتاوة والرشوة فتحوا لك الطريق، وإذا امتنعت ضايقوك.

وبذلك يتضح ان عداء الاستكبار العالمي لنظامنا هو أمر حتمي لا مفر منه. لقد أعلنا ذلك مراراً ـ وهذا جزء مما نعتقد به ـ انهم لن يتخلوا عن إدامة عنادهم وعدائهم حتى ييأسوا، فما دام هناك أمل ولهم فينا مطمع فهناك معارضة.

أمّا إذا يأسوا من ضرب النظام والاضرار به وأحسّوا انَّ النظام يتسم بالثبات بحيث لا فائدة من عمل شيء، ويأسوا تماماً من الحصول على شيء من النظام فعندئذ يرتفع الخطر أو يقل[2].

كانت إيران العزيزة وأرضها الواسعة المليئة بالخيرات عرضة للقوى الظالمة المرتبطة بأمريكا والغرب قبل انتصار الثورة. فعلى مدى سنوات متمادية نهبوا الأموال.. ظلموا الشعب.. مزقوا نسيج العشائر.. خربوا المدن، وفعلوا كل ما يستطيعونه بالثروات الطبيعية لهذا البلد، لا فرق بين عصر عائلة بهلوي أو عصور ملوك القاجار الملعونين. فتارة تسلط الروس على إيران.. وتارة الإنجليز.. وتارة الأمريكان بحيث كان البلد مستباحاً للأجانب.

كانت الشركات الأجنبية تستأثر بأموال البلد وثرواته، ففي مرحلة برز دور الشركات الإنجليزية، وفي مرحلة أُخرى جاء دور الشركات الأمريكية، وقبل ذلك كان دور الروس.. كانوا يستغلون البلد وينتهبون ثرواته كما يريدون.

---

(١) حديث قائد الثورة الى جمع من العلماء وأئمة الجمعة، ١٣٦٩/٢/٢٢.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة العاملين في وزارة الأمن، ١٣٦٨/٣/٣٠.

أما عندما وصل الإسلام إلى الحكم فقد قطع نفوذ الأجانب وحال دون المعتدين الناهبين. لا تستطيع القوى الأجنبية أن تستغل هذا الشعب وتنهب ثرواته.. لقد فقدت القوى السياسية الخارجية سلطتها في هذا البلد وأضحى مصير شعبه بيده يفعل ما يريد.

ان القرار اليوم بيد الشعب وممثلي الشعب يعني مجلس الشورى الإسلامي، وهذه الحكومة الخدومة، ورئيس الجمهورية ذي المواصفات الاستثنائية وبقية المسؤولين.. هؤلاء هم الذين يقرّرون ما يريدون بمنتهى القوة، وهم الذين يعملون على رغم إرادة العدو. وهذا كله ببركة الإسلام ففي كل مكان يدخل فيه الإسلام تُقطع أيادي الأعداء والمستغلين، ولهذا السبب يعادون الإسلام[1].



(١) حديث قائد الثورة في تجمع أهالي جهار محال وبختياري في ملعب شهركرد، ١٣٧١/٧/١٥.

الغزو الثقافي الاستعماري للعالم الإسلامي

الوسائل والأدوات

١ـ تحريف تأريخ الإسلام وتشويهه

شهد الغرب وعالم المسيحية بعد القرون الوسطى هجوماً دعائياً واسعاً نال شخصية الرسول الأكرمﷺ فقد أدرك أعداء الإسلام الموتورون ان أحد وسائل مواجهة الإسلام، يتمثل في التعريض بشخصية النبي المكرمﷺ وتشويهها.. لقد بذلوا مساعي كبيرة في هذا المضمار، ولا تزال جهود العدو مستمرة حتى اللحظة ـ وان كان بوسائل مختلفة ـ للنيل من شخصية النبي ومحوها من ذهنية أحرار العالم.

ثَمَّ في العالم اليوم أُناس كثيرون لو قُدِّر لهم ان يتعرفوا على شخصية نبي الإسلام كما يعرفها المسلمون ـ أو حتى أقل من ذلك أيضاً ـ لانجذبوا إلى الإسلام ومعنوياته. بل يكفي لحصول هذه الانعطافة والانجذاب نحو الإسلام إشراقة سريعة من نور شخصية رسول الله في قلوبهم[١].

لقد رأيتم أخيراً انَّ الاستكبار العالمي أراد ان يواجه النمو المعنوي المتزايد للإسلام الذي حصل ببركة الثورة الإسلامية من خلال دفعه لأحد عملائه كي ينال من شخصية الرسول الأكرم والنبي المعظم.. فجاءت الثمرة هذا الكتاب الشيطاني الذي أُلِّف بأمر من شياطين القوة والمال في العالم.

بديهي ان موقف مسلمي العالم جاءَ قاطعاً، وفي مقدمة هؤلاء كان موقف قائد النهضة الإمام الراحل الذي حكم بهدر دم الكاتب وإعدامه[٢].

---

(١) حديث قائد الثورة لضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، ١٩٦٨/٧/٢٤.

(٢) حديث قائد الثورة لضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، ١٩٦٨/٧/٢٤.

استهدف الاستعمار منذ بداية نفوذه إلى آسيا وأفريقيا ان ينال من ماضي الأمة ويشوهه ويقطعها عنه. لقد كان هدف الاستعمار ان يهيمن على الذخائر المادية والإنسانية للبلاد الإسلامية، ويتحكم بشكل مباشر أو غير مباشر بمصير الشعوب الإسلامية.. وتحقيق هدف مثل هذا كان يستلزم بشكل طبيعي ان يسعى الاستعمار إلى هزيمة الشعوب الإسلامية في شخصيتها ومواطن إحساسها بالفخر، والأهم من ذلك ان يقطعها كاملاً عن ماضيها.

وهذه هي المهمة التي ترافقت مع بداية العصر الاستعماري أواخر القرن الميلادي الثامن عشر وظلّت تواكبه بعدئذ.

وطريقة الانسلاخ عن الماضي والانقطاع عنه تمت بدفع هذه الشعوب للتخلّي عن ثقافتها وأخلاقها كي تكون أرضاً مهيّأة لقبول ثقافة الغرب والاستعمار. وقد انطلت هذه الحيلة بيسر على أرضية مناسبة تمثلت بوجود الأنظمة المستبدة والحكومات الفاسدة في العالم الإسلامي، وتحركت العجلة فأخذ موج الثقافة الغربية المهاجمة ينحدر كالسيل، وهو يروّج لفكر الاستعمار وثقافته بين الشعوب الإسلامية. وهذا العمل كان ضرورياً لتثبيت السلطة السياسية والاقتصادية للغرب.

تحوّل العالم الإسلامي اثر ذلك إلى أرض مفتوحة للغرب الناهب الذي مارس سلطته بدءاً من التحكم المباشر حتى استنزاف ثرواته، وتغيير أبجدية الخط وحروف اللغة بل حصل أحياناً وان ألغوا كيان البلد وحوّلوه إلى إقليم محتل كما هو الحال مع البلد الإسلامي فلسطين.

قامت سياسة الاستعمار على أساس الاستهانة بالمكونات الإسلامية والاستخفاف بها في هذه البلاد، وحرموا المسلمين من بركة الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي وحالوا دون تقدمهم علمياً وثقافياً.

ان الناظر إلى حاضر البلاد الإسلامية يلمس إحساسها بعقدة العجز والحقارة التي آلت بها إلى ما هي عليه من ضعف ثقافي واجتماعي واقتصادي وعسكري.. فما عليه البلاد الإسلامية من ضعف روحي ومادي وما تنطوي عليه بنية النظم السياسية تحكي شعوراً بالحقارة والعجز.

وهذه الأوضاع المتردية تعود في أهم عللها إلى غربة هذه الشعوب عن ذاتها وانقطاعها عن ماضيها التأريخي، وعن المجد العظيم الذي يطل من وراء القرون، وهو يمد الإنسان مهما بلغ ضعفه ويأسه بالأمل ويسوقه صوب البذل والحركة.. وذلك المجد العظيم انبثق باسم اللّه وجهاد المخلصين في سبيل اللّه والعاملين بأحكام الإسلام النابضة بالحرية والحياة.. وشُيِّد بنيانه على أساس جهاد المسلمين في صدر الإسلام وتغذّى بما تجرعوه من آلام الغربة في ايام مكة، وعصر الجهاد في المدينة.

لقد تمخض ذلك المجد عن وليد مبارك اسمه «المجتمع الإسلامي» تحول ببركة الجهاد إلى وجود فتي معطاء، استطاع ان يمدّ الإنسانية ويحمل لها مشعل العلم والمعرفة، ويبسط بين ربوعها راية القدرة والسياسة.

لا ريب ان ذلك الجلال انبثق من عظمة الجهاد في مكة والمدينة. واليوم إذ تتحرك الشعوب الإسلامية بعد قرون من الانحطاط والركود والذل في حركة إحياء وقيام للّه تملأ أربعة أركان العالم.. وحيث يفوح من جوانب حركة الاحياء هذه عطر الحرية والاستقلال.. وتلوح في أفق الكثير من البلاد الإسلامية علائم العودة إلى الإسلام والقرآن.. يكون المسلمون أشد حاجة من أي وقت مضى لتحكيم صلتهم بماضيهم المشع بالنور.. بماضٍ مُعجز، انطلاقته بالقيام للّه وبالجهاد الإسلامي في الصدر الأول.

يتبين ممّا ذكرناه دوافع الاستعمار في الماضي وقوى الاستكبار في الحاضر على قطع علاقة المسلمين بماضيهم، وخشيتهم من تواصلهم معه فكرياً وعاطفياً، ومناهضتهم لذلك.

أجل، انَّ مثل هذا الارتباط مع الماضي هو الذي يوجّه الحركة في الحاضر والمستقبل[1].

٢ ـ إشاعة الفساد والانحلال الاجتماعي

مرَّ زمان كان اللوردات الإنجليز يعيّنون معالم الخريطة السياسية للعالم بحركة إصبع يد. فالإنجليز هُم أكثر دول الدنيا معرفةً بالعالم فقد خبروا المعمورة وكان لهم نفوذ من استراليا حتى مناطق آسيا الوسطى، ومن شبه القارة الهندية حتى إيران والشرق الأوسط وشمال أفريقيا ومصر وأمريكا.

تعلم الإنجليز من خبرتهم انَّ هذه المنطقة (الإسلامية) تضم من ذخائر النفط والغاز ما يؤمن مستقبل العالم للطاقة، ولها موقعاً حيوياً من الناحية الجيوبولتيكية بين الشرق والغرب ـ حيث لم تكن قد اخترعت الطائرات ووسائل المواصلات السريعة بعد ـ.

لذلك كان عليهم حتى يؤمنوا وجودهم أن يفكروا في أمر الإسلام، ويحاولوا بأي سبيل تعطيل الوجدان الديني وتغييب الإسلام عن هذه المنطقة. فقد أدركوا ـ وكان تشخيصهم صائباً ـ ان بقاء الوجدان الديني يقظاً واستمرار روح الإيمان الإسلامي نابضاً بين الشعوب يحول بينهم وبين تحقيقهم لمطامعهم.

وعلينا أن ننتبه إلى نقطة، فحينما نتحدَّث عن الإنجليز فلا نريد إغفال دور بقية الدول الأوربية، بل برزت في ساحة الاستعمار أسماء دول من قبيل فرنسا،

---

(١) نداء السيد القائد إلى حجاج بيت الله الحرام، ١٣٧٠/٣/٢٦.

ايطاليا، البرتغال، وبلجيكا، بيدَ أن محور العصر الاستعماري آنئذ كان يتمثل بالإنجليز. ففي حركة الحياة ومسارها السياسي والاجتماعي يبرز في كل عصر دور أمة من الأمم، والدور آنئذ كان للإنجليز الذين مارسوا الاحتلال والاستعمار دون رحمة.

وعندما وصلوا إلى البلاد الإسلامية خططوا لفصل جيل الشباب عن الدين، وقد اختاروا لذلك طريقين سلكوهما:

الطريق الأول: ويتمثل بإشاعة الشهوات وفتح طريق الانحلال. وأديان السماء جميعها تعارض إطلاق عنان الشهوات، وبالأخص الدين الإسلامي الذي ينطوي على نظم أدق من سائر الأديان في هذا المضمار.. فقد وضعت قواعد وضوابط وقيود لكيفية إرضاء الشهوة وإشباعها، وسبب ذلك أن روح الإنسان لا يمكن أن تهذّب إلاّ بتقييد الشهوة.. وإلا لو أطلق الإنسان العنان لشهوته يستحيل إلى بهيمة، وحينئذ لا يمكن أن يتوفر على النمو الإنساني.

يتبيّن من هذه المقدمة انّ الطريق الأسهل لمواجهة الأديان هو ان يطلق عنان الشهوات في المجتمع ـ أي مجتمع ـ وتفتح السبل لممارسة الفساد والانحلال.

هذا هو الطريق الذي سلكوه ونفّذوه.. وقد كان سفور المرأة من أهم مظاهره ومن أبرز ما فعلوه في هذا المجال.. ومن مظاهره الأُخرى إشاعة الإدمان على المسكرات. ثم تحركوا في خط آخر تمثل بتكسير أواصر الحشمة في العلاقة بين المرأة والرجل، وتحريرهما من أي قيد على هذا الصعيد.

التقدم المدني والمخترعات العلمية الجديدة مثل السينما، الراديو وغيرهما ساهم في إشاعة طريق الابتذال والشهوة على أوسع نطاق في المجتمع ويسّر للاستعمار تنفيذ مهمته دون مشقة. وعلينا أن ننتبه إلى انّ هذه الممارسات

تختلف عن مقولة العلم والفكر. هناك من يذهب خطأً إلى أن الذي أشاع الشهوة هو العلم، في حين نجد أن العلم قد نهض بعمل آخر ـ في خدمة الاستعمار ـ على خط آخر سنعرض له في النقطة الآتية.

تبيّن مما مرّ أن الطريق الأول تمثل محتواه بتيار ثقافي محض، أشاع الفساد الفكري والعملي والتحلل الجنسي وروّج الابتذال وفتح الأبواب أمام الناس لولوجه. لذلك لا يمكن القول أن الطبقات المتعلمة هي وحدها التي تعرضت للفساد اثر توالي الحملات الغربية في هذا الاتجاه، في إيران وغيرها، وإنما نجد أن أكثر الطبقات التي غرقت بالفساد في عهد النظام السابق تمثَّلت بالأميين والطبقات المتوسطة في المجتمع.

والذي زاد في حُمّى الفساد هي طبيعة الحياة الاستهلاكية المريحة التي انضمت إلى المخطط السابق لتقوّيه وتعضده في تيار الممارسة الاجتماعية.

الطريق الثاني: وقد تمثّل بالتيار العلمي والفكري. فمع نفوذ الفكر العلمي الجديد إلى البلاد الإسلامية الذي كان يجذب إليه الآخرين ـ إذ في العلم جاذبية بالضرورة ـ تحوّل التقدم العلمي إلى وسيلة لسلخ الناس عن الاعتقاد بالدين، واتخذ ذريعة لإطفاء شعلة الإيمان الديني في النفوس، واستئصال الوجدان الديني[1].

واحدة من وسائل الغزو الثقافي تمثلت في السعي الحثيث لصرف الشباب عن التمسك الصلب (من الصلابة) بالإيمان.. والإيمان هو الذي يحفظ الحضارة. إن الدورة الآن تشبه ما تم في الأندلس قبل قرون حين أغرقوا الشباب بالفساد ومستنقع الشهوة والسكر[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في مجموعة من الطلاب والجامعيين، ١٣٦٩/٩/٢٨.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مع العاملين في الحقل الاعلامي ورؤساء الدوائر التعليمية، ١٣٧١/٥/٢١.

إن الصنم الذي فرضت عبادته في البرهة المعاصرة من تأريخ العالم على الكثير من أبناء البشرية.. ومن بينهم الكثير من المسلمين هو القدرة الأمريكية، هذه القدرة التي تحولت إلى سلطة تقبض بين يديها جميع ما يرتبط بالشؤون الثقافية والسياسية والاقتصادية للمسلمين.. وأخذت تسوق الشعوب ـ بعلم أو بغير علم ـ نحو مصالحها التي تقف في النقطة المقابلة لمصالح المسلمين.

العبادة تعني الطاعة دون نقاش (أي بتسليم)، وهذا ما فرضه الاستكبار وعلى رأسه أمريكا على الشعوب، له، وساقها نحوها بأساليب مختلفة.

ومظاهر الشرك وعبودية الأصنام التي ينفذها الاستكبار وعلى رأسه أمريكا تتضح في أمثلة كثيرة، منها مظاهر الفساد والفحشاء التي تروّج بين الشعوب من قبل الأجهزة الاستعمارية.. إشاعة ثقافة الاستهلاك التي أخذت تستقطب الشعوب إلى مستنقعها بوتيرة متصاعدة يوماً بعد آخر، وهي تعود بأرباح متزايدة على الشركات الغربية التي تُعَد القلب النابض والعقل المحرّك للمعسكر الاستكباري.. ومن مظاهر الشرك وعبودية القوة الأمريكية كصنم هي انبساط السلطة السياسية للغرب الاستكباري من خلال الأنظمة التابعة.. ومنها التواجد العسكري الذي اكتسب شكلاً أوضح بأنواع الذرائع..

هذه وأمثالها هي مظاهر للشرك ولعبودية الأصنام وهي تقف في ضدية كاملة مع النظام التوحيدي، والحياة التوحيدية التي شرَّعها الإسلام للمسلمين[١].

ما دام العدو قد فهم أن هذا الشعب اتحد ببركة الإيمان، وانه عثر على قائد لا يهاب القوى الكبرى أبداً ببركة الإيمان، لذلك صار في حال عداء مع إيماننا وإسلامنا من خلال توظيف الوسائل الدعائية والسياسية، ووصمنا بأوصاف

---

(١) نداء السيد القائد إلى حجاج بيت الله الحرام، ١٣٧٠/٣/٢٦.

يحسب أنها تسيء إلينا في حين نعدّها مجداً لنا، كقولهم عنّا إننا أُصوليون. نحنُ نفخر بعودتنا إلى أُصولنا الإسلامية وههنا يكمن سرّ قوتنا.

لقد تمركزت دعايات الاستكبار العالمي في السنوات الأخيرة للنيل من إيماننا الإسلامي. ولكن شعبنا لن يغضي عن الذين تعرضوا للإسلام والإيمان بأي ضرب من ضروب الإهانة؛ لأن الإسلام هو كل شيء بالنسبة للشعب.

انَّ الإسلام والإيمان الإسلامي هُما رصيد عزنا ونصرنا والإيمان هو الذي يصلح دنيانا وآخرتنا[1].

يسعى العدو للسيطرة على شبابنا وان نفقد هذه الشريحة من خلال إشاعة الثقافة الخاطئة والفساد والفحشاء. والذي يفعله العدو ثقافياً على هذا الصعيد ليس غزواً ثقافياً وحسب، بل ينبغي القول انه هجوم ثقافي مكثف.. انه غارة ثقافية.. انه مجزرة ثقافية.

هذا هو ما يفعله العدو معنا اليوم[2].

صحيح ان الضعف الداخلي لمجتمع من المجتمعات هو الأرضية التي يتحرك عليها هجوم الأعداء، بيد ان الصحيح أيضاً ان العدو هو الذي فرض هذا الضعف على المجتمع السليم بأدواته وإمكاناته، وكذلك ينبغي أن لا نقع في الخطأ في تقويم المسألة[3].

أعداء الشعب الإيراني في سعي دائب لتحريف الرأي العام وسلب شبابنا إيمانهم الإسلامي بواسطة العناصر العميلة والخائنة[4].

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أهالي مجموعة من المدن الإيرانية المختلفة مع سماحته، ١٣٦٨/٤/١٤.

(٢) حديث قائد الثورة إلى قادة كتائب قوات التعبئة الشعبية، ١٣٧١/٤/٢٢.

(٣) حديث قائد الثورة إلى العلماء وطلبة الحوزات وأئمة الجماعة، ١٣٧١/٥/٧.

(٤) حديث قائد الثورة في لقاء مع أبناء الشعب، ١٣٧١/٧/٢٩.

ثَمَّ مؤامرات ضخمة تستهدف الأمة الإسلامية اليوم.. وثمَّ مؤامرة تستهدف شعبنا أيضاً. ان فرض الحصار الاقتصادي علينا هو ضرب من المؤامرة.. وبث الفساد ونشر الفحشاء في مجتمعنا لتوريط شبابنا هو أيضاً نمط من المؤامرة.. وكذلك الأكاذيب التي تبث ضدنا.

إنهم يتآمرون لكي يضربوا وجودنا وكياننا من الأساس حتى تنهار القواعد[1].

تتمثل إحدى وسائل الغزو الثقافي بفك عرى ارتباط الشباب المؤمن بدعائم الإيمان؛ الإيمان الذي يعد عنصر حفظ الحضارة. تماماً كالذي فعلوه بالأندلس قبل قرون حين دفعوا الشباب إلى مستنقع الفساد والشهوة والسكر. هذا هو ما يحصل الآن.

لقد ذكرتُ مراراً أن البعض يعتصره الألم وهو يرى عدداً من النساء في الشارع لا يتمسكن بالحجاب المناسب، ومن الطبيعي أن هذا الأمر سيء ولكنه ليس المنكر الأساسي.. المنكر الأساسي (جذور الفساد والسوء) هو الذي لا ترونه في الشارع (كناية عن الدهاء في الحركة والعمل).

سُئل أحدهم: ماذا تفعل؟ أجاب: أقرع الطبل! سُئل: ولكن لماذا لا يُسمع صوت الطبل؟ أجاب: غداً سيُسمع الصوت! إذا لم يكن الشعب والعناصر الثقافية يقظين ـ لا قدّر اللّه ـ فانَّ أصوات انهيار القيم المعنوية الناتجة عن الهجوم المعادي الخفي والذكي ستُسمع متأخرة عندما لا يكون الأمر قابلاً للعلاج!

ماذا علينا ان نفعل إذا أحكموا حلقة الحصار حول شاب من أهل الجبهة والحرب من شبابنا، إذ يوفروا له جهاز فيديو في الوهلة الأولى، ثم يثيرون

---

(١) حديث قائد الثورة في ملعب تختي في خرم آباد، ١٣٧٠/٥/٣٠.

شهواته من خلال مشاهدة الأفلام الجنسية الخليعة، ثم يجروه إلى مجالس الفحشاء والفساد؟ ليس هناك صعوبة تُذكر في جرّ الشاب إلى الفساد وهو في عنفوان شبابه، بالأخص إذا كان المفسدون يستندون إلى أُطر تنظيمية في ممارسة مهمتهم، وهذا ما يفعله العدو الآن.

لديّ معلومات من مختلف مدن البلاد، إذ تصلني مثل هذه المعلومات بحيث لا يكاد يمرّ يوم إلا وأسمع مثل هذه الوقائع.

مَنْ الذي يفعل ذلك غير العدو؟ عندما تهيمن الشهوة على الشاب يفقد إيمانه.. يبكي في بادئ الأمر.. ولكنهم يدفعوه صوب هذا المنحدر تدريجياً. ان الأعداء يمارسون اليوم عملية إفساد أولادنا في المدارس بهذا الشكل في المدارس الإعدادية، بل حتى في المتوسطة.

يضعون أيديهم على إنسان يقوم بتوزيع المخدرات والصور الخليعة بين التلاميذ داخل المدرسة[1].

تُبذل جهود حثيثة وواسعة في الوقت الحاضر لسوق الجيل الشبابي في المجتمع صوب الرذيلة والفساد الأخلاقي، وهذه الممارسة هي جزء أساسي من أقسام الهجوم الثقافي[2].

أنا لا أعرف ما هذه الثقافة؟! ما هي هذه المصيبة التي عمت العالم من طرف الغربيين؟! الغربيون يريدون أن يُعَمِّموا هذه الثقافة، وهذا النمط من إدراك المصالح والمفاسد البشرية والأخلاق الاجتماعية على العالم أجمع، وعلى الجميع أن يذعنوا للثقافة الغربية هذه ويقبلوها!

---

(١) حديث قائد الثورة إلى العاملين في وسائل الاتصال الجمعي ومسؤولي دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧١/٩/١٩.

إن واحدة من أكبر الجرائم التي تحصل اليوم هي عملية التصدير والتعميم هذه[1].

ثَمَّ حالة من الحساسية (الحصانة والترقب) إزاء أُمور تجري في هذا العالم، ولكن ليس هناك مثل هذه الحساسية إزاء تعرض المرأة للضرب من قبل زوجها. هناك الكثير من الزوجات اللائي يتعرضن للضرب بسهولة من قبل أزواجهن في أوربا وأمريكا، ومع ذلك ليست هناك حساسية كبيرة حيال الظلم الذي يصيب المرأة من الرجل داخل محيط الأُسرة.

تُشير الاحصائيات إلى ان الزوجات والأبناء يتعرضون بسهولة لظلم أزواجهم وآبائهم داخل الأُسر الأمريكية والأوربية، وليس ثَمَّ ضجة كبيرة تُثار حيال هذا الأمر. أما عن حجاب المرأة فهناك حساسية!

فإذا ما خالفت شخصية أو فيلسوف أو نظام أو اتجاه سياسي معين عُريَ المرأة فستثار ضجة من حولهم.. ليس هناك حساسية حيال الكثير من ضروب الفساد والعادات السيئة، ولكن إذا ما اعتمد بلد معين سياسة مضادة لتناول المشروبات الكحولية فستثار من حوله ضجة في العالم، ويُهزأ به ويوصم بالرجعية!

إلى من يعود هذا النمط من الثقافة؟ وما هي البيئة التي تتعاطى عرى المرأة وتناول المسكرات كأعراف سائدة؟ يعود هذا النمط إلى أوربا وهو ناشئ من الثقافة الأوربية القديمة، وقد رسخت هذه التقاليد في مناطق أُخرى من العالم، حتى إذا ما نهض أحد لمعارضتها يكون ـ وكأنه ـ اجترح ذنباً كبيراً[2]!

---

(١) حديث قائد الثورة إلى ممثلي طلبة وفضلاء الحوزة العلمية بمدينة قم، ١٣٦٩/١١/٤.

(٢) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧١/٩/١٩.

٣ ـ إهمال التيار الثوري في الأدب والفن والثقافة

لقد استمر الغزو الثقافي في زمن الحرب بواسطة أدوات الإعلام والخطاب الخاطئ المنحرف، وكان من الطبيعي أن يكون هناك تأثير للرواسب الذهنية والنفسية للناس أنفسهم. بيد أن سخونة الأجواء في ظل الحرب كانت بمثابة الرادع في صدّ الهجوم.

أما بعد انتهاء الحرب فقد راحت هذه الجبهة تمارس نشاطها بشكل أكثر جدية[١].

صارت الأجواء مناسبة للغزو الثقافي بعد انتهاء الحرب. لأن سخونة أجواء الحرب وحماسها وعنفوانها كان يجذب الشاب ويشغله فلا يصغي إلى كلام العدو. ولكن انطفاء هذه الشعلة جعل الأرضية مهيّئة للعدو، ولذلك انطلق بشكل أوسع واستخدم أدوات متعدّدة في هجومه الثقافي الشامل.

عندما أتأمل بسعة أدوات العدو أدرك ان القضية مهمة بالنسبة إليه. كان من وسائلهم إهمال واحتقار الفن والأدب والثقافة الثورية في البلد.

من إنجازات الثورة المهمة أنها ربّت عدداً من العناصر الثقافية والأدبية والفنية.. فنحن لدينا من هؤلاء الأفراد، ولا نشعر الآن بنقص على هذا الصعيد بحمد اللّه. هناك كثير من الشعراء وكتّاب القصة.. وهناك كتّاب يتقنون النص الفارسي بشكل دقيق.

بديهي لم يمر على عمر الثورة أكثر من ثلاث عشرة سنة، ولكم أن تتأملوا بعصورنا الثقافية والتأريخية لتنظروا أية حقبة استطاعت أن تنتج شخصيات من الطراز الأول في غضون ثلاث عشرة سنة. صحيح أن هؤلاء ـ الذين تربوا في

---

(١) حديث قائد الثورة إلى العاملين في وسائل الاتصال الجمعي ومسؤولي دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

أحضان الثورة ـ لم يبلغوا مرتبة شخصيات الطراز الأول وبينهما مسافة، ولكن هناك كثرة من الكفاءات الثورية التي بمقدورها ان تتحوّل إلى مواقع شخصيات الطراز الأول على هذا الصعيد.

لقد عقمت أرضنا في مرحلة الاستبداد أواخر العهد الملكي، فلم تكن أرضنا تينع حقيقة برجال عظام وكتّاب وفنانين كبار بالأخص على صعيد بعض الاختصاصات الفنية. أما الآن فقد تربت بين شبابنا اليافع كفاءات سينمائية جيدة، وممثلون ومخرجون وشعراء وكتّاب قصة جيدون.

لقد حرَّرت الثورة هذه القابليات. وإحدى الممارسات التي استهدفت هذه الطاقات تمثلت بالسعي لإهمال هذه المجموعة المؤمنة وعزلها. ولما كان شبابنا قليل التجربة، فمن الطبيعي أن يتأثر سريعاً ويتباطأ بمجرد أن يشعر بالإهمال أو الاحتقار من قبل اثنين ـ مثلاً ـ من العاملين في أحد الأجهزة الثقافية الرسمية في البلد. وكذلك يشعر بالضعف المعنوي والإحباط إذا ما رأى ان المجلات المسماة أدبية وفنية في البلد تعمد إلى تضخيم الرموز المعارضة وتمجّد بها.

الحالة نفسها تصيب السينمائي الشاب المتدين عندما يدور بفلمه على المراكز المعنية فتلاقيه بالصدود وترفض فلمه، في حين يرى تبنيهم مختلف الأعمال التي تقل فنياً عن مستوى عمله، لأنها تفتقر إلى الرؤية الإسلامية. مثل هذا الشاب سينكفئ تلقائياً ويشعر باليأس والإحباط.

شعرت بالمرارة والأسى مرّات ومن أعماق قلبي لحال هؤلاء الشباب الثوري المؤمن المتحرق. فلماذا يُهمل هؤلاء الشباب ولا يُعبأ بهم مع ان كفاءاتهم لا تقل ـ ان لم تزد في الكثير من الأمور ـ عن أولئك الذين يذكرون كفنّانين؟ عندما يدقق الإنسان بالأمر على نحوٍ صحيح يجد أن جذر هذه الحالة من الإهمال وعدم الاعتناء يعود إلى إرادة خبيثة تكمن في نقطة معينة لم يتوجه

لـها أحـد حتـى المسؤولون أنفسـهم. انّ المعنيين عن شـأننا الثقـافي هُـم رجـال جيدون، بيد أنهم لا يعتنون بالأعمال التي تنجز في المستويات المتوسطة.

من الوسائل الأخرى التي تستخدم لعزل الطاقات المؤمنة ـ أحسّ أن هذه من الآلام الصامتة التي يودّ الإنسان ان يفهمها الناس جميعاً بوضوح ـ هو إهمال الأفلام أو الأعمال الفنية الإيرانية التي تطرح في المحافل العالمية (المقصود بها الآثار التـي تنطوي على الروح الثوريـة)، فهـذه المحافـل تبـدو غير مسيسـة فـي الظاهر بيد أن باطن الأمور شيء آخر.

لقد رأيتم سلوك المنظمات العالمية وما تفعله؛ رأيتم موقف مجلس الأمن من قضية البوسنة والهرسك، وما فعلته منظمة «ايكاو» في قضية الطائرة الإيرانية التي أسقطتها أمريكا!

هـل ينُم هـذا السلوك عن الحيـاد؟ وهـل تعد هـذه المنظمـات غير سياسية حقاً؟!

تفعل المراكز العلمية الشيء نفسه مع أفلامنا ومعروضـاتنا الفنيـة.. وما ينتجه أطفالنـا. وعندئـذ كيـف يستطيع الإنسـان أن يتغافـل هـذا الواقـع ويقـول إن هـذه المنظمات غير سياسية؟ لماذا لم تمنح أية جائزة من جوائزهم لعمل فني ثوري؟ هل نفتقد إلى الفلم الثوري؟ أم إلى الشعر الثوري؟ أم أن أياً من هـذه الآثار لا يتسم بقيمة فنية؟

أحتمـل ان هـذه المراكـز والمؤسسـات والمجـامع تمـنح حتـى جـائزة نوبـل لواحدٍ ممّن يُسمّون بالعناصر الثقافيـة المعاديـة للإسـلام والثورة لكـي يحيطـوا أولئك ـ أعداء الإسلام والثورة ـ بهالة من التضخيم، ويُمعنوا في إهمال العناصر الثورية وإبعادها. أليس هذا غزواً ثقافياً؟!"[1].

---

(١) حديث قائد الثورة إلى العاملين في وسائل الاتصـال الجمعي ومسؤولي دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

٤ ـ الاستغلال السيئ لأجهزة الاتصال المتطورة

لقد تكالب أعداء الإسلام.. القوى الكبرى.. المستكبرون.. الدنيويون على الإسلام والمسلمين طوال سنوات متمادية. استخدموا جميع الوسائل لتدمير الإسلام.. فكم أنفقوا من الأموال.. وكم وضعوا من الخطط، وما أشدّ الضربات التي انزلوها بالشعوب الإسلامية طوال سنوات الاستعمار؟!

في عصر غُربة مثل هذا.. انبثقت ثورتنا.. واطلَّ إمامنا القائد، وطلع شعبنا العظيم على العالم[1].

أعداء الإسلام مجهزون اليوم أكثر من أي وقت مضى من التأريخ، والأجهزة التي بيد الأعداء الآن لم تكن بأيديهم في أي عصر من عصور التأريخ السالفة.

إذا أردنا أن نعود إلى مثال من التأريخ؛ تحديداً إلى تأريخ الصدر الأول من الإسلام حيث اجتمعت كلمة الخلفاء الظالمين الغاصبين على إيذاء شخصية أمير المؤمنين عليه السلام والنيل منه في وسط المجتمع الإسلامي، والتعريض بالإسلام والخط القرآني الصحيح، فماذا كان بوسعهم أن يفعلوا لتحقيق ذلك؟ كان عليهم أن يبعثوا رجالهم إلى أقصى مناطق العالم الإسلامي، وكان على هؤلاء المبعوثين أن يجمعوا الناس من حولهم ويخطبوا فيهم بما يبتغيه حكام الجور آنئذ.

وهذه ممارسة صعبة وهم وان فعلوها إلا أنهم لم يحققوا نجاحاً كبيراً.

أمّا الآن فانّ الصورة تختلف بالكامل، فمنذ نصف قرن بلغت التقنية الإعلامية ـ الدعائية حداً مذهلاً من التقدم لذلك أضحت الطريق سهلة أمام أعداء الإسلام، لو أرادوا أن يمارسوا عملاً دعائياً ضدّ الإسلام ـ وهم يريدون ذلك ـ لم يكن ذلك صعباً. فما كان يحتاج في السنوات السابقة إلى جهود

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء عوائل شهداء خرم آباد، ١٣٧٠/٥/٣٠.

سنوات يتم الآن بساعات. بمقدورهم ان ينتجوا فلماً ضدَّ الإسلام ويبثوه عبر الشبكات العالمية.. وكل من يرى الفلم وهو لا يعرف عن الإسلام شيئاً، يأخذ عنه انطباعاً سلبياً.

ليس هذا وحده، بل تعمل ضدَّ الإسلام اليوم وعلى نطاق عالمي شبكة من أجهزة الإرسال الإذاعي.. الوكالات الخبرية.. إذ هي تعمل ضدّ الإسلام وقيمه بشكل مستدام.

وهذا مجرد مثال على طبيعة التقدم التقني في الأدوات التي يستغلها أعداء الإسلام.

وحين تكون الفوارق شاسعة بين آليات أعداء الإسلام في الحاضر وأدواتهم وإمكاناتهم في الماضي، فإن جهاد أمة تتصدى للدفاع الشجاع عن الإسلام في مثل هذه الأوضاع، وتندفع دون خوف أو تهيّب لتتخطى حدود التضحية إلى عالم الشهادة؛ ان جهاداً مثل هذا وما تقدّمه من تضحيات الشهداء في هذا الطريق لهو أكثر قيمة مما جرى في التأريخ[1].

٥ ـ إقصاء الإسلام سياسيا واجتماعيا وعزله عن المسلمين

عندما تكون الثقافة الوطنية هي الركن الأساس في الدفاع عن حيثية المجتمع، فإنها تكون هي المستهدفة بالدرجة الأولى. فلو أراد العدو أن يهجم على قلعة مستحكمة، فإن أول ما يفكر به هو النيل من أركانها وقواعدها لكي تتداعى الجدران.. فهو أولاً يضرب على كلّ ما يؤدي إلى ضعف الجدران.. ويمكن أن تكون الخطوة الأولى للعدو هو أن يجعل أهل القلعة في غفلة يغطون بنوم عميق.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء عوائل شهداء مدن مختلفة، ١٣٦٨/٦/٢٤.

لقد ذكر سعدي في «كلستان» من كتابه أن مجموعة من السّراق أرادت ان تغير على جماعة لتسرقها، فدسّت أولاً بينهم رجلاً دفعهم للغفلة والنوم، ثم جاء العدو الخارجي فقيد أيديهم ونهب أموالهم.

الغزو الثقافي يخضع لمثل هذه المنهجية، فهو يدفعهم أولاً للغفلة وان يغطّوا بنوم عميق، ثم يأتي الدور بعد ذلك لسلبهم كلّ شيء[1].

لازال أعداء الإسلام يقظين وهم لم ييأسوا بعد من إنزال الضربة به. وما تهدف إليه كبرى السياسات العالمية هو إقصاء الإسلام وإبعاد الشعوب عن الشعارات الإسلامية التي تنطوي على جاذبية عالية بالنسبة إليها.

مازالت الشياطين والشيطان الأكبر أمريكا بصدد التفكير بإنزال ضربة بالإسلام والمسلمين.. وفي كل بقعة يتواجد فيها أعداء الإسلام، ينبغي استشعار الخطر على هذا الدين[2].

يتحرك الجهد الدعائي العالمي اليوم للايحاء بأن عصر الحركات الأُصولية ومن بينها حركة الاحياء الإسلامي قد انتهى .. يريدون ان يلقوا ـ في وعي الناس ـ بأن عصر الحركة الإسلامية والأهداف المستمدة من الدين قد ولى وأصبح جزءاً من الماضي.. وحتى وقائع انهيار المعسكر الشيوعي حملوها على هذا المعنى، في حين انّ القضية كانت تتحرك في مسار آخر له أسبابه الخاصة، ولا علاقة لانهيار الاتحاد السوفيتي بالأصولية.

والذي نراه هو عكس إيحاءاتهم تماماً؛ فالاتجاه الإسلامي يتنامى في العالم يوماً بعد آخر، وأي مكان يحتضن المسلمين تراه يترافق مع الحركة.. إلاّ ان

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء مع العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء الدوائر التعليمية، ١٣٧١/٥/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقاء مجموعة من الأسرى العائدين إلى الوطن، ١٣٦٩/٥/٢٩.

أشكال هذه الحركة تختلف، فقد تظهر على المستوى الثقافي تارة.. وعلى مستوى العمل السياسي الهادئ تارة أُخرى، في حين تعبّر عن نفسها في مستوى ثالث بشكل عنيف ومتحرك.

يمكن تلمس الاتجاه الإسلامي في اندونيسيا.. ماليزيا.. شبه القارة الهندية (مسألة كشمير).. وفي تركيا رغم أنها عاشت دهراً طويلاً من حياتها في مواجهة الدين.. وفي أفريقيا وشمالها.. وفي أوربا حيث تتواجد الأقليات.

والسؤال، ما هي بواعث هذه الحركة الإسلامية الناشئة؟ يحتاج الجواب عليه إلى دراسة مفصلة. والذي نراه ان اليقظة الإسلامية ليست وليدة زماننا هذا، بل هي تتصل بجذور أعمق تعود بداياتها إلى مائة وخمسين سنة مضت. بديهي ان الحركة في الماضي لم تكن كما هي عليه الآن من حيث التجدّد واليقظة.

فحركة الاحياء إذن هي مسار مُتجذّر عميق[1].

كان نهج المتسلطين الدوليين ولا يزال يرمي إلى عزل مراكز العلم الديني، ودفعها نحو الجمود والركود والانفعال بحيث تغدو تابعة له، خالية من الأهداف الكبيرة.

إنّهم يعتقدون بفصل الدين عن السياسة، ويجهدون لإشاعة اليأس من قدرة الدين على مواكبة التحولات العالمية المدهشة[2].

عمد الأعداء في إطار خطة معدّة سلفاً إلى عزل الدين في البلاد الإسلامية عن ساحة الحياة، وحققوا بذلك عملياً شعار فصل الدين عن السياسة. وقد كان

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه سفراء الجمهورية الإسلامية والعاملين في السلك الدبلوماسي، ١٣٧١/٥/١٩.

(٢) كلمة قائد الثورة إلى جماعة مدرسي الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة بمناسبة تأسيس لجنة التخطيط الحوزوي، ١٣٧١/٨/٢٤.

من تبعات ذلك ان يحوّل التقدم العلمي الغربي هذه البلدان إلى توابع للدول الصناعية، في حين أضحى المصير السياسي والاقتصادي بيد الناهبين الغربيين لمدة طويلة، وعاد ذلك بخسائر لا تجبر على هذه البلدان.

فلا تزال أغلبية البلدان الإسلامية اليوم تعيش التخلف والحيرة، رغم مرور عشرات السنين، حين استطاعت الشركات الغربية ان تستغل ثروات هذه البلاد وتملأ جيوبها من أموالها.

ما تزال تلك البلاد الإسلامية بحاجة إلى صناعة الغرب وعلمه وبضائعه، ولا تزال مهمّشة في عالم السياسة، تابعة إلى المدار الغربي. هذا في الواقع هو الخسران العظيم الذي حلَّ ببلاد المسلمين منذ اليوم الأول إثر عدم الاهتمام بالأصل الأساس للإسلام المتمثل بالتوحيد.

والمعادلة التي تحكم العالم الإسلامي اليوم ان البلاد الإسلامية تنحدر بمرور الزمان في سلّم التخلف ويزداد عجزها وتبعيتها، وتتضاءل قدرتها على المبادرة والابتكار كلما اطّرد التقدم وتكامل العلم وأضحت الدول (الغربية) أكثر قدرة وأفضل تجهيزاً، هي إذن علاقة عكسية بين التقدم في العالم الآخر وبين تخلف البلاد الإسلامية.

وسبيل العلاج أن يؤوب المسلمون إلى الإسلام الذي يتجلى فيه التوحيد ونفي عبودية غير اللّه بأنصع صورة، وان يبحثوا عن عزتهم وقدرتهم (الضائعة) فيه.

وهذا السبيل هو الذي يخشاه أعداء المسلمين والمخططون ضدَّ الإسلام، ويحاولوا ان يزرعوه بعقبات حادة[١].

---

(١) بيان قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره) ، ١٠/٣/١٣٦٩.

بديهي انّ نغمة فصل الدين عن السياسة هي من صنع الأعداء الذين ذاقوا الضربات الموجعة من الإسلام الحي النابض. لذلك تحرك أولئك لإقصاء الدين عن ساحة الحياة ليخلو لهم الجو ويتسنى لهم ان يمسكوا بالشؤون الدنيوية للناس، ويتحكموا بمصير الإنسان.

بيدَ ان الذي يبعث على الأسف والأسى ان يردّد هذه المقولة مَن هم محسوبون على الدين، ويتزيّون بزيّ علماء الدين، إذ راحوا يكرّرون هذه المقولة ويبذلون جهدهم في ترويجها...

أجل انه «الإسلام الأمريكي» هو الذي يسعى لعزل الناس عن السياسة وفصلهم عن الوعي والبحث، ويبعدهم عن العمل السياسي. أما الإسلام المحمّدي فهو ينظر إلى السياسة على أنّها جزء لا ينفك من الدين، ويحث المسلمين جميعهم على الوعي السياسي ويدفعهم لممارسة العمل السياسي[1].

الدعاية الاستكبارية ضدّ الإسلام هي جزء من حملة صليبية جديدة، توحي بانّ الإسلام عاجز عن تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية للشعوب الإسلامية، وتلقي في روعهم انّ الطريق الوحيد الباقي أمام المسلمين اقتفاء نظم (الحضارة) الغربية في الحياة، واعتماد معاييرها ونموذجها في الدولة.

وهذه وسيلة تنطوي على الكذب والخديعة ورُوّج لها سنوات متمادية، وأريد منها جرّ البلاد الإسلامية إلى التبعية للمعسكر الاستكباري الغربي واستغلال ثرواتها المادية ونهبها[2].

مواجهة القوى الاستكبارية للإسلام لا تقتصر على مجابهتها لإيران وشعبها وللنظام الجمهوري الإسلامي، بل هي تمتد إلى دائرة أوسع وتعتمد وسائل متعدّدة سياسية ودعائية وثقافية، وتنشط على هذه الصُعد بشكل جاد. من أوجه

---

(١) نداء قائد الثورة إلى حجاج بيت الله الحرام، ١٣٦٨/٤/١٤.

(٢) نداء قائد الثورة إلى حجاج بيت الله الحرام، ١٣٧١/٣/١٣.

هذه المواجهة هي سياسة التشدّد التي تمارسها الأنظمة التابعة لأمريكا من خلال ما تقوم به من ضغط على العلماء والمثقفين المسلمين والأحرار في البلاد الإسلامية.. ومن أوجهها أيضاً الضغوط التي تفرض على الأقليات والجاليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية.

هذان مثالان ـ من أمثلة كثيرة ـ لمواجهة الإسلام سياسياً.

أمّا المواجهة على الخط الثقافي، فمن أمثلتها إصدار الكتب والمقالات التي تعرّض بالإسلام، وإنتاج الأفلام التي تحمل الإهانة لهذا الدين، وإشاعتها في الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية.

تنفق الدول الاستكبارية كأمريكا وبريطانيا اليوم أموالاً طائلة لتغذية هذه السياسة المعادية وتقويتها. والذي يبعث على الأسف ان يضع بعض حملة الأقلام والفنانين أقلامهم وقدراتهم البيانية وفنونهم في خدمة أولئك لتحقيق مكاسب مادية، متجاوزين ضميرهم الأدبي ووجدانهم الفني[1].

٦ ـ تشويه صورة الثورة الإسلامية

مع انتصار الثورة الإسلامية انبثقت حركة لم تنته بنهاية الحرب، ولم تتوقف بوفاة الإمام ـ رضوان اللّه عليه ـ كما أنها لا تنتهي بوقوع الحوادث المختلفة، هذه الحركة ما زالت مستمرة ونحن بعد في وسط الطريق. وإذا أراد اللّه (سبحانه) فسنرى وقائع ومراحل مختلفة وسنشهد أشياء كبيرة تقع في المستقبل.

التأريخ في طور التحوّل، وأنا وأنتم نعاصر إحدى المنعطفات المهمة في حركة التأريخ والمنعطفات تطوى في سنوات متمادية. ولكن يحصل في حركة التأريخ أحياناً ان عمر جيل كامل أو جيلين يكون معادلاً للحظة واحدة (كناية

---

(١) نداء قائد الثورة إلى حجاج بيت اللّه الحرام، ١٣٦٨/٤/١٤.

عن سرعة التحولات التأريخية) ونحن اليوم نعاصر أحد أهم هذه المنعطفات الأساسية ونعيش في نقطة التغيّر.

إذا أردنا ان نعود القهقرى إلى عصر النبي الأكرمﷺ لرأينا ذلك العصر قد شهد مثيلاً لهذه التحولات الأساسية والسريعة، وذلك برغم انَّ الذين كانوا يعيشون الحدث عن قرب ويتماشون معه، لم يكونوا يدركوا ـ باستثناء ثلة من الأذكياء ـ قيمة أعمالهم وآثارها والطبيعة التي تكتنفها هذه الأعمال. ولكن بمقدوركم اليوم ان تدركوا جيداً طبيعة الحركة التي أنجزت في عصر صدر الإسلام، وجوهر الملحمة التأريخية التي كانت تُصنع.

بديهي، هذا الكلام لا يعني مقارنة ما يجري في العصور الأخرى، مع ما كان قد جرى في العصر النبوي الوضّاء. وانما يعنينا ان نؤكد اننا اليوم صنّاع مرحلة تحوّل في التأريخ، بل من الأحسن أن نقول انَّ العالم اليوم على مشارف تحوّل ومنعطف تأريخي كالذي حصل في ذلك العصر.

المعاصرون لتلك المرحلة لم يكونوا يصدقون عمق التحوّل وأهميته، وعليكم ان لا تظنّوا بأنَّ القوى المتسلطة على العالم آنئذ كانت ترى نفسها وقوتها، بأقل مما ترى أمريكا نفسها اليوم. أبداً، كانت تلك القوى تعيش الإحساس بالقوة كما تعيشها القوى المعاصرة.

انتبهوا إلى طبيعة تعامل أولئك مع الأنبياء.. ماذا كانوا يقولون لهم.. وانظروا مقدار الاحتقار الذي كانت تحمله تلك الحضارات (البائدة) لمن يبشر بدعوة تختلف مع أهوائهم وانحرافاتهم.

الآيات الكريمة الآتية تحدثنا عن مثلٍ لما جرى لثلاثة من الرسل بعثوا إلى أهل أنطاكية. يقول تعالى: ﴿وَاضرِبْ هم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[1] لم تكن الرسالة

---

(١) يس الآية: ١٣ - ١٤.

التي يحلمها الخطاب النبوي موجهة لأُناس مستضعفين من سكّان الجبال أو أهل الغارات بل كان مخاطب الرُسُل الكرام الإمبراطورية الرومية بكل أبهتها وجلالها ومالها من آثار تأريخية عظيمة. قالت رسل اللّه لهؤلاء: ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ . وهذه تُعدّ كلمة في البيان القرآني المبني على الإيجاز، بيدَ انَّ المهمة لم تكن بهذه البساطة أي انَّ رسل اللّه الثلاثة لم يجمعوا أهل أنطاكية ويخطبوهم في مكان واحد، يقول اللّه تعالى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ . نستطيع ان ننعطف إلى مثال معاصر يقرّب الصورة فقد حمل إمامنا العزيز خلال عشر سنوات رسالة الإنقاذ ذاتها إلى البشرية، خاطب الإنسانية: أيتها البشرية الغافلة! أيّها الإنسان المغلول بأسر عدد من الاستقطابات السياسية والصناعية في العالم! أيتها الشعوب المستضعفة المحتقرة! جئنا نتحدّث إليك، نحمل لك كلمة الحق ورسالة الإنقاذ.

لقد دأب الإمام الخميني الراحل(قدس سره) على قولها عشر سنوات: ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ . وربما كان أنبياء اللّه قد بلّغوا كلمتهم هذه طوال مدة.

ولكن ماذا كان الجواب؟ ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾[1] كلمات استهانة وتكذيب واجهوا بها رسل اللّه.. ما هي رسالتكم، وما هو الجديد الذي تحملوه للبشرية؟ إنكم كبقية خلق اللّه، ليس لكم خصوصية ولا لكلامكم وقد قلتم الذي قلتموه من عندكم!

النغمة تلك التي نكلم بها أولئك تعود بما يقوله الآن أصحاب الرساميل الماديون، كما يتقوّلها حملة راية الدفاع عن الشعوب .. كلامهم نفس الكلام؛ ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[2].

---

(١) يس الآية: ١٥.

(٢) البقرة الآية: ١١٨.

أجاب أنبياء اللّه: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۞ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[1].

قالت رسل اللّه: ارجعوا إلى ضمائركم.. إلى أديانكم.. إلى علمائكم الصالحين إن وجدوا.. نريد أن نبث إليكم كلمة الهدى التي نحملها.. نحمل إليكم رسالة.. لنا معكم كلام، لا ينبغي ان ندور أطراف العالم، إنما نريد أن نخلق الدافع لديكم.

ان تصدير فكر الثورة وثقافتها هو الشيء الذي يخشاه العدو ويخاف منه أكثر من أي شيء آخر. وكلما تحدّث الطرف الأول عن البلاغ المبين تتنمر الجبهة المقابلة وتتجاوز هذه المرّة مستوى الردع بالكلام التافه إلى الردع بالأذى وإنزال العذاب.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]. لم يقتصر الموقف المعادي لجبهة الأنبياء على الضحك وإثارة السخرية، بل اصطفت القوى المعادية وتلاقت في جبهة واحدة.. توعدوا الرسل الكرام ان يكفوا عن رسالة الهدى التي يحملونها.. فرسالتهم كما يزعم أولئك هي بضرر البشرية، وعليهم ان ينفضوا أيديهم عن تبليغها وإلاّ سيكون العذاب الأليم بانتظارهم.

لم يترك رسل اللّه الساحة، بل واجهوا الموقف، ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[3].

هذه قاعدة مطّردة كانت وما تزال وستبقى فقد وقف طلاب الدنيا وأهلها في مواجهة حركة النبوة، وواجهوا الأنبياء بقسوة وعاملوهم بعنف.. بقلوب

---

(١) يس الآية: ١٦ - ١٧.

(٢) يس الآية: ١٨.

(٣) يس الآية: ١٩.

باردة. ولكن كانت الهزيمة في نهاية المآل هي من نصيب الجبهة المستكبرة دائماً وفي جميع المواطن.

التأريخ يتكامل يوماً بعد آخر، وهذا هو التفسير الإلهي للتاريخ ولتكامل التاريخ.

الماركسيون الغافلون الذين بلعوا الطعم ومرروا على أنفسهم الفهم المنحرف، فعادوا يفسرون التكامل على أساس التعقيد، فذهبوا إلى انّ المجتمع المتكامل هو المجتمع المعقد. فكلما كانت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتقدم التكنولوجي (وسائل الإنتاج) أكثر تعقيداً كلما أضحى المجتمع أكثر تكاملاً.

في حين يعني التكامل ـ في رؤيتنا ـ الإدراك الأفضل للمفاهيم العالية، وانتشار الأخلاق العالية على مدى أوسع، بحيث يخطو ـ الإنسان والمجتمع ـ خطوة إلى الأمام نحو المعرفة الصحيحة.

لقد تقدمت البشرية تدريجياً على هذا المسار إلى ان بلغت عصر نبوة النبي الخاتمﷺ ولا زالت تتحرك في هذا الاتجاه.

هل يمكن للعالم ان يبقى في الجهل؟ وهل يمكن أن تمكث الأكثرية الغالبة من بني الإنسان في الخبائث، وتكون بخدمة عتاة العصر وجبابرته مع أكثر الأدوات البشرية تقدماً؟ هل يمكن ان يستمر الحال على ما هو عليه؟

إنّنا نعيش على مشارف منعطف وسنتقدم إلى الأمام، ولكن لذلك شرطه المتمثل بحاجة جبهة الحق إلى الثبات واليقظة والمقاومة، وان نخرج من دائرة مَنّ الآخرين أي نخرج من التبعية، وهذه النقطة التي كان دائماً ما يؤكد عليها الإمام الراحل.

المجتمع الثوري الذي يقوم على أساس الحق هو المجتمع الذي يستطيع ان يوفّر جماعة لا تقيم وزناً لزخارف الدنيا وبهارجها. وإذا توفرت لنا مثل هذه الجماعة فإن التقدم أمر حتمي.

وبديهي انّ هذا السير لا يكون إلا بتحمل المشاق ولا ريب أن ثمة قيمة للمشاق التي يتحملها الإنسان إذا كان نتيجة ذلك تقدم البشرية وتحركها خطوة إلى الأمام.

إنّه الهدف نفسه الذي استشهد من أجله الإمام الحسين بن علي‏ﷺ، ألم يكن بمقدور الإمام الحسين أن يؤثر السلامة ببقائه جالساً في داره؟[1].

نهضت الثورة الإسلامية في إيران على أساس الإسلام وقامت على أساس أُصول الشريعة والإسلام المحمدي. لذلك لا يمكن أن تحبس داخل الحدود وأن تكون خاصة بشعب أو بقومية معينة. وفي المقابل ليست المسألة انّ الشعب الإيراني أو المسؤولين في البلد، يبغون تصدير ثورتهم بالوسائل العادية. وإنّما المسألة تكمن في موقع آخر، فحينما يلتقي المسلمون مع فكر إسلامي وإلهي، ومع رؤية جديدة تنطوي على ادارك صحيح للإسلام، فإنّ فضاء العالم الإسلامي سيمتلأ بهذه الرؤية وتعم فائدتها الجميع بحيث يستفيد منها الجميع في كل المواقع كل بحسب إدراكه ومؤهلاته.

أمّا ما تبثه الأجهزة الدعائية الاستكبارية من سموم ضدّ الثورة فهو ينطلق عادة من قبل أيادي الصهيونية والاستكبار، ولايمكن ان ننتظر من هؤلاء غير ذلك. وسبب ذلك ان مرتكزات الإعلام عند أُولئك تقوم على أساس الخداع والتزوير والكذب.

---

(١) كلمة قائد الثورة في لقائه مع قادة حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧٠/٦/٢٧.

حدّة الرؤية إذن والعوامل الأخرى المشار إليها والفكر الصحيح الحر الموقظ المنبثق عنها والذي يستند إلى الإسلام، هي التي تفسّر لنا وجود المتعاطفين مع الثورة وفكرها والولهين بهما في جميع آفاق العالم الإسلامي.

هل غادر أحد إيران وذهب إلى البلدان الأوربية أو الأفريقية أو إلى أقاصي أطراف آسيا لكي يتحدّث عن فضائل الإمام الخميني ويدعو إليه هناك، أو يبشر بفكر الثورة ويروّج له بالترغيب أو بالترهيب حتى يمكن ان يكون ذلك سبباً في حركة التعاطف العظيمة التي أحاطت الإمام في حياته المباركة، وتفاعلت معه في مراسم العزاء بعد وفاته؟

الأمة الإسلامية واحدة وهي منسجمة فيما بينها. طبيعي ان الاستكبار لا يرغب بحالة الانسجام إلا أنها موجودة.

حينما نتحدَّث عن الإسلام وعن أُصول الثورة الإسلامية وأهدافها فانَّ مخاطبينا في ذلك هم مسلمو العالم جميعاً، وعندما نتحدّث عن مواجهة الاستكبار العالمي والقوى الناهبة في العالم فانَّ خطابنا ينصرف إلى جميع مستضعفي العالم.

هذه هي طبيعة رسالتنا، وهذا هو ما يعنيه الإسلام.

لقد أدرك الاستكبار هذا الأمر جيداً، وما يحمله لنا من العداء ولثورتنا وإمامنا يعود إلى هذا السبب. ولكن هذا هو الواقع الموجود، وهي غير قابلة للتفكيك[1] (أي تفكيك وحدة الخطاب إلى المسلمين والمستضعفين والرسالة التي تحملها الثورة على هذا الصعيد).

نهض مشروع الثورة الإسلامية بابراز نموذج جديد للحياة بالنسبة للمجتمعات والبلدان، وسيبقى هذا النموذج جديداً لسنوات متمادية. وإذا

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة الحوزات العلمية، ١٣٦٨/٤/٩.

استطعنا ان نعمل جيداً ربما امتد هذا النموذج ليكون مثالاً للمجتمعات البشرية على مدار قرون، والاستكبار يخشى هذه المسألة ويخاف منها.. وتخشاها أيضاً الشركات العالمية الناهبة للنفط والرأسماليون المستغلون.

انهم لا يخافون شيئاً عليه اسم الإسلام ولا يخالفونه إذا لم يهدّد منافعهم؛ فمن يخالف إسلاماً لا ينفي الظلم ولا يقف بوجه التميز والقوى الشيطانية؟!

إنّهم يعارضون إسلام «لا إله إلاّ اللّه».. الإسلام الذي يقف إلى صفّ الناس ويحامي عن الإنسانية ويواجه الظلم والتجبّر والطغيان[١].

٧ ـ الحيلولة دون تصدير الثورة الإسلامية

إنّ تصدير الثورة بمعنى تصدير القيم الثورية هو من واجبنا. وإذا لم نفعل ذلك فنحن مقصرون.. وتصدير الثورة بمعنى فضح المستبدين وظلام العالم هو تكليف إلهي علينا ينبغي ان نعمل به.

لقد أثبتت الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني وإمامنا العزيز الذي تصاغرت الدنيا أمام عظمته، كم هي صغيرة القوى العالمية التي تكاتفت بأجمعها في مواجهتنا للتأثير على عزم الإمام وإرادته الصلبة التي هي من إرادة الأمة.

هذا هو طريقنا[٢].

لا يعنينا ان نحرّك الشعوب الأخرى. نحن نرفع شعار الإسلام ونحمل رايته. وطبيعي ان تجتمع تحت لواء هذه الراية تلك القلوب المتأججة بشعلة الإسلام.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مع مجموعة من الأسرى العائدين إلى الوطن وعدد من مسؤولي وزارة التربية والتعليم، ١٣٦٩/٦/٧.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أبناء مدينتي قم ورفسنجان، ١٣٦٨/٦/١٩.

هل ذهبنا إلى البوسنة والهرسك حتى نمارس الدعاية للجمهورية الإسلامية؟ لاحظوا كم هي عزيزة راية الجمهورية الإسلامية في ذلك الإقليم.

لاشكّ ان اسم شعب إيران يكون عزيزاً ومحترماً في أي مكان يمارس فيه شعب من الشعوب نهضته باسم الإسلام وينفتح عليه[1].

كم دخلت الأجهزة الدعائية العالمية في حرب عنيدة مع مقولة الإمام الفقيد: إننا سنصدّر ثورتنا إلى جميع العالم في حين انّ تصدير الثورة لم يكن يعني اننا ننهض من أماكننا ونذهب إلى هذا الجانب من العالم أو ذاك فنثير الحروب ونحرّك الشعوب ونفجّر الثورات. أبداً، لم يكن الإمام يقصد هذا. وهذا الفهم لتصدير الثورة ليس فقط لا يمثّل جزءاً من سياستنا وأصولنا، بل هو مرفوض أيضاً. بيد أنهم أوّلوا معنى تصدير الثورة وصرفوه إلى المعنى المذكور، ثم دخلوا في صراع مرير ضدّه.

معنى تصدير الثورة هو ان تنظر شعوب العالم إلى تجربة أُمّة استطاعت أن تنهض بالاتكال على الله وبالاعتماد على نفسها وبعزمها وان تقف على قدميها ولا تستسلم. فإذا نظرت شعوب العالم إلى أمة مثل هذه ستتعزز ثقتها بقدرتها على إنقاذ نفسها من الظلم وتندفع لذلك، وهذا هو ما حصل.

لكم اليوم ان تلاحظوا ان حركات المسلمين نهضت في تلك البقاع التي كان المسلمون فيها تحت الضغط لسنوات متمادية، سواء في كشمير أو في البلاد الأخرى. بديهي انّ التحرك الإسلامي في هذه البلدان سيناله المزيد من الظلم والضغط وقد أصابهم ذلك، ولكن الضغط لا يعني استئصال ثمار هذه الحركة. ومرد ذلك ان الضغوط لوحدها لا تقوى على إيقاف حركة مستدامة

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة قوات التعبئة الشعبية في أرجاء البلد، ١٣٧١/٨/٢٧.

توكلت على اللّه، بل قد تقود الضغوط أحياناً إلى نمو الحركة واطّرادها على مساحة أوسع[1].

أثارت الدعاية العالمية ضجيجاً حيال شيوع ثقافة الثورة الإسلامية، وقد هاجموا هذا المنحى على أساس كونه عنواناً دالاً على تصدير الثورة بالمعنى الخطأ الذي تصوروه لتصدير الثورة.

فقد قام نشاط جميع أجهزة الدعاية في أنحاء العالم لسنوات على أساس مقولة انَّ الجمهورية الإسلامية هي بصدد تصدير الثورة. والمكر الخبيث الذي استبطنه عملهم في هذا المجال انهم جعلوا معنى تصدير الثورة يتداعى مع معان من قبيل تصدير المواد المتفجرة، بث الاضطرابات في أرجاء العالم وما شابه ذلك! وقد كان ذلك مكراً خبيثاً سيئاً كبقية ضروب المكر الذي تمارسه الدعاية الغربية.

ان تصدير الثورة يعني تصدير ثقافة بناء الإنسان الإسلامي.. ويعني تصدير (بث) المحبة والمودة والصفاء.. ويعني أيضاً الثبات على القيم الإنسانية وهذه أعمال ووظائف نفتخر بها. هذا طريق الأنبياء وعلينا ان نواصل هذا الطريق.

لا يخجل العالم الغربي وأصحاب الثقافة الغربية الفاسدة من إشاعة ثقافة الفساد والفحشاء والرذيلة والإدمان وضروب أخرى من الرذائل المظلمة وتصديرها إلى جميع أنحاء العالم. انَّ ثقافة الرذيلة باتت تعم العالم أجمع، مع الأسف، وتصيب أكثر ما تصيب العالم الفقير.. العالم الثالث، فمن أين جاءت هذه الثقافة يا ترى؟ انها واحدة من منتجات الثقافة الغربية والمدنية الاستعمارية ـ الاستكبارية ـ.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مع العاملين في وزارتي التجارة والزراعة، ١٣٦٨/١٢/١٢.

لنا ان نسأل عن مصدر أنواع المفاسد التي راحت تأخذ البشرية المعاصرة وتضيّق الخناق عليها.. من أين يا ترى نشأ مرض الإدمان الخطير الذي استولى على الشباب في الكثير من البلدان الفقيرة المتخلفة؟

ثمَّ ثقافة استهلاكية خاطئة تفرض على الكثير من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية في العالم الثالث، فمن الذي فرضها ودفع بها؟

إذا قدّر لكم ان تدخلوا أسواق البلدان الفقيرة ـ الغنية بالنفط أو التي لا نفط لـها ـ فـي منطقتنا هـذه.. ستجدون ان الدعايـة للمنتجات الغربيـة الاستهلاكية الزائدة يملأ الفضاء، فهل يحتاج البشر إلى كل هذا؟ انظروا إلى البلدان المنتجة للنفط ـ وهو الهبة الإلهية التي وهبها اللّه للناس كي تُبذل في عمران البلدان وبنائها ـ تجدونها تعطي نفطها لتأخذ مكانه بضائع ووسائل استهلاكية لا تعود عليها إلاّ بالانحطاط والفساد.. فهل يصح مثل هذا العمل؟ من أين جاء كل هذا؟

بلا شك جاء من منتجات الثقافة الغربية التي تُصدّر.. هي مما تصدره أمريكا وأوربا إلى بلدان العالم الثالث، لقد نفذت إلى بلدان العالم الثالث أنواع المفاسد والرذائل التي دفعت بها أمريكا وأوربا والحضارة الغربية بين ثنايا المعطيات الجيدة لحضارتهم من قبيل الصناعة والعلم وروح البحث والتحقيق.

لقد ابتليت الشعوب بتلك المفاسد الوافدة؛ ابتلي الشباب كما ابتليت الحكومات وأُصيبت الشعوب بالذلة.

والأكثر من ذلك ان أولئك لا يأخذهم شيء من الحياء أو الخجل، فهم يطلقون على منتجاتهم الخبيثة التي يصدرونها إلى هذه البلدان اسم «صادرات الثقافة الغربية» ويفتخرون بها إلى جوار المنتجات الحسنة كالعلم وروح البحث والتحقيق وغير ذلك. طبيعي انّ هذه المنتجات الأخيرة هي ملك للبشرية جمعاء وليست حكراً على جماعة خاصة.

والآن إذا جئنا إلى جبهتنا، فلماذا علينا ان نحسّ بالخجل من تصدير (بث) التوحيد وأخلاق الأنبياء وروح التضحية والاخلاص والتزكية الأخلاقية المعنوية إلى البلدان الأخرى؟ ولماذا علينا ان نخجل من ان نبث للشعوب الأخرى درساً عملياً يحكي الغيرة والثبات في مواجهة القوى الباطلة؟ ان الشعوب لم تصدّق بعدُ ان بالامكان الدخول في مواجهة مع عناصر القوى الاستكبارية. ولكنّا ثبتنا في المواجهة وخضناها وانتصرنا، فلماذا إذاً لا نضع هذه التجربة في متناول صفوف الرأي العام للشعوب؟

هذا هو الذي نعنيه بتصدير الثورة، ونحن نصدّر الثورة على هذه الشاكلة.

نحن لا نبالي بشيء إذا كنّا قادرين على بث التوحيد واشاعة مبادئ مدرسة الأنبياء ونشر القيم والوسائل الإنسانية النقية من قبيل الطُهر والصبر والمقاومة والايثار والطيبة إلى بقية البلدان.

تجهد وسائل الدعاية الغربية التي يصرف عليها من مال الصهاينة وتدار من قبل السياسيين المكرة والفاسدين إلى إثارة ضجة، بحيث تدفعنا للتراجع عن مقولتنا الماثلة في وجوب تصدير ثقافة الثورة ومفاهيمها. إذا كان مقصودهم اننا نصدّر المواد المتفجرة فهذا كذب، وأجهزتهم هي التي تفعل ذلك.

فهذه هي المنظمة الجاسوسية الأمريكية (CIA) هي التي تتوسّل بمختلف السُبل لإسقاط الأنظمة، فتورد الأسلحة والمواد المتفجرة وتمد قوى المعارضة بالعون لأجل التدخل في شؤون البلدان الثورية.

تصدير المتفجرات والفتنة هو نهجهم لا نهجنا. نحن لا نصدر المواد المتفجرة لأي بلد، والتخريب وإثارة الفتنة هو أمر دون شأننا وبعيد عن موقعنا ولا يمكن ان يلصق بنا بأيّ شكل. انّ هذه التهم الوضيعة تليق بأولئك الذين ينسبون مثل هذه التهم إلى الإسلام والجمهورية الإسلامية[١].

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أبناء مدينتي قم ورفسنجان، ١٩/ ٤/ ١٣٦٨.

تتهم أجهزة الدعاية الصهيونية والمؤسسات الاستعمارية في العالم الجمهورية الإسلامية بتصدير الثورة، فما هو المراد من تصدير الثورة؟

إذا كان المقصود بتصدير الثورة هو تصدير المواد المتفجرة وبث الفتن والاضطرابات بين الشعوب والبلدان الأُخرى، فالجمهورية الإسلامية بعيدة كلّ البعد عن التهمة. فتصدير الشر والفساد هُما شأنان من شؤون أمريكا والمنظمات الجاسوسية والتخريبية التابعة للأنظمة الاستكبارية.. فأولئك هم الذين يشيعون الاضطرابات بين الشعوب ويذهبون بحالة الاستقرار والأمن.. وهم الذين يتدخلون بشؤون الشعوب وأمورها الداخلية من دون وجه حق.. وهم الذين يدفعون العناصر المشبوهة والعميلة لهم للتحرك ضدّ الشعوب وضدّ الحكومات الثورية، فيثيروا القلاقل ويتسببوا بالمشكلات.. وأولئك هم الذين يستهدفون الأبرياء مما تعرف له الشعب أمثلة في جميع أنحاء العالم.

إنَّ أيادي حكام أمريكا وقادتها ملوثة بالدماء.

أمّا إذا كان المقصود من تصدير الثورة هو اشاعة ثقافة القرآن وثقافة بناء الإنسان الإسلامي فنحن نفتخر بهذا. اننا نشعر ان مسؤوليتنا هي ان ننادي بصوت عال بمفاهيم الإسلام وقيمه وأحكامه ومعارفه التي فيها نجاة الشعوب المستضعفة والمظلومة، ونبثّها على أوسع مدى نستطيع بلوغه.

هذا تكليف بالنسبة إلينا، ونحنُ نشعر بأننا مقصّرون لو تخلّفنا عن هذا الواجب. ولو افترضنا اننا كففنا عن الدعوة إلى المفاهيم والقيم الإسلامية وامتنعنا عن ذلك فانَّ هذه المعارف ستنبث تلقائياً وتملأ فضاء العالم وتهب على البشرية كما تهب رياح الربيع اللطيفة، وتنتشر كما تنث الأزهار بعطورها في الجو.

ان مفاهيم الثورة وعطر المعارف الإسلامية يجدان سبيلهما للانتشار في جميع أرجاء العالم سواء رضي الأعداء بذلك أم لم يرضوا.

٨ ـ محاربة القيم والمعتقدات الإسلامية

بعد انتصار الثورة الإسلامية وتشكيل الجمهورية الإسلامية، وعلى اثر السير في إيران صوب إيجاد مجتمع يقوم على قيم الإسلام وشريعته، انطلقت أبواق الدعاية في الشرق والغرب، ومن يرتبط بهما، للنيل من الجمهورية الإسلامية بنعتها بالأصولية والميل لتقديس الماضي وعبادته وما شابه ذلك..وباسم التجديد والحداثة انتقدوا إيران المسلمة بأنها تريد الارتباط بسنن ماضية بالية.

حصل ذلك كلّه، وفي العالم في الشرق منه والغرب عدد غير قليل من الأنظمة الرجعية المستبدة التي ترتبط بماضٍ متبلد، وتقاليد لا تعرفُ شيئاً من مفاهيم العالم الجديد من قبيل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، ولم يعرض أحد لهم بالذكر، ولم ينالهم الهجوم الدعائي.

والأعجب من ذلك ان تدخل على الخط أجهزة ارسال إذاعي تنتمي إلى أنظمة هي من أكثر الأنظمة تخلفاً وبدائية، إذ لم تعرف حتى الآن شيئاً عن مؤسسات التحديث السياسي، بل ويُعدّ فيها المجلس الوطني والانتخابات الحرّة والصحف غير الحكومية من الأحاديث الأسطورية، ومع ذلك عادت لتنعت بلدنا بالرجعية! هذا البلد الذي انشأ على أساس الإسلام حكومة شعبية وأخذ يسير في تنفيذ القانون الإسلامي من قبل مجلس وحكومةً منتخبين، وهو يشهد حضور الشعب في الساحة ويسجّل تواجدهم في أهم ما يشهده من قضايا خطيرة وحسّاسة. هذه الممارسة كانت بلا ريب مدعاة لإثارة الضحك والسخرية.

أجل، لا يخشى الاستكبار وأجهزته الخبرية والدعائية وكل الأقلام المأجورة والأبواق التي ترتبط به من بلد يغرق في أعماق عبادة ماضيه القديم،

وَمن أمة تعود القهقرى إلى تقاليدها وعاداتها الجاهلية، شرط ان تفتح له خزائنها المادية وتستسلم لتسلطهم وتقبل ثقافة الفساد والفحشاء والاستهلاك والشراب..

ليسوا فقط لا يقلقون من شعب مثل هذا، بل يفرحون أيضاً. إنّهم يخشون عودة الشعوب إلى ماضيها الذي يمنحها العزة والفخر، ويفتح لها طريق الجهاد والشهادة ويعيد لها الكرامة الإنسانية، ويعلّمها ان تقطع أيادي الغزاة الناهبين الذين يعرضون لمال الأمة وشرفها.. هُم يخشون عودة الشعوب إلى ماضٍ يعلّمها: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1] ويغذيها بروح: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].. ويخاطبها: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾[3].. ويوصل لقلبها وسمعها نداء: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ﴾[4] ويحوّل هذا المجموع إلى روح تسري في حياتها.

إنّهم يخشون ان يتحول (اللّه) والإسلام والقرآن إلى محور في حياة هذه الشعوب، فتقطع أيادي الطغاة والمتسلطين عن العبث في حياتها.

بديهي ان الاستكبار لا يسره ان تعود الشعوب إلى ماض مثل هذا، وإلى تأريخ من هذا القبيل، بل هو يخشى ذلك ويحول دون تحققه بأيّ ثمن.

على المسلمين جميعاً وعلى الأخص المجتمعات الإسلامية التي هبّ عليها نسيم الحرية وتذوقت القيام للّه.. وأُؤكد على العلماء والمثقفين والروّاد من بينهم بالذات.. لهؤلاء جميعاً أقول: انتبهوا من الوقوع في المصيدة.. لا تخافوا

---

(١) النساء الآية: ١٤١.

(٢) المنافقون الآية: ٨.

(٣) النساء الآية: ٧٥.

(٤) الأنعام الآية: ٥٧.

من عنوان الأُصولية.. ولا تهابوا تهمة الرجعية والتمسك بالسنة.. وعليكم ان لا تبرؤا من الإسلام كأصل ومن أحكامه النورانية ومن التصريح بهدفكم في المجتمع الديني والنظام التوحيدي ارضاءً للأعداء الخبثاء.

لا تصغوا إليهم، بل أصغوا إلى كلام اللّه: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[4]،[5].

الجمهورية الإسلامية في دنيا المسلمين هي راية عالية وصوت صارخ يجذب إليه المسلمين من كل جانب. ان قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم تهفو اليوم إلى بلد شعاره الإسلام، ويحث السير عملياً لإتباع قانون الإسلام، وهو يعتمد على دستور يعلن بصراحة انَّ أي قانون يتعارض مع الإسلام لا قيمة له وساقط في نظر الاعتبار.

هذا البلد الذي تخفق إليه القلوب هو الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ إذ لا نجد في عالم اليوم مكاناً آخر يحث السير في متابعة أحكام الإسلام بجدٍ ووضوح كما يحصل في هذه البقعة.

---

(١) البقرة الآية: ١٢٠.

(٢) هود الآية: ١٢.

(٣) هود الآية: ١٢.

(٤) البروج الآية: ٨.

(٥) نداء قائد الثورة إلى حجاج بيت اللّه الحرام، ١٣٧٠/٣/٢٦.

بديهي هذا الكلام لا ينصرف إلى الشعوب.. فالشعوب مسلمة، وهي تعشق الإسلام في كل مكان.. وهي مستعدة في مواطنها جميعاً ان تعمل بالإسلام.

أمّا الدول والأنظمة فلها شأن آخر.. هي لا تحمل استعداد الشعوب.. وإذا كانت قد خطت في البداية باسم الإسلام، فإنها عادت للتخلّي عنه أمام أمواج الضغط العالمي الشديدة.

كنتم شهوداً على مسارنا في العقد المنصرم، فمن أجل الإسلام ألصقوا بنا كل شيء، قالوا: رجعيين.. متأخرين .. غير متحضرين، وغير ذلك.

قبل ان أُسافر إلى باكستان، ذهبت للقاء الإمام الخميني(قدس سره) أوصاني أن أقول لعلماء باكستان عند لقائي بهم أنَّ الضغوط التي تنزل علينا من أمريكا، الغرب، الشرق، الرجعية، ومن الآخرين، انما تأتينا من أجل الإسلام ـ الذي نرفع رايته ونلتزم به ـ وليس لكوننا إيرانيين. وهذه الضغوط تنتهي إذا أحسّ العالم عدم جديتنا إزاء الإسلام ـ والعياذ باللّه ـ وإذا فهم اننا غير جادين في الالتزام به، ومستعدون للمساومة عليه.

وبدوري، قد بلّغت عين ما أوصاني به الإمام (الراحل) إلى ذلك الجمع الكبير من علماء باكستان الذين جاؤوا من جميع الأقاليم.

وهذه الحقيقة معروفة لدينا ونحن نلمسها حسياً فمرد الضغط علينا هو الإسلام.

المسلمون أدركوا هذا المعنى أيضاً، وأحسوا ان «ام القرى» بالنسبة للإسلام هي في هذه البقعة.. هنا موطن الإسلام الأصيل ومركزه الحقيقي. لذلك ترى القلوب تخفق للجمهورية الإسلامية وتهفوا شوقاً لنظامها. وهذا بنفسه عنصر من عناصر الوحدة.

الاستعمار أدرك عامل الوحدة هذا فسعى للشقاق وايجاد الاختلاف بوسائل مختلفة قومية ومذهبية عن طريق بث الفرقة بين الشيعة والسنة وبين أهل السنة أنفسهم، فهؤلاء أهل هذه المدرسة وأولئك أهل الحديث، وهكذا. وبين الشيعة كان لهم أسلوب آخر، وكذلك بين مختلف الجنسيات الإسلامية وشعوب القبلة الواحدة.

علينا نحن المسلمين ان نتنبه ونكون على حذر، وعلينا أن نعي انَّ أموال النفط في ذلك البلد المعروف بين المسلمين بتبعيته الذليلة لأمريكا والغرب، حين تصرف في طبع كتاب يرد على التشيّع، فهو لا يفعل ذلك قربة إلى اللّه أو لمحض المحبة للسنة، بل يروم تحقيق أهداف خبيثة.

وعلينا ان ندرك ان عكس منطوق هذه القضية صادق أيضاً. فإذا رأينا من تحرك لإثارة الحساسية إزاء الإخوة أهل السنة أو تعرض لمقدساتهم داخل المجتمعات الشيعية، فعلينا أن نعرف هذه الممارسة ان لم تكن قد نشأت من مزاج مضطرب وفهم سيء، فهي بلا ريب تحرك من قبل الأعداء.

وطبيعي انّ العدو يستفيد إلى أقصى حد من الأمزجة المنحرفة في ترويج ذلك[1].

٩ ـ سلب الاستقلال والحرية

القوى الكبرى تعيش حالة إصرار في معاداة الثورة الإسلامية، بيد أنها لم ولن تعلن صريحاً عن سبب عدائها للجمهورية الإسلامية. فإذا قدّر لأمريكا وان اعترفت بأن الإسلام هو مبعث عدائها لإيران لألّبت عليها مليار مسلم في العالم.. ولو اعترفت صراحة انّ عداءها لإيران المسلمة هو بسبب تمسّك الجمهورية

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من قوات التعبئة وجماهير وعلماء العاصمة طهران، ١٣٦٧/٧/٥.

الإسلامية بالاستقلال والحرية واصرارها على ان تبقى أمريكا بعيدة عن التدخل بشؤونها لحرضت ضدّها جميع أحرار العالم..

ولو اعترفت ان عداءها لإيران وحجرها على أموالها والتواطؤ المستمر ضدّها يعود إلى انَّ ثورة إيران قطعت أيادي أمريكا عن منابع ثروات هذا البلد، وحالت دون استمرار عمليات النهب الاقتصادي التي كان النظام البهلوي الخائن ينفذها بسخاء كبير لوقفت جميع شعوب العالم المظلومة، وجميع المتضررين من النهب الاستعماري إلى جوار شعب إيران، ودخلت على خط مواجهة أمريكا.

من هنا يبدو طبيعياً ان تعمل أمريكا وباقي القوى الدولية في جبهة الاستكبار بما تتوافر لهم من مؤسسات خبرية ودعائية وأجهزة اتصال على تشويه الحقائق التي ترتبط بإيران لحرف أفكار الرأي العام في العالم. وهي تفعل ذلك تارة باسم حقوق البشر، وتارة بعنوان نقض الحريات، وتارة ثالثة تمارس ذلك باسم معاداة الرجعية والتخلّف.. إلى بقية الذرائع.

أمريكا وبقية القوى في جبهة الاستكبار تسوق هذه التهم وأمثالها ضدَّ شعب إيران المستبسل الواعي الشجاع، وضدّ نظامه التقدمي الثوري، وضدَّ المسؤولين الصلحاء الذين يديرون كفة الأمور، وهي تحاول بهذا الأسلوب ان تثأر لنفسها من الشعب الإيراني الذي يحمل البغض والكراهية للمتسلطين المستكبرين وبخاصة الشيطان الأكبر.

لقد أثبتت السنوات الإحدى عشرة الماضية فشل الاستكبار والرجعية وأياديهما في هذا الطريق، بحيث لم يستطيعوا ان يشوهوا الصورة المشرقة لشعبنا العظيم، ولاسيّما بين الجماهير المستضعفة في العالم. كان عائدهم من الرساميل العظيمة التي وظفوها في استخدام الأقلام المأجورة، وتوجيه مئات أجهزة

الإرسال الصوتية والمرئية وحشد حركة المطبوعات، كل ذلك من أجل عزل الثورة الإسلامية أو تشويه صورتها، عائدهم منها الخسران والفشل.

ومع كل هذه الجهود التي بذلوها، وبرغم إرادتهم، لازالت الشعوب في الكثير من مناطق العالم تحاول ان تصوغ نضالها الشعبي للقوى الشيطانية على وفق المثال الإيراني.

ان حركة الجهاد والكفاح التي تقتفي مثال الانقاذ الإيراني في التحرّر ما تزال تقضّ مضاجع الظالمين. وقد أدركت الطبقة الواعية من أبناء المسلمين في كل مكان أنّ الإسلام هو الباعث وراء عداء رأس الاستكبار ـ يعني أمريكا ـ لشعب إيران.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1]،[2].

يتهمون النظام الإسلامي بأنه لا يمنح الحرية.

ولكن كيف (بأي معنى) نحن لا نمنح الحرية؟ هل هناك بلد فيه هذا العدد من الصحف والمجلات والنشريات التي يكتبون فيها ما يريدون؟

ان الصحف الرسمية في البلد تنتقد سياسات الحكومة علناً وتضعها في دائرة الاستفهام، ثم تبادر الحكومة للجواب على نقد الصحافة بشهامة تامة.

تطبع الآن مجلات في إيران يستطيع من له أدنى معرفة بالعناصر الثقافية في عهد الطاغوت وبالكتّاب والفنانين وحملة الأقلام في العهد الملكي، وبالعناصر الجبانة أمام العدو والموالية لأمريكا أن يدرك من أين تموّل هذه المجلات!

هذه المسألة قابلة للحدس، ونحن على علم بالأمر وكذلك الجهاز المسؤول، ولكن رغم ذلك ما تزال هذه المجلات تطبع من دون أن نتعرض لها.

---

(١) البروج الآية: ٨.

(٢) بيان قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

نحن لا نخشى من مجلة تكتب (ضدّ رؤيتنا) بضع كلمات؛ فنحن نكتب أيضاً (بما يتسق مع رؤيتنا أو في سياق الردّ على ما تكتبه).

ان سعة الحرية التي تحظى بها المطبوعات في إيران لا يوجد في الأماكن الأخرى، ومن ثَمَّ فإن نظامنا مظلوم في مضمار حرية المطبوعات، وآية هذه الظلامة ان المجلات والصحف تحصل على الحرية، ثم تمتلئ بنقد النظام ومع ذلك يأتي من يردّد في سياق هذه الانتقادات بأننا لا نملك الحرية!

والسؤال: إذا لم تكن تملك الحرية فكيف كتبت ما كتبت؟ ومن الذي عوقب ـ في البلد ـ لمجرد انه كتب وعبَّر عن رأيه بالكتابة؟ أجل، إذا اجترح أحدهم جريمة صحفية فإن ذلك جرم كائناً من كان صاحب الذنب. والشخص الذي يخالف القانون يتعرض للعقوبة، وإحدى العقوبات التي ينص عليها القانون هو تعطيل الصحيفة أو المجلة التي ارتكبت الجريمة.

وهذه قضية أُخرى غير حرية المطبوعات. أما الكلام وإبداء الرأي فالإنسان فيهما حر.

وما يحصل ان العدو يرمي النظام بتهمة سلب الحرية لمجرد أن الأجهزة المعنية تبدي إحساسا بالمسؤولية إزاء ما يُكتب وترد عليه. ان العدو يريد لكتّاب التيار الثقافي التابع للاستكبار ان يكتب ما يشاء، ولكن لا يرضى للكتّاب المرتبطين بالنظام الإسلامي والموالين للاتجاه الإسلامي أن يردّوا على ما يكتبه أولئك. وإذا ما ردّوا ما يلبث ان يقول: ليس هناك حرية! هُم يريدون تخويفنا! هذه هي الأجواء التي يصنعها العدو، وهناك من البسطاء من يُخدع بذلك. وما أكثر من ينخرط في هذا التيار من دون قصد ومن دون أن يعي ماذا يقول أو يعرف ما الذي يعمله[1].

---

(١) بيان قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٠/٣/١٣٦٩.

١٠ ـ إشاعة حرية التحلل والفساد

يناهض بعض الكتّاب والمتحدثين ممن أمضى عمره غارقاً في مستنقع الفساد والرذيلة وضروب الانحطاط الأخلاقي والسياسي الحكومة الإسلامية التي سدّت الطريق على هذه الممارسات الماجنة وطردت أسياد هؤلاء الكتّاب، ثم يعمد هؤلاء إلى تسويغ معارضتهم التي تتجه حقيقة ضدّ الإسلام والاستقلال الوطني وحرية البلد والطهارة الأخلاقية من خلال تتبع العثرات الصغيرة وتوجيه النقد إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية.

وفي الوقت الذي يتحدث هؤلاء بما يشاؤون بحرية تراهم يطالبون بالحرية بوقاحة!

ان ما يبتغيه هؤلاء حقيقة هو فتح المجال للنفوذ الأمريكي وتسليم مقدرات البلد بيد الأعداء، بيد ان الخصم الذي يواجه هؤلاء هو الشعب الرشيد الواعي. فشعبنا سيجعل من عودة عهد العبودية لأمريكا مجرد حسرة في قلوب أولئك، وسيدافع بما يملك عن إنجازه الكبير المتمثل بالنظام الإسلامي وحاكمية إرادة الإنسان وإيمانه.

لا يريد النظام الإسلامي أن يتعلم الحرية أبداً من أدعيائها الكذبة في الأنظمة الغربية، خاصة وان رافع راية الحرية هو الإسلام والقرآن.

اننا نرفض بصراحة وحزم حرية الفساد والتحلل والفحشاء والكذب والاحتيال والظلم والاستغلال والاعتداء على حقوق الشعوب؛ فهذه الحرية التي يمارسها الغرب ويرفع لواءها.

اننا نرفض الحرية التي تبيح للمرتد سلمان رشدي إهانة مقدسات مليار إنسان، في حين أنها تمنع المسلمين الإنجليز حقهم في توجيه شكوى ضدّ هذه الإهانة.

إننا نرفض ونبدي استياءنا من الحرية التي تبيح لأمريكا أن تحرك الغوغاء والأوباش ضدَّ حكومة شعبية، بيد أنها ترفض حق هذه الحكومة في مواجهة هؤلاء.

إننا نرفض وندين الحرية التي تبيح للرأسماليين الإغارة على البلدان الضعيفة والسطو على مقدرات الشعوب ونهب ثرواتها، وتأخذ على هذه الشعوب حقها في المواجهة؛ نحن نرفض هذه الأنماط من الحرية ونستنكرها ونعدّها عاراً على البشرية.

ان الحرية في منطقنا هي ما يهبه الإسلام للشعوب؛ وهو يحوّلها إلى جبال من الثبات والصمود بوجه الظلمة والغاصبين، تماماً كما حصل لشعب إيران حيث ظهرت هذه المعجزة.

هذه هي الحرية الموجودة والتي ستبقى دائماً في بلدنا وعلى جميع أفراد الشعب حمايتها والحفاظ عليها[١].

هناك حرية للمطبوعات في بلدنا، ونحن نهتم بالحرية ونعدها شأناً كريماً عزيزاً. وبذلك ينبغي أن توجد مثل هذه الحرية، ولكن حرية المطبوعات لا تعني تنفيذ سياسات العدو كما هو شأن بعض المطبوعات[٢].

أتوجه إليكم بهذا السؤال: إذا أبدى مدير مدرسة معينة إحساسا بالمسؤولية وخشي عاقبة فساد (٥٠٠) أو (٦٠٠) أو (١٠٠٠) شاب يافع من الطلاب الذين أُوكلت إليه مسؤوليتهم، فقام بمعاقبة صبي سيئ تحوّل إلى آلة بيد الأعداء وهو يوزّع مادة «الهيروئين» داخل المدرسة وبين الطلاب، فماذا نقول لهذا المدير؟ هل نقول له انَّ أُسلوبك في معاقبة الصبي المخطئ يتعارض مع الحرية؟ هل مثل

---

(١) كلمة قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني(قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقاء وزير ومعاوني وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، ١٣٧١/٩/٤.

هذا الكلام صحيح؟ سيرد مدير المدرسة بأنه مسؤول عن مصير (١٠٠٠) فتىً يافع تحمّل مهمة تربيتهم وهو لا يريد أن يعودوا إلى آبائهم وهم مدمنون على تناول مادة «الهيروئين».

هل من الصحيح أن نقول لمثل هذا المدير: كلا، لم يكن تدبيرك صائباً، دعهم ينتخبون ما يريدون. نحن نوزّع مادة «الهيروئين» والذي لا يرغب بها بمقدوره ان لا يتناولها.. ان مسؤوليتك تنحصر في حدود الحديث عن مضار «الهيروئين» وحسب!

يتّهمون النظام الإسلامي بأنه لا يسمح بالحريات! كيف لا نريد الحرية؟ أيّة دولة تصل حرية المجلات والمطبوعات فيها لدرجة انهم ينشرون كلّ ما يحلو لهم؟

الجرائد الرسمية في بلادنا تناقش وتنتقد بصراحة سياسة الدولة، وتأتي الدولة لتجيب بكلّ رحابة على هذه الانتقادات، في إيران تنشر هذه الأيام مجلات بحيث لو أنّ أحداً كان مطّلعاً على الكوادر الثقافية للبلاد في الفترات الماضية وزمان الطاغوت ويعلم من هم الفنانون والمؤلفون والمخلصون للنظام الشاهنشاهي والمهزومون نفسياً وأصدقاء أمريكا فإنّه سوف يحدس الجهات التي تموّل هذه المجلات، وبالطبع فنحن لسنا غافلين عن هذا الأمر. النظام ليس غافلاً عنهم، انّهم منهمكون في الطبع والنشر ولا دخل لنا بأعمالهم. نحن لا نتخوّف من المجلة التي تكتب أربع أو خمس كلمات فنحن أيضا نكتب، القدر الموجود في إيران من حرية الصحافة لا يوجد في أيّ مكان آخر.

انّ نظامنا مظلوم في المجال الثقافي؛ وذلك من جهة انّ الحرية تعطى للمجلة والصحيفة فيملأن نقداً للنظام ويكرّرون دائماً في انتقاداتهم انه لا توجد لدينا حرية في التعبير عن الرأي لو لم تكونوا أحراراً فكيف كتبتم هذه

المضامين؟ أيّ شخص عوقب هذه الأيام بسبب كتابته لأحد المواضيع؟ نعم اذا كان هناك مجرم بالمعايير الصحفية فإنه مدان كائناً ما يكون. لو انّ أحدهم ارتكب عملاً يعتبره القانون جريمة فانه سيعاقب حتماً. وأحد العقوبات التي يفرضها القانون هو منع صدور الصحيفة أو المجلة التي نشرت ما يخالف القانون وهذا بحث آخر، لكن الناس أحرار فيما يقولون.

انّ الأعداء يضربون على هذا الوتر وهو انّ النظام حسّاس جداً ويبدي ردود فعل سريعة ويعتبرون هذا الأمر خلاف الحرية، العدو يأمل في ان تكتب الأقلام الموالية للاستكبار كلّ ما يحلو لها ولا يرد عليها أصحاب الأقلام الموالون للنظام الإسلامي والخط الإسلامي ولو ردّوا عليهم سيقولون انّ الحرية معدومة في إيران، انّهم يحاولون بثّ الرعب فينا، لاحظوا هذا الجوّ العام الذي يخلقه الأعداء وهناك أشخاص سذج ينخدعون بسهولة. كثيرون أولئك الذين يواكبون حركة الهجوم الذي يشنّه العدو من دون ان يدركوا ما يقولون وما يفعلون.

أليس هذا النمط من التعامل هو جزء من الغزو الثقافي؟[1].

١١ـ تأسيس الجامعات بهدف نبذ الدين وإعداد العناصر التابعة

الأُخوة، الأخوات، الشعب العزيز .. مُنذ سنوات متمادية والسعي الحثيث قائم على إبعاد مجتمعنا عن العلم في حين لم يكن الأمر كذلك في السابق، طبيعي لا أقصد ان جميع أبناء مجتمعنا كانوا من العلماء في الماضي البعيد، كانت الأمية سائدة بين الكثير، العلم ضئيل ولكن الشوق إلى العلم في محيط أهل العلم كان متزايداً إذ كانوا يطلبون العلم للعلم. والذي حصل انهم جهدوا لسنوات طويلة كي يستبدلوا هذه الثقافة في أوساط مجتمعنا حيث

---

(١) حديث قائد الثورة إلى العاملين في وسائل الاتصال الجمعي ومسؤولي دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

تحوّل العلم إلى وسيلة وأضحى العلم يُطلب لملء البطن، وهذا المسار قلل من قيمة العلم[1].

لقد أرسوا قواعد بناء المؤسسة الجامعية على نبذ العقيدة مُنذ البداية بحيث كانت مجاميع الشباب التي تذهب لأجل الدراسة في العهد الأول هدفاً للدعاية التي يمارسها الأوربيون ضدّ الإسلام. فطلائع الجيل الأول الذي انفتح على الثقافة الغربية وتربى من خلالها وفي أجوائها كان في الغالب غريباً عن الدين، بل كان يعيش حال العناد ضدّ الدين. والذي ساعد في ذلك ضعف النفوس وافتقار الساحة إلى التبليغ الديني القوي المتسق مع عصره.

لقد مضت قواعد المؤسسة الجامعية على أساس عدم الإيمان بالدين، وأرادوا للجامعة كمركز لتربية العلماء طبقاً لموازين التقدم العلمي المعاصر ان تكون ضد الدين في قواعدها الأولى، وهكذا ولدت الجامعة وهي مشروع غير ديني بل مناهض للدين، ثم تابعوا هذا النهج غير الديني والمناهض للدين سنوات بقوة ودقة. وبذلك لم يضعف الدين في الجامعات وحسب، بل تحولت إلى مراكز لمناهضة الدين.

طبيعي لم يكن الهدف من مناهضة الدين هو عنوان الدين نفسه، بل كان الهدف هو الهيمنة على البلاد الإسلامية. فمن أجل تحقيق هذا الهدف كانوا مضطرين أن يبادروا إلى تربية جيل لا إيمان له بالدين لكي يأخذ على عاتقه مهمة ادارة البلد وبنائه في المستقبل.

والذي ينبغي ان نعترف به ـ مع الأسف ـ ان النجاح كان حليفهم إلى درجة كبيرة[1].

---

(١) حديث القائد في لقائه مع مجموعة من أبناء الشعب بمناسبة يوم العامل ويوم المعلم، ١٣٧١/٢/٩.

أشيدت الجامعة على أساس سيّئ. طبيعي كان لنا من رصيد الإيمان الإسلامي والوجدان الوطني بين الشعب، ما يكفي لكي يبقى عدد من الأساتذة الجامعيين وطلاب الجامعة أصحّاء معافين، وهذا ما كان.

لذلك لا يمكن أبداً أن نضع جميع خريجي الجامعة في دائرة الناس البعيدين عن الدين وأهداف الدين ومصالح البلد. أما أولئك الذين أرادوا لهم ان يصلوا من بين الوسط الجامعي إلى مواقع السلطة فقد احتضنوهم بسهولة. وعليه يمكن القول ان رجال السياسة الذين انتخبوا من الصف الجامعي ـ وهم مجموعة اضطلعت بالمواقع والأعمال المؤثرة في جميع أرجاء البلد ـ كانوا جيلاً بعيداً عن الدين بشكل تام.

فالجيل الذي ربّي في عهد رضا خان وفي أوائل عصر نفوذ العلم الجديد والثقافة الأوربية إلى إيران هو جيل يفتقر إلى العقيدة والإيمان في الغالب. ولكن المسار تغيّر بعد ذلك إذ تعرّف عدد كبير إلى الدين والمسائل الدينية، ثم استيقظت العواطف وتفتحت في القلوب وانبثق فكر جديد.. ظهر إلى الوجود المثقفون المتدينون.. وترسخت مواقع العلماء النافذين في المحيط الجامعي من أمثال الشهيد مفتح، الشهيد مطهري، الشهيد بهشتي والشخصيات البارزة الأخرى وأضحت مؤثرة في ذلك الوسط.

ومن التحولات التي طرأت ان بعض الشخصيات الجامعية انفتحت على دنيا الإسلام وتعرفت على مسائل الدين، وجاءت النتيجة على خلاف ما أراد أولئك ـ المؤسسون الأوائل لمشروع الجامعة في إيران ـ .

أما حجر الأساس فقد كان وضع على الصورة التي ذكرناها[٢].

---

(١) حديث السيد القائد في لقائه مع مجموعة من الحوزويين والجامعيين، ١٣٦٩/٩/٢٨.

(٢) حديث السيد القائد في لقائه مع مجموعة من الحوزويين والجامعيين، ١٣٦٩/٩/٢٨.

كانت الجامعة في السابق هي المحيط الذي يشهد غياب الثقافة الإسلامية بالكامل، أو على الأقل كان رديفاً لأسوأ الأماكن التي تفتقر إلى الثقافة الإسلامية، وتسجّل غيابها الكامل فيها. وفي الواقع كان النظام السابق والأجهزة الثقافية التابعة له تقتفي نهجاً معيناً أريد للجامعات أن تنهض به. ولم تكن الأهداف السياسية بعيدة عن ذلك، بل كانت تكمن خلف المشهد[1].

لم يكن الهدف الأول لتأسيس الجامعات هو تعليم الشباب، بل كان الهدف هو بناء الشباب وإعدادهم بالشكل الذي يدفع الجهاز أسرع ما يمكن للارتباط بالأقطاب الاستعمارية والاستكبارية العالمية. بمعنى ان الإعداد كان يتم بما يؤدي إلى ترسيخ حالة العبودية والتبعية فالشخص العزيز (المرموق) ـ في معيارهم ـ هو الذي يتفوق على غيره بالعبودية والاستسلام!

لم يكن الهدف إذاً هو الفكر الحرّ المستقل كما لم يكن ايجاد الإنسان الفاعل البنّاء، ومردّ ذلك انّ أساس عمل الحكومات كان الارتباط ـ بالخارج ـ والتبعية له.. من الذي جاء بالنظام البهلوي إلى السلطة؟ من الذي أتى برضا خان ومحمد رضا إلى واجهة السلطة؟ وحين وصل هؤلاء إلى السلطة ـ الشاه الأب والشاه الابن وأتباعهما ـ كان همّهم ان يتحركوا بالطريقة التي تحقق منافع الأسياد الذين جاؤوا بهم إلى السلطة ومنحوهم هذه المواقع، فقد كانوا يعرفون ان قطع العلاقة مع أولئك (الأسياد) يعني افتقادهم لفرصة بقائهم في مواقعهم.

انظروا الآن إلى ما يجري في منطقة الخليج الفارسي! فالأنظمة الحاكمة في تلك الدول تحس ان حياتها وموتها وقارورة عمرها بيد أمريكا. السعودية تعيش هذا الاحساس بشكل معين، والكويت تعيشه بشكل آخر، وبقية الدول تعيشه

---

(١) حديث القائد في لقائه بأعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٠/٩/٢٠.

بشكل ثالث، ولكن المهم ان هذا الاحساس هو عنصر مشترك فيما بينهم. نظام بهلوي كان مثل هؤلاء تماماً يعيش هاجسهم.

كان الاتجاه الذي تقوم عليه الحكومة ـ وتتحرك ـ هو اتجاه التبعية والارتباط بالخارج واظهار الطاعة والتسليم الذليل.

وقد أرادوا للطالب الجامعي ان يكون على هذا المنوال، وإذا كانوا يحرصون على الاستاذ الجامعي، فقد كانوا يريدونه أستاذا من هذا النوع إلا ان يزوي بنفسه في زاوية مهملة، ويعتزلهم بحيث لا يقترب من دائرتهم كي يعيش حياة حيوانية![1].

من الأمور الواضحة انّ الجامعة في طرازها الحالي ولدت وهي مفصولة عن الدين، بمعنى انهم أرسوا قواعد البناء الجامعي على نحوٍ ينتهي بولادة مؤسسة بعيدة عن الدين. وهذا الكلام لا شأن له بما قد يقال من انّ فلان شخص من مؤسسي الجامعة كان متديناً أم غير متدين، لأنّ الأصل الذي أشيدت الجامعة على أساسه هو ان تكون مؤسسة بعيدة عن الدين بل ومناهضة له، تماماً كما حصل مع تيار المثقفين في بلادنا، إذ وُلد المسار الذي يحتضن النخبة المثقفة في طليعتها الأولى على أساس غير ديني.

وانما الذي حصل هو انّ الدين اخترق مجال الجامعة ونفذ إلى محيط المثقفين كما نفذ إلى بقية المجالات والبيئات الإنسانية، فمن خصائص الدين انه لا ينتظر إذن أحد حتى ينفذ في مجال معين، ولم يقتصر نفوذ الدين إلى الجامعة والمثقفين وحدهما بل نفذ إلى جميع الأمكنة.

ولكن ذلك لا يغيّر من القضية شيئاً إذ ظلّ الأصل الذي أنشئت الجامعة على أساسه أنها ولدت بعيدة عن الدين منفصلة عنه، بل مناهضة له. وهذا البناء يجب ان يتغيّر، وعلينا ان لا نسمح للأوضاع السابقة ان تتكرّر مرة أُخرى.

---

(١) حديث السيد القائد في لقائه مع مجموعة من الحوزويين والجامعيين، ١٣٦٩/٩/٢٨.

طبيعي ان العدو لن يجلس ساكتاً عاطلاً عن العمل[1].

انّ الهجوم الثقافي على شعبنا بالذات قد بدأ مع بداية حكم رضا خان، وطبعاً كانت هناك مقدّمات من قبل لهذا الهجوم، لقد أنجزوا أعمال كثيرة قبل ذلك وزرعوا مفكّرين تابعين لهم في بلادنا. انا لا أدري هل انّ جيل ثورتنا قد طالع المقطع التاريخي لـ(١٥٠ - ٢٠٠) سنة الماضية أم لا؟ وكلّ ما يؤرقني أن لا يعرف الشباب الثوري انّنا أيّ عصر تخطينا حتى وصلنا اليوم في إيران الى تفجير هذه النهضة العظيمة. يجب ان يطّلع الشعب الإيراني على هذا المقطع التاريخي أي الـ(١٥٠ - ٢٠٠) سنة الماضية والممتدة من أواسط العهد القاجاري وحروب إيران مع الروس الى ما بعد ذلك، حتى يرى ماهية الأحداث التي حصلت في هذا البلد أحد هذه الأحداث العظيمة ايجاد التبعية الفكرية.

نحن لا نستطيع أن ننكر وجود مفكّرين في طول تاريخ إيران، دائماً وفي جميع العصور كان هناك مفكرون يسبقون الزمن في تفكيرهم وحركتهم، ولكن عندما كان الغرب مهيمناً على العلم والتكنولوجيا وأراد أن يفرض هيمنته على إيران عمد إلى خرق هذه القلعة عن طريق الحملة الفكرية. لقد أقدم على ذلك عن طريق عناصر باعت ضمائرها مثل الميرزا (ملكم زاده) و(تقي زاده) ونظائرهم.

١٢ ـ القضاء على نفوذ علماء الدين المخلصين

كان العلماء (الروحانيون) هم العنصر الأساسي في حركة الجهاد خلال الخمسة عشر عاماً التي انتهت بانتصار الثورة، كما كان لهم الدور نفسه في تأسيس النظام الإسلامي المقدّس وحمل راية الإسلام خفاقة في العالم، وكانوا طليعة المقاومة الحماسية لشعب إيران في مواجهة مختلف ضروب الهجوم

(١) حديث القائد في لقائه مع أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٠/٩/٢٠.

المعادي. وكان العلماء قبل ذلك وعلى مدى قرون العامل الأساسي في حفظ المعارف الإسلامية والإيمان العميق الصادق لشعب إيران بالإسلام المنقذ ولهم الدور الطليعي في نمو الفكر الديني في كل مكان.

لقد كان العلماء (الروحانيون) المجاهدون الملتزمون في قلب حركة المقاومة ضدّ النظام العميل لأمريكا، وقد استطاعوا أن يجذبوا إلى ساحة الجهاد والمقاومة مختلف فئات الناس حتى أعطوا حركة الجهاد طابعها الشعبي العام. وحين نعود إلى الحوادث الكبرى التي مرت بها إيران وشهدت حضوراً جماهيرياً مكثفاً وعاماً نجد أن السبب وراء ذلك الحضور يتمثل بمشاركة العلماء في هذه الحوادث ووقوفهم في طليعة الصفوف.

أدرك الاستعمار الإنجليزي هذه الحقيقة وعلى خلفية هذا الإدراك رأى أن تدمير الكيان العلمائي هو المقدمة الضرورية التي تمهد الطريق لاستمرار الحضور الاستعماري في إيران. وبدأ على هذا الأساس مخططه لضرب العلماء وحذفهم من الساحة بدءاً من سنة (١٣١٣هـ. ش) بواسطة عميلهم رضا خان، حيث شهدت تلك السنوات فجائع مؤلمة نزلت بساحة العلماء ونالت من مركز الحوزات العلمية وموقعها، لم يكن لها سابقة في تاريخ إيران قبل ذلك.

والذي يبعث على الأسف انه لم يتم ـ حتى الآن ـ شرح وبيان مفصل لفجائع تلك السنوات، وما تحمل فيها العلماء وطلاب العلوم الدينية من عناء ومشاق في خط مقاومتهم لحكومة رضا خان وجبروته، ولم يُدوّن بشكل كامل بعدُ تاريخ تلك الحقبة من المواجهة والظلامة التي تحملها العلماء وطلاب العلوم في أواخر سني عهد رضا خان لتكون بين متناول الوعي الشعبي العام.

والمطلوب في هذا المجال ان توثّق الأحداث من شهادات المشاركين في الحدث ـ وتعدادهم بحمد الله لا يزال كثيراً ـ إذ تبادر المؤسسات المسؤولة أو الأشخاص المعنيون لتسجيل تلك الشهادات وجمعها.

انّ الاستقلال الذي يحظى به الروحانيون وعلماء الدين ـ على مستوى المعتقد والسلوك ـ وعدم نفوذ القوى الداخلية والخارجية واختراقها لصفوفهم هي التي جعلت الحكام المتجبرين المغرورين يعجزون دائماً في إزاحة هذه المجموعة الربانية عن طريقهم، ليخلو لهم الجو إلى سبيل الخيانة والفساد. وإذا قدّر لجماعة من المعممين الأذلاء وعدّة من علماء البلاط أن يجلسوا على موائد الظلمة طمعاً بحطام الدنيا الزائل، ويؤيدوا أولئك الظلام بالقول والعمل، فإنّ الأكثرية في صفوف العلماء والفضلاء وشباب العلوم الدينية ظلّوا يعيشون حياتهم في إطار المناعة وفي دائرة التقوى والنزاهة، واحتفظوا بإرادة التحدي والمواجهة الصادقة المقتدرة، فأمّنوا بذلك دوام عقيدة الناس الراسخة بعلماء الشيعة في قلب كلّ فرد من أبناء المجتمع.

لهذا السبب بالذات أضحى المجتمع العلمائي عرضة لسهام الخصوم المسمومة، وغرضاً للأعداء بمختلف ألوانهم من مستعمرين وأجانب، وعباد الأجنبي في الداخل، فأضحى العلماء العدو الأول لهؤلاء جميعاً.

كان امتحاناً صعباً هو ذلك الذي مرّ به علماء الدين حين كانوا في العهد البهلوي، وطوال خمسين سنة من تأثير السياسات الخارجية على إيران كانوا عرضة للعداء والدعاية المضادّة، وللخطط التي استهدفتهم في عهد رضا خان والنصف الأول من عهد محمد رضا تلك الخطط التي كانت تكشف عن ماهية استعمارية. وقد خرج المجتمع العلمائي من ذلك الامتحان الصعب مرفوع الرأس ـ بحمد الله ـ .

وفي مدة السنين الخمسة عشرة من عمر المقاومة ـ بين انتفاضة خرداد حتى انتصار الثورة ـ كانت الحوزة العلمية في مدينة قم والحوزات العلمية الأُخرى والعلماء المعروفون المركز الأصيل للجهاد، وبالتالي كانوا الهدف الأساس

للحملات الوحشية المعادية. بيد انّ الهجوم الشرس ذاك لم يفض ـ بإرادة اللّه ـ إلى تنكب العلماء عن طيّ طريقهم الذي يبعث على الافتخار والنهوض بواجبهم الإسلامي الذي لا يقبل التخلف، بل والأكثر أضحى الفكر الإسلامي في ذلك العهد أكثر تفتحاً ونصاعة ـ بعد ان صقلته المحنة ـ وأضحى فقه القرآن أكثر غنى وعطاءً، وأضحت الشخصية العلمائية المجاهدة أكثر تجربة ونضجاً مما قاد إلى تهيئة الأرضية المناسبة لتأسيس الحكومة الإسلامية[1].

كان المحيط الجامعي قبل الثورة ينظر إلى الحوزويين على انهم جماعة مهذارة، جاهلة ولها توقعات كثيرة. شخصياً لي تجربة لقاء مباشر مع الكثير من هؤلاء، فحينما يجلس الجامعي مع أحد طلبة العلوم الدينية ويتحدث الطالب الحوزوي بكلام مختصر دقيق، ترى الجامعي يبهت، ويقول: من المدهش ان يكون مثلك بين الحوزويين في حين ان هذا الطالب ليس أكثر من حوزوي عادي. لم يكن الجامعيون يعرفون العلماء والحوزويين، وقد كانت النظرة السائدة بين المؤسسات العلمية في البلد لا تتعدى هذا المستوى في حين إذا كان في البلد مركز علمي حقيقي أصيل يعنى فعلاً بالبحث والتحقيق، ويمارس العلم من أجل العلم دون أن يكون له طمع ـ مثل ـ الأجر والنفع المادي، فانّ مصداقه يتمثل بالحوزات العلمية.

لقد استبدل التيار الجامعي والثقافي الحداثي عوامل التقى والزهد والإغضاء عن الدنيا التي كانت وما تزال موجودة ـ بحمد اللّه ـ في أوساط العلماء وفي أجواء طلبة العلوم الدينية وخارجها ـ بدعاية تزعم ـ ان لا هم للمعمّم إلا ان يعيش بالمجان، حتى صارت هذه الدعاية كالضمير الذي ترتبط دلالته بمرجعه

---

(١) من بيان القائد في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

المعلوم الذي يعود إليه؛ فإذا ما ذكرت مسألة العيش المجان (أي ان يعيش الإنسان على حساب أتعاب الآخرين وكدّهم من دون ان يقدّم شيئاً) فإن ذاك ينصرف تلقائياً إلى العلماء والحوزويين.

لقد مرّت هذه الدعاية ولم يكن الهدف منها العلماء والحوزويين فلا خصوصية لهؤلاء، وانما كان الهدف منها هو الدين نفسه[1].

يعد الإسلام اليوم هدفاً لأعتى الخصومات الشيطانية في العالم، وفي المقابل يحاط الإسلام بأعمق مظاهر الحب والتقدير في أوساط الجماهير المحرومة. أما القوى الكبرى في العالم فهي لا تعادي أحداً قدر عدائها للإسلام، والعلماء هم الدعاة للإسلام.

مُنذ اثنتي أو ثلاث عشرة سنة ـ أي منذ انتصار الثورة ـ وأجهزة الاتصال الجمعي وشبكات الدعاية الاستكبارية والصهيونية تتحدث عن العلماء بصيغ مختلفة.. تسخر بهم، وتثير حيالهم الأكاذيب والتهم.. انهم يلصقون بالعلماء الكبار والمفكرين الدينيين ما هو أجدر بهم وبأذنابهم والتابعين لهم.

ولا أهمية لذلك فليست هذه بالأمور التي تؤثر علينا أبداً لأننا نعرف ان الضربة التي أنزلها بهم العلماء كانت ضربة قوية وبليغة[2].

منذ أن انتصرت الثورة والعلماء الذين اشتغلوا بخدمة نظام الجمهورية الإسلامية بشكل مباشر ـ ولاسيّما البارزون منهم ـ هم مرمى لسهام العدو المسمومة على الصعيد الإعلامي وعلى صعيد الإرهابيين الخونة عملاء العدو.

---

(١) حديث السيد القائد في لقائه مع أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٠/٩/٢٠.

(٢) حديث قائد الثورة إلى العلماء والمبلغين والخطباء على مشارف حلول شهر محرم، ١٣٧٠/٤/٢٠.

لقد قدّم العلماء شهداء كبار في جبهات الحرب المفروضة وعلى صعيد فعالياتهم الجهادية، بحيث اصطبغت بدمائهم الطاهرة محاريب صلاة الجمعة وسوح العلم والسياسة ومجالات الدعوة إلى الدين.

يدرك شعبنا العزيز ان الباعث لعملية الهجوم الشاملة التي يشنها العدو ضدّ العلماء يكمن في الدور المصيري الفريد الذي كان لهم وما يزال؛ فالعدو يهاجم العلماء بهدف إضعاف الثورة والقضاء عليها.

وتنخرط في السياق المعادي ذاته الآن زمرة الأقلام المأجورة لإضعاف هذا الرصيد المعنوي الذي تملكه الثورة أمام الشعب.

يمكن لأعداء الثورة ان يتحملوا العلماء إذا ما كفّوا عن الأمور السياسية واعتزلوا المساهمة في شؤون الثورة، تماماً كما حصل وهو حاصل الآن لعدد من العلماء الغافلين المتحجرين الذين يكتفون بالجلوس في المدارس والمساجد في حين يكلوا أُمور البلد وشؤون الشعب لأولئك الأعداء.

من الظواهر الملفتة والدلالات الممتلئة بالمعاني أنه لم يحصل وأن صار العلماء المتحجرون الغافلون البعيدون عن حوادث البلد والتيارات السياسية، مرمىً لهجوم الأعداء أبداً طوال سنوات النهضة وخلال السنين التي أعقبت الانتصار. فلم يتوجه إليهم الأعداء بالهجوم الإعلامي أو الجسدي المباشر (الاغتيال) وحتى تهمة الرجعية التي صدرت عن أيادي الأجنبي المتلبسين بصفة المثقف لم تتجه إلاّ للعلماء المتألقين بلحاظ الفكر السياسي وممن عرف بالتجديد في ساحة العلم والعمل، ولم تصب ـ التهمة ـ إلا الفئة التقدمية من العلماء التي عرفت بالوعي والرقي[1].

---

(١) كلمة قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

نلحظ ان هناك مجموعة من الممارسات والأعمال انطلقت في المحيط السياسي أو الجامعي على أساس إلغاء قيمة العلماء وشخصيتهم، وليست هذه ممارسة ساذجة تقتصر على صنف خاص.

فمن الخطأ ـ مثلاً ـ أن نتحدث عن الحوزة العلمية ككيان تقليدي بالرغم من ان منهجها التعليمي يقوم على أساس البحث والتحليل والتحلي بدقة النظر وممارسة الاستدلال والتجديد والإبداع، بحيث نعد أمثال الشهيد مطهري والشهيد بهشتي ـ وهما من تلاميذ الحوزة ـ مجرد ظواهر استثنائية في خط الحوزة.

ثمَّ احتمال يُتاخم اليقين انَّ الذين يظنون هذا المعنى ليس لديهم غرض أو سوء، ولكن هذه المسائل تقضي ـ بالنتيجة ـ إلى الفساد جزماً وهي إلى ذلك تتعارض مع الواقع. فمثل هذه الرؤية يمكن أن تؤدي إلى زوال القيمة العلمية والمعنوية للعلماء ـ وهم ممثلو الدين وحملة رايته ـ في المحيط الجامعي وبين الجامعيين، كما حصل ما يشبه ذلك قبل الثورة وإن كان بوسائل بدائية ولكن كانت له آثاره على أي حال.

فإذا ما أنكرنا العلماء والمرتبة العلمية للفقاهة وما لذلك من تأثير في حركة البلد راهناً، أو شككنا بسمعتهم أو عرضنا لهم بسوء فسنكون في الحقيقة قد ألحقنا الضرر بالنزوع الديني للشعب وبطبقة فاعلة وعظيمة في المجتمع.

وهذا هو ما يبتغيه الأعداء ويدخل عليهم الرضا والسرور ويحقق لهم ما يريدونه[١].

---

(١) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٠/٩/٢٠.

١٣ـ نفوذ المبشرين المسيحيين والشركات الغربية في المجتمعات الإسلامية.

حينما تعودون للتأريخ تجدون ان الاستعمار مهّد لنفوذه في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بإرسال المبشرين والبعثات التبشيرية المسيحية قبل ان يبعث السياسيون بجنودهم وجيوشهم.

لقد عمدوا أولاً إلى تنصير الهنود الحمر والسود، ثم لفوا حول أعناقهم حبال الاستعمار.. لتجيء بعد ذلك مرحلة طردهم من أرضهم وديارهم[١].

لقد ذهب المبشرون المسيحيون إلى أفريقيا أو أمريكا وتوغلوا في الأدغال والغابات منذ قرنين أو ثلاثة، والشيء المؤكد انهم بدؤوا ذلك قبل مائة عام على الأقل.

لقد توغلوا في الغابات والأدغال ووطأت أقدامهم أماكن لم يذهب إليها حتى التجّار، واشتغلوا هناك بالتبشير. إنّ المرء ليعجب أحياناً من بعض الأماكن التي يذهب إليها هؤلاء، حيث لا أمل يذكر في تنصير أهلها كما حصل في قدومهم إلى إيران مثلاً.

لقد أشرتُ في حديث سابق إلى أنّ المبشرين المسيحيين جاؤوا إلى إيران كراراً.. بدأت أول قوافلهم في عصر نادر شاه ـ وقبل ذلك أيضاً ـ وقد تركوا ديارهم وفارقوا أهليهم وتجشموا عناء السفر بالوسائط النقلية لذلك الزمان، وأمضوا في إيران سنين طويلة لكي يمارسوا التنصير والتبشير بالمسيحية![٢].

---

(١) من حديث القائد مع مجموعة من العاملين في أجهزة الاتصال الجمعي، ورؤساء مناطق التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

(٢) من كلام السيد في الدرس الأول لبحثه في الفقه الخارج، ١٣٧١/٦/٢٩.

تفيد تجربة الاستكبار أنه أينما تواجد الإسلام على نحو جاد ومؤثر وجبت محاربته. لقد تحركت بدايات الاستعمار الأوربي لبلاد المسلمين منذ القرن السابع عشر، حيث بدأت أوربا بمدّ نفوذها في هذه البلاد من خلال الشركات والكنائس وما شابه ذلك. ومنذ ذلك الوقت أدرك أولئك أنّ المجتمع الإسلامي والإسلام نفسه يتعارض مع أهدافهم الاستعمارية، وأنه في مواجهة مع قوافلهم التي جاءت إلى بلاد المسلمين من العالم الآخر. لقد وصلوا إلى هذه النتيجة من خلال قرائن كثيرة تدلّ عليها.

الهند ـ مثلاً ـ كانت بلداً تابعاً للإنجليز، بل كانت تعدّ لسنين متمادية ولاية من الولايات الإنجليزية. وحينما نذكر الهند لا نعني بها دولة الهند المعاصرة، بل شبه القارة بأجمعها أي الهند وباكستان وبنغلادش.

انها مفارقة عجيبة تدلّ على وقاحة الإنجليز الذين جاؤوا من بقعة صغيرة مما وراء البحار لينزوا على إقليم عظيم بكل ما يضمه من منابع وثروات ويسيطروا عليه، ويحولوه بعد ذلك إلى إقليم تابع رسمياً إلى التاج البريطاني!

إنها قصة تبعث على الحزن. لقد ظلّ البلاط البريطاني يُعيّن للهند حاكماً تابعاً للتاج الملكي طوال سنوات طويلة.

وفي إحدى المرات حصل وان صرّح أحد حكام الهند التابعين للتاج البريطاني قبل (١٥٠) سنة من الآن، أي قبل ان تبدأ أعمال المقاومة الهندية للاستعمار الإنجليزي بأن من أول أهدافنا في هذه الأرض هي قمع المسلمين واستئصال شأفتهم؛ لأن المسلمين أعداء لنا بطبيعتهم، وذلك على خلاف الهنود!

هذه هي تجربة الاستعمار[١].



---

(١) من كلمة للقائد في جمع من علماء محافظة جهار محال وبختياري، ١٥/ ٧/ ١٣٧١.

الفصل الثالث

مواجهة الغزو الثقافي

١ـ أهمية الإيمان بوجود الغزو الثقافي وضرورة النهوض لمواجهته

علينا أن نصدّق حقاً ونقتنع بأننا عُرضة اليوم لأمواج متدافعة من ضروب الغزو الثقافي[1].

اننا اليوم عُرضة من كل جهة لسهام خصومنا من الأعداء الأصليين في العالم، ولعدونا الثقافي الذي يحمل علينا من كل صوب. والخصومة الثقافية ضدّنا تستهدفنا على أرضية ثقافتنا العامة، وعلى صعيد ضرب ذهنية الشعب والنيل من جهده الثقافي، كما انها تستهدفنا على صعيد النشاط التعليمي وجهدنا في تربية القوى الإنسانية، وذلك لكي يحولوا دون بلوغنا مقاصدنا[2].

شمولية الغزو الثقافي

أعتقد انّ هناك هجوماً (ثقافياً) شاملاً ومنظماً ومخطّط له ضدنا. بديهي انّ الثورة لم تستطع في البداية ان تجذب فئات المثقفين والفنانين، وهم ممّن لا ينسجم مع الدين والإيمان والعلماء. نعم، ثمَّ مجموعة من أولئك استطاعت الثورة أن تجذبهم نظراً لما يتحلّوا به من وجدان يقظ، وبقيت المجموعة الأخرى في العزلة بعيداً ولم تستطع الثورة ان تجذبهم.

وقصة هؤلاء أنّ أحداً منهم لم يكن يجرؤ في السنوات الأولى من عمر الثورة على عمل أدنى شيء، ومردّ ذلك يعود إلى طبيعة هؤلاء.. فأنا أعرف أكثرهم عن قرب قبل الثورة.. هم يتهيبون الأخطار، وينأون بأنفسهم عن خوض الميادين الصعبة لذلك لم يكن لهذه الفئة خطر يذكر. لقد دفع الحماس الثوري

---

(١) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٦٨/٩/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٦٨/٩/٢١.

الذي ترافق مع بداية الثورة هذه المجموعة إلى ان تختار العزلة والقعود في الدار، والاستغراق في الذات والانطواء عليها، والاختباء وراء همومها بحيث لم يكن يصدر عنهم في الأكثر إلاّ همسات تشهدها حَلَقهم الخاصة في البيوت وخلف الجدران، يتباحثون خلالها همومهم الشخصية.

بيد أنهم عادوا ليدخلوا الساحة تدريجياً. أصدروا في البداية نشرة ثم عادوا لممارسة الكتابة والخطابة والشعر، وشجعهم كلام قيل من أحد بنفعهم فتشجعوا أكثر حين لم يجدوا أحداً يعترض عليهم.. حينئذ أحسّوا انه يمكنهم العمل في مثل هذا الجوّ بشكل مُنظّم ومخطط.

كان مبتغاهم أن يكسبوا الخطوط الخلفية للثورة إلى صفّهم، وإذا عرفنا انَّ الخط الأول يتمثل بالمسؤولين ومن يرتبط بهم فانَّ الخطوط الخلفية تتمثل بالقاعدة الشعبية العريضة والعظيمة. فهدفهم إذن كسب الجمهور العريض من أبناء الشعب.

كان منطقهم يقوم على أساس التفكير التالي: إذا استطعنا ان نكسب إلى صفّنا هذه القاعدة الشعبية العريضة التي تدين بالولاء للمسؤولين ونقطعها عنهم فإن كلّ شيء سينتهي، وهذا تفكير صحيح وصائب.

فإذا كان قُدّر لهذا التيار ان ينجز هذا الهدف لكان قد ألحق بالثورة ضربة موجعة. فإذا قُدِّر لهؤلاء ان يهيمنوا فعلاً على أفكار وقلوب ورغبات الخطوط الخلفية (الجماهير) ويتحكّموا أحياناً بمسار الاختيارات العقلانية (أي: المواقف) للقاعدة الشعبية، وأن ينجحوا في جذبها ومن ثَمَّ سوقها نحو اتجاه معين لاستطاعوا فعلاً ان يهيمنوا عليها.

وَهذا تفكير صحيح، ولكن هل استطاعوا فعل ذلك؟ أقول: كلا، ومردّه ان تقديرهم كان ساذجاً سطحياً منذ البداية، ولكن على أي حال خيّل إليهم انهم يستطيعون فشرعوا بالعمل!

هدفوا في البداية ان ينفذوا إلى السينما والمطبوعات بل وحتى إلى مؤسسة الإذاعة والتلفزيون التي تملكها الدولة، وجهدوا أن يكون لهم حضورهم في كلّ جزء من المجال الثقافي، وان يكون منهم رجل في كلّ نشاط ووجود ثقافي.

تحركوا أولاً بلباس النشاط الثقافي المحض ولكنهم عادوا الآن ليخوضوا المسائل السياسية، فبادروا إلى توجيه نقدهم إلى الدولة والنظام، بل وضعوا الخلفية الأساسية التي تقوم عليها مشروعية النظام في دائرة السؤال والاستفهام.

هذا هو الذي حصل، وهو أمر خطير جداً. وحينما نصفه بأنه خطير جداً لا نعني انه لا علاج له، أو انه صعب العلاج. كلا، فعلاجه في غاية السهولة واليسر بشرط ان يشعر المريض وكذلك الطبيب بأنّ هناك مرضاً بالفعل، فمع استشعار المرض والاحساس به يكون العلاج سهلاً.

انّ الخطر هو ان نجهل أنا وأنتم ما يدور ولا نستشعر وجود شيء.

نحن ننتمي إلى الصفّ الثقافي وبذلك لنا قدرة التميز الثقافي، والذي يعيش في الجوّ الثقافي ويستنشق هواءه لا حاجة به إلى اللمس حتى يفهم الشيء ويستشعر وجوده، انما يكفيه حسّه الثقافي الخاص.

يجب ان يعرف هذه الحقيقة ويدرك مغزاها الكتّاب الصحفيون ومؤسساتنا الثقافية من قبيل مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، ووزارة الإرشاد، ومؤسسة الإعلام الإسلامي، والتربية والتعليم والجهات الأخرى!

بديهي ان تكوين هؤلاء (النفسي والداخلي) وطبيعتهم ليست طبيعة مؤمنة صلبة، لذا فهم ينسحبون إلى الوراء بأقل إشارة.. كلامهم وان كان جميل المظهر إلاّ أنه لا يقوم على بُنية إيمانية ومرتكز عقائدي.

وفي الحقيقة هذه صفة الكتّاب والمثقفين من ذوي المنهج المادي، فهم حين تنظر إليهم من بُعد تجدهم يجيدون الكلام، تظهر عليهم الحماسة الفائضة حتى كأنهم يتحدثون من أعماق نفوسهم، بيدَ انك حين تقترب منهم لا تجد شيئاً، فكلامهم لا يزيد عن لقلقة لسان وليس له مستقر أبعد من ذلك.

كتب الكثير من هؤلاء عن الاستعمار والصهيونية والظلم وما شاكل ذلك، ولكنه لم يكن على استعداد ان يتحرك خطوة ويكون مع الشعب في الميدان، بل كان يطعن الجمهور.

هؤلاء أسرى الأهواء النفسانية غرقى بأوهام ذواتهم[(١)].

الحقيقة الواقعية للغزو الثقافي

علينا أن نتعاطى مع مسألة الغزو الثقافي بجد وبوصفها مقولة حقيقية، فالمعركة الثقافية ضدّ الفكر الإسلامي والجمهورية الإسلامية هي مسألة تنطوي على فروع وشُعب مُتعدّدة. وإذا شاء الإنسان ان يتوفر على إحصائها والبحث فيها فسيجد انها مفتوحة على مجال وسيع جداً.

لو افترضنا على سبيل المثال ان الفكر السياسي الإسلامي أصبح عُرضة للشكوك ولعلامات الاستفهام في الصحف والدوريات، وفي الكتب المختلفة، والمترجمات وحتى في عملية تدوين التأريخ فستكون تبعات ذلك خطيرة حينئذ، لانّ هذه الثورة ركيزتها الأولى مباني الفكر السياسي الإسلامي، فإذا لم

---

(١) حديث قائد الثورة في عدد من مسؤولي الجمهورية الإسلامية، ١٣٧٠/٥/٢٣.

يكن الإسلام ينطوي على فكر سياسي لم يكن ثمة معنى لثورة تقوم على أساس الإسلام، ومن ثم لما انبثق نظام يقوم على أساس مباني (أُصول ومرتكزات) ذلك الفكر.

وفي كل الأحوال فقد تشكل هذا النظام وابتنى على أساس الفكر السياسي الإسلامي، وهو يتحرك في ضوئه. لذلك لا معنى أن نتصوّر بأن يبقى هذا الفكر السياسي من دون معارض، بل ثمَّ إزاءه أفكار ومدارس ورؤى واتجاهات سياسية أُخرى.

اننا نشهد اليوم الكثير من البحوث والمقالات والكتب والتواريخ وحتى السِّيَر الذاتية وتراجم الشخصيات، وهي تنهض لمواجهة هذه الصيغة من الفكر السياسي الذي يقوم عليه نظام الجمهورية الإسلامية.

بديهي اننا لا نستغرب أن ينهض أحد المعارضين الفكريين (للنظام) ويقوم بكتابة مقال أو تأليف كتاب فهذا السلوك متوقع، وينبغي علينا أن لا نضيق به ولا نقع في ردّ فعل شديد إزاء ذلك، بل يمكن أن يقوم أحدهم بوضع كتاب ضدَّ التوحيد نفسه، وهذا أمر طبيعي! فهم يكتبون ضدَّ التوحيد، وَنحنُ نكتب في التوحيد.

بيدَ انَّ المسألة تكتسب شكلاً آخر حينما نضع الأعمال المتفرقة هذه إلى جوار بعضها بعض، إذ نكتشف بالتأمل ان هذه الممارسات لم تكن وليدة صدفة محضة، بل هي بمجموعها تصدر عن خطة محسوبة، وان ثمة إرادة تحرّك القضية برمتها.. وهي في الواقع جزء من النشاط السياسي لمواجهة الفكر السياسي الإسلامي على صعيد حركة المطبوعات.

ثمة أشكال أُخرى لحركة المواجهة هذه تتمثل هذه المرَّة بإثارة علامات الاستفهام حيال عقائد الإسلام الأساسية، والردّ عليها بشكل يكشف عن ذكاء

ومكر. يحصل ذلك من خلال الكتب العامة، والكتب والملازم الدرسية، ومن خلال صفوف الدرس نفسها.

إلا انّ الشكل الأساس والأهم الذي تتلوّن به حركة المواجهة ضدّ الفكر السياسي الإسلامي والذي يُعَدّ من أهم عناصر الغزو الثقافي يتمثل ببذل الجهود لجرّ جيل الشباب نحو مستنقع الفساد والابتذال.

والذي يبعث على الأسف اننا حينما نتحدَّث عن الغزو الثقافي وضرورة مواجهته، وعن النهي عن المنكر فانَّ ذهنية الناس تنصرف في الغالب نحو مصاديق صغيرة بتأثير السوابق الذهنية أو أية مؤثرات أُخرى.

وثمة نتيجتان سلبيتان تترتبان على هذا التداعي الذهني، هما:

الأولى: ان مجموعة من الناس السطحيين لا تلبث أن تحصر القضية في حدود هذه المصاديق الصغيرة، فيعبّئوا جهودهم ويستهلكوها في حدود هذه الأمثلة والوقائع الصغيرة العابرة التي لا أهمية لها.

الثانية: حين يرى مفكرو المجتمع وقواه الثقافية الخلّاقة انَّ القضية تقتصر على مثل هذه المسائل التي لا شأن ولا أهمية لها ترى اهتمامهم يتضاءل بأهمية القضية الأساسية المتمثلة بالغزو الثقافي، وهذا ما يبعث على القلق.

على سبيل المثال يمكن ان تتجلى قضية الغزو الثقافي في سلوك بعض النساء (المتبرجات) من خلال طبيعة زينتهن ولباسهن وكيفية حركتهن في الشارع من دون أن يُعير أحد هذا المنكر الاهتمام الذي يستحقه، ولكن القضية لا تقتصر على ذلك بل تنطوي على أبعاد أعمق، إذ هي تكشف في حقيقتها عن وجود جبهة واسعة من قبل العدو يوظّف فيها الوسائل المؤثرة الخطيرة والفاعلة، ويستفيد من العلم والتقنيّة في مواجهة الجمهورية الإسلامية من خلال الغزو الثقافي.

تحتاج هذه الحركة إلى مواجهة جادَّة، وإذا لم تُواجه بحركة مضادَّة فهي مُنتصرة بلا ريب.

والذي أؤمن به شخصياً اننا إذا لم نتحرك بذكاء في مواجهة موجات هذا الغزو بحيث نوظّف له الوسائل الصحيحة الناجحة، ونعتمد الحكمة والتدبير فإن آثاره ستكون خطيرة جداً ومدمِّرة.

علينا إذن ان نتعاطى مع هذه القضية وان نتجنب إعمال الأذواق والأمزجة الخاصة، فإذا كان لمسؤول في أحد مجالاتنا الثقافية ذوق خاص ومزاج خاص إزاء مسألة معينة فلا ينبغي ان يتحوّل هذا الذوق أو المزاج إلى معيار خاص وملاك في الموضوع، وانما ينبغي رؤية الخطر بحجمه الحقيقي وإدراك ما ينطوي عليه من أهمية[1].

الغزو الثقافي الذي أكّدنا عليه مراراً هو تعبير عن قضية واقعية واضحة لا يسعنا ان نقضي على وجودها عملياً بمجرد إنكارها. الغزو الثقافي هو واقع قائم وموجود، وإذا أنكرناه نكون مصداقاً لكلام أمير المؤمنين علي (صلوات اللّه عليه) حيث يقول: «**وَمَن نام لم يُنم عنه**»[2].

فإذا غفلت أو أخذك النوم وأنت في خندقك فذلك لا يعني أبداً أن عدوّك في الخندق المقابل اعتراه النعاس وأخذه النوم أيضاً، لذلك يجب أن تحرص على ان تستيقظ وتخرج من حال الغفلة!

علينا ان ننتبه أنَّ الثورة الثقافية في خطر، كما انَّ أصل ثقافتنا الوطنية والإسلامية هي تحت طائلة تهديد الأعداء[3].

---

(١) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٠/٩/٢٠.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ٦٢.

(٣) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٠/٩/٢٠.

وضوح مظاهر الغزو الثقافي وشدته

لا يسعنا ان ننكر ما هو موجود واضح للعيان (يعني به مظاهر الغزو الثقافي) في الجامعة وخارج الجامعة، بل وحتى في وسائلنا الإعلامية وأجهزة الاتصال العامة التي تختص بنا. كما لا يسعنا ان ننكر ما هو موجود في ثنايا الكتب التي تؤلف، وتلك التي تُترجم.. وفي الشعر الذي ينظم ويلقى.. وفي البرامج الثقافية العالمية.. التي تبدو في الظاهر وكأنّها لا صلة لها بنا.. مما يحيط بأخباره السادة الحضور لكونهم من العناصر الثقافية.

ثمَّ تهيّؤ واستعداد ثقافي في كلّ مكان ضدّ الثورة، وهذا الاستعداد من الخطورة بمكان.. وهو لا يشبه ما كان موجوداً قبل مائة عام مثلاً.

أجل، قبل مائة عام كان هناك غزو ثقافي ضد الإسلام، ولكن ليس على الشاكلة التي هو عليها الآن. والفارق بين الحالتين يمكن أن نوضحه بمثال، فعندما يواجه الإنسان عدواً كسولاً لا همة له سيكون على ضرب من الاستعداد العسكري يختلف تمام الاختلاف عن الاستعداد والتجهيز العسكري الذي يتحلى به الإنسان عند مواجهته لعدو يقظ منتبه.

كان العالم الإسلامي يوم ذاك يغطّ في سبات عميق ويعيش حالة خدر بل كان ثملاً غائباً عن الوعي، لذلك كان العدو يكتفي آنذاك بضربات يوجهها إلى الجسم الإسلامي في بعض الأحيان، أو انه يزرق (سمومه) في دمائه وينتهي كلّ شيء. أمّا اليوم فإن الإسلام ـ وهو العدو الرئيس لدنيا الغرب ـ أضحى يقظاً.. الإسلام اليوم أمسى ذكره يترافق مع ذكرى مواقف ممتدة لا تنتهي، كتلك التي تنطوي عليها شخصية مثل شخصية الإمام الخميني (قدس سره).. ولَه اليوم كلّ هذه الذخائر الثورية.. والشباب الملتزم.

هـذه الحالـة لا تسـمح للآخـر أن يتعـاطى مع الإسـلام اليـوم بإهمـال وعـدم جديّة[1].

ثمَّ اليوم غزو ثقافي عظيم يمارس ضدّ الإسلام وفي مواجهته، وهذا الهجوم الواسع لا يقتصر على الثورة الإسلامية ولا يستهدفها لوحدها، بل هو يتعدّاها إلى الإسلام نفسه.

يكتسب الغزو الثقافي الآن ـ لشدّته ـ وضعاً استثنائياً عجيباً وهو يمتد على أبعاد وسيعة ثقافياً واجتماعياً وسياسياً.. وهذا الهجوم لا يقتصر على أحد، بل هو ينال حتى صيغة الإسلام السائد بين جماهير الناس (ما يعرف بالإسلام الشعبي) في الجزائر مثلاً.

أجل، الصيغة الوحيدة المستثناة من الهجوم هي صيغة الإسلام المرتبط بالأجهزة الاستعمارية والأجهزة السعودية.

فالمواقع التي ترتبط بهذه الصيغ ـ من الإسلام ـ هي وحدها المستثناة من الهجوم.

وإذا كان الهجوم لا يوفّر الإسلام بمعنى كونه عقيدة شعبية لعامة الناس، فما بالك بالإسلام الأصيل.. الإسلام الثوري.. الإسلام بالفهم الإيراني (الإسلام الإيراني) على حدّ تعبيرهم.

الممارسات التي تسمعون بها حيال موقف فرنسا من حجاب الطالبات، لا تعدو أن تكون شرارة وجذوة تتقد تحت الرماد، تنذر بآتٍ عظيم لازال خفياً وراء الستار. المسألة في قضية الطالبات المحجبات لا تقتصر كما يزعمون على دولة علمانية ترفض وجود المحجبات، بل تأخذ بُعداً أعمق.

---

(١) حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٠/٩/٢٠.

ينتابهم إحساس عميق بأنَّ الإسلام يمثّل خطراً بالنسبة إليهم، وليس في هذه المسألة جديد وانما لها خلفية في الهند. فقد ذكرتُ في كتابي ـ ولا تحضرني العبارة نصاً الآن ـ انَّ أحد حكّام الهند قبل الاستقلال ـ أي قبل سنة ١٩٤٧ ـ كان قد ذكر في أوائل نفوذ الإنجليز إلى شبه القارة، ان مشكلتهم الأساسية هم المسلمون، وعليه فإنَّ أول ما يجب ان يقوموا به هو قمع المسلمين واستئصالهم كي يخلو لهم الجو.. ولابدّ انكم سمعتم بمقولة غلادستون الذي أعلنها صريحة: «يجب أن يمحى هذا القرآن من الوجود».

انهم إذاً يخشون الإسلام منذ قديم الزمان ويهابونه ويتمثلونه خطراً عليهم.

وهذا الشعور لم ينشأ من فراغ أو من لا شيء، بل لأمور لمسوها في حركة الإسلام. فهم اطلعوا على سبيل المثال على حركة «التنباك» (التبغ) وقضايا أُخرى جرت في الهند وأفغانستان وإيران ومصر، بيد أنهم سرعان ما غفلوا عما يمثله الإسلام من خطر على منافعهم، ولم يعد الاستعمار يبدي حساسية كبيرة إزاءه.

والسبب في ذلك يعود إلى انَّ المسار الإسلامي لم يُبدِ فعلاً ملموساً مما أدّى إلى ان يغفل الاستكبار عن الإسلام لفترة.

حالة الغفلة هذه لم تمكث طويلاً، فبعد مرور عدّة عقود انتصرت الثورة الإسلامية مما أدّى إلى أن يعود الاستعمار إلى ذاكرته، ويستحضر ما كان قد حفظه في أرشيفه وخزائنه من معلومات جمعها عن المسلمين بواسطة مفكريه وجواسيسه، ثم عاد ليضيف إلى هذا المخزون حصيلة بحوثه التحليلية الجديدة.. ومن هذه الزاوية بالذات ننظر إلى ما تقوم به «إسرائيل» على سبيل المثال من المبادرة لعقد مؤتمر حول الإسلام، أو حول الإسلام في إيران، أو حول التشيّع.

فأمثال هذه النشاطات تتحرك في المسار الذي يركز معلومات الغرب ويزيدها حيال الإسلام.

لقد تحرك الغرب والعالم الرأسمالي للحفاظ على وجوده بكل ما يملك، وتوسّل بالطريقة العلمية في توجيه الأحداث العالمية. ومردّ ذلك انه يعرف بأنه إذا لم يفكر.. ولم يستخدم الأرقام والاحصائيات.. ولم يستشرف المستقبل.. ويستشعر حالة القلق فسيمنى بضربة تنال من وجوده.

وقد وُضعت في هذا المضمار بين يدي الأجهزة الاستكبارية أرقى المؤسسات البحثية، وأفضل الخبرات الفكرية التي أخذ يوظفها للتخطيط لقضاياه على المدى البعيد. هم منهمكون منذ عقد ونصف أو عقدين أو أكثر من ذلك في التخطيط والتفكير ووضع البرامج.

المهم انَّ هذه الأجهزة دخلت حال الاستنفار حين أحسّت انَّ الإسلام ـ وهو الخطر القديم الذي يخاف منه الاستعمار ويخشاه ـ عاد إلى الساحة في إيران بقدرة عظيمة.

لكي تدركوا وطأة عودة الإسلام على الاستعمار والغرب أعود قليلاً إلى مثال يمكن أن تقاس عليه أوضاعهم وما ألمَّ بهم بعد انتصار الثورة. ففي عام (٣٦) أو (٣٧) وقع انقلاب عسكري في العراق أطاح بالملك فيصل ونوري السعيد، فجاءت ردّة فعل الإنجليز والجهاز الاستعماري عنيفة لا توصف. ومما يذكره إيدن رئيس وزراء بريطانيا في مذكراته أنه كان يمضي فترة استراحة آخر الأسبوع في جزيرة حين سمع بالخبر، فأحسَّ حينها ـ وكما يقول ـ وكأنَّ ضربة موجعة نزلت على دماغه، وانَّ الدنيا أخذت تدور برأسه.. لا أتذكر الآن نصّ تعبيره بيدَ انه كان يدور حول هذا المضمون.

ثم توالت على هذا المنوال كتابات الإنجليز بعد إيدن في كتب المذكرات وغيرها وهي تؤكد لعدّة سنوات على حجم الضربة وشدّتها.

ولكم الآن أن تقارنوا بين واقعة بحجم الثورة الإسلامية وبين انقلاب عسكري لتدركوا ثقل الوطأة التي ألمّت بالاستعمار.

لم يتحملوا انقلاباً عسكرياً عادياً لجهة ان العراق كان مستعمرة إنجليزية، مع انه كان للأجهزة الاستعمارية نفسها يد في هذا الانقلاب كما تأكدّ فيما بعد.. وبالرغم أيضاً من ان التبعات التي ترتبت عليه والتي ظهرت بعد عشرين أو ثلاثين سنة متمثلة في طبيعة الحكم الراهن الذي يسيطر على العراق.

طبيعي لا يمكن قياس حدث الثورة الإسلامية بانقلاب عسكري، ولكن قارنوا بين الواقعتين لتدركوا ماذا دهى الاستكبار.

لقد وضعت الثورة الإسلامية بانتصارها حيثية النظام القيمي للاستعمار الغربي والعالم الرأسمالي في دائرة الشك والسؤال، وبالتالي أخذت تُهدّد مستقبلهم بالكامل. ولما كانت الثورة قد نهضت على أساس الإسلام فإنّ معنى ذلك انّ الثورة أضحت مشروعاً ممكناً بالقوة، وقابلة للتحقّق الفعلي في كل مكان يتواجد فيه المسلمون كما رأوا ذلك فيما بعد في نماذج وأحداث مختلفة.

لقد نهض الإسلام في مدار المحور الإسلامي برمته من أفغانستان حتى اندونيسيا مروراً بماليزيا ومصر وتونس وجميع البلدان الأُخرى، حتى تلك التي يسود فيها ما يطلق عليها بالأنظمة الثورية كالجزائر أو ليبيا.. فالإسلام على امتداد هذه الرقعة كان ولا يزال ينادي: هل من مُبارز، وعلى حدّ كلمته تتحدَّد ملامح خريطة المستقبل في هذه البلدان.

بعثت هذه الحالة من النهوض في كيان العالم الرأسمالي الاستكباري إحساسا بالخوف دفعهم لتظافر الأيدي واجتماعها في مواجهة الإسلام.

وكذا كان الحال في العالم الاشتراكي ولكن على نحوٍ آخر، ومردّ ذلك انّ العالم الاشتراكي تنقصه الأدوات الفكرية اللازمة، وهو بالتالي يفتقر إلى النظرة المستقبلية التي يتحلى بها الغرب في هذا المضمار. وسبب هذا التخلف يعود إلى أنّ الأرقام وتخزين المعلومات والإحصائيات المتخصصة وبحوث التنبؤات (بالمستقبل) هي جميعها جزء من الحضارة الصناعية، وتخلُّف المعسكر الشرقي في هذا المضمار يتناسب مع نسبة تخلفه عن الغربيين في المجال الصناعي والتقني.

لذلك كلّه لم يكن انتباه المعسكر الشرقي (للانبعاث الإسلامي) على قدر انتباه الغرب ويقظته.

علاوة على ذلك كان ثمة إحساس يُخامر المعسكر الشرقي يوحي لهم بمنافع مشتركة مع الثورة.. فالمعسكر الاشتراكي رأى صدمة الغرب من الثورة، فخيّل إليه انّ هذه الحالة ايجابية بالنسبة إليه.

لقد انتهت الآن قصة الغرب والشرق، ولم يعد ثمة معنى للمعسكر الشرقي والمعسكر الغربي. فالاتحاد السوفيتي انتهى وتلاشى تبعاً له المعسكر الشرقي ليُسدل الستار بذلك على التطلعات الماركسية ويغلق ملف الاشتراكية.

وفي كل الأحوال يستهدف التفكير المضاد (الغربي ـ الاستعماري) الإسلام الأصيل، وإذا شئنا ان نكون أكثر دقة فهو يستهدف الدين الأصيل، والذي نعنيه بالدين الأصيل النقي هو نمط من الفكر يتجاوز الثورة الإسلامية. فالهجوم المضاد لا يقتصر على الثورة وحدها، بل هو يستهدف الإسلام برمته .. وهو يستهدف في وجه من الوجوه، أي دين يحسّ (الغرب) انه ينطوي على أصالة.

ومعنى ذلك انّ رجل الدين المسيحي في أمريكا اللاتينية مغضوب عليه بنفس الدرجة التي يُغضب فيها على العلماء الثوريين المصريين أو التونسيين.

مثل هذه الحالة من الأصالة والنقاء الديني مستهدفة في أنحاء العالم كافة، بيدَ أنَّ المركز الأصلي (الأساس) لها في إيران، وقد انتبه (الغرب) إلى ان إيران أضحت هي الموطن الأصيل لهذه الحالة.

يمكن تصوير الموقف الآن بوجود جبهة ثقافية عظيمة تتعاضد في دعمها السياسة والتقنيّة والمال وضروب الدعم الأخرى، وهي اليوم تنحدر كالسيل ضدّنا. وهذه الحرب ليست حرباً عسكرية، ومن ثمَّ لا أثر للتعبئة العسكرية العامة في مواجهتها.. الخطير فيها اننا في اللحظة التي ننتبه إلى آثارها نكون قد أُصبنا بها وشملنا بلاؤها.

الغزو الثقافي يشبه قنبلة كيميائية تنفلق خلسة دون أن يحسّ بها أحد، ولكن بعد انفجارها ببضع ساعات ترى الوجوه والأيدي قد أصيبت جميعاً.

يتحرك الغزو الثقافي المعادي على نفس هذه الشاكلة، إذ نراه فجأة وقد ظهرت علائمه وانبثت آثاره في مدارسنا وشوارعنا وجبهاتنا، وفي حوزاتنا ومدارسنا.. بتنا الآن نرى شيئاً من هذه العلامات وستبرز هذه المظاهر في المستقبل أكثر.

من علامات الحالة اليوم هي طبع كتاب هنا وإنتاج فلم هُناك، ونفوذ الفيديو إلى البلد، والمستهدفون هم نحن والإسلام والثورة.

أمّا بصدد مواجهة الغزو الثقافي وصدّه فلا ينبغي ان نشك في أننا بحاجة إلى المال والميزانية الخاصة، وإلى إمكانات الدولة ودعمها السياسي. بيَد انَّ الدولة تريد من اعطاء المال وتقديم الدعم ان توجد تياراً فكرياً، ولكن أين يُنتج هذا الفكر وكيف[1]؟

---

(١) حديث قائد الثورة إلى عدد من فضلاء الحوزة العلمية في مدينة قم، ١٩٦٨/٩/٧.

استبدال الغزو العسكري بالغزو الثقافي

بات العدو يؤكد الآن أكثر ما يكون على الغزو الثقافي. حين أنظر الآن إلى المشهد من موقعي كإنسان أُمارس الثقافة والسياسة أجد انّ المعركة محتدمة بينك.. أنت أيّها الشعب الإيراني الذي تأخذ جانب الإسلام والمستضعفين وتعادي الاستكبار في العالم، وبين أعدائك من أركان جبهة الاستكبار المعادين للإسلام، وذيولهم من الأرذال الذين دفعتهم مصالحهم الشخصية وأهواؤهم النفسية لكي يكونوا بوقاً للاستكبار ومطايا له.. الصراع ناشب بين الطرفين.

لقد انتهت الحرب المسلّحة، ولو استطاع الاستكبار العالمي لأشعل شرارة الحرب العسكرية ضدّنا مرةً أُخرى. بيدَ أنها ليست مهمة سهلة بالنسبة إليه.. ولكن انبثقت بديلاً عن الحرب حالة من الصراع الفكري والحرب الثقافية السياسية.. فكل إنسان له دراية بالأخبار واحاطة ذهنية بما يجري في العالم يستطيع ان يلمس مِن خلال نظرة يلقيها على الساحة ان العدو بصدد أن ينفذ عن طريق الوسائل الثقافية، ويمارس أكثر ضغوطاته بهذا الأُسلوب.. وهذا الأمر يبدو من المسلّمات.

انّهم ليسوا قلّة أولئك المأجورون من حملة الأقلام والمتعلمين الذين باعوا دينهم وتجاوزوا وجدانهم وضميرهم، وجلسوا على مائدة الفساد الاستكباري، وراحوا يحققون بأقلامهم مآرب الاستكبار.. ينظمون الشعر.. ويمارسون شتى الفعاليات.. أغلب هؤلاء في الخارج، وبعض جماعاتهم تمارس نشاطها ولا تزال في داخل البلد[1].

هناك في أمريكا الآن مجاميع.. تستلم الأموال.. تأخذ الأموال من صدام وتنشط ضدّ الجمهورية الإسلامية.. وهي تحتاج إلى غطاء ثقافي تتستر به..

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء مع عدد من المعلمين ومسؤولي الشؤون الثقافية، ١٢/٢/١٣٦٩.

وإصدار مجلة هناك، وكتاب روائي هنا هو الذي يوفّر الغطاء المطلوب. إنهم يستهدفون تهيئة الساحة من خلال النشاط الثقافي.

ومن الخطأ ان ينظر إلى ممارسات هؤلاء على أنها نشاط ثقافي محض.. وفي الواقع لو كانت هذه أعمال ثقافية محضة، فهي تحتاج أيضاً إلى تعبئة المؤمنين إزاءها ومواجهتها لكونها تمارس تخريباً ثقافياً.

بيدَ انّها ليست ممارسة ثقافية محضة بل هي ممارسة ثقافية سياسية وهي ممارسة اقتصادية في جهة من الجهات، لأنها مدعومة من الشركات.. ومن أجهزة الاستكبار.. حتى إذا ما توارت العوامل الحقيقية عن الواجهة وانسحبت إلى الوراء ظهرت الأعمال بالصورة (الثقافية) التي نعاينها.

ومردّ ذلك ان الخط الأول الذي يكون في مواجهة الشعب لا يمكن إلاّ أن يكون بهذه الكيفية.. فالقاعدة الجماهيرية العريضة لا تُواجه بالدبابة والمدفع والرشاش، وانما بالكتاب والمجلة والقلم[1] (أي بالتخريب الثقافي).

أضحى الإسلام اليوم، بالفهم الثوري، أو بحسب تعبير الإمام الراحل؛ الإسلام المحمّدي الأصيل، حضوره بإزاء جميع مظاهر استعراض القوة التي تمارس استكبارياً بحيث يخشاه الأعداء. فها هو ذا الإسلام يجذب إليه الشعوب بحيث انك حيثما تتنقل في بقاع العالم الإسلامي أو غير الإسلامي تجد أعداداً كبيرة من الناس.. من الشباب، يدفعهم الشوق إليه ـ الشوق إلى هذا الشبح الذي يسمع به ويلمسه عن بعد ـ وقد عقدوا الآمال عليه. ومرد هذه الحالة إلى انّ الإسلام أضحى الآن الخندق الوحيد الذي بقي يواجه الاستكبار بمثل هذه العظمة والجلال ويقارع الشيطان وأحابيله.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء مع قسم الأدب والفن في الدوائر الأدبية التابعة لمنظمة الاعلام الإسلامي، ١٣٧١/٦/٢٢.

وأضحى العداء نتيجة ذلك أكثر عمقاً وتجذراً للإسلام وللنظام السياسي الذي يحمي حقيقته ويروّج له ويرفع لواءه.. وفي الواقع هذا هو الجانب الآخر في القضية.

ومعنى هذا ان علينا ان ننتظر عداءاً عميقاً جاداً ومعقّداً من جهة الاستكبار. ولمّا كان من المستبعد ان يتجسّد هذا العداء في شكل هجوم عسكري مسلّح بلحاظ التجارب السابقة لذا من المحتمل جداً ان يُلجأ إلى خيارات أُخرى للمواجهة، منِها تضييق حلقة الحصار الاقتصادي وزيادة الضغط السياسي وممارسة الضغوط عبر ترويج مراكز الفساد والابتذال في الداخل.

إن حديثي مكرراً عن وجود مؤامرة ثقافية.. أراها رأي العين.. واتمثلها مجسدة أمامي هو حديث يستند إلى الأدلة وليس محض شعار. وهذه المقدمات (التي تبرز على السطح الآن) يمكن ان تؤكد ادعاءنا وتقرّبه كثيراً إلى الأذهان.. هذا الادّعاء القائل انَّ العدو اليوم يخوض حرباً ثقافية ضدّنا بتمام المعنى، يوجهها في الداخل بأساليب ذكية جداً[١].

فقد أدرك الأعداء انّ عليهم أن يدمّروا خطوطنا الخلفية عندما تكون هناك مجموعة من العسكر تقاتل في الخط الأمامي، فلو كان الإسناد الخلفي لهم جيّداً سواء من ناحية العدّة أو العدد أو الجانب النفسي ـ على سبيل المثال وصول رسائل آبائهم وأمهاتهم إلى خط المواجهة ـ فإن المقاتلين سوف يصمدون كثيراً في هذه الحالة، وأما إذا قصف العدو خطوط الإمداد وقطع عن الخطوط الأمامية كلَّ تلك الأمور فلن يكون بمقدور مقاتلي الخط الأوّل ان يصمدوا لفترة طويلة.

---

(١) حديث قائد الثورة في تجمع أئمة الجمعة، ١٣٧٠/٦/٢٥.

انّ السند الخلفي لجهاد شعبنا في إيران مع الاستكبار العالمي يتمثّل بثقافتنا وهي عبارة عن أخلاقنا الإسلامية و توكّلنا على الله وإيماننا بالإسلام وحُبّنا له، المرأة التي تقدّم أربعة من أبنائها شهداء تقول لقد قدّمت هؤلاء هدية للإسلام وأنا مسرورة بشهادتهم.

أنا شخصياً رأيت بعض العوائل عن كثب وذهبت إلى منازلهم وتكلمت مع الآباء والأمهات، أنا لا أروي نقلاً عن أحد لقد رأيت هذه المناظر بنفسي عن قرب، هناك عائلة فيها ولدان وقد استشهد كلاهما، وأخرى فيها ثلاثة استشهدوا جميعاً، هل هذا مزاح؟ أفيمكن تحمّل هكذا مصيبة؟ لقد كان المفروض ان يجنّ الأب والأم من الحزن والغمّ ولكننا رأينا خلاف ذلك، رأينا انّ الام ـ والتي غالباً ما تكون أكثر عاطفية ـ تقول بكلّ حزم «سيدنا لقد قدّمنا أولادنا في سبيل الإسلام ونحن راضون».

ولقد أدرك العدو انّ تأثير الإسلام والإيمان بالله يظهر عندما يقول الأب والأم وابنهما الشاب «انّك لم تتجاوز السادسة أو السابعة عشرة من عمرك، ولقد ذهب أخوك إلى الجبهة واستشهد فابقَ أنت هنا ادرس والعب وامرح» ولكن ذلك الشاب يقول «لا، يجب ان أؤدي دوري في الدفاع عن الإسلام» لقد لاحظنا هذه المعنويات كثيراً من خلال قراءة الوصايا التي كان يكتبها الشهداء، ولقد سمعنا مثل هذه المفاهيم شخصياً من عوائل الشهداء، ذات يوم أصدر الإمام(قدس سره) بياناً شرح فيه حاجة الجبهة إلى الشباب وكنت خرجت يومها إلى الشارع لقضاء بعض الأعمال فرأيت الشوارع ممتلئة بالشباب تماماً مثل الأيام الأولى للثورة، وكانت الناس تتحرك أفواجاً تلبية لما أمر به الإمام (قدس سره).

ولقد تكرّرت هذه الحالة ونظائرها لمرات عديدة طوال الحرب كلّما نودي باسم الإسلام وكلّما تكلّم الإمام(قدس سره) والذي كان ينطق بلسان الإسلام وكانت الناس تطيعه باعتبار تمثيله للإسلام. كلما كان ذلك رأيت الشعب يتميز غيظاً وتحمّساً لتنفيذ أوامره. فيهجر الشباب المدن والجامعات والأسواق وساحات كرة القدم وكلّ المشاغل الأخرى ويذهبون إلى الجبهة، حتى يجعلوا أنفسهم عرضة للموت.

ان هذه قضية جدّية، ولم يكن العدو غافلاً عن ذلك بل كان يتابع ويحلّل. أدرك العدو انّ لهذه الأمة سنداً وما دام هذا السند قائماً فلن يكون بالإمكان إخضاع هذه الأمة بالمحاصرة العسكرية والاقتصادية وأمثالها.

يجب تحطيم ذلك السند، ويجب أن تمحى ثقافة هذه الأمة وقرآنها وجهادها وإيمانها وإيثارها واعتقادها بدينها واعتقادها بقيادتها بالقرآن والشهادة والجهاد، ولهذا شرعوا بهذا العمل وكانت البيئة ملائمة بعد الحرب، وذلك لأن جبهات القتال كانت تجلب اهتمام الشباب فلم يكونوا يصغون لأراجيف الأعداء ولكن عندما خمد لهيب الحرب تهيأ الظرف لهم فشرعوا بعملهم على جبهة منفتحة، واستعملوا مختلف الوسائل في هذا المجال.

٢ـ المعرفة والتخطيط السليم

حريٌّ بالمسؤولين والمتصدين للشؤون الثقافية في البلاد وعلى كافة المستويات أن يتملّكهم الشعور بأنهم اليوم جنود لهذه القضية، وليعرفوا كيفية الدفاع والعمل الذي هم بصدد القيام به، فلابد من التحلي بالحذر وتشخيص الميدان كما هو الحال في الحرب العسكرية؛ إذ إن الذي يخوض حرباً عسكرية ويدخل ميدانها دون معرفة ورصد وتشخيص جيد لأوضاع العدو مغمضاً عينيه مطأطئاً رأسه فسيكون مصيره الهزيمة.

وهكذا بالنسبة للحرب الثقافية فإن لم تعلموا ماذا يصنع العدو أو لم تطيعوا ذلك الذي لديه العلم، وإن لم تستلموا أوامركم من القائد في الميدان الثقافي، أو إنه لم يستثمر طاقاتكم ولم يحسن المناورة والتنظيم فإن الهزيمة هي المآل[1].

إن العدو يشنّ غزواً ثقافياً منظماً ضد الجمهورية الإسلامية في إيران فإن قابلناه بردّ يعوزه التنظيم فسيزداد هجوم العدو خطراً، لذلك يجب أن تحظى هذه القضية بالاهتمام والعناية، ومن الضروري أن تتّحد المؤسسات ذات العلاقة فكرياً ويعاضد بعضها بعضاً في هذا المجال وتستخدم شتى الآليات لإحباط الغزو الثقافي المعادي[2].

كل ما يحتمل وقوعه في السياقات العسكرية يعدّ خطراً ففي التقارير العسكرية التي تردنا افرضوا أننا الآن لا نواجه مشكلة في الخليج الفارسي، ولكن أليس متوقعاً أن تدخل الخليج الفارسي سفينة فتقصف إحدى المناطق؟ في التقارير العسكرية يمثل ذلك أمراً حتمياً، أي إنه بمثابة ملاك لدخول حالة الإنذار التي تبلّغ للجهات العليا؛ إنه احتمال لوقوع خطرٍ ليس إلاّ. وحريٌّ بنا ـ حسب تصوري ـ أن نأخذ هذا السياق العسكري في الحسبان ونعتبره مناطاً على صعيد الجبهة السياسية والثقافية؛ وقد تطرأ ـ بطبيعة الحال ـ بعض الأولويات التي تحول دون مبادرتنا إلى ما هو أبعد من تلك القضايا[3].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من المعلمين والمسؤولين عن الشؤون الثقافية والعمال، ١٣٦٩/٢/١٢.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧١/٩/١٩.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه قسم الأطفال والأشبال في الإذاعة، ١٣٧١/٢/١.

لابد ـ على أية حال ـ من معرفة الجهة التي يشن العدو منها هجومه؛ فمن الضروري حصول المعرفة الجيدة لغرض الدفاع، بالإضافة إلى ضرورة المعرفة الجيدة لغرض الهجوم أيضاً[1].

طالما كانت معرفة الواجب الحقيقي واحدة من نقاط الضعف في حياة المسلمين على مدى مختلف العصور، وذلك يعني الخلط الذي يقع فيه أبناء الأمة وسراتها وأعلام الإسلام في تشخيصهم للتكليف الأساس في مرحلة من المراحل؛ أي جهلهم بالواجب الحقيقي الذي تتعين المبادرة اليه بل وحتى التضحية بسائر الأعمال من أجله إن استلزم الأمر، وما هو الواجب الثانوي الفرعي، ينبغي الاهتمام بكل عمل على قدره لإنجازه[2].

إن أدب الثورة وفنها يستدعيان وجود برمجة لدراسة حالة النمو والتعليمات الصادرة والتوجهات ولمعرفة النواقص واتخاذ الإجراءات الكفيلة لسدّها وتشخيص الفروع الفنية التي نعاني فيها نقصاً اليوم، وما هي الفروع الأدبية التي نشكو خللاً فيها، وكيف نعالج مواطن الخلل هذه، وأي الأجهزة نستعين بها، وما هي طبيعة الإدارات التي ينبغي أن تتصدى للعمل.. وعلى العموم يكون هنالك قسم لرسم السياسة، وعليكم القيام بمهمتكم وإن كانت هذه السياسة لا تطبق بحذافيرها على صعيد البلاد.

هنالك العشرات من الخطط العسكرية الجاهزة دائماً في الدائرة الثالثة من مؤسستنا العسكرية وفي جيوش العالم، وتختص الدائرتان الثالثة والخامسة بمثل هذه الأعمال بحيث لو كان لدى أمريكا النية بشن هجوم من منطقة ما فإن ما

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجمع الكتاب المسلمين، ١٣٧٠/٧/٢٨.

(٢) حديث قائد الثورة في تاريخ ١٣٧١/٥/٧.

يجب فعله في تلك الأثناء مدوّن لدينا حتى مع عدم احتمال وقوع ذلك، أو افرضوا أن المخطط الذي يرسمه هذا الركن لتلك الوحدة المنفذة لم يجر تنفيذه بحذافيره أو لم توفّر الإمكانيات الضرورية له أبداً، لكنها ـ تلك الوحدة ـ يجب أن تؤدي مهمتها لإعداد الأرضية عسى أن يصار إلى تطبيق الأمر أو يعمد لإنجاز الأمر ما وسع الحال.

وبناءً على هذا فإن أحد الواجبات هو اتخاذ القرار بشأن السياسات العامة على صعيد الأدب والفن إلى جانب الاهتمام بالحالات الاضطرارية فصلياً ومرحلياً، فإذا ما وقع حادث تعيّن على أدب البلاد أن يعلن موقفه.

لقد أصدر الإمام فتواه بشأن قضية سلمان رشدي فهل يصح أن يصدر الإمام فتواه فيما يلوذ أدب الثورة بالصمت إزاءها؟! فإن سكتّم فسينطق الآخرون كما شاهدنا خلال المرحلة الأخيرة حيث راودت البعض الأوهام بإمكانية سحب الأموال من جيوب الأمريكان فباشروا بجمع التواقيع للقيام بعمل ما، وهذا العمل بالرغم من محدوديته لكنه يعد قضية مرحلية يتحتم فيها على أدب الثورة وفنها الرد عليهم..

لعلكم تقولون إن الرد على هؤلاء من شأنه إعظام شأنهم؛ فإن انتفت المصلحة هنا فلا تردوا عليهم ولا تقوموا بما من شأنه تضخيمهم، ولكن ليس لكم التزام الصمت في مثل هذه الأحداث وغيرها من الوقائع الكثيرة، كما هو الحال في حادثة إسقاط الطائرة من قبل الطراد الأمريكي ـ وهي قضية سياسية على صلة بقضايا الثورة ـ التي جوبهت بالاحتجاج، لكنني أقول: لماذا خفتت هذه القضية؟![1].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجمع الكتاب المسلمين، ١٤/٤/١٣٧١.

٣ ـ دور النظام السياسي في مواجهة الثقافة الدخيلة

تحاول القوى السلطوية اليوم بسط سلطاتها الثقافية في كل أرجاء العالم وبالنحو الذي يناسب كل مكان، ومن أمثلة ذلك الأطباق اللاقطة (الدش)؛ حيث نلاحظ أنهم أعادوا إثارة هذا الموضوع من جديد. وليس من الصحيح الدعوة إلى السماح باستخدام هذه الأطباق لأن تقنية الأقمار الصناعية ستتطور خلال خمس سنوات وسيصبح بالإمكان الالتقاط من الأقمار الصناعية مباشرة دون حاجة إلى الأطباق فهذا منطق غير صائب، ويجب على من يطرح هذا الرأي ان يفكر للعثور على أسلوب جديد لمواجهته، هذا المنطق يجب ان يقود إلى هذه النتيجة.

من الطبيعي ان العدو عاكف على تطوير هذه التقنية، وهذا ما يوجب عليكم في المقابل البحث عن أساليب وتدابير كفيلة بالحيلولة دون استشراء ظاهرة الأطباق اللاقطة. امّا المنطق الداعي إلى إزالة الموانع من أمام العدو بذريعة ان العدو يواصل تقدمه فهو منطق غير سليم، إذ أن هذا الحاجز ما زال يؤدي دوره كحاجز. وهذا المنطق شبيه بمنطق من يرى العدو موشكاً على اقتحام حدودنا واننا لا نستطيع الصمود أمامه لأكثر من ساعتين فيدعو إلى التراجع أمامه! كلا، بل يجب في مثل هذه الحالة الصمود والمقاومة على مدى هاتين الساعتين لعل النصر يكون فيهما.

ان قانون منع استخدام الأطباق اللاقطة الذي صادق عليه مجلس الشورى الإسلامي قبل بضع سنوات كان صحيحاً تماماً، واستطعتم بواسطته ان تؤخروا التقدم المعادي عدّة سنوات على أقل تقدير، وستستطيعون ذلك في المستقبل أيضا ان شاء الله.

ويجب عليكم في موازاة هذا العمل السعي لتوفير أساليب صيانة وتحصين الشباب والأذهان والقلوب، فاذا استطاع العدو ان يتغلغل يوماً رغماً عنكم، تكونون انتم قد أوجدتم الحصانة مسبقاً. هكذا ينبغي مواجهة الهجوم المعادي. لقد استطعنا بمثل هذه المعنويات وبمثل هذا الصمود ان نوقف على مدى عشرين سنة زحف الاستكبار العالمي وأمريكا، ولا زلنا قادرين على ذلك فالشعب الإيراني قوي، وهذا الثبات نابع من صلابة الإيمان ومصدره الدين والإسلام، وأينما وجد تكون لديه قدرة على دحر العدو. وهذا ما يوجب علينا تقوية الوازع الديني، وان نقوّي عنصر الإيمان في قلوب الشباب، ونحث على اجتناب الفساد. هذا هو العمل الصحيح وهذا هو الأسلوب الصحيح، وتقع عليكم انتم أيها الناشرون الأعزاء مسؤولية إزاء هذه الأمور وانتم تمثلون طبعاً عدداً قليلاً من مجموع الناشرين في البلد، وانما لفرصة سعيدة ان تجتمعوا هنا ويُتاح لنا لقاؤكم، وأغلبكم طبعاً أو كلكم ممن يقرّون بصحة هذا الرأي، وقد يوجد بينكم من لا يرى صحته وهو حرّ طبعاً في ما يراه.

يجب على كل من يضطلع بمسؤولية معينة في هذا البلد ان يسير إلى الأمام بعزم وشجاعة وثبات في ضوء الإجماع الإسلامي وفي ضوء ما يستشعره من تكليف، وهذا واجب الجميع.

أرجو ان نكون وإيّاكم وكذلك الحكومة والمجلس والسلطة القضائية على معرفة بواجباتنا، وان لا نمر مرور الكرام على هذه القضية ذات التأثير البالغ على الأذهان وعلى إيمان الناس. فهذه القضية في غاية الأهمية، وهذا المقطع الزمني حساس جداً، فلا ينبغي تجاوزه بسهولة. وهذه القضية تحظى بأهمية أكبر من مكافحة الأدوية الفاسدة والتي انقضى أجلها، ومن مكافحة الأطباء المحتالين. ولهذه القضية أهمية أساسية في كل المجتمعات.

٤ ـ التحلي بالوعي واليقظة إزاء الانحراف المعنوي في المجتمع الإسلامي.

إن واقعة عاشوراء بالإضافة إلى كونها درساً فهي محطة للاعتبار، فحريّ بالمرء التمعن بهذا المشهد والاعتبار به. ولكن ما المعنى الذي يحمله هذا الاعتبار؟ انه يعني مقارنة نفسه إلى تلك الأوضاع ليعرف الوضع والظرف الذي يعيشه، وما الذي يهدده، وما الذي ينفعه لذلك، وهذا ما يطلق عليه العبرة. فعلى سبيل المثال انك تتوقف إذا ما رمت المرور من شارع وشاهدت إحدى السيارات قد انقلبت او اصطدمت مع سيارة أخرى ولحقت بها أضرار فادحة وتصدعت مفاصلها ومات من بها، ثم تتفحص الحادثة ملياً. فلم ذاك؟ انه للاعتبار كي تتضح أمامك طبيعة قيادة السيارات التي تؤول إلى مثل هذا المصير. انه طراز من الدروس لكنه يأتي على خلفية الاعتبار، وهنا نحاول بحث هذا الأمر بشيء من السعة.

العبرة التي تسترعي اهتمامنا في قضية عاشوراء هي ان نرى ما الذي حصل بعد خمسين عاماً من رحيل النبيﷺ بحيث يصل المجتمع الإسلامي مستوى يدفع شخصية مثل الإمام الحسين؈ للتضحية من أجل إنقاذ المجتمع، فلو كانت هذه التضحية قد وقعت بعد فذلك له شأنه، أما أن يواجه الحسين بن علي؈ في مهد الإسلام في مكة والمدينة ـ مهبط الوحي ومركز النبوة ـ ظرفاً أينما يولّي وجهه لا يرى محيصاً من التضحية ـ تضحية دامية مهولة ـ فإن ذلك مما يستحق التأمل.

ما الذي طرأ بحيث شعر الحسين بن علي؈ ان بقاء الإسلام مرهون بتضحيته، وإلاّ فمصيره الضياع؟! هنا تكمن العبرة. علينا ان نتمعن ونرى ما الذي جرى بحيث تربع شخص مثل يزيد على سدة الحكم في المجتمع الإسلامي،

ذلك المجتمع الذي كان يقوده النبيﷺ في مكة والمدينة وكانﷺ يسلّم الرايات بيد المسلمين ليتوجهوا بها نحو أقاصي الجزيرة العربية وتخوم الشام والإمبراطورية الرومانية ليهددوها فيلوذ جندها بالفرار أمام المسلمين فيما يعود المسلمون مكللين بالظفر كما جرى في وقعة تبوك، ذلك المجتمع الإسلامي الذي كان يرتفع فيه صوت تلاوة القرآن من جنبات المسجد وأطرافه، وكان رسول اللهﷺ يتلو آيات الله على الناس بتلك الأنفاس والترانيم ويعظهم ويحث الخطى بهم نحو جادة الهدى، ما الذي حدا بهذه البلاد ومدنها وأهلها أن تبتعد عن الإسلام حتى تسلط عليها شخص مثل يزيد؟!

ما الذي كان يدفع بالأوضاع بحيث يُرى شخص مثل الحسين بن عليﷺ لا مفر أمامه من التضحية الكبرى التي لم يشهد التاريخ لها نظيراً؟! ما الذي بلغ بهم ذلك المستوى؟! هذه هي العبرة التي يتعين علينا أن نأخذها بعين الاعتبار في عصرنا الحاضر؛ فإننا اليوم كمجتمع إسلامي علينا أن نتأمل ما دهى المجتمع الإسلامي وقتذاك بحيث أسلم زمامه بيد يزيد؟!

ما الذي جرى لترفع رؤوس أبناء أمير المؤمنينﷺ على الرماح بعد عشرين عاماً من شهادته ويطاف بها في تلك المدينة التي كانت مركزاً لحكومته؟! فالكوفة هي تلك المدينة التي كان أمير المؤمنينﷺ يطوف أسواقها حاملاً سوطه على كتفه يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ومن مسجدها وجنباته كانت الأصوات ترتفع بتلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، وإذا ببنات أمير المؤمنينﷺ وعياله يطاف بهم في سكك هذه المدينة.. ما الذي حدا بالأمة أن تصل إلى هذا الحد؟!

الجواب هو أن ثمة وباء يستطيع الفتك بمجتمع يتزعمه شخص مثل نبي الإسلامﷺ أو أمير المؤمنينﷺ ويصل به إلى هذا المنحدر بعد عشرات من

السنين، إذن انه وباء فتاك علينا أن نخشاه، واذا كان إمامنا العظيم يضع نفسه في عداد أتباع مدرسة النبي الأكرمﷺ فحري به أن يأخذه العنفوان والزهو، فيكفيه فخراً أنه استطاع إدراك تعاليم النبيﷺ والعمل بها والتبليغ لها، فأين إمامنا من النبيﷺ؟! والمجتمع الذي شيده النبيﷺ آل مصيره إلى تلك العاقبة بعد عدة سنوات، فما على مجتمعنا إلاّ التحلي بالحذر لئلاّ يفتك به ذات الوباء.

هنا تمكن العبرة، يجب علينا تشخيص هذا الوباء وأن نضعه في الحسبان على أنه خطر داهم فنتجنبه، وإنني أعتقد أن هذا الدرس المستقى من عاشوراء هو الأهم بالنسبة لنا من سائر دروسها وبلاغاتها؛ علينا إدراك ما دهى تلك الأمة ودفعها إلى رفع رأس الحسين ابن الرجل الأول في الإسلام ونجل خليفة المسلمين علي بن أبي طالبؑ والطواف به في تلك المدينة التي كان أبوه يتربع على مسند الخلافة فيها وكأن شيئاً لم يكن؟! علينا التمعن كيف انبرى أناس من تلك المدينة وتوجهوا نحو كربلاء ليقتلوه هو وأصحابه عطاشى ومن ثم تسبي عيال أمير المؤمنينؑ؟!

الكلام كثير في هذا المضمار، وللرد على هذا التساؤل أورد آية من القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو الذي يجيبنا وهو الذي يشخص للمسلمين موطن الداء؛ يقول تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[1].

هناك عاملان هما الأساس في ذلك الانحراف والغواية، أحدهما الابتعاد عن ذكر الله الذي مظهره الصلاة، أي تناسي الله والروح المعنوية وسلخ الحياة عن جوانبها المعنوية، وإهمال التوجه إلى الله وذكره والدعاء والتضرع ورجاء

---

(١) مريم: ٥٩.

التوفيق منه سبحانه والتوكل عليه، وإبعاد الحسابات الربانية عن مسرح الحياة. أما العامل الآخر فهو ﴿اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾؛ أي اللهاث وراء الشهوات والأهواء، وبتعبير آخر الجري خلف الدنيا والتعلق بها والانكباب على جمع الثروة والأموال والوقوع في فخ الدنيا وشهواتها، والاعتقاد بأصالتها والتقاعس عن المبادئ.

إنه المرض العضال الذي قد نصاب به نحن أيضاً، فلو تلاشت المبدئية من مجتمعنا الإسلامي أو طالها الوهن وتركزت همة كل منا على التنصل من معمعة الصراع كي لا يفوتنا القطار ونتخلف عن الآخرين في دنياهم، ولأن الآخرين قد انهمكوا بجمع الحطام فنتبعهم بذلك مؤثرين مصالحنا الشخصية على مصالح المجتمع، فمن الواضح أن الأوضاع ستصل إلى هذه النقطة، وحينها سيتضح أن التقليل من شأن الشعارات وعدم الاكتراث بأصول الإسلام والثورة واستيعاب كل شيء وطرحه في ضوء الحسابات المادية سيحرف المجتمع إلى مثل هذا الموقف.

لأجل ذلك ابتلي أولئك بهذا الحال؛ فيوم كان المسلمون لا يهمهم سوى تقدم الإسلام وكسب رضا الباري تعالى وتعلّم الدين ومعارفه ومعرفة القرآن وعلومه، والجهاز الحكومي والإداري يظلله الزهد والتقوى والتجافي عن الدنيا وزخارفها والنزوات الشخصية، كانت معطيات ذلك أن انساقت الأمة بحركة عظيمة نحو الله تبارك وتعالى، وفي مثل هذه الحالة يغدو من هو مثل علي بن أبي طالب(ع) خليفة للمسلمين ويصبح من هو مثل الحسين(ع) شخصية بارزة لامتيازهما بالمعايير عن غيرهما؛ فحينما يكون المعيار هو الله والتقوى ونبذ الدنيا والجهاد في سبيل الله، ينزل إلى ميدان العمل من تجتمع فيهم هذه المعايير فيتخذونها منهاجاً لأعمالهم، إذ ذاك سيتحول المجتمع إلى مجتمع إسلامي. أما إذا أزيحت المعايير الإلهية وتسلط من كان الأكثر طمعاً بالدنيا والتصاقاً

بالشهوات وابتعاداً عن الصدق والصواب والأدهى مكراً لبلوغ المصالح الشخصية، يومها تكون الحصيلة ان يمسك من هو على شاكلة عمر بن سعد وشمر وعبيد الله بن زياد بزمام الأمور ويتوجه من هو مثل الحسين بن علي عليهما السلام إلى مذبحه في كربلاء وينال الشهادة هناك[1].

٥ ـ الوعي والفطنة

إن كان البعد الزمني بين رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبين استشهاد فلذة كبده خمسين عاماً، فربما تختزل هذه المدة كثيراً في زماننا وسرعان ما تذبح الفضائل وأهلها! فعلينا بالحيلولة دون وقوع مثل ذلك، والتصدي للانحراف الذي ربما يفرضه العدو علينا.. وهذا هو استقاء العبر من عاشوراء[2].

من ملامح الصحوة في أي شعب هي معرفته بالظروف وإدراكه البرهة الزمنية التي يمر بها ومقدار أهميتها[3].

في غاية الأهمية لكل شعب أن يتحلى بالوعي « **العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس** »[4]؛ وهذه هي ميزة العلم بالزمان والفطنة إزاء مؤامرات الأعداء.

ان العدو لا يواجهنا اليوم بذات النمط أو السياق العسكري الذي كان يعتمده قبل قرن أو نصف قرن من الزمن، فحري بنا استقصاء ما استجد لديه من أساليب، فإن عرفناها وأخلدنا إلى النوم فإننا لا محالة هالكون، ونكون مصداقاً للقول المشهور: « **إن أخا الحرب الأرق، ومن نام لم يُنَم عنه** »[5]. فعلى رجل الحرب

---

(١) حديث قائد الثورة في تاريخ ١٣٧١/٤/٢٢.

(٢) حديث قائد الثورة في تاريخ ١٣٧٢/٤/٢٢.

(٣) حديث قائد الثورة في تاريخ ١٣٦٩/٣/٢.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٨، ص ٢٦٩.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢، ص٦٢٨.

ان يكون يقظاً، وإن أنت أخلدت إلى النوم فذلك لا يعني أن العدو وهو يقابلك في خندقه نائم أيضاً، بل لعله مستفيق!

ان العدو لا يبرز دائماً بزي العداء، بل يتستر بالنفاق والمكر والدعاية وبث الإشاعات وإشاعة الفتور بين الناس، وإثارة النعرات القومية والتاريخية والطائفية وما شابهها، لذا فإن افتقر الناس للوعي فسيحل بهم ما حل في عصر الإمام الحسين عليه السلام وبعض العصور الأخرى حيث هُزم الحق نتيجة لعدم تحلي أهل ذلك الزمان بالفطنة والوعي، فلابد من سيادة روح الوعي والفطنة أولاً، لأن في توفرها تتوفر وحدة الكلمة[1].

سأل شخص صاحبه: ماذا تعمل؟ فأجاب: أقرع طبلاً. فقال له: لا يسمع له صوت؟ أجاب: غداً سيدوي صوته! فإن لم تتحلّوا أنتم يا أبناء الشعب وعناصركم المثقفة بالوعي ـ لا سمح الله ـ فإن صوت انهيار القيم المعنوية الناجم عن الهجوم الخفي الذكي الذي يشنه العدو سيدوي يوم لا يمكن معه العلاج![2].

لا تدعوا بعض الضروريات المادية وصغائر الأمور تقف حائلاً بوجه البصيرة، حافظوا على بصيرتكم، واعرفوا عدوكم ودسائسه المتنوعة، فالشعب الذي لا ينخدع هو الظافر، والعدو إنما يسعى للتقليل من شأن المبادئ الثورية لدى أبناء الشعب وتهويل المتطلبات المادية والثانوية.

المتطلبات المادية ضرورية لكنها لا تسمو على الروح، والشعب الذي يسترخص النفس في سبيل الله فأيّ تأثير يمكن تتركه سائر المتطلبات على

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مع اهالي خوزستان واهالي نجف آباد، ١٣٦٨/٣/١٩.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء الدوائر التعليمية، ١٣٧١/٥/٢١.

ميدان صراعه مع العدو؟! انظروا للسياسات العالمية سابقها وحاضرها أنّى خلا وفاض الاستكبار والاستبداد العالمي من التآمر ضد النظام الإسلامي المقدس؟! انهم يرهبون انتشار الإسلام ويصرحون علانية بامتداد المشاعر الثورية الإسلامية في البلدان الإسلامية، وهذه حقيقة نبصرها نحن أيضاً.

الشعب الإيراني ليس بذلك الشعب المعزول؛ اسألوا الذين زاروا بلدان العالم على اختلافها وذهبوا إلى قلب أوربا لتشهدوا كيف أن شعباً كالشعب البوسني الخاضع لحصار أعداء الإنسانية يتغنى باسم الشباب الإيراني ويقلدكم أبناء هذا الشعب في شد العصائب على الجباه، وشعورهم بحتمية سلوكهم لذات الطريق الذي سرتم فيه لدحر العدو؛ تلك هي المشاعر الإسلامية التي تزداد اتساعاً بين الشعوب يوماً بعد يوم، تلك المشاعر التي كان ولم يزل موطنكم الإسلامي المقدس مهداً لها، لذلك ما فتئ الاستكبار يكيل الدسائس ويضع المخططات التي هي من النمط الذي إن أبصرها الإنسان بعين البصيرة سهل عليه إدراكها[1].

من خلال سلوكية أي مجتمع يكون استشفاف ما إذا كان هذا المجتمع قادراً على الدفاع عن نفسه أم لا؛ فذلك المجتمع الذي ينهمك أبناؤه بمصالحهم الشخصية دون مصالح البلد والجماعة، وذلك المجتمع المنحدر شبابه نحو الفساد، وتطغى حالة اللامبالاة إزاء ثورته من قبل المتنفذين فيه، والمتنامية الاختلافات فيه بكل ضروبها السياسية والطائفية والفئوية والحزبية والقومية حتى ذروتها، والذي تتخبط نساؤه ورجاله بالاختلاط وحياة الدعة المشوبة بالفساد.. اعلموا انه لمجتمع عاجز عن الدفاع عن نفسه، ومثل هذا المجتمع لا يقوى على

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة قوات التعبئة في أرجاء البلاد ، ١٣٧١/٨/٢٧.

الدفاع عن مصالحه وعزته وكرامته. وهذا ما شهده الشيوخ منكم وسمع به الشباب، إذ مارس الاستعمار نفوذه خلال المائة أو المئة وخمسين عاماً الأخيرة في الحقول الثقافية والتعليمية وعلى شبابنا فجرف أبناء الشعب صوب البطالة والفساد والانحراف والاختلافات وما شابه ذلك، وكان مرادهم من ذلك زرع العجز في الشعب عن الدفاع عن ثرواته وكيانه ومصالحه ومستقبله. ولو لمس العدو ما يستشف من عدم قدرة الشعب في الدفاع عن نفسه، فاعلموا أن الخطر سيصبح داهماً حيث ستدخل مآرب العدو مرحلة التطبيق العملي وينزل العدو ضربته.. وكان السبب في صمودنا بوجه الحملات المتعددة التي شنها الأعداء طوال السنوات العشر التي أعقبت انتصار الثورة وعلى الرغم من كل تلك المصاعب ـ والخسائر التي لحقت بهم في هجومهم علينا كانت أكثر ـ كان السبب هو سيادة الروح الثورية ووحدة الكلمة بين أوساط الجماهير.

وبفضل الدين والإيمان والثورة والإسلام وشخصية الإمام الذي كان بيانه وكلامه يحكي عن محتوى القرآن والإسلام وببركة التربية القرآنية والإسلامية استطاع شعبنا الصمود والمقاومة على مدى تلك السنوات العشر ولم ينل العدو ما كان يطمع به فينا.

ليس المراد من مفردة العدو النظام العراقي فقط فهو أحد أعدائنا، بل فأمريكا بدورها لم تجن شيئاً، والشرق والغرب أصيبا بالإحباط أيضاً عندما تظافرت جهودهما لتركيع الجمهورية الإسلامية.. والسر الذي كان وراء نجاحنا هذا هو تواجدكم أنتم أيها الشباب في الساحة واستعداد شعبنا وغلبة الروح الثورية على سائر التيارات غير الثورية.. ولن ترى تهديدات العدو التطبيق العملي مادامت الأوضاع على تلك الحالة؛ فمن الطبيعي استمرار العدو في

تهديداته ونواياه السيئة واستمرار الأخطار، غير أن هذه الأخطار لن تجدي نفعاً مادمتم متواجدين في الساحة[1].

٦ ـ إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ان فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أركان الإسلام الأساسية وهي الكفيلة بإقامة سائر الفرائض الإسلامية، ويجب أن تُحيا في مجتمعنا وأن يشعر كل فرد من أبناء الشعب بالمسؤولية لبسط الخير والصلاح واقتلاع جذور المنكر والضلال والفساد، ومازالت أمامنا مسافة شاسعة حتى بلوغ المجتمع الإسلامي حقيقته بحيث يكفل لأبنائه السعادة الدنيوية والأخروية بشكل تام، ويجتث منه الضلال والغواية والظلم والانحطاط؛ وهذه المسافة يجب ان تطوى بهمة أبناء الشعب وجهود المسؤولين، وذلك ما يتيسر عبر شيوع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لتنشط وتعمر المساجد التي تمثل منطلق المعنويات والتزكية والهداية يوماً بعد يوم وتمارس مهمتها في الحث على إتباع التعاليم النورانية للقرآن والتحلي بالإيمان والخلق الكريم والعمل الإسلامي في شتى زوايا المجتمع ومنها الدوائر الحكومية والجامعات. يجب ان يأخذ كتاب الله موقعه المتميز بين أوساط الجماهير وتنتشر ظاهرة تعلمه والتدبر والتعمق فيه بين الجميع لاسيما بين الشباب والفتوة؛ ومن الخطورة بمكان المسؤولية التي يتحملها العلماء والمثقفون والكتّاب والخطباء ووسائل الإعلام في هذا المضمار[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من قوات التعبئة وأبناء الشعب والعلماء، ١٣٦٨/٧/٥

(٢) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الأمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

إن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف المسلمين الأبدي؛ فالمجتمع الإسلامي إنما يبقى حيّاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوام الحكومة الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا «**ليسلطنَّ الله شراركم على خياركم فيدعو الأخيار فلا يستجاب لهم**»[1].

فقوام الحكومة الإسلامية ودوام حكم الأخيار منوط بإحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، ولا ينحصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أن نتفوّه بعدة كلمات في مواجهة منكرات ربما لم تتضح بعد ما إذا كانت هي الأهم أم لا، وذلك إسقاطاً للتكليف. ما الذي يعنيه إلقاء التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عاتق أبناء المجتمع بأجمعهم؟ ومتى يتسنّى لهم أن يصبحوا جميعهاً آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر؟ يتسنى ذلك عندما يكون للجميع حضور بالمعنى الحقيقي في صلب قضايا البلاد.

فيتعين على الجميع الاهتمام بشؤون البلد والتحلي بالوعي، وأن يعرف الجميع المعروف والمنكر. هذا هو معنى الرقابة العامة والتواجد والتعاون الاجتماعي، والمعرفة الرفيعة لدى الجميع، وهذا هو معنى الأمر بالمعروف وإلاّ فليس صحيحاً ان نحصر الأمر بالمعروف داخل دائرة ضيقة ونطبقه على أيدي أناس محدودين، ثم يبادر العدو لبث سمومه والترويج أن لدى إيران النية في التضييق على النساء غير المحجبات، فهل المراد من الأمر بالمعروف النزول بهذه الفريضة العظمى المنوطة عظمة كل الأمور بها إلى مستوى دائرة ضيقة لا تتجاوز شوارع طهران وتطبيقها بحق بضع من النساء اللواتي لا يعتنين بحجابهن؟! وهل ذلك ما يعنيه تواجد العناصر المؤمنة في مختلف مرافق المجتمع؟!

---

(١) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣٧٨.

القضية أسمى مما يقال، فالمخالفات لا تستوي جميعاً من حيث السعة والطبيعة، ولا تقتصر على بعدها الشخصي، وأعظم المخالفات والجرائم هي تلك التي تؤدي إلى تزعزع أركان النظام، وإشاعة الإحباط في أوساط الجماهير، وزرع اليأس في القلوب التي تحمل التفاؤل، وتشويه الخط القويم والإيحاء بانحرافه، وتضليل المؤمنين المخلصين، واستغلال الظروف السائدة في المجتمع، وإعانة العدو، ومناهضة الأحكام الإسلامية ومعارضة تطبيقها، ومحاولة إفساد المؤمنين..

هذه جميعاً أهم المنكرات، وهنالك أيدٍ تبذل محاولات حثيثة لإشاعة الفساد بين الشباب بطريقة خفية على شكل عصابات وبتحريك من العدو ـ لا كما تشاهدون في الشوارع وتلمسون ـ ليجرفوا الفتيان نحو الفساد واللامبالاة. هذه جميعاً منكرات، وهي تتفرع إلى أخلاقية وسياسية واقتصادية. والنهي عن المنكر يتسع لكل المجالات؛ فالطالب بوسعه ممارسة النهي عن المنكر على صعيد الدرس والعلم، والموظف الشريف بإمكانه النهي عن المنكر في محيط عمله، وكذا الكاسب المؤمن، والفنان يمكنه العمل بفريضة النهي عن المنكر باستخدامه لأدواته الفنية، وعلماء الدين يعتبرون من أهم عناصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مختلف المجالات.

ينبغي ان لا تحصر هذه الفريضة الإلهية العظمى في دوائر ضيقة محدودة، ولا تختص بفئة معينة كالقوات المسلحة أو غيرها من القوى، بل هي واجب على الجميع؛ بطبيعة الحال أن لكل تكليفه، ولقد صرحتُ في رسالة الشكر بأن على قطاعات الشعب على اختلافها ان يتبوّأ كل منها مكانه على صعيد فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلكل موقعه، ومهم لكم أن تعرفوا موضع النهي عن المنكر وأي منكر تتصدون له وتقاومونه وتشخصونه، فالعمل عمل

جماهيري وعلى علماء الدين إرشاد الجماهير وتوعيتها عن طريق بيان المنكر وكيفية النهي عنه.

علينا جميعاً تشخيص الأخطار وتحديد المواقع التي ينطلق منها الخطر لتهديد المجتمع الإسلامي تحديداً دقيقاً؛ والمسؤولية الأهم في طريق أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي ضرورة محافظة العناصر المؤمنة من أبناء حزب الله ـ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومن تنبض فيهم الدوافع الثورية ـ على تواجدهم في ساحة النظام الإسلامي[(١)].

دور التعبوي في إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

على التعبوي التواجد في الساحة كي تبقى فضائل الثورة حية... من الذي يقوى على الدفاع عن هذه الفضائل؟ إنه ذلك الشاب المؤمن الذي لم يتعلق بالدنيا وبالمصالح الشخصية، فهو الذي يستطيع الصمود والدفاع عن الفضائل، أما ذلك المكبل الذي تلوثت روحه فلا قدرة له على الدفاع عن الفضائل. والشاب الممتلئ إخلاصاً هو الذي بمقدوره الدفاع عن الثورة والإسلام وفضائله وقيمه، ولذلك فقد صرحتُ مؤخراً بأنه ينبغي للجميع ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وها أنا أقول لكم اليوم: عليكم بالنهي عن المنكر، فتلك فريضة؛ مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فهي مسؤوليتكم الشرعية والثورية والسياسية اليوم، والأمر بالمعروف واجب كالصلاة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: **«وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا**

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء وأئمة الجماعة ، ١٣٧١/٥/٧.

كنفثة في بحر لجّي »[1]؛ أي إن مدى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من السعة ما يسمو على الجهاد أيضاً، فأركان الدين إنما تستقيم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقوام الجهاد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّى لمسؤولينا ان يعدلوا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بمن سواه ناهيك عن الانحياز إلى جانب من ناوأه؟!

يجب على شباب حزب الله التحلي بالفطنة والبصيرة لئلاّ يندس بين صفوفهم من يشيع الفاحشة تحت غطاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يؤدي إلى تشويه سمعة حزب الله، فحذار! إنها مسؤوليتكم، وإنني على ثقة ـ وقد أثبتت تجارب الأعوام المنصرمة ـ بأن العناصر المؤمنة من أبناء أمة حزب الله متى ما نزلت إلى الساحة لإنجاز واجب لها تسللت بينها بعض العناصر المزيفة للإفساد في الأرض كيما تتكدر خواطر المسؤولين إزاء العناصر المؤمنة الشعبية من أبناء حزب الله، فاحذروا!

إن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قابلة للتعلم شأنها شأن الصلاة فعليكم بتعلم مسائلها، فثمة مسائل تتعلق بمحل وكيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنني أكرر ما سبق لي التصريح به من أن تكليف عامة الناس في المجتمع الإسلامي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان، أما إذا امتد الموقف إلى المواجهة فإن ذلك ما يتحمله المسؤولون وعليهم التدخل لأداء ذلك الواجب.

وبطبيعة الحال فإن الدور الأهم هو للسان، وما يصلح المجتمع هو هذا النهي عن المنكر باللسان، فإذا ما تصدى الناس بألسنتهم للمسيء الذي يشيع الفحشاء

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار، ٣٧٤.

ويحاول رفع صفة القبح عن الرذيلة في أوساط المجتمع، وألقى الرأي العام في المجتمع بثقله عليه فذلك يمثل انكساراً بالنسبة له[1].

الإرادة والعزيمة في مواجهة المعايير الباطلة

التكرار أقوى حربة لمواجهة المخطئ والنهي عن المنكر يستلزم الإرادة والعزيمة والاقتدار والشجاعة، لذلك يترتب على أبناء الشعب الحيلولة دون وقوع المخالفات على الأصعدة السياسية والاقتصادية والإدارية والثقافية في المجتمع بكل شجاعة وبسالة، وعدم السماح لأي أحد من خلال النهي عن المنكر بارتكاب الغيبة والكذب وبث الإشاعات والتآمر والتقاعس والتضجر والسطو على أموال الناس وإهدار كرامة الآخرين[2].

ليسجل الغيارى على الثورة والمثقفون وعشاق المفاهيم الإسلامية والثورية والشباب المجاهدون وعوائل الشهداء والمضحين حضورهم في الساحة، وعليهم ـ بالاضافة إلى العمل بفريضة النهي عن المنكر ـ التحلي بالفطنة والتصدي لهتك الحرمات وإهدار الكرامات والتعرض لنواميس الناس وممتلكاتهم[3].

ينبغي للغيارى أن لا يسمحوا باستبدال المعايير الإلهية في المجتمع؛ فإذا ما اختل معيار التقوى في المجتمع فواضح جداً حتمية إراقة دم إنسان مثل الحسين بن علي. وإذا ما غدا الملاك التحايل والتخبط بأمور الدنيا والتلاعب والافتراء وإهمال القيم الإسلامية فستكون النتيجة واضحة في تربع شخص مثل يزيد على مقاليد الأمور، ويصبح شخص مثل عبيد الله بن زياد الشخصية الأولى في العراق!

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة كتائب المقاومة الشعبية ، ١٣٧١/٤/٢٢.

(٢) حديث قائد الثورة في استقباله مجموعة من أبناء الشعب ، ١٣٧١/٧/٢٩.

(٣) حديث قائد الثورة في استقباله مجموعة من أبناء الشعب ، ١٣٧١/٧/٢٩.

لقد تركز عمل الإسلام على تغيير هذه المعايير، ومهمة ثورتنا تتمثل في الوقوف بوجه المعايير المادية الباطلة الخاطئة في العالم وتغييرها. وإذا ما اتخذت الطبيعة العالمية صفة المادية فمن الواضح أن يعتلي سدة الحكم عبّاد الشهوات الفاسدون الغاوون الذين اسودت وجوههم من قبيل محمد رضا بهلوي، فيما يقبع في السجن أو النفي أصحاب الفضائل النورانيون من قبيل الإمام، فلا وجود للإمام في المجتمع في مثل هذه الظروف فإذا ما ساد التجبر والفساد والكذب وغياب الفضيلة فإن صاحب الفضيلة والصدق والنور والعرفان والتوجه إلى الله إما أن يكون مصيره السجن أو القتل.

أما إذا حل شخص مثل الإمام ـ أي انعكست الصورة ـ فذلك يعني انحسار حب الشهوات والتعلق بالدنيا والتبعية والفساد فيما تزدهر التقوى والزهد والنقاء والنورانية والجهاد والحرص على بني البشر والرأفة والمروّة والأخوّة والإيثار والتضحية.

إن حل الإمام حلت معه هذه الخصال وهذه الفضائل والقيم، وإن حافظتم على هذه القيم فإن ذلك يعني بقاء نظام الإمامة، حينها لن يساق أمثال الحسين بن علي إلى الذبح. ولكن ما الذي سيحصل إن أهدرنا تلك القيم وضيعنا الروح التعبوية وأهملنا التكليف والمبدأ الإلهي وانهمكنا بترتيب زينتنا الشخصية، وحاصرنا ذلك الشاب التعبوي الذي لا همّ له سوى الحصول على ميدان يخوض فيه غمار الجهاد في سبيل الله، وجئنا إلى مسند السلطة بإنسان وقح، نهم، طماع، فاقد للمعنوية والصفاء؟! إذ ذاك سيطال التغيير كل شيء... علينا أن لا نسمح بانزواء روح الثورة وأبنائها في المجتمع[1].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة كتائب المقاومة الشعبية ، ١٣٧١/٤/٢٢.

عليكم أيها الشباب بدوام التواجد في الساحة، وأن تثبتوا على الدوام صلابة الجمهورية الإسلامية. وعلى العناصر المؤمنة وقوات التعبئة وأبناء حزب الله في كافة أرجاء البلاد وعلى كافة المؤمنين من أبناء الشعب العمل للقضاء على مطامع أمريكا والصهيونية وسائر القوى المعادية في الجمهورية الإسلامية.

٧ ـ إيجاد البديل الصحيح

جهاز الفيديو أحد الوسائل لإشاعة الابتذال، لذلك يتعين علينا إذا ما واجهنا وسيلة من الوسائل أن نبحث طرق المواجهة الصحيحة وننقّب عنها؛ وباعتقادي ينبغي لنا أن نبحث هذه القضية برؤية شمولية ونواجهها بنظرة بعيدة؛ فإذا ما راودنا التصور أن العدو أخذ يباغتنا عن طريق الأطباق اللاقطة (الدش) ـ وهذا ما هو شائع الآن، وكما يقال بأن المحطات الإذاعية والتلفزيونية ستغطي بعد أيام الأجواء الحياتية لمجتمعنا ـ وقلنا بأن علينا الإفلات من التخلف، وعلينا أن نقوم بما من شأنه استقطاب الجماهير من نشر الفيديو أو الأفلام السينمائية والتلفزيونية وإنتاجها بالطريقة التي تستقطب الجماهير؛ أو يبدو هذا الكلام صحيحاً؟!

تلك فكرة تراود عقول البعض، كلا فليس صحيحاً مواجهة هذه المشكلة بهذا الأسلوب، فإذا ما شعرنا بامتداد الخطر أو أنه آخذ بالاتساع فعلينا أن نعمل ما من شأنه الصيانة، فليس الإجراء الجوهري على صعيد قضية الفيديو أن نطلق العنان له كوسيلة يتعذّر الحد منها، بل إن أهم إجراء هو أن نرى أولاً كيفية صياغة أجهزة ترشد الجماهير للاستخدام الصحيح لجهاز الفيديو..

إن الأفلام التي يقدمونها للناس هي أفلام مضرة ومفسدة، وأدنى ما تفرزه من أضرار هي الأضرار السلوكية، إذ إنها تؤثر على سلوكيات الأطفال والشباب، وإن كانت تخلو من الأثر الأخلاقي العميق، فهذا هو أقل ما تخلفه من ضرر وإلاّ فإنها ذات أضرار أكبر من ذلك أيضاً.

لذلك علينا أن لا نسمح بأن يصاب مجتمعنا بهذا الضرر، بل إن أول ما يتعين علينا القيام به هو إقامة مراكز لإنتاج وإعداد ما هو نافع ومفيد للجماهير. وعلى أية حال يجب أن تحملوا هذه القضية ـ قضية الغزو الثقافي المعادي ـ على محمل الجد[١].

الملاحظة الأخرى التي أود التطرق إليها حول قضية الفن هي أن الثورة حقيقة عملاقة شهدها مجتمعنا، ولعل للبعض رؤاهم فيما يتعلق ببعض الظواهر وقد يخالفونها ويرفضونها، بيد أن هذه الثورة بذاتها تمثل حدثاً جباراً بل إن أبعاد الثورة بالأساس من العظمة ما لا أريد التطرق إليه الآن، ونحن إذ نعيش العام الرابع عشر من عمر الثورة وكنا نركن بين ثناياها لكننا نعجز عن إدراك عظمة أبعادها، فلماذا يا ترى يبقى الفن في مجتمعنا بمنأى عن هذه الحقيقة بما هي عليه من عظمة ملموسة؟! هل كُتبت بضعة كتب وقصص روائية عن الثورة؟ وكم هي الأفلام التي بادر سينمائيونا المعروفون لتقديمها عن هذه الثورة؟ لقد أوصلوا الحال بحيث لو أنهم عرضوا فيلماً ولم تكن فيه قيد أنملة من علاقة بالثورة فإن المرء يشعر بالراحة ويحمد الله على ذلك! أو ليس هذا انحرافاً؟! لا بد من مواجهة ذلك.

إنني أظن أن أي تاريخ لا قدرة له على مجاراة القصص الروائية التي ألّفت بشأن ثورة أكتوبر السوفيتية، ولو أنكم طالعتموها لفهمتم ما أقول؛ فمن القصص الدعائية التي كتبها الشيوعيون كانت رواية «الغضب الهادئ»، وبالرغم من أن زمن الحكم الملكي كان زمن ضيق لكنهم كانوا يتداولونها فيما بينهم للتثقيف، وهنالك كتاب آخر لـ«تولستوي» ـ وهو بحوزتي ـ كان قد صنّفه حول ثورة أكتوبر أيضاً. لقد أبدعوا في الكتابة وتصوير الثورة، وبوسعكم تلمس عظمة

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧١/٩/١٩.

أبعاد الثورة عبر هذه الكتب، وكذلك من الممكن الوقوف على نقاط ضعفها من خلال هذه الكتب أيضاً، وإن كان الذي صنفها لم يدون تلك النقاط على أنها نقاط ضعف. ولكن ما الذي كتبناه نحن في هذا المضمار؟

لقد صنّف كتاب واحد بشأن الثورة يتحدث عن أيام معدودات منها وهو يجافي الحقيقة بنحو عندما نطالع ها الكتاب ـ نحن الذين كنا نخوض غمار الثورة ونجوب أزقة طهران وشوارعها وسائر المدن ـ هذا الكتاب نجده كذباً محضاً! أي إنهم انتقوا الأمور بما يناغم آراءهم وكتبوا عنها!

لم لا يصور فيلم عن وقائع الثورة ويعرض أمام الملأ؟ وقبل عدة سنوات قلت لبعض الأصدقاء: لم لا تصورون فيلماً عن المعاقين شبيهاً بذلك الكتاب الذي صنفه الروس حول طيّارهم المعاق؟ ولقد طالعت ذلك الكتاب وسمعت فيما بعد أنهم صوروه على شكل فيلم لكنني لم أره، وكانوا هم الذين طبعوا الكتاب ووزعوه كأحد الكتب الدعائية التي طبعها الروس ووصل إلينا في الأيام الأولى لانتصار الثورة؛ والكتاب يحمل عنوان «إنسان حقيقي» وإذا ما قرأه طيار أو جندي قد بترت ساقه أو عميت عينه أو قطعت يده فإنه يشعر بالقناعة والسكينة.

ونحن إذ نمتلك هذا العدد من المعاقين لم لا نمتلك مثل هذا الكتاب وهذا الفيلم؟! فعليكم بالعمل ما استطعتم ومضاعفة جهودكم على صعيد هذه المقولة في الفن[1].

٨ ـ تثقيف المجتمع

إن بناء المجتمع ثقافياً قضية في غاية الصواب، وقد نوهت إلى ذلك عند تناولي للقضايا الثقافية مرات عديدة؛ لكننا مازلنا في بداية الطريق وشعبنا مثقف

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

بالطبع لا بالفعل، فلماذا نقول بالطبع؟ لأنه مجتمع ديني، والمجتمع الديني بطبيعته يراوده طموح بأن يكون ذا ثقافة على العكس من المجتمع الدنيوي المحض الذي يقتصر تفكيره بالجوانب الحياتية، وهذا المجتمع ربما يمتلك ثقافة وربما يخلو منها. أجل، فهناك موسيقى وفن في المجتمعات الصناعية والمادية لكنها لسد الحاجة الشخصية فقط؛ فالمرء فيها يضيق صدره فيذهب إلى السينما، ويستمع للموسيقي لما يمتلكه من ذوق فني وموسيقي وليس من الضرورة أن تكون لديه أمنية ثقافية، بل قد يمتلكها وقد لا يمتلكها.

إذن، فالمجتمع الديني ـ كما تقدم القول ـ يهوى الثقافة بطبعه، لأن أهداف الدين أهداف ثقافية ومعنوية على تماسّ بالروح والعقل والقلب. وبناءً على هذا فليس بوسع المتدين أو الجمع الديني أن يتخلى عن الطموحات والتطلعات والمنى الثقافية.

إذن، فالمجتمع الديني ثقافي بالقوة وبالطبع، لكنه ليس كذلك بالفعل أي إنه يعاني خللاً في رؤاه ومعلوماته وبصيرته وواقعة الثقافي، بمعنى أن شعبنا ـ على سبيل المثال ـ لا يميل لمطالعة الكتب، وذلك بمثابة خلل فادحٍ، والكثير من أبناء شعبنا لا يطالعون الصحف وأغلبهم إذا ما ألقوا نظرة على الصحف فإنهم يكتفون بعناوينها الكبيرة، وينصتون للمذياع بدافع اللهو لا للتعلم واستماع الأخبار والتزود بالمعلومات الحياتية والقضايا الثقافية.

إذن، فعلينا معالجة هذا النقص على أن يتصدى له جهاز ثقافي؛ ذلك هو وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي[(١)].

مهمة هي المسائل الثقافية العامة ونعني بها تلك العناصر التي تشكل ثقافة المجتمع؛ إننا مجتمع عريض يضم ما يناهز ٦٠ مليون نسمة، منهم من يمر

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

بمرحلة النمو التربوي ومنهم من اجتاز مرحلة النمو التربوي وولج معترك الحياة؛ والجميع بحاجة دائمية للتغذي بما حسن من الفكر والثقافة والأخلاق. وعندما نقول «ثقافة» فإن مرادنا مجموعة من الجوانب الثقافية التي تحظى باهتمامنا من قبيل الأخلاق التي تمثل بعداً أخلاقياً، كما أن التقاليد المحلية تعد جزءاً من الثقافة وهي لا تقع في دائرة اهتمامنا، ولو حاولنا ـ افتراضاً ـ تغذية شعبنا بالتقاليد المحلية أو التاريخية والجغرافية فهي من الأمور التي لا فرق بالأساس بين وجودها وعدمها، والحال أن لها وجوداً بالمقدار اللازم؛ بالإضافة إلى أن هنالك فئة لا شأن لهم بالدين والإيمان والمثل الإسلامية ولا يكلفون أنفسهم عناء العمل بجدية ومثابرة. وما أضعه نصب عيني في الوقت الحاضر في المجال الثقافي هي الأخلاق ببعديها الفردي والجمعي؛ الأخلاق الاجتماعية والأخلاق الحياتية[1].

لا يكفي الحديث بالنسبة للأمور المتعلقة بالعادات والأفكار والأخلاق فهي ليست من العلم في شيء، فالعلم ما يتم تعلمه في حالة تكراره، والعلم ليس كافياً لما هو على اتصال بالعمل، بل من الضروري الحديث عنها بصور شتّى ونقلها كي تنفذ إلى فكر الإنسان. لماذا الدعوة لقراءة القرآن من أوله إلى آخره وإعادة تلاوته كلّما يُنتهى منه، ولو قدر الإنسان على تلاوته مئة ألف مرة مدى حياته فليفعل، بينما يقرأ المرء الكتاب مرة واحدة ويعاود قراءته إن كان كتاباً جيداً ثم يرمي به جانباً؟! فالقرآن كتاب تربية وهذه هي ميزة كتاب التربية.

فعند مطالعتك لكتاب الأخلاق اقرأه ثانية وثالثة، فالأخلاق تستدعي الحديث مراراً وتكراراً وبصور شتّى إلى أن تصبح جزءاً من العادات. وهكذا

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٢/٩/٢٩.

يتم إصلاح العادات والأخلاق، وهكذا تأخذ الثقافة طريقها الصحيح إذ إنها تتطلب تكراراً وبأنحاء مختلفة[1].

لو إننا عمدنا لتصحيح الثقافة العامة بمعناها الذي يفيد إصلاح العادات والأخلاق والملكات والأنماط الحياتية للشعب ـ وتلك من الجوانب والمقومات الأساسية لثقافة أي شعب ـ لعولجت مشكلتنا الاقتصادية، إذ سيتقلص استهلاكنا ويزداد إنتاجنا ودخلنا[2].

إنكم تلاحظون الآن أن مشاكل البلاد قد تمحورت في القضايا الاقتصادية، وحيثما تفوه أحد عن مشاكل البلاد فإن ما يتبادر إلى ذهنه مباشرة هو المسائل الاقتصادية وتتجسد أمام نظره عدة أمثلة.. والمشاكل الاقتصادية بدورها تتلخص في أمرين: الأول: الدخل، والآخر: الاستهلاك؛ فلو تضاعف دخلنا وانخفض استهلاكنا لحلت مشاكلنا الاقتصادية بأسرها..

إن تزايد الدخل وانخفاض الاستهلاك يمثلان قضية على صلة مباشرة بالثقافة العامة، فإذا ما أردتم ارتفاع الدخل الوطني فعليكم بإيقاظ الوجدان العملي لدى الجماهير وبناء روح إتقان العمل وتحسين نوعيته؛ فما هو السبب في كل ما نشاهده من تدنٍّ في الإنتاج الإيراني من حيث الكيفية في مقابل نظيره الأجنبي بالرغم من الاهتمام المتزايد به والعناية بالصادرات وكل ما يجري عنه من حديث منذ مطلع انتصار الثورة والتشديد على هذا الاتجاه؟!

وكلامي هذا لا يشمل المجالات كافة؛ ما السبب في ذلك؟ وهل الأمر كله منوط بتطور الآلة لديهم؟ إنني أرفض أن يكون الأمر هكذا دائماً، بل الأمر ناتج عن الافتقار للوجدان في العمل فهو الذي سيترك بصماته على نوعية العمل التي

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٢/٩/٢٩.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٢/٩/٢٩.

تعني فيما تعنيه لو أن هذا الحذاء صُدّر إلى الخارج واشتراه أحد الزبائن فهل سيعاود شراءه مرة أخرى أو إنه يقول: كلا، لا اقتني البضاعة الإيرانية! لا حظوا مدى التأثير الذي يتركه الوجدان في العمل وإتقان العمل والمثابرة عليه والنظر للعمل على أنه عبادة كبرى[1].

٩ ـ تعميق ثقافة المجتمع وترشيدها نوعيا

مجتمعنا مجتمع إسلامي يحاول النهوض تدريجياً وفق مبنى فكري؛ وتصبو حكومته لأن تتأسس في ضوء معتقد ودين هو السائد الآن في أوساط الشعب الذي لا يريد أن يبقى مسلماً بالاسم فقط، بل هو يرنو على الدوام لمعرفة وإدراك ما هو جديد وحديث من آراء وأفكار وحقائق عن هذا الدين، وأن تطرق أسماعه الاستدلالات التي توضح مواطن الغموض والإبهام في هذا الدين[2].

إن ترشيد المقومات الثقافية للبلاد يختلف عن نشرها سطحياً، بل يعني تعميقها؛ فمن الضروري ـ مثلاً ـ إن تطالعوا الكتاب الجيد، ومن الضروري تحديد موضوعات التحقيق الثقافي لتبادر القنوات الثقافية إلى التحقيق عنها، ومن الضروري رفد المجتمع بالرؤى الحديثة على صعيد القضايا الثقافية للمجتمع، كما هو شأن الجهاز الرياضي ـ وإن كان هذا المثال ناقصاً ـ في عدم اكتفائه بدعوة الناس لممارسة الرياضة لمدة عشر دقائق، بل ثمة خطوة أخرى في عالم الرياضة تتمثل في تقدم أفراد لإحراز المراكز المتقدمة رياضياً.

ففي عالم الرياضة تتمثل تربية الأبطال وسيلة ضرورية أي إننا لو أردنا من الجميع ممارسة الرياضة فلابد من أن يكون لدينا أبطال كي يندفع الجميع

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٢/٩/٢٩.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه القسم الخاص في إذاعة الجمهورية الإسلامية، ١٣٦٨/٩/٢١.

لممارسة الرياضة وإلاّ فسيتركها الجميع. أما في المجال الثقافي فليس الأمر كذلك أي إن صناعة النخب والصفوة لا تمثل مقدمة لنشر الثقافة، بل بوسعنا القول إن القضية على العكس، أي إننا نصبو لأن تنتشر الثقافة العامة حتى يرتقي المجتمع ثقافياً إلى الذرى ويحلق حتى يبلغ سنا المجد ويحقق أرقاماً قياسية[1].

كما يعلم الحريصون والغيارى فإن المقولة الثقافية هي مقولة مظلومة في بلدنا؛ فثورتنا قائمة على مبدأ ثقافي ورؤية ثقافية، وهذه مزية تختص بها كل نهضة قيمية، وكان يفترض بنا إيلاء المزيد من الاهتمام بالجهد الثقافي الإسلامي الذي يتمثل في إيضاح وبيان الثقافة الإسلامية بما هي عليه من سعة في المفهوم والمعنى الثقافي بعيداً عن الانحراف والسلفية وضيق الأفق والجمود والمحاباة والخشية من هذا وذاك، هذه الحالات التي تسود العالم الآن.

بالرغم من المحاولات التي تبذلها الثقافة الغربية والعالم الغربي للإيحاء بحريتها الفكرية، لكنها على المستوى الثقافي لا تعدو كونها عالماً متعصباً للغاية وهكذا حالها في سائر المجالات، لكنها في هذا المضمار شديدة التعصب والتصلب أي إن أية ثقافة غير الثقافة الغربية تقع تحت طائلة الامتهان والتحقير والضغوط؛ فالأوربي المتشدّق بالتسامح والفكر المتحرر وبعد النظر والتحرر من التحجر والجمود هو في المجال الثقافي في غاية التشدد والتعصب ويوصم كل ما سوى الثقافة الأوربية بشتى المسميات من قبيل: القمع، البربرية، الرجعية، التخلف، وتصبح مرمىً لحمم نيرانه أي هو ذات الشعور القديم الذي كان سائداً لدى الأوربيين واليونانيين في اعتبار كل ما هو خارج حدود اليونان موطناً للبربر وأهله من البربر!

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

وهذا الشعور يعتمل في الواقع داخل نفس الأوربي الذي يحيا الوسط الثقافي الأوربي والغربي، وهو ذاته السائد في توابع أوربا من قبيل أمريكا واستراليا لذلك تراهم يحتقرون من سواهم.

إنكم تشاهدونهم يجابهون الحجاب بشدة لا لكونه مفروضاً على المرأة، فهم يحملون المرأة شتى صنوف الإجبار ولا تشكل معضلة بالنسبة لهم؛ فمن قبيل ما يفرض عليها هو العمل الشاق والامتهان والانتقاص من كرامتها كأحد عنصري الخلقة الأساسيين، كل ذلك يفرض على المرأة لكنهم لا يطيقون هذا الأمر؛ فهم يحاربون الحجاب لأنه يتنافى مع ثقافتهم.

لقد حدث في أوربا ـ في فرنسا وبعض الدول ـ خلال السنوات القليلة الماضية أن انبروا لمحاربة الحجاب، إذ منعوا دخول بعض الفتيات ـ اللواتي كنَّ يردن مواصلة الدراسة وهن يرتدين الحجاب ـ إلى المدارس! وإنكم تلاحظون ان الجميع ينادون باسم المقاييس الدولية، وإذا ما قالوا بأن على الجمهورية الإسلامية أن تنفذ ما عليها من تعهدات فإن ما يشددون عليه أكثر من سواه هو مساوقة المعايير الدولية التي تعني كل ما ينطبق من أنموذج الثقافة الغربية.

إذن، فلم يزل الضغط والتزمّت الذي يمارسه الغربيون قائماً لحد الآن، ومتى ما حاولت أية ثقافة لا تمتّ للثقافة الغربية بصلة ـ وبالذات الثقافة الإسلامية ذات الطابع الهجومي وتعتد بكيانها ولا تعتريها حالة الضعف والانكسار والاندحار ـ أن تكشف عن وجودها فإنها تتعرض للامتهان والضغوط القاسية.

ونظراً لهذا الوضع وما جرى على مر العقود القليلة المنصرمة، بل بوسعنا القول على امتداد السنوات المائة والخمسين أو المئتين الأخيرة حيث شقت الثقافة الغربية طريقها في بلادنا، يتعين علينا بذل المزيد من الجهود والمزيد من

العمل وشحذ الهمم لبيان حقائق الثقافة الإسلامية، ولكن وا أسفاه لعدم إنجاز هذه الأعمال؛ فحيثما انبرى البعض في واحدة من زوايا البلاد ونهضوا للقيام بتحرك في هذا المضمار واجهتهم العراقيل عبر شتى أصناف الضغوط والإثارات![1].

١٠ ـ أسلمة ثقافة المجتمع

كل مجتمع وإنسان ومجموعة بشرية تصبو لتوظيف الفن لخدمة القيم التي تؤمن بها؛ إذن لا جرم في أن يسعى الإسلاميون لتكريس الفن لخدمة القيم الإسلامية، فهذا ما دأبت عليه الأديان والمجتمعات في العالم أيضاً، فأفكارهم محمّلة بالقيم التي تختلف مع قيم الآخرين لكنهم يسخرون الفن والموسيقى والشعر وكل شيء لخدمة هذه القيم. إذن فما يطمح إليه المجتمع الإسلامي ليس كثيراً[2].

في المجتمع الإسلامي يجب أن يتّسق الفن مع الموازين الإسلامية، ومرفوض الانحراف في القضايا الفنية بأي نحو كان[3].

الواجبات الملقاة على عواتقكم (وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي) في إطار العمل الثقافي عبارة عن أسلمة ثقافة البلاد بكل مظاهرها وبناء النشاط الثقافي للبلاد بناءً إسلامياً وتوجيهه نحو وجهة وهدف إسلامي؛ والمراد من قولنا «إسلامي» هو الرؤية الإسلامية الراقية، لا أن نُلقي بأنفسنا في زوايا بعيدة عن امتدادات الرؤية الإسلامية ـ التي يعبّر عنها الإمام (قدس سره) بالإسلام

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مركز التربية الفكرية للأطفال والأشبال، ١٣٧١/٥/٥.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء لجنة التخطيط والمسؤولين التنفيذيين في الإذاعة والتلفزيون، ١٣٦٩/١٢/١٤.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

المحمدي الأصيل ـ فليس ذلك هو المراد، بل الرؤية الإسلامية بكل ما فيها من ثراءٍ وسعة وامتداد.. إذن فالمهمة هي توجيه الثقافة توجيهاً إسلامياً"[1].

إن أدب الثورة وفنها يستدعيان وجود برمجة لدراسة حالة النمو والتعليمات الصادرة والتوجهات ولمعرفة النواقص واتخاذ الإجراءات الكفيلة لسدّها وتشخيص الفروع الفنية التي نعاني فيها نقصاً اليوم، وما هي الفروع الأدبية التي نشكو خللاً فيها، وكيف نعالج مواطن الخلل هذه، وأي الأجهزة نستعين بها، وما هي طبيعة الإدارات التي ينبغي أن تتصدى للعمل.. وعلى العموم يكون هنالك قسم لرسم السياسة، وعليكم القيام بمهمتكم وإن كانت هذه السياسة لا تطبق بحذافيرها على صعيد البلاد.

هنالك العشرات من الخطط العسكرية الجاهزة دائماً في الدائرة الثالثة من مؤسستنا العسكرية وفي جيوش العالم، وتختص الدائرتان الثالثة والخامسة بمثل هذه الأعمال، بحيث لو كان لدى أمريكا النية بشن هجوم من منطقة ما فإن ما يجب فعله في تلك الأثناء مدوّن لدينا حتى مع عدم احتمال وقوع ذلك، أو افرضوا أن المخطط الذي يرسمه هذا الركن لتلك الوحدة المنفذة لم يجر تنفيذه بحذافيره أو لم توفّر الإمكانيات الضرورية له أبداً، لكنها ـ تلك الوحدة ـ يجب أن تؤدي مهمتها لإعداد الأرضية عسى أن يصار إلى تطبيق الأمر أو يعمد لإنجاز الأمر ما وسع الحال.

وبناءً على هذا فإن أحد الواجبات هو اتخاذ القرار بشأن السياسات العامة على صعيد الأدب والفن إلى جانب الاهتمام بالحالات الاضطرارية فصلياً ومرحلياً، فإذا ما وقع حادث تعيّن على أدب البلاد أن يعلن موقفه.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

لقد أصدر الإمام فتواه بشأن قضية سلمان رشدي؛ فهل يصح أن يصدر الإمام فتواه فيما يلوذ أدب الثورة بالصمت إزاءها؟! فإن سكتّم فسينطق الآخرون كما شاهدنا خلال المرحلة الأخيرة، حيث راودت البعض الأوهام بإمكانية سحب الأموال من جيوب الأمريكان فباشروا بجمع التواقيع للقيام بعمل ما، وهذا العمل بالرغم من محدوديته لكنه يعد قضية مرحلية يتحتم فيها على أدب الثورة وفنها الرد عليهم..

لعلكم تقولون إن الرد على هؤلاء من شأنه إعظام شأنهم فإن انتفت المصلحة هنا فلا تردوا عليهم ولا تقوموا بما من شأنه تضخيمهم، ولكن ليس لكم التزام الصمت في مثل هذه الأحداث وغيرها من الوقائع الكثيرة، كما هو الحال في حادثة إسقاط الطائرة من قبل الطراد الأمريكي ـ وهي قضية سياسية على صلة بقضايا الثورة ـ التي جوبهت بالاحتجاج، لكنني أقول: لماذا خفتت هذه القضية؟![1].

١١ـ مراعاة الحدود الجنسية في الفن

إن ما يقدم اليوم من فن رائج، وإن ما يقدمه أولئك الذين يعتمر في نفوسهم خزين من الفن ـ وإن بعضهم يعملون عامدين أو جرياً خلف الآخرين أو «لا عن وعي» ـ يجرف الفن بالاتجاه المعاكس للأهداف الإسلامية؛ فعلى سبيل المثال إن مسألة الحدود الجنسية تمثل أصلاً بالنسبة لنا ونعتقد به وهو فرع من فروع الدين، والحجاب جزء من فروع الدين، وكذا حرمة الاختلاط الجنسي، وهذه الحدود الجنسية بذاتها ـ ولا نتحدث هنا حول العباءة أو الخمار أو طبيعة الحدود، فلعلها تتخذ صوراً مختلفة تبعاً لاختلاف المكان ـ تعدّ واحدة من ثوابت فكرنا الإسلامي.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجمع الكتاب المسلمين، ١٣٧١/٤/١٤.

إن الإسلام يرى للمرأة من العزة والعنفوان ما يجعلها لا تبالي أنظر إليها الرجل أم لا؛ تلك هي العزة والعنفوان التي يجب أن تتسم بها المرأة؛ لاحظوا أين هذا مما تختاره المرأة من لباس وزينة وطريقة تكلم ومشي ما من شأنه خطف أنظار الناس نحوها، وإننا نشاهد الآن الأفلام المنتجة حيث يتعمدون فيها إقحام العنصر الجنسي المنحرف، فلماذا تولد هذا الانحراف؟ ولعله كان من الممكن أن ينعدم؛ وكذا اليوم من الممكن انتفاؤه أيضاً فلابد من مواجهته، وعليكم الوقوف بجد بوجه هذا القضية.

ما يقال الآن من أن الممثلة الفلانية قد أسفرت بعض الشيء عن وجهها في فيلم ما أو إنها أصلحت وجهها وإنكم إنما تتظاهرون بالقداسة؛ فالقضية ليست في إسفار أو عدم إسفار امرأة عن وجهها، بل إننا وعن طريق الفن ـ بما يكتسبه من أهمية ـ نسلب رويداً رويداً من أهمية قضية ـ على عظم خطرها وأقصى مداها ـ الطريقة التي يتعين على المرأة أن تختطها في الحياة؛ فالتكبر محرم على الجميع وهو خطيئة إلا على المرأة، فإن كان التكبر محرماً على الرجل فهو مستحب بالنسبة للمرأة في تعاملها مع الأجنبي. وهكذا يجب أن يكون تصرفها..

ولعلنا نفترض أحياناً أن تكبر المرأة لا ينحصر في تكبرها الإسلامي والعباءة التي تغطي رأسها، لكننا على اعتقاد بأن العباءة هي الأفضل من سائر أنواع الحجاب، وهذا ما عليه معتقدي ورأيي.. ولعل هنالك من يحمل رأياً آخر، فذلك مما لا اعتراض لنا عليه، لكنني بصدد القول أن منعة المرأة وتكبرها في مقابل الرجل قد يتحقق دون ارتداء العباءة، لكنني أقول أيضاً إننا نشوّه ذلك ونرسخ لدى المرأة القناعة بأن أوربا والغرب يمليان علينا إرادتهما بتلقيننا والتأكيد لنا أن المرأة ما هي إلاّ ألعوبة!

هذا هو تراث أوربا الممتد لألفي عام، وبطبيعة الحال ليس جميع الناس في أوربا يتجولون عرايا ولا النساء جميعاً يفتقدن العفة في حياتهن لا قدر الله، كلا فليس الأمر كذلك، وإنما المرأة تمثل متاعاً عاماً ومباحاً ويجوز لكل من أراد الالتذاذ بها كيف شاء! وهذه تركة توارثوها منذ ألفي عام من الرومان وبقيت سائدة عندهم لحد الآن. فما الداعي لأن نرتضي هذا منهم؟!

إنكم تشاهدون ما فعلوه وما يفعلونه في إعلامهم فيما يتعلق بالقضية الجنسية لحد الآن، وتلك أمور واضحة أمامكم؛ فلماذا يفرض علينا أن نصبح مثلهم؟! ولماذا نؤدي دور المنفعلين من الناس؟! وهل يعني أن يعترينا الخجل لعدم قدرتنا على مثل هذه الحياة؟! إنما هم الذين عليهم أن يعتريهم الخجل..!

سُئلت ذات مرة حول قضية ما: بماذا تتسلح للدفاع عنها؟

فأجبت: إننا لا ندافع بل نهاجم.. فلسنا في موقع الدفاع في هذا المجال، وإنما في موقع الهجوم.. فتلك ثقافة خاطئة، فهل نسمح لثقافة خاطئة أن تخترق فننا؟! خصوصاً فن السينما على عظم شأنه!

الملاحظة الأخرى التي أود التطرق إليها حول قضية الفن هي أن الثورة حقيقة عملاقة شهدها مجتمعنا، ولعل للبعض رؤاهم فيما يتعلق ببعض الظواهر وقد يخالفونها ويرفضونها، بيد أن هذه الثورة بذاتها تمثل حدثاً جباراً، بل إن أبعاد الثورة بالأساس من العظمة ما لا أريد التطرق إليه الآن، ونحن إذ نعيش العام الرابع عشر من عمر الثورة وكنا نركن بين ثناياها لكننا نعجز عن إدراك عظمة أبعادها، فلماذا يا ترى يبقى الفن في مجتمعنا بمنأى عن هذه الحقيقة بما هي عليه من عظمة ملموسة؟! هل كُتبت بضعة كتب وقصص روائية عن الثورة؟ وكم هي الأفلام التي بادر سينمائيونا المعروفون لتقديمها عن هذه الثورة؟ لقد أوصلوا الحال بحيث لو أنهم عرضوا فيلماً ولم تكن فيه قيد أنملة من علاقة

بالثورة فإن المرء يشعر بالراحة ويحمد الله على ذلك! أو ليس هذا انحرافاً؟! لا بد من مواجهة ذلك.

إنني أظن أن أي تاريخ لا قدرة له على مجاراة القصص الروائية التي ألفّت بشأن ثورة أكتوبر السوفيتية، ولو أنكم طالعتموها لفهمتم ما أقول؛ فمن القصص الدعائية التي كتبها الشيوعيون كانت رواية «الغضب الهادئ»، وبالرغم من أن زمن الحكم الملكي كان زمن ضيق لكنهم كانوا يتداولونها فيما بينهم للتثقيف، وهنالك كتاب آخر لـ«تولستوي» ـ وهو بحوزتي ـ كان قد صنّفه حول ثورة أكتوبر أيضاً. لقد أبدعوا في الكتابة وتصوير الثورة، وبوسعكم تلمس عظمة أبعاد الثورة عبر هذه الكتب، وكذلك من الممكن الوقوف على نقاط ضعفها من خلال هذه الكتب أيضاً وإن كان الذي صنفها لم يدون تلك النقاط على أنها نقاط ضعف. ولكن ما الذي كتبناه نحن في هذا المضمار؟

لقد صنِّف كتاب واحد بشأن الثورة يتحدث عن أيام معدودات منها وهو يجافي الحقيقة بنحو عندما نطالع ها الكتاب ـ نحن الذين كنا نخوض غمار الثورة ونجوب أزقة طهران وشوارعها وسائر المدن ـ هذا الكتاب نجده كذباً محضاً! أي إنهم انتقوا الأمور بما يناغم آراءهم وكتبوا عنها!

لم لا يصور فيلم عن وقائع الثورة ويعرض أمام الملأ؟ وقبل عدة سنوات قلت لبعض الأصدقاء: لم لا تصورون فيلماً عن المعاقين شبيهاً بذلك الكتاب الذي صنفه الروس حول طيّارهم المعاق؟ ولقد طالعت ذلك الكتاب وسمعت فيما بعد أنهم صوروه على شكل فيلم لكنني لم أره، وكانوا هم الذين طبعوا الكتاب ووزعوه كأحد الكتب الدعائية التي طبعها الروس ووصل إلينا في الأيام الأولى لانتصار الثورة؛ والكتاب يحمل عنوان «إنسان حقيقي» وإذا ما قرأه طيار

أو جندي قد بترت ساقه أو عميت عينه أو قطعت يده فإنه يشعر بالقناعة والسكينة.

ونحن إذ نمتلك هذا العدد من المعاقين لم لا نمتلك مثل هذا الكتاب وهذا الفيلم؟! فعليكم بالعمل ما استطعتم ومضاعفة جهودكم على صعيد هذه المقولة في الفن[1].

المرأة السافرة لا تحظى اليوم بالقبول في الجمهورية الإسلامية؛ فهؤلاء (الفنانين) من أجل إقحام القضية الجنسية ـ المشخصة في محلها من الأفلام ـ يأتون بالمرأة المتجلببة بالحجاب بالطريقة التي تحقق الغاية؛ فالمرأة التي ترتدي العباءة هي بالنتيجة امرأة، فمن أراد تقديم المرأة بجاذبيتها الجنسية فذلك ما بوسعه حتى وإن كانت موشحة بالحجاب ناهيك عن الخمار، فهي تساوق نفسها بأسلوب مثقف في الفيلم مع تلك الوصفة والأنموذج المعروف قديماً الذي تعجّ به أوربا والأوساط الفنية في الغرب القاضية بوجوب طغيان الجاذبية الجنسية على الأفلام، حتى إنهم وفي الكثير من النتاجات الفنية الأخرى يشركون المرأة في الفيلم بهيئة مموهة لو نظرتم إلى ظاهرها يتعذر عليكم القول إنها بلا حجاب أو خمار، لكنهم يكسبون الفيلم الجاذبية والغنج الضروري فيخرجوه من دائرة الإباحة إلى دائرة الحظر، غاية الأمر أنه مغطى بغطاءِ مجاز، فإذا ما جاء العدو وقام بهذا العمل في غفلة من وزارة الإرشاد وملأ السوق بمثل هذه الأفلام واستقطب المزيد من الزبائن والأرباح، فما عسانا أن نصنع وقتها؟!

أوَ يصح منا القول إن عدونا يسخر حفنة من المنبوذين الشاذين وهو إنما يكسب الزبائن ويقف الشباب طوابير أمام دور السينما عبر تشبثه بالمؤامرات،

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

لذلك فإن الفيلم الذي يفتقد تلك الميزة لن يستقطب كل تلك الجموع إذا ما عرض على شاشة السينما؟! هل ترون أنه من المنطق الصحيح؟! وإذا ما قيل بأنه (العدو) لم يقدم كل ما في جعبته فلنقدم ما لدينا من أفلام على أن لا تكون جافة وخالية من بعض اللقطات، فهل هذا صحيح؟! وهل عن هذا الطريق يمكن المحافظة على ما ترون من حدود؟!

الجهاد الحقيقي شرط لازم في الثبات على المبادئ، ولابد من الصمود منذ البداية وحتى آخر المشوار. ولقد كان الإمام (قدس سره) حكيماً حقيقياً، وقد لمست تجليات هذه الحكمة لدى الإمام، سواء في معنى الحكمة وتفسيرها أو في نتاجاته الفلسفية والإسلامية؛ فالحكيم هو مَنْ إذا ربطنا بين مؤخرة كلامه وبين مقدمته نجده ومنذ الوهلة الأولى يبين مراده من خلال عبارة في غاية الإيجاز ويضع بين يدي المرء قاعدة كلية؛ ولطالما أكد مراراً وتكراراً ـ ولعلكم سمعتم منه ذلك ـ وفي مواطن متعددة أننا نعمل من أجل التكليف لا من أجل النتيجة.

فانظروا كم هو حكيم هذا القول.. لذلك فهل ما نصبو إليه هو أن تكون أفلامنا ملأى بالزعيق كي تصبح أكثر رواجاً ومن ثم نحقق المزيد من النتائج عن هذا الطريق؟! وهل يتعين علينا أن ندس شيئاً من المشاهد الجنسية بأسلوب مؤدب كي نبلغ المراد؟! وهل هذا هو التكليف؟! كلا، فليس هذا هو التكليف، بل هو أن نتمسك بذلك المبدأ الذي آمنّا به وضمخناه بدمائنا.

لقد قاومنا العدو على مدى حرب دامت ثماني سنوات؛ ما الهدف من مقاومتنا يا ترى؟ وما الذي يريده منا العدو ونرفض إعطاءه ومازال يمارس ضغوطه علينا؟! هذا ما لا غبار عليه، ولقد عاهدنا عليه يوم قال رب العالمين:

﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ﴾ ؟ فقلنا: ﴿ بَلَى﴾[1] .. وتبعاً لهذه الـ ((بلى)) وفّى شعبنا بعهده آلاف المرات[2].

إنني أولي قضية الفن فائق اهتمامي، إذ إننا متخلفون فنياً فيما يستخدم العالم الفن لمواجهة الثورة بقسوة، وإنني أقول بالرغم من قبولي للإرشاد والنصح بحقيقته وإيماني به لكنني أرفض التشدد في بعض المجالات، لذلك فإن كل ما تريدون اتخاذ القرار بشأنه فاسعوا لأن يكون نابعاً عن رؤية فكرية ومنطقية جديرة بالدفاع عنها[3].

١٢- تبيين الحقائق الإسلامية عن طريق الفن والوسائل الأدبية

وصيتي إلى جميع المسلمين في العالم ان يؤكدوا بشكل متزايد على شخصية النبي في مختلف أبعاد حياته.. سيرته.. أخلاقه والسنن المأثورة عنه، وما ورد عنه من النصوص. لقد تعرضت شخصية الرسول الأكرم إلى هجوم دعائي متزايد في الوسط الغربي وفي العالم المسيحي بعد القرون الوسطى[4].

علينا أن نعمل على تعريف الأبعاد المختلفة لشخصية الرسول الأكرمﷺ ونسلّط الأضواء على جوانبها المختلفة: الأخلاق ومناهج الحكم وإدارة الرعية والعبادة والسياسة والجهاد.. والتعاليم الخاصة. علينا أيضاً ان نعالج السيرة ليس من منطلق تأليف الكتب وحدها بل علينا ان نوظّف الأدب والفن ووسائل التبليغ.. والوسائل الجديدة ونستفيد من التكنيك والتقنية الموجودة في العالم.

---

(١) الأعراف الآية: ١٧٢.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء الدائرة الفنية في منظمة الإعلام الإسلامي، ١٣٧١/١١/٤.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

(٤) من كلمة سماحته في لقائه مع ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، ١٣٦٨/٧/٢٤.

والاهتمام بشخصية النبي الأكرم لا يجب ان يقتصر على الجمهورية الإسلامية وحدها، بل ينبغي ان يشمل العالم الإسلامي"[1].

كثيرون في الدنيا أولئك الذين إذا عرفوا عن نبي الإسلام، ما يعرفه المسلمون عنه ـ أو حتى أقل من ذلك ـ تتغيّر عقائدهم ويمكن ضمان ميلهم إلى الإسلام وإلى عالم المعنى في هذا الدين.. في الواقع لو أشرقت لمحة من هذه الشخصية النورانية على قلوب أولئك لمالوا إلى الإسلام.

علينا ان نشتغل على هذه المسألة كثيراً.. وربما كانت أفضل وسيلة للدعوة إلى الإسلام هو ان نبيّن للآخرين شخصية نبي الإسلام..

يحسن بنا في هذا المضمار ان نستبق الآخرين، فقبل ان يدخل الآخرون الساحة لتشويه شخصية نبي الإسلام في أذهان من لا يعرفه من أبناء البشرية، مستفيدين في ذلك من مناهجهم الثقافية المعقدة ومتوسلين بالوسائل الفنية والأدبية، على مسلمي العالم ان يبادروا إلى ذلك فيدخل الأدباء والفنانون الميدان ليجلّوا أبعاد هذه الشخصية العظيمة الكريمة بمختلف وسائل الدعوة والبيان، وينتجوا أعمالاً ثقافية فنية وأدبية وتبليغية"[2].

الفن هو أمر يستفيد منه كل ذي شعور في العالم.. بل يمكن أن يقال بأنه ليس هناك عاقل لا يريد ان يستفيد من الفن والأدب، لذلك سيكون طبيعياً ان يستفيد منه ذوو الفكر المنحرف وأهل الأهواء.

من سُبل الاستفادة وضروبها ان يبادر ذوو الفكر المنحرف لصبّ ما يرومون إليه ويبغون إيصاله إلى ذهن الناس بوسائل فنية وقوالب أدبية.. وأهل الفكر المنحرف يستفيدون من الفن وتوظيفه، كمثل إفادتهم من المال والسلاح.

---

(١) من كلمة سماحته في لقائه مع ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، ١٣٦٨/٧/٢٤.

(٢) من كلمة سماحته في لقائه مع ضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية، ١٣٦٨/٧/٢٤.

لا يمكن الحيلولة دون أولئك وما يصبون إليه من توظيف الفن والإفادة منه، ولكن يمكن أن نضع ـ هذه الوسائل وأدوات التعبير ـ بقوة في خدمة الفكر المقدّس والسليم.

وإذا قدّر للفكر العالي المقدّس وأن عجز عن توظيف الأدب وهدر هذا الرصيد فسيبقى متخلفاً. على سبيل المثال إذا قرّر إنسان فاسد ان يقوم بجريمة في نقطة من نقاط العالم، كأن ينفذ سرقة أو يقتل مجموعة من الناس فسيستفيد من السيارة أو طائرة، وإذا أريد الحيلولة بينه وبين جريمته فلابدَّ من الاستفادة من الطائرة أيضاً لبلوغ المكان المقصود قبله، أو الوصول إليه بوقت واحد، فالإفادة هنا من الطائرة أو السيارة هو شرط لدرء الخطر وعدم التخلف.

وهذه المسألة بدرجة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى بحث، وجميع كلامي انطلق من التأكيد على هذا الجانب الماثل بالإفادة من نفس وسائل العدو لاستباقه ودرء خطره وإلاّ بقي الإنسان متخلفاً عن اللحوق[١].

على المسلمين في جميع أنحاء العالم ان يلتزموا جانب الحذر واليقظة الكاملة إزاء مخططات الأعداء لإضعاف الإسلام والإساءة إليه، وعليهم بالذات ان يلتزموا جانب اليقظة والحذر فيما يتعلق بالتآمر الثقافي المضاد الذي يعكس نفسه في ممارسات من قبيل تأليف الكتب.. إنتاج الأفلام والتمثيليات المنافية للقيم الإسلامية.

ولا ريب انَّ المسؤولية الأساسية تنصرف في هذا المضمار إلى الكتّاب والأدباء والفنانين الذين تنبض قلوبهم من أجل الإسلام، وهم على وعي بمقدار الحقد والبغض اللذين تحملهما الأجهزة الاستكبارية للإسلام والمسلمين.

---

(١) كلمة السيد القائد في مجموعة من الفنانين التابعين للحوزة الفنية في مؤسسة الاعلام الإسلامي، ١٣٦٨/٨/٢١.

فهؤلاء هم الخندق الأصيل في خط المواجهة، وعليهم تقع المسؤولية العامة في تهيئة المقالات والكتب والآثار الفنية التي تبيِّن الإسلام وتدعو إليه، وتكشف عن مؤامرات الأعداء وتدافع عن حقوق مسلمي العالم.

بديهي انَّ المسؤولية العامة على الجميع واضحة إزاء ما تتعرض له المقدسات الإسلامية من إهانة.. وحكم الإمام الراحل القاضي بوجوب قتل الكاتب المرتد التافه مؤلف «الآيات الشيطانية» يوضح ما ينبغي ان يكون عليه تكليف الجميع في المواطن المشابهة. وأما حكم إمام الأمة إزاء هذا الكاتب السيئ الحظ فهو باق بقوته، وعليه أن يرقب تنفيذ الحكم في اللحظة المقدّرة.

على المسلمين ان يوظفوا الاجتماعات الكبيرة بالذات اجتماع الحج العظيم ويستفيدوا منها في إعلان معارضتهم للمؤامرة الثقافية التي يمارسها الاستكبار ضدّ الإسلام، وعليهم ان يستثمروا هذه التجمعات إلى أقصى حد ممكن في التعبير عن وموقفهم الحساس إزاء ذلك.

إنّي على اطمئنان انَّ مواقف المسلمين الغيورين ستكون حازمة إزاء ما سيتعرض له الإسلام على هذا الصعيد، تماماً كما كان موقفهم حاسماً في الاستجابة لنداء إمام الأمة أعلى اللّه كلمته[1].

١٣ـ الاعتماد على العناصر المؤمنة في الحقول الثقافية والفنية

عناصرنا المؤمنة هي التي تقوى على مواجهة الغزو الثقافي، وإنني أدعو لتكريم عناصرنا المؤمنة أينما كانوا، وأقول للمتصدين للحقل الثقافي في البلاد بدءاً بوزارة التربية والتعليم وانتهاءً بوزارة الإرشاد الإسلامي ومنظمة الإعلام الإسلامي وغيرها من المؤسسات والمراكز الثقافية في البلاد أن اعتمدوا على طاقاتنا الوطنية.

---

(١) كلمة سماحته إلى حجاج بيت اللّه الحرام ، ١٤/٤/١٣٦٨.

وليس مرادي من ذلك القبض على ذلك الشاب الذي لا يملك حساً ثورياً وإخراجه، كلا فليس ثمة من يقول ذلك، وليس هذا منطق الإسلام والثورة، بل أفسحوا المجال أمام الجميع ممن يتطلعون للعمل من أجل هذا الشعب، وإنما قولنا هو أن لا تسمحوا بانزواء عناصرنا.. فإذا ما شن عدو هجوماً عسكرياً على بلد ما فمن الذي يتصدى لمواجهته؟

إن ذلك الإنسان المتعلق أكثر من غيره بأرضه وشعبه والأكثر زهداً بزخارف الدنيا والأشد شعوراً والتزاماً بالمسؤولية هو الذي ينبري للدفاع عن وطنه.

لقد شاهدتم من الذين توجهوا إلى ميادين الدفاع في زمن الحرب، إنهم التعبويون الذين ملأوا الجانب الأعظم من الساحة، والتعبويون هم العناصر المؤمنة الثورية المتعلقة بمصير الوطن المضحية من أجله، وهم الذين نزلوا إلى الساحة وبتضحياتهم أنزلوا الهزيمة بالعدو. وهكذا الحال بالنسبة للحقل الثقافي، فذلك العنصر المرتبط بالبلاط الملكي وينبض قلبه لتلك الأيام لا يقوى ولا يتقدم خطوة للدفاع عن النظام الإسلامي والثقافة الإسلامية؛ فلم هذه الغفلة منا؟!

إن الذي يذود عن الثقافة الإسلامية وعن كرامة هذا الشعب، وكيانه ويقف بوجه العدو وهجومه هو ذاك الذي ينبض قلبه بحب الإسلام ويعشق الإسلام وإيران.

إن تلك الحفنة ممن لا دين لهم لا يحبون الوطن ولا هم متعلقون بإيران، ومن يرتضي بهيمنة أمريكا على إيران ويشجع عليها ليس وطنياً.. فما المعنى الذي يستبطنه سماح البعض في أن تأتي أمريكا للتدخل في انتخاباتهم،

ويصفقون من إيران وبالذات من طهران لتلك المرأة التي وصلت إلى سدة الحكم في نيكاراغوا عبر انتخابات أمريكية؟!

إنهم من هنا رحبوا بأولئك الذين استسلموا لما أملته أمريكا في نيكاراغوا، أو ليس هؤلاء يضمرون الولاء لأمريكا؟! فهل ينهض هذا الشخص بقلمه المسموم بالدفاع عن الثقافة الوطنية والإسلامية بوجه غزو العدو؟! من الواضح أنه لن يفعل، بل من الواضح أنه جزء من الطابور الخامس، وهو إنما يعمل للعدو ويتمنى أن يعود الأمريكان؛ فالحذر الحذر من هذا الوضع يا أيها المسؤولون!

وأنتم أيها المتصدون في منظمة الإعلام الإسلامي وفي وزارة الإرشاد ووزارة التربية والتعليم العالي وفي مختلف المؤسسات الثقافية عليكم التزام الحذر إزاء هذه القضية؛ والجميع ـ بطبيعة الحال ـ مسؤولون؛ وليس المراد من المسؤول من كان رئيساً فقط، فـ «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1]، فالتزموا هذا المطلب؛ فإن هذا الشعب ـ وبغية المحافظة على كرامته وكيانه الحقيقي والإنساني والإسلامي والثوري والثقافي والوطني ـ بأمس الحاجة إلى الجهاد والمقاومة والصمود بوجه هجوم العدو ومباغتة هذا العدو عبر نقاط ضعفه، وهذا ما تقوى عليه عناصرنا المؤمنة، وهذا ما أروم قوله.

فإذا أردتم الرقي والتكامل للفن في هذا البلد فعليكم بالاعتماد على الفنان الشاب المؤمن، فهو الذي يمتلك القابلية للذود عن الإسلام والثورة والوطن؛ بيد أن المخرج أو المنتج الذي يحاول الآن إنتاج فيلم فإنه يفكر مسبقاً بتضمين الفيلم ما يستهدف به أحد المباني العقائدية للنظام، ولهذا فهو لا يصلح لأن يكون موضع ثقة؛ فمثل هذه العناصر لا تكتفي بعدم مساندة الثورة، بل ينتجون

---

(١) بحار الأنوار: ج٢، ص٣٨.

الأفلام بغية مهاجمة الثورة، فكل منهم إنما ينتج الفيلم أو يكتب القصة مستهدفاً التشكيك بكفاءة النظام الإسلامي، ليقول بأن هذا النظام عديم الكفاءة، وعندما يكتب مقالة أو يقدم نتاجاً فنياً يهدف إلى الإيحاء بعدم كفاءة هذه الحكومة وعجزها.. فهل يقدم في هذه الحال خدمة لمصالح البلاد أم يخونها؟! وهل يمكن الاعتماد عليه؟! من الواضح أنه لا يمكن الاعتماد عليه! ونحن بطبيعة الحال لم نعقد العزم بعد على أن نقدم للمحاكمة من نتصور عدم قيامه بالخدمة أو نعتقد بخيانته.

مايزال هنالك المزيد من العمل الذي يتعين القيام به على الصعيد الثقافي في البلاد، وإنني أقول بضرورة الاعتماد على العناصر المؤمنة، فهم الذين يقفون سداً بوجه الغزو الثقافي[1].

لا يراودني الشك في أن هنالك شباباً مؤمنين في أوساط فنانينا، وإذا ما برز في زماننا فيلم بجودته فإنه من بين تلك الأفلام التي ينتجها المؤمنون حول الحرب وينتزعون العواطف الإنسانية الرقيقة من أجواء الحرب ـ وهي الصادقة ـ إذ إنها أفلام زماننا وهي التي ستبقى في سجل تاريخنا، وإذا ما أرادوا يوماً كتابة تاريخنا السينمائي فإنهم سيوردونها كمرحلة من مراحل تاريخنا السينمائي؛ فالمرء يلمس فيها الإبداع والشجاعة وبإمكانها التعبير عن الحس الفني بنحو من الأنحاء، فعليكم بالبحث عنهم وتشجيعهم وتربيتهم،وهذه إحدى المهام التي تتحملها وزارة الإرشاد ولسنا بمقتنعين بما هو موجود[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العاملين في وسائل الإعلام ورؤساء دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

إننا متخلفون فنياً والعالم يستخدم الفن بقسوة ضد الثورة، ولكن إذا ما قيل لفنان سخّر فنك لخدمة الثورة والدفاع عنها، فإنه يتشبث بالقول: إننا لا نستخدم الفن للأغراض السياسية، فالفن من أجل الفن! ومعنى ذلك أن العدو يقول لنا: إننا إذ نقمعكم بهذه الحربة فلا تستخدموها للدفاع عن أنفسكم..!

فعليكم بتربية الفنان المسلم الذي هو على استعداد لبيان هذه الحقائق والأصول عن طريق الفن[1].

١٤ـ الاهتمام المتميز بالشبيبة واليافعين في الحقل الثقافي

إنني أعتقد بأن ما ينبغي أن يحظى بالأهمية أكثر من غيره اليوم على صعيد التربية والتعليم هو إحياء الإيمان والعمل الإسلامي لدى الطلبة؛ أي يجب أن يصبح الوضع بحيث لو دخل المدرسة صبي من إحدى العوائل التي لا تعير اهتماماً بالعمل أو المعتقد الإسلامي ولا تؤمن به، أو كان من عائلة لا بأس بالتزامها وإيمانها بالفكر والعمل الإسلامي، بيد أن الوالدين فيها لا قدرة لهما على التأثير على الطفل نتيجة الأمية والقصور الفكري والنفسي، فيجب أن يسد هذا الفراغ لدى الطفل إن هو دخل الأجواء الخاضعة لعملية التربية والتعليم أي يتحول هذا الطفل إلى إنسان متدين علماً وعملاً، معتقداً وسلوكاً وتصرفاً.

كلنا يعلم بأن المسلم ليس من كان ذا معتقد إسلامي ويمارس عملاً إسلامياً، وإنما الأخلاق الإسلامية تمثل ركناً أساسياً؛ فلو افترضنا أن امرأً كان راسخاً في معتقداته الإسلامية ويعمل بروح الصلاة والصوم ونحو ذلك، لكنه كان حسوداً بخيلاً ناقماً واهناً فاقداً للإرادة فهو ليس مسلماً، فالمسلم إنما عليه العمل في الأبعاد الثلاثة: التربوي، والعلمي، والعملي وهذه ثلاثتها من العمل في

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

ضوء بعض الاعتبارات أي ان الاعتقاد فرع من العمل أيضاً. إذن يجب أن تتركز الجهود في المدارس على أن يتبدل أبناؤنا إلى أناس مسلمين من الناحية الدينية في حدود الاعتقاد والتربية والأخلاق والتعبد العملي، وهذا هو علاجنا وأساس عملنا.

وبطبيعة الحال فإن روح التشوق للعلم تمثل جزءاً من التربية الإسلامية أي لو أننا أردنا نشر الأخلاق الإسلامية فإن روح حب العلم تأتي ضمنها، والارتقاء بالمستوى العلمي هو الجانب الأساسي من مهمتكم فيتحتم الاهتمام به، لذلك فإن تصنيف العلوم وتحديد الأولويات وما ينبغي للطلبة التوجه نحوه من العلوم خلال هذه السنوات العشر أو الخمس أو في هذه المرحلة إنما هو من اختصاصكم وأنتم الأكثر معرفة به.

وخلاصة القول: يجب أن يربى الأطفال على الوجدان الإسلامي.

من الواضح أنكم في الخط المتقدم لمواجهة الغزو الثقافي، لأن الغاية من الغزو الثقافي هي سلب الإيمان من النشء الجديد، سواء الإيمان الديني أم الإيمان بالمبادئ الثورية والفكر الفاعل حالياً الذي يهدد القوى الاستكبارية ويرعبها[1].

إن هؤلاء يعادون من الأعماق الإسلام الناهض في هذا البلد المتبلور عنه نظام الجمهورية الإسلامية، وهم على استعداد لاستخدام شتى السبل للإطاحة به، وهذا ما خضنا غماره منذ انتصار الثورة وحتى يومنا هذا ومازلنا مشغولين به على شتى الأصعدة اقتصادياً وثقافياً وسياسياً؛ وعلينا أن نعد أنفسنا إعداداً شاملاً؛ ومن أهم التدابير التي يشملها هذا الإعداد هو بناء الشبيبة في هذا البلد بناءً إسلامياً.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير التربية والتعليم ومعاونيه، ٢٥/١٠/١٣٧٠.

وإنني أتصور أن أهم برامج وزارة التربية والتعليم ـ على صعيد تنظيم الكتب وإعداد المعلمين والإشراف على عمل دوائر التربية والتعليم، والإشراف على عمل المعلمين داخل المدارس ـ يجب أن يتمثل في تحري ما إذا كان يتم إيصال الفكر الإسلامي أم لا، وهل تجري عملية بناء الإنسان وفق القواعد الإسلامية وبناء الطفل المسلم في هذه المدارس أم لا.. لذلك يتعين علينا شحذ الهمم لإزالة النواقص.

إن بناء التربية والتعليم في بلادنا بناء قديم لكنه ليس قائماً على هندسة صحيحة منذ البداية، فهو كأغلب مرافقنا الثقافية لم يتم بناؤه وفق مبنى سليم، وأنتم الذين تخوضون جهاداً من أجل بلورة هذا المبنى السليم، وهذا ما ينطوي على مصاعب جمة حري بكم تحملها معتبرين ذلك جهاداً في سبيل الله. واعلموا ـ أنتم وسائر المعلمين أينما حلوا في كافة أرجاء البلاد نساءً ورجالاً ـ أن هذا العمل جهاد في سبيل الله وينطوي على مصاعب لابد من تحملها وإن كان على الحكومة أن تسعى لتقليص حجم المصاعب التي تواجهونها سواء من خلال عملها أو في خططها[1].

السؤال لدى البشرية يمثل المقدمة والمفتاح الذي يرسم لها مسارها على الدوام، فلولا وجود حالة التساؤل والاستفسار والتحري والبحث عن الحقيقة لدى الإنسان لما قامت في العالم أية بادرة للهداية ولم يُسلك طريقُ تكاملٍ أبداً؛ فالإنسان بطبيعته وغريزته يهفو لفهم الحقيقة كما هي ويحلق من أجلها؛ وثمة حالة طبيعية لدى البشر وهي حالة الاستفسار والتساؤل التي هي مقدمة ومفتاح البحث عن الحقيقة والتنقيب عنها، وبالتالي الوصول والوصال وبلوغ المرام.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير التربية والتعليم ومعاونيه، ١٣٧٠/١٠/٢٥.

وهذه الحالة أكثر فعالية لدى الشاب من غيره، وغليان روح الشباب والعبور منها ـ كمنعطف حاد يفضي إلى النضج بطبيعته الخاصة ـ أمر في غاية الأهمية لأنه يضع الشباب في مواجهة مرحلة اتخاذ القرارات النهائية التي لم يعهدها في أوان الشباب لكنها تأتي في المرحلة اللاحقة.

ربما يلاحظ أحياناً أن حركة صغيرة من قطار تؤدي إلى حدوث منعطف هائل، كما لو كان القطار يسير باتجاه الشرق لكنه وبفعل إشارة من مراقب الخطوط سرعان ما ينحدر نحو الغرب، وهكذا الأمر بالنسبة لمرحلة الشباب، إذ الحوادث والعوامل الاجتماعية والعائلية والتربوية بمثابة مراقب الخطوط الذي يغير الخط بنحو يتغير معه المسار كلياً؛ أي إذا كان متجهاً شرقاً فهو يغير مسيره نحو الغرب.

ومرحلة الشباب هذه في أقصى درجات الحساسية، وحساسيتها إنما تنبع من أنها كلما ازدادت بعداً عن مرحلة المراهقة واقتربت من سني الشباب الأخيرة التي يقال إنها تتراوح بين الـ ٢٤و٢٥ عاماً يصبح المرء أكثر نضجاً.

ومرحلة الطفولة بدورها حساسة لغزارة ما يكتنزه الأطفال، أي أن مرحلة الطفولة هي التي تحدد مصير الشاب في مرحلة المراهقة، فثمة فارق يميز الطفل إن هو نما في جو علمي تربوي حتى يبلغ المراهقة وما بعدها بقليل؛ وإذا ما شاهدتم أحياناً طفلاً قد تربى في بيئة دينية وعائلة متدينة لكنه استحال في فترة المراهقة إلى عنصر غير متدين، فليس ذلك مؤشراً على عدم تأثير العامل التربوي العائلي، بل دليل على وجود عنصر مجهول لا علم لنا به؛ فلعل أخلاق الوالدين ـ ذلك الوالد المواظب على صلاة الليل، وتلك الأم المحافظة على عفافها على أحسن وجه وبصرامة ـ لها من الخصوصيات ما تترك أثراً سلبياً على سلوكية المخاطب؛ أي إنهما يتميزان بأخلاق يستشف منها الطفل إن عليه أن لا

يقبل ذلك الخلق من الوالد ويرفضه بشكل طبيعي! ونحن لا علم لنا بهذه العوامل الموجودة في داخل الأسرة، أو ثمة عنصر في العائلة خافٍ عنا.

فإنني أعرف آباءً كانوا في غاية الصلاح بيد أن أبناءهم أصبحوا في غاية الانحراف، ولقد صادفت العديد من الحالات المدهشة للغاية خلال مرحلة التجربة السياسية، فقد شاهدت آباءً يتحدثون عن شيء ما داخل البيت غافلين عن التفاوت الذي يطبع فهم الأب الناضج الخبير لتلك الواقعة التي يتحدث عنها، عن فهم ذلك الابن البسيط والبدائي؛ فكان الأب يتداول داخل البيت ما يدور في الوسط السياسي والاجتماعي.

ولقد كنت أعرف أحد الآباء ممن كان متديناً صلباً مناهضاً للماركسية لم يكترث أبناؤه للالتزام الديني لأبيهم فجنحوا نحو الشيوعية وقتل بعضهم أو كلهم في حوادث متفرقة! فلقد سلكوا درب الماركسية الملحدة فيما كان الأب بتصلّبه الديني يتناول داخل البيت ما يدور في الأوساط الدينية والانتقادات والأقاويل اللاذعة التي كانت تدور بيننا والتي لم تكن بمستوى هؤلاء الأبناء، وهكذا فقد كان يحشى بها ذهن الطفل فكانت تلك عاقبته! وهنالك الكثير من الحالات التي تحتفظ بها ذاكرتي.

على أية حال فإنني بصدد القول أن تأثر الطفل من الشدة والحساسية ما لا تحصى عواقبه ونتائجه أي أن آثاره جمة في عاقبة هذا الطفل ومآله، لذلك لابد من التركيز على هذه القضية كثيراً، فعليكم بسد الفراغ الذي تتركه عوام العوائل القاصرة عن التأثير على أبنائهم من الناحية الشخصية والنفسية، فالآباء ضعاف الشخصية ينجبون أبناء ضعاف الشخصية، فسدوا هذه الفراغات وعمقوا لدى الطفل الصبر والحلم والقابلية على مواجهة الحوادث والتدين[1].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قسم الأطفال والأشبال في الإذاعة، ١٣٧١/٢/١.

لو أنكم تعرضتم ـ فيما يتعلق بأصل الدين ـ لإزالة التناقضات التي تطرأ على ذهن الشاب بين الوسط الاجتماعي والتعاليم الدينية، أو بين الظواهر العلمية التي ينظر إليها أولئك الذين قد يرون تناقضاً بينها وبين الحقائق الدينية، فلابد من توفير الأرضية في ذهنه التي من شأنها استقطاب العوامل التي تنسجم معها دون أن تقفوا وراءه، لأن الذهن جهاز آلي؛ فلو أنك أودعت ذهنك شيئاً فهو يستقطب العناصر المنسجمة معه بصورة لا إرادية حتى وإن لم تتفحص القضية عن وعي؛ وإذا ما اختزن ذهنك فكرة معينة فإنها تختمر فيه مع مرور الزمن تطرقت إليها أم لا وتجتذب ما يتلاءم معها من العناصر والعوامل من خلال ما تطالعه وتسمعه وتراه.. المهم هو أن تتأسس النواة المحورية في الذهن، وهذا ما ينبغي أن تقوم به البرامج الخاصة بالأطفال[١].

١٥ـ يجب أن تنهض الجامعات العلمية لترسيخ القيم الدينية

يجب أن تتحول جامعاتنا اليوم بطبيعتها بحيث يكون المتخرج منها متمسكاً بالثورة والإسلام، وجدير بنا أن يكون شغلنا الشاغل قيم هذه الثورة وفي طليعتها الاستقلال الوطني وحرية البلاد وانعتاقها من أغلال السلطويين الدوليين والالتزام المبدئي والتعبدي بالإسلام؛ أي لابد أن تتم تربية الطالب الجامعي في بلدنا بنحو يرى فيه قيمية هذه الشعارات وخصوصياتها وهذا التزام تختص به الجامعة، فما عساكم صانعين من أجله؟[٢].

المهم هو الطبيعة السائدة في الجامعات فيجب أن تكون إسلامية بالكامل، ويجب أن تكون العلاقات في الجامعات إسلامية ١٠٠٪ والتي أصبحت كذلك إلى حد كبير. وعلى إدارات الجامعات أن ترى الأصالة للإسلام، فما لم تكن

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قسم الأطفال والأشبال في الإذاعة، ١٣٧١/٢/١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في وزارة الثقافة والتعلم العالي، ١٣٧١/٨/١٩.

الجامعة مركزاً لتربية المتخصصين المسلمين الملتزمين فلن يتحقق ما تصبو إليه الثورة، وذلك مما يتعذر ما لم تغدُ القاعدة والمنهج والنظام في الجامعات إسلامية، فأياً كانت الدروس وأياً كان الأساتذة فالمهم أن تكون العلاقات إسلامية؛ أي على المدراء والطلبة والأساتذة إعطاء الأصالة للإسلام والالتزام بأحكامه، ولتكن القيم الإسلامية موضع تسابق في الجامعة؛ ولا يكن الإسلام غريباً فيها ولا يكن العمل والالتزام الإسلامي أمراً قشرياً، بل لتكن الصلاة والأمانة والصدق في الحديث والنقاء والأخوة والعمل الجهادي والدراسة نابعة من الرغبة والاندفاع والتعاون المتبادل، ولتتركز الجهود في التعلم من أجل التعمق في المعلومات والعلوم المختلفة، فالعلم إسلامي وتلك من الإسلام أيضاً[1].

ينبغي أن يرقى الدخول إلى الجامعة إلى مستوى الوصول إلى الحوزة العلمية؛ فمثلما يتعلم المرء في الحوزة العلمية المعرفة والدين والتعبد يجب أن يتعلم الداخل إلى الجامعة هذه القيم أيضاً، وحتى لو كان بعيداً عن المباني الإسلامية والثورية فعليه معرفتها والتعبد بها حين دخوله إلى الجامعة ومكوثه فيها أربع أو خمس سنوات. لذا يتعين إيلاء المزيد من العناية للتربية الدينية وتنمية الروح الحماسية الثورية لدى الشباب في الجامعة، وهذه المهمة لا يمكن إنجازها بالكلام فقط[2].

الجامعة التي تسودها اللامبالاة والغربة عن القيم الدينية، والجامعة التي تتسم بالإهمال والفتور إزاء المفاهيم والتوجهات الثورية ولا تنبض الثورة فيها،

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من الطلبة والجامعيين وشرائح مختلفة من أبناء الشعب بمناسبة يوم ٢٧ آذر، ١٣٦٩/٩/٢٨.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٦٨/٩/٢١.

والجامعة التي لا يراود أعضاءها الشعور بالمسؤولية إزاء الحركة الثورية التي يخوضها الشعب الإيراني ليتبوأ موقعه الطليعي فيها، وخلاصة القول: تلك الجامعة التي لا تفي بالدور المرموق في عملية الثورة، ليست بتلك الجامعة التي تمثل معقد الأمل وضماناً للمستقبل، وليست بتلك الجامعة التي كانت أنظار الإمام ترنو إليها. وبناءً على هذا يجب أن يكون للجامعة توجهها ودينها والتزامها الشديد بالمثل الثورية والإسلامية. وبطبيعة الحال فإن القيم الثورية لا تقبل الانفصال عن القيم الإسلامية بأي حال، بل هي واحدة فلا يمكن لأحد القول: إنني مسلم لكنني أرفض الثورة! فأي مسلم هذا الذي يرفض الثورة الإسلامية التي تمثل ذروة التحرك الإسلامي! ليس ذلك بمسلم. أو يقول قائل: إنني ثوري، لكنني غير إسلامي!

وأي ثورة هذه؟ إنها تمثل أرقى حالات النهوض الثوري اليوم، وهي الأكثر قدرة على تجنيد طاقات الثورة خلال فترة العقود الأخيرة الحافلة بمختلف الثورات ذات النظرية المتباينة إزاء الشعبية.

إذن فلا وجود فيما بيننا للثوري غير الإسلامي أو الإسلامي غير الثوري؛ فالقيم الثورية هي ذاتها القيم الإسلامية[1].

لابد من بذل قصارى الاهتمام بالتربية الدينية وتربية الروح الثورية الحماسية لدى الشباب الجامعي، وهذا ما لا يتحقق بإطلاق الكلام وحسب، بل له مقدماته التي من أهمها ضرورة أن تكون العناصر ذات التأثير في الجامعات من المؤمنين بهذه الثورة من أعماقهم، ولسنا بصدد القول ـ بطبيعة الحال ـ بأن كل أستاذ أو متخصص تتم الاستفادة منه في الجامعات ـ سواء في مجال التحقيق أو

---

(١) حديث قائد الثورة خلال مراسيم بيعة الطلبة، ١٣٦٨/٣/٢٢.

التدريس ـ يجب أن يكون ثورياً من الطراز الأول، بل يجب أن لا يضمر هؤلاء العداء للثورة، فإن كانوا كذلك فسيتم توظيف هذا العلم لخدمة الثورة.

إذن لابد أن يكون المتصدون في المراكز الحساسة والمفاصل الإدارية في الجامعات، سواء الإدارة بمعناها الرسمي أو ما يخص الشؤون الفكرية والتدريس، ومن يمسكون بزمام الأعمال المهمة من العناصر الثورية، وأن لا يستبطن غيرهم العداء للثورة، وإذا كان هنالك من يضمر العداء للثورة فإن وجوده بالجامعة ـ وعلى أي مستوى كان ـ فيه ضرر، وضرره يسري إلى حقل الدراسة أيضاً[1].

المسألة الجديرة بالاهتمام هي أننا كلما ابتعدنا عن مبدأ الثورة وامتد العمر بالثورة والجمهورية الإسلامية فمن المفترض أن تزداد العلوم في مختلف قطاعات البلاد ـ ومنها الجامعة ـ قرباً إلى معارف الثورة وتزداد امتزاجاً وتأثراً بها، وهذا أمر طبيعي.

فلو كنا ـ على سبيل الافتراض ـ نعاني خلال السنوات الأولى لانتصار الثورة من قلة الكتب التي تعنى ببعض العلوم الإنسانية والتي للفكر الإسلامي رأيه بها وبمحتواها وغاياتها التربوية فلابد أن نتوفر الآن على المزيد منها، وإن كنا نشكو قلة الأساتذة فلا بد أن تكون لدينا الآن الكثرة منهم، وإذا كانت توجهات بعض العلوم غير إسلامية أو غير متدينة في توجهاتها الإسلامية فلا بد أن تكون قد تضاعفت توجهاتها الإسلامية، ولو افترضنا قلة اندماج الوسط الجامعي مع المفاهيم الإسلامية والعمل الإسلامي فمن المفترض أن يكون الآن أكثر اندماجاً؛ أي ان هذه هي المحصلة الحتمية لمسيرة الثورة.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية ، ١٣٦٨/٩/٢١.

فعلينا أن نصبح أكثر قرباً من أهداف الثورة كلما ازدادت الفاصلة بنا عن مبدئها، لأننا نتحرك بوحي من هدي الثورة وحركتها؛ ومن المفترض أن نزداد قرباً من أهداف الثورة يوماً بعد يوم، وهذا ما يتعين أن تظهر بوادره في الجامعات والكتب الدراسية فيها وفي الأساتذة والوسط الجامعي؛ فهنالك بعض العلوم الإنسانية تشكو وضعاً غير مناسب فيتعين على السادة القائمين على الجامعات معالجة هذه المشكلة. فالتقارير التي ترد من بعض أقسام العلوم الإنسانية في الجامعات ـ وتحكي على سبيل الافتراض عن إلغاء الدروس ذات الأسس والقواعد الإسلامية في إحدى الكليات والترويج والبحث أكثر، مثلاً، على الدروس ذات الطبيعة والقواعد الغربية وطرحها في الساحة، أو إقصاء الأساتذة الذين يتبنون العلوم الإنسانية وفق المباني الإسلامية ويعتقدون بها أو لهم بحوث فيها، أو إلغاء الدروس ذات الارتباط بمثل هذه العلوم الإنسانية أو تجري المحاولات لإلغائها، أو ان الطلبة الذين يكتبون نظريات في العلوم الإنسانية وهذه النظريات تحمل طابعاً إسلامياً يتعرضون للجفاء والإهمال! ـ لابد من التعامل معها بكل حساسية إن تناهى إلى الأسماع وقوع مثل هذه الأمور في واحدة من الكليات أو في قسم من كلية؛ وقد يرد تقرير تعوزه الدقة في هذا الصدد لكنه مع ذلك يتميز بأهميته ولابد من متابعة القضية.

يجب عدم فسح المجال لأن تلف العزلة والانزواء العلوم التي تحمل فكراً إسلامياً وتهتدي بهدى الإسلام. وبشكل عام فإن ما ينبغي أن نشاهده من عمل في مجال العلوم الإنسانية لا نراه في المنظومة الجامعية، وإنني على اطلاع إلى حد ما بالجهود التي تبذل في مجال تأليف الكتب، لكن المفترض أننا قد قمنا بعمل جوهري في هذا المجال بعد مضي ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاماً على

انتصار الثورة، العلوم الإنسانية تختلف عن سائر العلوم، فنتائجها تختلف تبعاً لامتزاجها أو عدم امتزاجها بالدين، فلا يصلح أن يكون المجتمع إسلامياً والحكومة إسلاميةً والنظام إسلامياً في حين لا يكترث أستاذ أو مدير أو فئة داخل أحد مرافق هذا النظام بالجوانب الإسلامية، أو يتحرك بالاتجاه المعاكس لها أو يروج لما ينافيها.

لابد من التحلي بفائق الحساسية إزاء هذه القضية وهذه وصية وددت أن أوصي بها. إضافة إلى ذلك يجب بذل الجهود لتدوين العلوم الإنسانية على أسس إسلامية ووفق رؤية إسلامية وفكر مستند للرؤية الكونية للإسلام فإن استدعى رصد الأموال رصدنا له ما يحتاج، وإن تطلب تربية العناصر أنجزنا ذلك، فالظرف الذي طويناه منذ انتصار الثورة ولحد الآن ليس بالوجيز بل هو مديد، والعادة تقتضي أن نكون قد استطعنا إنجاز جانب مهم من العمل خلال هذه المدة، وكلما تأخرنا يزداد الحال سوءاً لذلك يجب أن لا نضيّع الفرص[١].

ما يؤسف له أن المرء يشاهد في المرافق الجامعية سعة الهوة التي تفصل الكتب عما ينبغي أن تكون عليه، افترضوا أن الحال هكذا في الأقسام الحقوقية وكذا الحال في كثير من الأقسام الأخرى؛ فمن الطبيعي أننا نعاني التخلف وفقدان التجربة الكافية في بعض العلوم، فلم يكن لدينا محققون أو مفكرون أو مؤسسون في علم النفس وعلم الاجتماع.

وإذا ما افتقدت كتبنا في هذه الحقول للأصالة والذاتية فربما لا يتسنى لأحد أن يوجه لنا اللوم في ذلك، ولكن كيف الحال في الحقوق؟ وما هو شأن الحقوق القضائية؟ ـ ولاسيما أن أهل الفن في الحقوق حاضرون هنا اليوم ـ وهل

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧١/٩/١٩.

لدينا من يداني العظماء من فقهائنا في تسلطهم بمختلف مجالات الحقوق؟! فمن النادر أن نجد من بين الحقوقيين من يضاهي فقيهاً مجتهداً في فراسته وتعمقه وقابليته في المسائل الحقوقية، ولا أضرب صاحب الجواهر مثلاً فهو فوق التصور ومن النادر أن نعثر على نظير لصاحب الجواهر في إنجازه لدورته الفقهية[1].

اعلموا أيها الجامعيون الأعزاء أن دور الطالب مافتئ محتفظاً بحيويته بالنسبة لحركة الثورة وتقدمها، فلا تتصوروا أن الثورة قد توقفت بل هي مستمرة؛ فإن كانت الثورة تعني تغييراً جذرياً يثير حفيظة العدو للوقوف بوجه مسيرة الثورة، وتحمل البشرى بالخلاص والسعادة للجماهير العريضة من المحرومين والمظلومين، فهي ماتزال تعيش طور التكوين ومازالت تجري ولم تنضب، وخير دليل على ذلك مظاهر العداء والخصومات التي تعج بها الدنيا ضدنا، وكذلك مظاهر الدعم والمحبة والتعلق التي تبديها الشعوب المظلومة في العالم إزاء الثورة وقائدها، وها أنتم تشاهدون ملامحها هذه الأيام حيث يلطم أبناء شعب لا معرفة لهم بلغتنا، ومنهم من لا يعرف حتى ألف باء ثقافتنا يلطمون رؤوسهم ويبكون بحرقة لفقدان إمامنا، ويرفعون علم الجمهورية الإسلامية في طليعة مسيراتهم ويفتخرون به، ويشعرون بأنهم فقدوا أباً رؤوفاً؛ هذه هي ميزة الثورة ومافتئ الأعداء والأصدقاء باقين[2].

١٦ـ الاهتمام بالفطنة والوعي السياسي الجامعي

أيها الجامعيون، لا تنسوا دوركم.. فالوعي السياسي والتحلي بالفطنة إزاء ما يجري والحس الشبابي الثوري هو الذي يليق بشريحتكم لخدمة أهداف الإمام،

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٧٢/٩/٢٩.

(٢) حديث قائد الثورة خلال مراسيم بيعة الطلبة، ١٣٦٨/٣/٢٢.

ولقد صرحت ذات يوم بين لفيف من الجامعيين بأنه لا يتصور بعض البسطاء إذا ما أراد أن يسجل الطالب تواجده الثوري فإن سبيله إلى ذلك إنزال الصرخات على رؤوس أولياء الأمر!

كلا، فليس هذا من الثورية في شيء، وحيث ترون الطالب يصرخ بوجه مسؤوليه في بعض البلدان فلأنهم مرتزقة لأمريكا وليسوا على وئام مع الطالب، لذلك فهو يجزع كما هو الحال في النظام البائد حيث كان الطلاب وأبناء الشعب والبواسل وذوو الأرواح الطاهرة يزمجرون بوجه المسؤولين. وعليه فلا يعمد بعض المكرة ومن خلال أحابيلهم للإيحاء لبعض السذج من الشباب أن على الطالب أن يطلق صرخته. أجل، عليه أن يطلق صرخته ولكن بوجه من؟ عليه أن يطلق صرخته بوجه أمريكا والقوى التي تضايق المسؤولين والمتصدين لإدارة النظام. وأنتم أيها الإخوة والأخوات تتحملون مسؤولية الحفاظ على تواجد الطالب قوياً من خلال الخط الصحيح الذي ترسمونه بأيديكم في أية جامعة كنتم.

والأمر الآخر هو أن تحفظوا ـ أنتم أيها الطلبة الأعزاء والشباب الطيبون الصادقون الصالحون ـ الوحدة في الوسط الجامعي بكل ما أوتيتم من قوة، ولا تسمحوا للمسميات المختلفة أن تفهم على أنها توجهات متعارضة وتضع الطاقات التي يتعين أن تكرس لمواجهة العدو في مواجهة بعضها لبعض، واحذروا من المعنونات من قبيل طالب هذه الوزارة أو تلك، وطالب هذه الجامعة أو تلك، وطالب الجامعة الحكومية أو الأهلية، أو الاتحاد الإسلامي هنا أو هناك، لئلاً تصطنع الحواجز والحدود[1].

---

(١) حديث قائد الثورة خلال مراسيم بيعة الطلبة ، ١٣٦٨/٣/٢٢.

عليكم بالمحافظة على حرمة الإسلام في أوساطكم الجامعية بأعلى درجاتها، واعملوا على أن لا يشعر الغرباء عن الثورة والإسلام أن الأمر تحت سيطرتهم، وقصدي هو أن تقوموا بما من شأنه تحويل الوسط الجامعي إلى وسط يتكامل فيه الفرد من أبناء حزب الله، فأعداؤنا يحاولون عن طريق دعاياتهم على الصعيد العالمي تشويه صورة (الحزب اللهي) وتصويره بالإنسان الفارغ المفلس! والحال ليس كذلك؛ فالحزب اللهي هو ذلك الإنسان الذائب في خدمة الخالق جل وعلا، المتحرر من التبعية التنظيمية أو السياسية إلا الارتباط بالثورة وأصلها الذي هو الإرادة الإلهية، وهذا هو معنى الانتماء إلى حزب الله.

وكثيراً ما حاول الليبراليون عند بداية انتصار الثورة تشويه هذا العنوان؛ وقتذاك شاهدت أحد الأطباء وكان عضواً في مجلس الوزراء ـ ولا أريد ذكر اسمه هنا ـ يقول متباهياً: إنهم يتحدثون عن حزب الله، فها أنا ذا أحد أبناء حزب الله. وكان طبيباً حكومياً رفيع المستوى. على أية حال، عليكم السعي لأن لا يرى تيار حزب الله ـ أي أولئك الذين يعتبرون أنفسهم وقفاً على هذه الثورة وتتحرق قلوبهم لها ـ أي واجب لهم سوى خدمة الثورة والوطن، وأن يشعروا بأن هذه جامعتهم[1].

إنكم أيها الطلبة والتلاميذ من الذكور والإناث تتحملون مسؤوليات جساماً، فبالإضافة إلى مسؤولية الدراسة التي يتحملها التلميذ والطالب فإنكم تتحملون مسؤولية ثورية وإسلامية ودينية في الوسط الجامعي والمدرسي، فهذا الصراع ليس ابن يوم أو يومين أو سنة أو سنتين بل هو صراع الأجيال، والجيل الذي جاء بعد الثورة وانطلاقتها إذا ما تطلع إلى أن يبلغ بإيران مبلغ العزة ويصبو لبنائها

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه عمداء جامعات العلوم الطبية، ١/٨/١٣٦٩.

وتشييد صرح مجدها وجعلها أنموذجاً حياً أمام الشعوب الأخرى ويمرغ أنف الاستكبار بالتراب، فعليه أن يكون جيلاً ثورياً وإسلامياً ومتديناً، وذلك الجيل هو أنتم؛ فأنتم أيها الطلبة والتلاميذ الذين ستديرون عجلة هذا البلد غداً، فابنوا أنفسكم اليوم وشيّدوا الجامعات واجعلوا الوسط الجامعي والمدرسة وسطاً ثورياً وإسلامياً.

ألا ترون أنظار العدو متوجهة نحو هذا الوسط؟ فلم ذاك؟! لأنه يخشى هذه الأوساط. فعلى الشباب الثوري المسلم في الوسط الجامعي أن يتحرك كاليد الواحدة والجسد الواحد متزوداً بفكر واحد الذي هو فكر الإسلام والثورة. اجعلوا وسطكم إسلامياً وثورياً، وتجنبوا كل ما من شأنه الإخلال بالاتحاد في سبيل الله والثورة كي يتسنى لكم بناء الجامعة التي تضمن مستقبل إيران وتصنع النصر للجمهورية الإسلامية في مقابل الأعداء والمتربصين وتحفظ للشعب الإيراني كرامته أمام الأصدقاء والذين يحملون روح الأمل في العالم.

وهكذا يجب أن يكون وسط المدارس الثانوية، فلقد كان للمسلمين المؤمنين من أبنائنا الشباب دورهم في هذه الثورة[1].

إنني أقول لأبنائي وإخواني الأعزة من الشباب والتلاميذ والطلبة الثوريين: إنكم تتحملون اليوم وفي المستقبل العبء الأساس من الثورة، وإن الإسلام العزيز وذوي الشهداء والإمام العظيم وصلحاء الأمة يتطلعون إليكم وقد تعلقت آمالهم وأنظارهم بكم، فاجتهدوا واغتنموا الفرص لبلوغ الكمالات والأهداف التي رسمتها الثورة الإسلامية الكبرى ورسخوا وعمقوا المعرفة والفهم الديني في عقولكم وأفئدتكم، واملأوا ميادين الثورة وبالذات منها تلك المتعلقة

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من التلاميذ والطلبة بمناسبة يوم ١٣ آبان ، ١٣ /١٣٧١/٨.

بالمحافظة على القيم الثقافية والروح الثورية عن طريق تهذيب النفس وترسيخ روح الشعور بالمسؤولية.

واعملوا على توثيق أواصركم بالمجتمع بمختلف طبقاته ولاسيما العلمائية، واحذروا حيل الشيطان ودسائسه وألاعيبه التي قد تتخذ أحياناً طابع وصبغة الحرص؛ فيجب أن يكون الشباب على الدوام في طليعة حركة الجهاد الذي يبعث على المجد والذي يخوضه الشعب الإيراني، وحافظوا على استعدادكم لتبوّؤ الموقع الطليعي في الخط السليم النزيه من الانحراف، وميزوا ـ بذكاء ـ الصراط المستقيم اللاحب عن الخطوط المنحرفة، واعملوا على إشاعة الصبغة الإلهية وعظموا الشعائر الإسلامية[1].

إن دخول الفرد إلى الجامعة واستهلاك جانب من بيت المال وثروات الشعب دون تعلق بالعلم واهتمام بالتعلم ـ بل لمجرد الحصول على وثيقة التخرج والعثور عن طريقها على عمل يدر الأموال، لا أنه يعثر على فرصة عمل من أجل أن يعمل ـ مما يتنافى والمبادئ الإسلامية، وليس إسلامياً ذلك الطالب الذي يسلك هذا النمط من الدراسة، وكذا الأستاذ فهو ليس إسلامياً إن كان تدريسه وفق هذه الشاكلة غير أن شبابنا بنين وبنات إسلاميون والحمد لله.

الأمر الآخر الجدير بأن يوضع في الحسبان في جامعاتنا هو ضرورة أن يشعر الشباب بالمسؤولية إزاء قضايا الثورة وأن لا يروا أنفسهم بمعزل عنها، وأن ينظروا التكليف الذي تمليه الثورة عليهم وما تنشده منهم، وما هو الدور الذي بإمكانهم القيام به والواجب المناط بهم في تقدم الثورة، وأن لا ينفصلوا عن جماهيرنا العريضة المتواجدة دوماً في سوح الثورة والحمد لله، وأن يساهموا في تنمية الوعي الشعبي وإشاعة التعليم في أوساط الشعب.

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة اليوم الوطني لمقارعة الاستكبار العالمي ، ١٣٦٩/٨/١٣.

يجب أن تفتح أبواب الجامعة أمام الجماهير وأن لا يبقى الطالب حبيس الوسط الجامعي، وليكن على جانب من الفطنة في علاقاته مع أفراد أسرته وأصدقائه فيما يتعلق بقضايا البلد والمجتمع، وليعلم شبابنا أن فرصة كالتي نعيشها اليوم لم تسنح أمام الشباب ذوي العلم والذكاء على مدى القرون السبعة أو الثمانية وحتى العشرة المنصرمة من تاريخ بلادنا على أقل تقدير[1].

إن كانت جامعتنا إسلامية فلابد أن يكون من أبرز مظاهرها الاحترام الفائق للأساتذة أكثر مما هو متعارف لدى شعوب العالم ولاسيما من قبل التلاميذ، فيجب على التلميذ احترام أستاذه دون قيد أو شرط وإن أساء؛ فلو جيء بأستاذ كافر ـ على سبيل الافتراض ـ وكان الجميع داخل الصف من أبناء حزب الله، فهل لهم أن يحترموا هذا الكافر أم يهينوه؟

كلا، عليهم أن يحترموه ويعظموه، ونظراً لكونه أستاذهم فهذا يكفي لأن يقدموه على أنفسهم! هذا، وقد قلنا بأن هذا الأستاذ لا يعتقد بما يعتقدون به، فما بالك بالأستاذ المؤمن المسلم! على أية حال يجب أن يكون لاحترام الأستاذ موقعه في الوسط الطلابي والجامعي[2].

على المدراء والطلبة والأساتذة منح الأصالة للإسلام والالتزام بالأحكام الإسلامية، وأن تكون القيم الإسلامية محط تنافس في الجامعة[3].

على الأساتذة الأجلاّء والغيارى أن يغتنموا الأجواء الثورية لتربية الطاقات الوثابة، وعلى الطلبة ـ إلى جانب تكريمهم واحترامهم للأساتذة، وهي فريضة إسلامية ـ أن لا يسمحوا لأحد بدافع سوء النية أن يتخذ العلم والاختصاص مطية

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من الطلبة والجامعيين، ١٣٦٩/٩/٢٨.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه عمداء جامعات العلوم الطبية ، ١٣٦٩/٨/١.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من الطلبة والجامعيين ، ١٣٦٩/٩/٢٨.

لتمهيد السبيل أمام الثقافة الاستعمارية في الجامعات، ويحول الجامعة ـ كما حصل في زمان هيمنة الأجانب ـ إلى بؤرة لصناعة عقول أجنبية وعبيد للأجانب![1].

على الأساتذة والمتصدين للشؤون التعليمية والتحقيقية شحذ الهمم لأسلمة الوسط التعليمي واستئصال الآثار السيئة التي خلفتها الثقافة المستوردة وتعزيز البنية الدينية والسياسية لدى الطلبة والتلاميذ الذين يمثلون أمل البلاد في المستقبل إلى جانب العناية الفائقة بالارتقاء بالمستوى العلمي الذي هو بمثابة الدعامة الأساسية في نمو البلاد وتطورها، والعمل من خلال برامجهم الخلاقة الفورية على اقتلاع جذور الأمية وبسط العلم في أوساط المجتمع وأن يعتبروا ذلك بمثابة هدف مقدس[2].

إن أهمية الجامعة ودور الجامعيين في نظام الجمهورية الإسلامية ومستقبله من بين الأمور التي لا يجدر بمسؤولي البلاد وعلى وجه الخصوص المتصدين للشؤون الثقافية الغفلة عنها ولو لحظة واحدة.

ولقد تكرر الحديث من قبل إمامنا الفقيد والعظيم الشأن في عشرات الوثائق المدونة والتوجيهات الشفهية عن هذه القضية وتأكيدها، فإن غدت جامعاتنا إسلامية فإنها ستفلح بالنهوض بأعباء المجتمع علمياً وإدارياً والسير نحو تحقيق استقلال الوطن وحريته ورفعته وتتحول إلى مرتكز للتكامل والرقي العلمي والسياسي في المستقبل، وإلا فإنها ستبتلي بنفس ما ابتليت به على مدى عشرات السنين في ظل حكم النظام البائد من انحطاط علمي وأخلاقي وعجز عن تلبية

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل إمام الخميني(ره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

(٢) بيان قائد الثورة بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل الإمام الخميني(ره)، ١٣٦٨/٤/٢٣.

حاجات الشعب الذي صمم على تلافي ما عانى من تخلف وانهيار فرض عليه قسراً بعزيمته وإيمانه الثوري[1].

١٧ـ بلورة الروح الإسلامية

لا يتصور أحد أن تدين الأساتذة أو المتصدين لمختلف المسؤوليات في شتى مرافق الجامعات لم يعد ضرورياً، ولنبادر إلى ما ينهض بالطالب كما وكيفاً، فلنفترض أنكم نجحتم بتربية ضعف هذا العدد من الطلبة الذين بحوزتكم الآن وارتقى المستوى الكيفي أيضاً ـ وأنني استبعد الارتقاء الكيفي دون الالتزام بالمبادئ الثورية الإسلامية وهذا ما خبرناه، ولعلي أشير إلى هذا المعنى لاحقاً ـ فإن تخرجوا من الجامعة ولم يعيروا اهتماماً لبلدهم وللقيم الوطنية الكبرى وافتقروا للحرص ونكصوا عن العمل، فلن يجني البلد خيراً ولا يتحقق ما وظفتم له رؤوس الأموال. وبناءً على هذا فإن جوهر القضية يتركز في أن نتوجه نحو ما نصبو لبنائه في الجامعة، فإن كانت الإجابة على هذا التساؤل أننا نريد خلق متخصص مؤمن بالثورة ومتبنياتها متفانٍ في سبيل أهدافها ـ وهذا ما نعتقد به لا غير ـ إذ ذاك يتعين وضع الخطط اللازمة لتربية مثل هذا العنصر في الجامعة[2].

قبل عدة سنوات كان لي كلام أثار لغطاً لدى البعض فقد قلت بوجوب أن تكون رئاسة الجامعات رئاسة علمية، وهذا اعتقادي الآن أيضاً أي يجب أن يكون الذي يقف على رأس الجامعات من الناحية العلمية بحيث يرتضيه الأساتذة رئيساً عليهم ومازلت على رأيي هذا، ولكن يجب أن يقترن العلم بالعمل والاعتقاد أي ينبغي أن لا يقف على قمة الأعمال من هو متجرد من

---

(١) الحكم الذي أصدره قائد الثورة لممثليه في جامعات البلاد، ١٥/٧/١٣٦٨.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٩/٨/١٣٧١.

الإيمان ولا نية لديه للخضوع لهذا النظام وهو من الأساس لا يؤمن بالإسلام أو يتخذه هزواً، أو يستهزئ بأبناء أمة حزب الله والطلبة المؤمنين!

كلا، فليكفّ هذا يديه وليتنحَّ جانباً، وإذا ما أراد أن يدخل صفوف الدراسة للتدريس فلا اعتراض لدينا فإننا نرتضي كل من يدخل قاعات الدرس للتدريس وننتفع من علم أي شخص حتى وإن كان يرفضنا، فليدلِ بما لديه من علم ونحن نجلس بين يديه بكل تواضع لننتفع بعلمه، والنظام كذلك ينتفع بعلمه، لكننا نرفض أن يكون ذا دور مصيري في إدارة الجامعات، فإذا ما انبرى أحد للمساس بفتاة محجبة ونظر إليها نظرة امتهان فحقّروه دون مواربة، وإن نظر أحد لشاب من أبناء حزب الله نظرة احتقار لأنه مطلق لحيته ـ كما تؤكد التقارير التي تصل من هنا وهناك ـ فإن كان الخبر صحيحاً فحقروه وإلا فدعوه.

فالمُثُل إنما تكمن في طاعة الله والإيمان والغيرة على الوطن والمجتمع وليست في الأناقة وما شابهها؛ فالذي لا يتورع عن لذائذه الشهوانية وفي طعامه ومشربه ولا يكترث بما عليه من تكليف باهظ، فبأي حق يدعي أن له شأناً في هذا النظام؟! فمثل هذا إنما علمه مسخر لخدمة بطنه وشؤونه الشخصية لا من أجل الشعب لذلك فلا قيمة لعلمه، وذاك الذي لا يتساوق في حركته مع مسيرة الثورة في وزارتكم أو في وسطكم الجامعي لا قيمة لعلمه.

نعم، لو جاء لينفع طلابنا بعلمه فلا بأس، فليأت وينتفع طلابنا بعمله بشرط أن يبوح بهذا العلم، لكنني سمعت أن البعض يبخلون بعلمهم، ولا أدري ما إذا كان صحيحاً أم لا.. وهذا ما تتحملون مسؤوليته أنتم، فعليكم التفحص هل الأمر كذلك أو لا؟ فمن كان على هذه الشاكلة فهو لا يؤمل منه خير، وأما من كان على استعداد للبوح بعلمه فليذهبوا وينتفعوا بعلمه ولا ضير في ذلك، ولكن مادام لا يؤمن بهذا النظام وبهذه المسيرة وبهذه النهضة الإسلامية وهذه الثورة فينبغي أن لا نفسح أمامه المزيد من المجال.

وفي الطرف المقابل أوكلوا الأعمال لذلك الأستاذ أو المسؤول الذي يتواءم مع هذه المعايير، وعلى الجميع احترامه وتقديره، وكذلك يجب على الطلاب احترامه[1].

إنني أناشد السادة رؤساء الجامعات والجهاز في كلتا الوزارتين (التعليم العالي والتعليم الطبي) الانتباه إلى أنه لا مجال لأن يتعرض أحد طلبتنا للجفاء بسبب مظهره الديني، أو تتعرض إحدى طالباتنا للجفاء أو الامتهان ـ لا سمح الله ـ بسبب التزامها بالحجاب؛ وهذه من الأخبار التي وصلتني لحد الآن ولم تصل حد اليقين وإن كانت حالة أو حالتان منها قد وصلت حد اليقين قبل مدة وعبرت عن ردة فعلي إزاءها!

وينبغي أن لا يتطور الحال إلى أن يصدر تصرف من أستاذ لا يعير أي اهتمام لقضايا الثورة ـ وكنا قبل مدة قد تشفعنا له وناشدنا الطلاب الصفح عنه وقلنا إنه يأتي ليلقي الدرس وينصرف ـ يصدر منه ما يشعر الطالب المسلم الثوري بفقدان الأمن داخل الصف أو في الجو الامتحاني! فهذا مما لا يمكن القبول به إطلاقاً. فليضع السادة هذا الأمر في الحسبان، وإذا ما وجدتم مثل هذا الأستاذ فتعاملوا معه بغلظة. فالعداء لقضايا الثورة وموضوعاتها يصل بحيث يدفع أستاذ يفترض به أن يحب ابنته، أن يتعامل معها مثل هذا التعامل لأنها ترتدي العباءة! وهنا يتجلى أن هذا الأستاذ مترسخ العناد في قلبه إزاء الدين والقضايا الإسلامية والثورية، لذلك فإن وجد مثل هذا المعاند فما الداعي لأن تستعينوا به؟![2].

عليكم اليوم (المسؤولين في وزارة الثقافة والتعليم العالي) أن تختصروا الثورة في أعمالكم؛ فالخباز خلف الجبهة إن كان خبزه رديئاً أو غير طازج أو

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه عمداء جامعات العلوم الطبية ، ١٣٦٩/٨/١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٣٧١/٨/١٩.

قليلاً أو تأخر في تحضيره فإنه ذو تأثير على مستقبل الثورة بهذا المقدار، فإذا كان لعمل الخباز أو الكاسب البسيط تأثيره، فانظروا كم هو مهم عملكم وأنتم تعملون في الوسط الجامعي، والأعمال العلمية هي أرفع الأعمال في نظام ثقافي وديني، ولاسيما أنها مما يواجه مثل هذا الجيل.

إن الثورة بالنسبة لكم أيها السادة أن لا تفكروا بالسياسة الدولية أو تشغلوا أفكاركم بالحرب، بل أن تصنعوا الجامعات بنحو تحققون فيه ما تتطلع إليه الثورة وعليكم التفكير بهذا الأمر، وليعقد رؤساء الجامعات والناشطون فيها الجلسات والندوات لتحري سبل العلاج[1].

هناك عنصران جوهريان في تربية الطالب ينبغي عدم التغافل عن أي منهما، وإذا ما غفلنا عن أي منهما فسنصاب بالخسران:

احدهما العلم والتحقيق والكفاءة العلمية ونبوغ المواهب العلمية، والآخر هو روح التدين والتحرك الصحيح والبناء المعنوي والروحي السليم للطالب. لذلك يجب تحري هذين العنصرين دون انفصال عن بعضهما بكل قوة واقتدار في الجامعات مستثمرين لذلك طاقات البلد بأجمعها، وإن حصل منا تقصير على صعيد العنصر الأول فإن نتيجته واضحة؛ أي إن الجامعة التي تعجز عن نقل العلم والتحقيق للطالب ولا تمتلك القدرة على بناء الطالب ليصبح عالماً أو أستاذاً أو مبدعاً وبالتالي مديراً قديراً لإدارة أحد المرافق التي لا تعد ولا تحصى في المجتمع هي ليست بالجامعة.

وعلى هذا الصعيد فإن قضية الأستاذ، والكتاب الدرسي، والجو التعليمي، والمختبر، والمجلات العلمية، وأمور أخرى من هذا القبيل تحتل الأهمية ونحن قد وضعناها نصب أعيننا، وأنتم أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في وزارة الثقافة والتعليم العالي، ١٣٧١/٨/١٩.

ـ وجميعكم من الجامعيين تقريباً ـ على اطلاع واسع على هذه الأمور، فاعملوا على توفيرها بما يتلاءم وإمكانيات البلاد على أمل أن يتضاعف الاهتمام بها يوماً بعد يوم بعونه تعالى.

والعنصر الثاني ليس مغفولاً عنه وهذا ما تتضح صورته من خلال تركيبة الحاضرين، ولمعرفتي وعلاقتي بكم داخل هذا المجلس وخارجه فإنني أعلم باهتمامكم بهذا الأمر، ولكن ليس هنالك اهتمام كافٍ بهذا العنصر على وجه العموم في الوسط الجامعي للبلاد أي روح التدين والوعي لدى الطالب وتبديله من عنصر علمي يفتقد التوجه والهدفية إلى عنصر علمي ذي توجه.

إن الإنسان يختلف عن الكمبيوتر، فلابد من رفد الكمبيوتر بالبرامج كي يجيب عن السؤال، أما الإنسان فليس كذلك، فهو ينظم برنامجه بنفسه وهو الذي يتخذ القرار وهو الذي يختار توجهه. ولذلك فإن غفلنا عن العنصر الثاني فستتحول جامعتنا إلى ما كان يحذر منه الإمام مراراً وتكراراً أي إلى جامعة غربية بعيدة عن الدين مما يشكّل كارثة لا يمكن جبرانها.

جميعكم أيها السادة تتميزون بروحكم الدينية، وكنتم في الجامعة وتعرفونها أكثر منا وعلى إحاطة تامة بمثل هذه الجامعة التي يمثل وجودها كارثة واقعاً، وإن تلافيها ـ إن وقعت ـ سيخلق خسائر جسيمة وستورث مشكلات جمة، وليس واضحاً في النهاية ما إذا كان يمكن تلافيها أم لا!

إذن فمن دخل إلى الجامعة أو خرج منها ولا يشعر بالمسؤولية إزاء الثورة ودين البلاد واستقلالها والطموحات الوطنية الكبرى، فإن هذه الجامعة لا قيمة لها وإن كانت على مستوى رفيع من الناحية العلمية، لأن نتاج هذه الجامعة سيقع تحت تصرف السياسات المتضاربة بيسر.

فعلينا في الجامعة أن نجعل الدين والروح الثورية وبخاصة النفور من التبعية هي الحاكمة على روح الطالب وعقله. والتبعية هي ما تعاني منه اليوم ـ وللأسف ـ الدول الصغيرة على الصعيد السياسي ودول العالم الثالث ـ كما يصطلح عليها ـ وأغلبها من الدول الإسلامية، وبطبيعة الحال ينبغي عدم الخلط بين هذه التبعية وبين طلب العلم أينما كان والذي يتعين على الإنسان البحث عنه[1].

يجب إيلاء بالغ العناية بالروح الثورية لدى الطلبة في الوسط الجامعي، لأن الشريحة الطلابية في جميع أرجاء الدنيا تمثل على الدوام جزءاً من طليعة الثورات وقوامها، فيجب المحافظة على هذه الروحية.

ويجب أن لا يستحوذ الشعور بالفتور إزاء القضايا الثورية على الطلبة، وبطبيعة الحال أن لهذا الأمر أنماطه ولا يمكن المحافظة عليه بالإيعازات وإصدار الحكم؛ فليس ممكناً القول للطلبة: تحركوا بكل نشاط باتجاه أهداف الثورة، فالنشاط إنما هو حالة يجب أن تتبلور لدى شريحة ما ولا تتحقق بالكلام المحض. وعلى أي حال يجب أن لا تتصدع الروح الثورية لدى الطلبة في الجامعة، بل لابد من القيام بما من شأنه إقبال تلك الفئة غير المبالية صوب الممارسات والنشاطات الثورية لا أن يجري العمل بما يعاكس ذلك ـ لا سمح الله ـ أي يُلجأ للممارسات التي تستدرج ذوي الروح الثورية والتوجه الثوري نحو اللامبالاة! فذلك خطر عظيم جداً[2].

المسألة التي يجب أن تحظى بمزيد الاهتمام في المدارس وبالذات في الجامعات هي المسألة العقلية والعقائدية والروح الثورية والإسلامية لهم

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية ، ١٣٧٠/٩/٢٠ .

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية ، ١٣٧٠/٩/٢٠ .

(الطلبة)، فالشباب هم في الحقيقة ماكينة المجتمع وهم الذين يغذون الحركات العملاقة في المجتمع سواء كانت إيجابية أو سلبية، فإذا ما نجحنا في توجيه هذه الحشود من الشباب التي اجتمعت في مركز يحمل اسم الجامعة صوب الروح الثورية والإسلامية فسيجني البلد والثورة أعظم الأرباح[1].

الجامعي موجود استثنائي وحتى الشباب من الطلبة يختلفون معه في هذا البعد؛ فالشاب الجامعي وهو يطوي صراط العلم والمعرفة يرى أجواءً طلقة ويجتمع في مكان واحد مع أناس كثيرين، وهذه المزايا مجتمعة تولد تركيبة وحالة وآثاراً خاصة لابد من الإذعان لها.

علينا أن لا نتوقع من الجامعيين قاطبة القبول بسياسات الجهاز التنفيذي برمتها وارتضاءها من الصميم، وبديهي وجوب خضوع الجميع لسياسات المسؤولين في البلاد، ولاشك في أن الأجهزة التنفيذية في البلاد إذا ما اتخذت قراراً فإنه يصبح واجب الطاعة من قبل العناصر المنضوين ضمن دائرتها، ولكن لا مناص من فسح المجال أمام الجامعيين إن حصل منهم الاستفسار أو الاعتراض أو الاقتراح أحياناً بما تقتضيه روح الشباب والحماس والنشاط والاندفاع، ولابد من تحملهم واستقبالهم في الوسط الجامعي، فذلك من العوامل التي تساهم في المحافظة على الحماس والنشاط عند شريحة الجامعيين مع وجوب الانتباه إلى أن لا يتحول الوسط الجامعي إلى ميدان يصول فيه المحترفون من أرباب السياسة، فليس مقبولاً بالمرة أن يدخل الجامعة من هو خارج إطارها فيعمد إلى زعزعتها وبلبلة أفكار مجموعة من الطلبة من أجل غرض سياسي أو غاية غير نزيهة!

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ١٣٦٩/٩/٢١.

وفي مثل هذه الحالة يتعين على الطلبة أنفسهم تشخيص هؤلاء وطردهم من الوسط الجامعي كي يبقى الطالب والوسط الجامعي محافظين على نزاهتهما؛ فالوعي والتحلي بالرؤية السياسية أمر، والانهماك في الألاعيب السياسية أمر آخر.

على أية حال، فإذا ما روعيت هذه الأمور في الوسط الجامعي فإن المظاهر الدينية سيتم الالتزام بها بشكل انسيابي. وللأسف ـ كما تناهى إلى مسامعي ـ أن الوضع الحالي للجامعات سواء الحكومية منها أو الجامعة الحرة ليس بالمستوى المنشود من هذا الجانب فيجب معالجة القضية من جميع جوانبها[١].

الجامعيون هم ـ قطعاً ـ العناصر التي تبني مستقبل البلاد، ولابد من توظيف الميزانيات للطالب من جميع الجوانب العلمية منها والدراسية وفي الجوانب المادية والترفيهية، وهذا ما تقوم به الدولة ـ والحمد لله ـ ولديها برامج طيبة في سبيل ذلك، والأمل يحدوني أن تؤتي هذه البرامج أكلها بإذنه تعالى[٢].

١٨ـ التمسك بالمبادىء والأصول الإسلامية

إن وسائل الإعلام العالمية مزودة بالتقنية والأساليب والاختراعات التي تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم، وليست قليلة تلك الوسائل الإعلامية التي يمتلكونها وهي تعاكس رؤانا تماماً، ووسائل الإعلام هذه تلتزم في برامجها بقضية مفادها: ماذا نعمل لإبعاد مخاطبنا عن الإسلام؟ فهل تصدقون ذلك أم لا؟!

هل فكرنا يوماً بما تريده منا الحكومات الأوربية أو أمريكا أو الأنظمة العربية؟ إنهم يتبعون سياسة يرومون من ورائها إلهاء مخاطبهم، وإننا لم نعد

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية ، ١٣٧٠/٩/٢٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية ، ١٣٦٨/٩/٢١.

قادرين على مثل هذا التفكير، إذ إنكم تشاهدون ما يجري في العالم وتلاحظون الرعب الذي يلف العالم نتيجة التأثيرات التي يتركها الإسلام وبناء الإنسان المسلم وما يطلقون عليه هم ـ الأصولية ـ فهل يعقل أنهم لا يخططون على خلفية هذا الرعب؟! ليس ذلك ممكناً البتة.

لاشك في أن المخاطبين في أوربا ـ أي منطقة شرق آسيا ـ وسكان المناطق ذات الجو الإسلامي أو التي على ارتباط بالجو الإسلامي ـ فهنالك على سبيل المثال مائة وعشرون مليون إندونيسي وسبعمائة مليون هندي يشاهدون البرامج التلفزيونية ـ يخضعون لما يخططه ذوو العقول هناك، وما لا شك فيه أنهم يخططون لشعوب ماليزيا والباكستان وغيرهما من البلدان عن طريق البرامج التلفزيونية والإذاعية ويفكرون بماذا يقولون وماذا ينتجون وماذا يعرضون لإيقاف النزوع نحو الإسلام الذي يمثل خطراً داهماً بالنسبة لهم أو الحد منه أو جعل الناس معارضين له.

وبناءً على هذا فإنكم تقفون في جبهة عرضها العالم بأكمله، ومما لا ريب فيه أن الحال كذلك في تلفزيون مصر والجزائر، والنموذج الجزائري شاخص أمامكم بكل وضوح، والقضية ذاتها في التلفزيون التابع لـ (ابن علي) والملك الحسن وغيرهما، فالمسار الذي يتّبعه هؤلاء في برامجهم التلفزيونية معاكس تماماً لما أتطرق إليه الآن أمامكم.. وما يجري في العالم على هذا الصعيد ما هو إلا غوغاء؛ وحيث إنكم من أهل الثقافة والأدب والفن وعلى اطلاع على هذه القضايا، وأنا كذلك على معرفة إلى حد ما بها، فلعل هؤلاء يستهدفون عشرة عناصر أخرى مما لا علاقة لنا بها في عالم الأدب والفن والتمثيل والتصوير والجانب العلمي وغير العلمي لإبعاد الناس عن هذه الحقيقة، لكن هذا العنصر موجود الآن وعلينا أن لا تأخذنا المحاباة!

ولا شك في أن هنالك بعض المندفعين لمناهضة الأصولية لذلك عليكم أن لا تحابوهم، ويجب أن لا تفكروا أثناء تنظيم البرامج الأدبية والفنية أو تقديم برامج الأطفال أو الأفلام والمسلسلات أنه إذا ما عرضناها فربما يمتعض بعض «المتنورين» من قراء المجلة الفلانية! بل افعلوا ما يثير حنقهم ولا تأبهوا بهذه الأمور أبداً.

لست ممن لا يعير اهتماماً لطموحات وتطلعات من يسمون اليوم بأصحاب الرأي الآخر، فالإسلام له من سعة الصدر بحيث يستمع لكل ما يقال، بيد أن الأمر هنا ليس كذلك، وليست القضية هنا مقابلة بين شخص وآخر؛ بل هي قضية مواجهة بين نظام بما عليه من إمكانيات محدودة وبين سيل من المؤامرات التي تجري حياكتها، فهل يسوغ لي أن أسيء استغلال قران واحد إزاء الملايين من التومانات التي يمتلكها الآخرون لئلاّ يغضب هؤلاء الآخرون؟! ليس ذلك من العقل بأي وجه كان[1].

١٩ـ يجب أن يكون عملنا له صلة بالواقع

شعب إيران ليس شعباً جامداً ومتحجراً في واقع الأمر، لكنكم تلمسون في نفس الوقت تخلفنا في مضمار الفنون القديمة التي ليست طارئة علينا من قبيل القصة والشعر وما شابهها من الأعمال العريقة الضاربة الجذور في مجتمعنا، وكذلك في مضمار الفنون الحديثة من قبيل الفنون التمثيلية والسينما أيضاً؛ ولعلنا نجرؤ على القول بأن حالة استثنائية طغت على الشعر بعد انتصار الثورة حيث شهد تحركاً سطحياً من حيث السعة والكم وإقبال الكثيرين على الشعر..

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مسؤولي القناة الثانية في تلفزيون الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٣٧٠/١١/٧.

لاحظوا ما تعانون من نقص، فنحن نفتقر إلى قصه طويلة يمكن مقارنتها بالقصص الطويلة المشهورة عالمياً ـ وإن كانت لدينا فاذكروها بالاسم ـ علماً أنها ليست بالطارئة علينا؛ فمنذ قرون مضت ونحن نبرع في مجال القصة، منها أمير أرسلان وألف ليلة وليلة وما شابه ذلك من القصص القديمة، لكننا لم نحقق تقدماً ولم نشهد تحركاً في هذا المجال، ولو أجلتم بأبصاركم في سائر البلدان لوجدتموها غنية بالقصص الطوال.

ولقد حاول البعض في بلدنا كتابة قصة طويلة وكتبوا بالفعل مما لا بأس به ظاهراً وتصويراً ومادة، لكنها لم ترقَ إلى المقايسة مع القصص الطويلة المعروفة في عالمنا المعاصر؛ فلا يمكن مقارنتها ـ على سبيل المثال ـ مع البؤساء لفكتور هوجو، أو الحرب والسلام لتولستوي، أو القصص التي كُتبت حول الثورة الروسية، فربما صنف كاتب قصة طويلة استوعبت عدة مجلدات لكنك عندما تتمعن فيها تجدها صورة مستنسخة عن لوحة مرسومة! وواضح للعيان افتقارها للسليقة الطبيعية، ناهيك عمّا تعانيه هذه القصص من مؤاخذات في المضمون..

وفي غضون السنوات العشر أو الخمس عشرة الأخيرة كتب المخالفون بقلوبهم للفكر الإسلامي قصصاً ونشروها فكانت من الأساس كذباً محضاً وعارية عن الحقيقة.. فإذا ما طالعتم ـ مثلاً ـ قصة البؤساء أو غيرها من القصص فمن السهولة بمكان لكم استقراء الوضع السائد في المجتمع الروسي أو الفرنسي أو الإنجليزي أو أي بلد آخر من خلال مضمون تلك القصة، أي بوسع المرء أن يعثر في هذه القصص على أمور لم يسجلها التاريخ.. في حين يكتب هؤلاء (المخالفون) في قصصهم عن أمور ليس لها وجود خارجي بالمرة، فالقرية ـ مثلاً ـ التي يذكرونها في قصصهم على أنها قرية إيرانية ليس لها أي وجود خارجي.

عندما أتصفح هذه الكتب غالباً ما أهمش على الغلاف ببضع كلمات بعد قراءتها، ولقد طالعت كتاباً كان يتحدث عن إحدى القرى أي ان القصة وقعت في قرية ليس لمثل هذه القرية وجود خارجي، لاسيما ما يتعلق بمنطقتنا وحياتنا في خراسان فلقد مضينا عمراً فيها ونعرفها جيداً، فلا وجود لمثل هذه القرية على الإطلاق، بحيث إنها كانت تضم داراً للفحشاء وتخلو من المسجد؛ فأين تقع مثل هذه القرية على الخارطة الإيرانية؟! ليس ذلك إلاّ كاتباً فرنسياً يحاول تصوير قرية فرنسية وهو هنا إنّما يوضح حقيقة، لذلك فإنكم حينما تطالعونها تدركون أنها واقعة تحت تأثير بريق الحضارة الفرنسية في القرن التاسع عشر والوقائع التي كانت تجري في القرى والمدن وفي أزقة باريس نفسها! فمن أين جاء إخفاقنا في هذا المجال؟!

إنه ناجم عن عقم الروح الفنية في هذا الفرع وعدم تناميها؛ أي إن من يمتلك الذوق والإرادة للكتابة يعوزه المقوِّم لهذا العمل فيلجأ للتقليد فيقتطف من هنا وهناك، أو ليس هذا نقصاً؟![١].

٢٠ ـ عدم الانكسار أمام الخصوم

يجب أن لا نسمح للانكسار بالتسرب إلى منظومتنا فلقد شاهدت أناساً من بيننا يعتريهم الشعور بالانكسار في مقابل الأجانب ويختلقون لأنفسهم الذرائع؛ فواحدهم ينتابه الشعور بالانكسار إن هو واجه كاتباً قديماً أو شاعراً متجبراً أو منتج فيلم شهيراً ـ وإن كان عليه تجنب ذلك ـ وهذا في واقع الأمر نابع من الافتقار لروح الفن.

إن هذه الأفلام التي تصورونها والعروض التمثيلية التي تقدمونها هي في الحقيقة بمستوى عالٍ قياساً إلى منتجات أولئك. ولست هنا بصدد الثناء عليكم،

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي ومعاونيه، ١٣٧١/٩/٤.

بل هو استنتاجي وما أفهمه من أعمالكم، فهم يفتقرون إلى الفن، وهذا لا يسري إلى سائر النشاطات من قبيل الشعر والنتاجات الأدبية، فالبعض منا يشعر بالانهزام أمامهم، فعليكم إزالة هذه الانهزامية من أذهان هؤلاء بشكل كلي، إذ إن الطرف المقابل يعوزهم الجوهر الأصلي والإيمان والإخلاص والعقيدة الكامنة فيكم، وما هم إلا حفنة من الفارغين عقائدياً وشخصياً وهويةً قد انكبوا على مجموعة من الأعمال وقد تتوفر لديهم المهارة في واحدٍ من الأعمال؛ فإذا ما برع إنسان جاهل ساذج، وقد يكون مرتزقاً عميلاً حقيراً من الناحية الشخصية والإنسانية، في أحد الفروع وأصبح ذا فن غزير، فهل علينا أن نشعر في مقابله بالضعف؟!

إن هؤلاء لا يعدون شيئاً، فلقد شاهدت الكثير منهم عن قرب، وإني لأعلم أنهم صغار أذلاء وهكذا كان ديدنهم، إذ إنهم أسرى المآرب الشخصية والشهرة، وهذا القدر من الثناء عليهم والتمجيد بهم وإعظام شأنهم إنما هو دليل صَغارهم، وهم ليسوا بأولئكم الناس الذين يشعر المرء بالضعف إزاءهم، وعلى أية حال يجب اللجوء إلى الهجوم في مقابلهم[1].

لا ترهبنّكم الغوغاء وما يلصقونه بكم من صفات الرجعية والتحجر؛ فالذين يوصمونكم بالتحجر هم أنفسهم يجهلون من الذي يتكلمون نيابةً عنه؛ إنه ما تنطق به ألسنة المتصدين لثقافة الهيمنة الغربية؛ فالغربيون حيث لا يطيقون ما يخالفهم هم المتحجرون، ونحن الذين نتحمل بكل سعة صدر تبعات الثقافة الغربية التي بلغت ذروتها، هم الذين لا قابلية لهم على تحمل غير ثقافتهم، فلا ترهبنّكم هذه الأباطيل والتهم، فأنتم المثقفون وذوو البصائر والغيرة، وسيبارك الله سبحانه بعملكم ـ بعونه تعالى ـ ويجعل تأثيره أضعاف تأثير العمل الذي يقوم به أولئك الذين يفرضون ثقافتهم ومعتقداتهم على الشعوب ظلماً وعتواً[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجمع الكتاب المسلمين، ١٣٧١/٤/١٤.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مركز التربية الفكرية للأطفال والأشبال، ١٣٧١/٥/٥.

٢١ ـ تثقيف الشعب من قبل النظام

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن وفي مثل هذه الظروف هو: هل بوسع الحكومة القول بأنها ستقوم بتوفير الحرية والأمان، وأن على أبناء الشعب خوض غمار المنافسة في السوق والنزول إلى ساحة العرض والطلب بأقصى ما يستطيعون ومهما كان الأمر؟

كلا إطلاقاً فمن واجبات الحكومة الإسلامية ألاّ تتخلى عمّن تعوله ـ أي الشعب ـ وتتركه يتخبّط في تلك السوق المضطربة أو حتى غير المضطربة، وهي سوق الثقافة والعقيدة والأخلاق أي أنه لابد للحكومة أن تشعر حيال أبناء الشعب بنفس ذلك الإحساس الذي يشعر به الإنسان إزاء عائلته من زوجة وأبناء. فما هو رد الفعل الذي سيبديه أحدكم إذا علم أن واحداً من أبنائه قد تعرض للانحراف أو الانحطاط الأخلاقي، أو أنه على شفا الوقوع في ذلك ممّا يعد أمراً سيئاً في نظر الفرد والمجتمع؟!

إنني لا أدري إن كنتم قد قرأتم ذلك الكتاب للسيدة «إيزابيل آلنده» أم لا، فهو كتاب جيد ورائع جداً، وإنها من أفراد عائلة «سلفادور آلنده» الذي نعرفه. إنها تذكر في هذا الكتاب أن أحد المسؤولين الكبار في إحدى دول أمريكا اللاتينية قد التقى بابنه في أحد الأماكن المرذولة أخلاقياً، والتي لا يمكن الآن تفصيل الحديث هنا بشأنها. وكان هذا المسؤول قد توجه إلى ذلك المكان من أجل الاطلاع على الممارسات اللا أخلاقية للشباب، فوقع بصره على ابنه هناك من طريق الصدفة! فكان وقع الصدمة عليه بحيث أدى به مثلاً إلى السكتة القلبية أو الجنون.

إنه لا يوجد في الإسلام فرق بين أبنائك وأبناء الآخرين، فإذا ما وجدت في ابنك صفة مرذولة وممجوجة ولا يمكن تحملها، فإن عليك أن تشعر بنفس هذه

المسؤولية وهذا الشعور تجاه أبناء الآخرين. وإذا ما حدث ولم تحس بنفس ذلك الشعور فإن ذلك لا يسقط عنك مسؤولية التصرف على نفس الوتيرة. ولاشك أن ثمة تفاوتاً بين مشاعر الإنسان تجاه أبنائه ومشاعره تجاه الآخرين، إلاّ أن المسؤولية واحدة بلا أدنى فرق؛ فلو رأى أبناء الآخرين على شفا السقوط في هاوية الانحراف أو الابتذال فعليه أن يحول دون ذلك كما يفعل مع أبنائه تماماً.

إن علينا جميعاً كمسؤولين في هذه الحكومة ـ من ممثلي المجلس، إلى الوزراء، إلى أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، إلى رئيس الجمهورية وسواهم ـ أن نولي عناية فائقة لمقولة الثقافة والانحراف الثقافي. ولاشك أن ذلك له أصول وقواعد؛ إذ لا يمكن مثلاً أن نصدر قراراً نستطيع بموجبه نقش ما لدينا من آراء ووجهات نظر في عقول الآخرين، كلا؛ فلا علاقة إطلاقاً بين هذا وذاك لأن مقولة دين الحكومة ودين القرارات وفرض الوصايا الأخلاقية بحد السيف هي مقولة أخرى، وهي غير المقولة التي نحن بصددها الآن.

إن هذه ممارسات لا ينبغي القيام بها أبداً، ولا يقرّها عاقل. وإن الذين يلجأون إلى الضغط والقوة ويتشبثون بالعنف في فرض الأمور الأخلاقية والدينية والعقائدية هم أناس محرومون من نعمة العقل السليم وإننا لا ننصح بذلك ولا نوصي به. فهناك فرق بين مقولة وأخرى.

أحياناً لا تقع المسؤولية على عاتق الحكومة كما في المسائل العبادية، وكما هو الحال أيضاً بالنسبة للقضايا الدينية. ولنفترض أننا أصدرنا قراراً بأن على موظفي الدوائر أداء صلاة الظهر في وقتها تماماً وكذلك صلاة العصر ولابد أن يكون ذلك في أول الوقت! كلا، فهذا ليس من شأننا فالبعض يؤدي صلاته في أول الوقت، والبعض لا يؤديها فيه. ولقد كان المرحوم الحاج الشيخ هاشم القزويني يقول بأن شخصاً جاء إليه قائلاً: لماذا يؤدي طلبة العلوم الدينية

صلاتهم والشمس على وشك الشروق؟ فرد عليه قائلاً بلهجته القزوينية: يا رجل، يا مؤمن! لقد أجاز الله ذلك، أفلا تجيزه أنت؟! لقد قال الله تعالى بأنه بالإمكان الإتيان بصلاة الصبح حتى شروق الشمس، فتجيء أنت لتقول بأنه لابد من الإتيان بها في أول الوقت؟!

قد يقال أحياناً بأنه يجب على الموظفين المشاركة في صلاة الجماعة. كلا، فهذا غير صحيح لأن صلاة الجماعة مستحب، ولو كان مفروضاً لقالوا بأنه واجب. إن لدينا الآلاف من هذه المقولات التي لا شأن للحكومة بالتدخل فيها أو إصدار قرار بشأنها، وإن التدخل في مثل هذه الحالات إما أنه يجعل الناس يشعرون بالضيق والسخط، أو أنه ينشئهم على حبّ الرياء والتظاهر؛ فينبغي اجتناب ذلك. كما أن بعض الحالات تستدعي بأن يتجاهلها الإنسان وأن يغض الطرف عنها؛ كشأن الخبير بالأمور فهو يرى الخطأ، ولكنه يشيح بوجهه وكأنه لم يشاهد شيئاً. وقد يكون التدخل حراماً في بعض الأحيان كأن يقوم شخص بالتنصّت على مكالمة هاتفية بين اثنين تربط بينهما علاقة محرمة إلا أن يكون ذلك من أجل مصلحة عليا وأهم وإلا فإن التجسس حرام، وكذلك ما يترتب عليه من آثار.

ولكن بعض الحالات لابد فيها من التدخل ولربما يجب التدخل القانوني أحياناً، وقد يجب الإشراف أو الوصاية القانونية أحياناً أخرى؛ كأن نمنع شيئاً أو نقرّ شيئاً، أو أن نيسّر أمراً بينما نحول دون أمر آخر، ومناط ذلك كله هو العقل العام والعرف السليم.

واجبات المجلس الأعلى للثورة الثقافية

وفي رأيي فإن من واجبات المجلس الأعلى للثورة الثقافية هو أن يشخص في أي الحالات ينبغي على الحكومة الإعراب عن حساسيتها إزاء المسألة

الثقافية، وفي أي الحالات ينبغي عليها التجاهل أو عدم إبداء الحساسية؛ فكل ذلك بحاجة إلى مجموعة من المتخصصين يضمّهم مركز معيّن فيدرسون ويبحثون ويخرجون بالقرارات النهائية.

إنه ليس من الممكن إبداء عدم الاكتراث أو اللامبالاة إزاء مقولة الثقافة. وإن الذين ينصحوننا بعدم الاكتراث نجدهم على قدر كبير من التعصب والحساسية فيما يخصّهم من هذه المجالات ـ كما أسلفت ـ وإن البروتوكولات الغربية في الكثير من المجالات تتعلق بالعادات والتقاليد التي لا يمكن تجاهلها أو انتهاكها، وذلك كما لاحظتم في زيارة السيد رئيس الجمهورية إلى فرنسا ـ حيث لم يكن الأمر سوى بروتوكول ليس إلاّ ـ عندما قامت كل تلك الضجة وحدث ذلك الجدال بين الجانبين إلى أن عثروا هم أنفسهم على حل متعقّل لهذه الأزمة لأنهم لم يكن بوسعهم التمادي في الأمر أكثر من ذلك.

أمّا من ناحيتنا ـ والحمد لله ـ فلقد تحرّت الحكومة ورئيس الجمهورية الثبات والصمود ممّا كان سبباً في التعبير عن أَنَفَتنا وعزتنا وأدى إلى انسحاب الجانب الآخر وتراجعه. وعلى كل حال فقد لاحظتم كيف أنهم يبدون الكثير من الحساسية إزاء البروتوكولات المختلفة على شتى الأصعدة حتى بالنسبة للملابس، حيث لابد من ارتداء هذا الزي عند المشاركة في مجلس أو اجتماع ما، أو لابد من رباط العنق مثلاً وإلا فإنه من غير الممكن دخول هذا المكان! أي أنهم يبدون هذا القدر من الحساسية والدقة في مثل هذه الأمور بشكل لا يقبل الإغضاء أو التساهل.. ثم يقولون لي ولحضراتكم دعوكم من موضوع الدين والعقيدة والصلاة والصوم والحجاب والحفاظ على العلاقة بين الرجل والمرأة وما إلى ذلك ممّا عندكم، لأننا لا نؤمن به! وهذا ما لا يمكن القبول به إطلاقاً.

وفي تقديري وحيثما أمكن التدخّل، فإنه لا يجدر بكم الخشية من تلك التهم والأقاويل بأنكم سَيَّستم الدين، وذلك لأنكم حكومة دينية أساساً.

إنني شخصياً لا أؤمن بالدين الحكومي ـ كدين الأمويين والعباسيين، فالدين هو دين الله وهو إيمان وشعور قلبي ـ أما أنتم فحكومة دينية أي أن مشروعيتكم منبثقة من فكر ديني وعمل ديني، فلا مندوحة من الإندكاك مع هذا المفهوم. وإن المصلحة فيما أقول وليس هذا من قبيل التعصب بل إنه كلام منطقي وعقلاني وقائم على الحجة والاستدلال، ولهذا فإنه ينبغي التدخّل كلّما كان الأمر مناسباً لذلك، وأن نتخذ موقفاً حازماً دون خوف من التقوّلات والمواجهة، ولكن متى وأين يجب التدخل؟ فهذه مقولة دقيقة وحساسة تحتاج إلى ذوي البصائر والألباب.

إنني أرى أن هذا المجلس مجلس متفرد كما أنه لم يُقَلل من شأنه أيضاً، إذ إن له ضمانة قوية من الناحية القانونية بلا شك كما أنه فريد ومتميز في تركيبته.

إننا لا نمتلك تركيبة شاملة ومانعة وقوية وتتمتع بالكفاءات الفكرية والمجربة والطموحة في المجال الثقافي كهذا المجلس، وإذا أراد أحد القيام بتشكيل هكذا مجلس هنا وهناك فلن يكون ذلك بمقدوره أي أن هذا المجلس له وزنه وقيمته الخاصة.

إن أحد أهم الأعمال لهذا المجلس في نظري ـ علاوة على ما أنتم عاكفون الآن على إنجازه والحمد لله ـ هو هذا الذي قلته إلاّ أن الأمر لا يجب أن يستغرق وقتاً طويلاً هكذا كما حدث في موضوع الصحافة.

إننا لا نريد للمجلس الأعلى للثورة الثقافية أن يكون مستودعاً جامداً كل ما يدخل إليه لا يخرج منه أبداً كما هو الحال في الدوائر! بل إننا نريد له الفاعلية و النشاط ـ طبعاً لا أن يكون ذلك بصورة يومية ـ ولكن لابد من إعمال الفكر،

وإنجاز الدراسات والأبحاث أولاً بأول، ومتابعة الأجهزة والوزارات الثقافية ذات الصلة بهذا المجلس، وكذلك الأجهزة الأخرى؛ والإفادة ممّا تصدره من نتاجات.

ولهذا فإن جهاز الحكومة والدولة لا يمكن أن يكون غير مبالٍ إزاء ثقافة المجتمع ـ ولاسيما ما يتعلق بشؤون العقيدة والأخلاق ـ كما لا يمكن أن يفقد الشعور بالمسؤولية، إلاّ أنه لا ينبغي الاكتفاء بمجرد توجيه النصح والموعظة إلا فيما يمكن الاكتفاء فيه بذلك وإن كان لابد من اقتحام العديد من الساحات.

لقد طبّق الرسول ﷺ والقانون الإسلامي في بعض الموارد حدوداً تتسم بالشدّة، مع أن بعض هذه الحدود الإلهية لو تم طرحها وتناولها في تلك البيئات والثقافات الغربية لكانت أمراً لا يحتمل ولسارعوا إلى رفضها مع أن الصحيح هو ما جاء به الإسلام، ولو احتلّت هذه الحدود الإلهية مكانها المناسب وحدث التنسيق المطلوب بينها وبين سواها من الأمور الضرورية لكان فيها العلاج الناجع. كما كان رسول الإسلام ﷺ يلجأ أحياناً إلى الأساليب الأخلاقية فيعفو تارة، وينصح أخرى، ويقف بوجه التطرف ويشجبه تارة ثالثة. وهناك حالات كثيرة وقف الرسول ﷺ فيها أو أمير المؤمنين ﷺ بوجه المتطرفين والغلاة كي لا يتجاوزوا حدود الله، ويلتزموا بما هو كائن، فمواجهة البدعة تستدعي أسلوباً معيّناً بينما تستدعي مواجهة الكلام أسلوباً آخر. وهكذا فلكل مقام مقال فحينما يتم تجييش الجيوش لقتال الطغاة والجبابرة والجائرين، فإن لبّ الأمر في كثير منه يتعلق بأمر ثقافي، وفي موارد أخرى يكون خلاف ذلك ويكتفى بالمرونة والمداراة وما إلى ذلك.



مؤسسات ذات أهمية في الشؤون الثقافية

رسالة الحوزات العلمية والعلماء

١ـ تبيين شمولية الإسلام للعالم المعاصر

لم تضطلع الحوزة ـ بما هي حوزة ـ بمهمة تنظيم الأحكام الإسلامية وتدوين النظام القيمي في الإسلام والأخلاق العامة التي نصبو إلى أن تتحلى بها أمتنا، استناداً إلى المصادر الشرعية القطعية بما لا يدع مجالاً للجدل فيها، ولم تقدم لحد الآن نموذجاً للحياة الإسلامية، ولطالما وتوجهت إلينا الاستفسارات عن النموذج الإسلامي للحياة، فمن الذي ينهض بهذه المهمة؟ إنها مهمة الحوزة.

يجب أن تضم الحوزة مراكز تحقيقية متعددة كي تعمل كوحدة إنتاجية منتظمة وحديثة في جميع المجالات، وحينما يواجه أيٌّ من الأجهزة تساؤلاً بشأن أية مسألة يتلقى الإجابة الشرعية والقانونية الوافية؛ وعلى سبيل المثال مسألة الأراضي ومسألة الموسيقى في دائرة أوسع من النظام الاقتصادي، والعلاقات الخارجية والعلاقات مع سائر الشعوب وما شابهها، والعملة النقدية في البلاد والوضع الوظيفي للعاملين في الحقل الحكومي، والمئات من هذه المسائل فكثيراً ما تتعرض أجهزة الدولة لمثل هذه الاستفسارات الأساسية حول المبني الذي تقوم عليه عملية التقنين والأساس الذي يرتكز عليه وضع القوانين الإدارية؛ فما هو المبدأ الذي ينبغي لنا اعتماده كي يدرك من يعترضه التساؤل أن ثمة جهة هي التي توفر له الإجابة عليه؟ أي أن هنالك مصنعاً أيديولوجيا هو الحوزة العلمية في قم، وهذه هي الحوزة إن صح تصويرها بشكلها المثالي المنشود.

وبالطبع فإن الحوزة لم تضطلع لحد الآن بهذه المهمة ـ كما تقدم ـ بالرغم من البركات الفياضة التي شملت هذا البلد بفضل وجود إمامنا العظيم الذي كان منبعاً لجميع هذه البركات والنعم وهكذا غيره من خريجي الحوزة، بيد أن عطاءهم كان غير مباشر، والحوزة هي التي عليها التدخل في هذه الأمور بصورة مباشرة[١].

إن ظروف مرحلة الثورة والتوجه المتعاظم نحو الإسلام خارج حدود بلدنا الإسلامي يستدعي من علماء الدين تمهيد السبيل أمام المجتمع الإسلامي من خلال تحليهم بالرؤية الحديثة وبالاستعانة بالمدد الذي لا ينضب من المعارف الدينية، متبعين في ذلك منهجية الفقه التقليدي والاجتهاد الفاعل الحي وعلى الحوزات العلمية التساوق مع متطلبات العالم المعاصر عبر إحداث تطوير أساسي، وأن تستهدف في خططها تحقيق الإبداع، والعمل على سد الطريق بوجه الالتقاطية والغواية بتوظيف الوقت الضروري لذلك وإبراز مباني الفقاهة وأصولها[٢].

ما الذي تحتفظ به الجمهورية الإسلامية في جعبتها ـ كقاعدة للإسلام وبلد يدعي قيام الإسلام فيه ـ لمواجهة كل هذه التحديات وعلامات الاستفهام المنطلقة في الداخل والخارج بما تقتضيه الظروف السياسية الجديدة في العالم؟ وما هو الغذاء الذي أعدته لسدّ نَهَم هذه الأفواه المفتوحة؟ نحن وبطبيعة الحال نمتلك الكثير لنعرضه، فإذا أردنا تقديم هذه المواد الأولية التي بحوزتنا من الذهب المصفى ـ أي الآيات القرآنية والروايات ـ إلى العالم فهي في غاية العظمة وفيها الكفاية، بيد أن القضية هي: نظراً للتجارب التي خاضها فقهاء

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه ممثلي طلبة وفضلاء الحوزة العلمية في قم ، ١٣٦٨/٩/٧.

(٢) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الخميني(ره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

الإسلام على مدى ألف عام ـ وحقاً أن تحقيقات الفقهاء في ظرافتها وعمقها مما يثير العجب ـ وكذلك التعقيد الذي يمتاز به الفقه الإسلامي وبالذات الفقه الشيعي الذي لا يضاهيه فقه إخوتنا أهل السنة في تعقيداته وفنونه.

فإذا ما سئلنا عما نتزود به من هذا الفقه وهذا المنهل الإسلامي الثر والتراث ذي الألف سنة الذي تحت تصرفنا للرد على كل مفردة من مسائل الحياة، فإننا ـ أنا وأنتم ـ سنعجز عن الجواب أي إننا لا نتوفر على إجابة جاهزة للرد على متطلبات العصر والتساؤلات التي تطرح نفسها، وتعوزنا البضاعة التي يتسنى عرضها في الأسواق! فلم ذاك؟!

إننا نمتلك المعادن العظيمة والغنية وهي في الأغلب من ذات المواصفات الراقية، غير أننا نفتقر إلى البضاعة التي يفترض بنا تزويد هذا وذاك بها لغرض الترويج، ومرادي هو ما تتداوله الحوزة منذ سنوات وهو من الذي يريد التصدي لهذا العمل؟ والسؤال هو: هل النمط المتداول حالياً في الحوزات العلمية يكفي لتلبية هذه المتطلبات؟ الجواب: كلا، إذن فلابد من ابتكار الوسائل الخلاقة في إطار البناء الرصين للحوزة العلمية ومن الإمكانيات الهائلة الفكرية والمعنوية التي تزخر بها الحوزات العلمية لتوفر الإجابة عن هذه التساؤلات المتراكمة، ولبناء الطاقات الإنسانية ذات القابلية على هضم المناهل الفياضة من المعارف والأحكام والرد على التساؤلات وملء الفراغات[1].

يجب أن تعيش الحوزات حالةً من الإنتاج الدائم إنتاج الكتاب والإنسان العالم المتدين والفكر والرأي الناضج مما لم تنفد مطالبه؛ فنحن حيثما نطالع القرآن الكريم نصيب فيه ما هو جديد، وهذا ما يصرح به أعلامنا ـ وهو ادعاء

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم تجديد بيعة أعضاء مؤسسة باقر العلوم الثقافية، ١٣٦٨/١١/١.

لسنا جديرين به ـ إنه قول الأعلام من أمثالكم حيث يؤكدون: أننا في كل مرة نتدبر القرآن الكريم نجد فيه ما لم نجده من قبل.

دعوا عنكم القول: ما الجديد في الدين؟ فما الجديد الذي تريدونه؟ إننا نحن القاصرون عن فهم الدين جيداً، وعلينا تقع مسؤولية استنباط ما استجد في الدين، إذ «بالإمكان الحديث مدى الحياة عن جدائل المحبوب»! وإن مفردات الدين لا تقتصر على صعيد الأبحاث العلمية، فإننا لا نزعم إيصاد الأبواب فيها، إذ إنك ـ كمجتهد ـ تنكب للتنقيب عما هو جديد في مسألة كان الفقهاء قد تناولوها بالتمحيص لقرون عديدة، أي إن الأمل يبقى يحدوك بأن تعثر على ما هو جديد دون التزام منك بالمسائل الاجتماعية ـ وهي ما أجمع عليه الفقهاء لا إجماع الحجة المعتبرة المشهورة بين الفقهاء ـ إذ تقول: هذا ما كثر الحديث عنه. كلا، فابحث عنها عسى أن تعثر على جديد لم يتطرقوا إليه.

إنك تتأمل وتدقق في مباحثك الأصولية على أن تستنبط منها ما هو جديد في حين أن المباحث الدينية والفقهية العامة أكثر شمولية وسعة وفيها من الجديد ما نجهله نحن لحد الآن؛ فمن الدين يجب أن نستخرج مسائلنا الاقتصادية والعسكرية وكل ما يتعلق بسياستنا الخارجية وأواصرنا الأخلاقية، وفي ضوئه تجري عملية مراجعة للكثير من شؤوننا الشخصية[1].

يمتاز فقهنا بأسلوبه المتقن المتين وهو ما نطلق عليه الفقاهة التي تعني منهجية الاستنباط واستيعاب الأحكام الإلهية والإسلامية وفهم المعارف وكيفية إدراك الأحكام من الكتاب والسنة وما هي الوسيلة إلى ذلك، وتلك منهجية في غاية المرونة.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء وأساتذة الحوزة العملية بقم في المدرسة الفيضية، ١٣٧٠/١١/٣٠.

إن هذا المنهل الضخم الذي بين أيدينا من كتاب وسنة ونتاجات فكرية خلّفها السلف بمثابة مواد أوليّة، وبذلك الأسلوب وتلك الأطر يمكن توفير كل ما يتطلع إليه أبناء البشر ووضعه تحت تصرف هذه الإنسانية الضائعة. ونحن اليوم في أمس الحاجة لاستثمار هذا الأسلوب استثماراً مثالياً؛ فليس ثمة ما يأبى الإدامة، فكل شيء في هذا العالم سائر نحو التكامل حتى الذوات المقدسة للمعصومين فهي تنال حظها من التكامل يوماً بعد يوم، أي إن المعصوم ـ بما عليه من عظمة لا قدرة لنا على تصورها وهو من حيث العظمة كالشمس التي نعجز عن إدراك مداها ـ غده أكثر كمالاً من يومه. إذن إنكم تشهدون التكامل في كل شيء ومنهج حتى على تلك المستويات.

على أية حالٍ لنعمل على تكامل منهجية الفقاهة، وفي المرحلة التالية حيث أصبحت هذه المنهجية طوع أيدينا علينا أن نلج الكتاب والسنة للانتفاع بهما.

أيها الإخوة، لم تزل الكثير من الأعمال دون إنجاز، وهنالك الكثير من التساؤلات لم تر الإجابة بعد، ومنذ انتصرت الثورة فإننا حيث نتوجه نجد من يسألنا: ما الذي لديكم لتقولوه؟ وما هو رأيكم؟

إن عالم اليوم يعج بالأفكار والفلسفات في شتى المجالات وهي تملأ الأذهان في القضايا الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية وتحمل في طياتها إجابات على مختلف التساؤلات، فبين تارة وأخرى ينبري شخص على الصعيد العالمي ويؤلف كتاباً سرعان ما يترجم وينبري حفنة من الأشخاص للترويج له، فما عسانا صانعين؟ هل نجلس في الفيضية أو إحدى مدارس قم أو مساجد مدننا ليصدر تصريح من الخارج لعله يحمل تلميحاً أو تحريفاً لبعض القضايا الدينية ونقرر فيما بعد التصدي؟!

وهل من الصواب أن أنبري للرد على عالم أو مفكر أو فيلسوف ـ أو متفلسف ـ قد تعرض لجانب من معتقداتي بعد أن قرئ كتابه واستوعبته العقول وترجم ثم وقعت ترجمته بيد أحد علماء الدين، ومضت عليه مدة مديدة طالت عشراً أو عشرين أو أربعين عاماً؟! هل لهذا الأسلوب نصيب من الصحة؟!

على الحوزة أن تعاصر الوقائع العلمية؛ فعليكم أن تعرفوا النظريات والرؤى التي تبرز على صعيد علم الاجتماع المعاصر فلعل فيها من العناصر الإيجابية فتسعون لاستقطابها، فيما تستعدون للوقوف بوجه الأبعاد السلبية إن وجدت. فعليكم القيام بعملية تلقيح لعقول المجتمع قبل أن تدهمها هذه الأفكار، لا أن نسمح لها بالمجيء ويطالعها البعض وتحصل على من يؤيدها، ثم نقول إن فلاناً طرح قضية وهي عارية عن الصحة في ضوء هذا الدليل أو ذاك؛ فليس هذا هو الطريق الأصوب للتعاطي، بل من الضروري بالنسبة للحوزة العلمية أن تتميز بالتحقيق والمعرفة والإحاطة بحقائق الكون ومعارفه والوضع العلمي الذي تعيشه الدنيا، ولا ينبغي لها أن تنأى بنفسها عن القضايا والوقائع العلمية التي يشهدها العالم، بل عليها أن تكون في صلبها.

وهذا لا يعني أن يقول طلبة الحوزة في قم علينا أن نترك دراستنا الحوزوية ولنتعلم قدراً كافياً من اللغات الأجنبية لأننا نريد أن نعاصر الوقائع العلمية، فالحوزة هي التي يتعين عليها أن تماشي الأحداث لا فرادى طلابها، ولا ينبغي للحوزة ككيان أن تتحول إلى حوض مقطوع الاتصال عن الوقائع العلمية والفكرية التي يمر بها العالم، وإنما تغدو بحراً متلاطماً تصب فيه سيول وتخرج منه أخرى، فتصب فيه أفكار وتصدر عنه أخرى. عليكم أن ترووا ظمأ الدنيا، ولا

خيار للحوزة بأن تبقى على عزلتها. هذه هي الهموم التي نحملها في الحوزة العلمية في قم[1].

قيام النظام الإسلامي الداعي لتطبيق الأحكام الإسلامية في كافة مناحي الحياة ألقى مسؤولية باهظة لا سابقة لها على عاتق الحوزة العلمية، وتلك المسؤولية تتمثل في تنقيح المباحث الفقهية التي تحتاجها عملية تدوين الأحكام الإسلامية الضرورية لإدارة مرافق النظام الإسلامي؛ فالفقه الإسلامي عندما ينظر إلى إدارة حياة الفرد والمجتمع على سعتها وتعقيداتها وتنوعها يكتسي بأبحاث حديثة وحلة متميزة؛ وكما أنه يغني النظام الإسلامي بالأحكام والتوجيهات التي يحتاجها، فإنه يمنح الحوزة الفقهية الشمولية والغنى أيضاً.

إن العناية بـ(الفقه الحكومي) واستنباط الأحكام الإلهية التي تمس شؤون الحكم والنظر إلى الأحكام الفقهية وفق نظرة حكومية ـ أي ملاحظة التأثير الذي يتركه كل حكم من الأحكام على بناء المجتمع المثالي والحياة الإسلامية الطيبة ـ يمثل اليوم أحد الواجبات الجوهرية المناطة بدائرة الفقه الإسلامي، والتنظيم العلمي للحوزة هو الذي ينعش الآمال بتحقق ذلك[2].

على طلبة العلوم الدينية الإحاطة بعلوم العصر ومعارفه، بيد أن ذلك لا يعني إهمالهم لدراستهم، ولابد أن تتميز الدروس الحوزوية بالقدر الضروري والكافي من السعة. والملاحظة الأخرى هي أن طلاب العلوم الدينية كانوا على الدوام بمثابة التعبويين بالنسبة للنظام في ساحة التبليغ، ولطالما قدموا العون ـ

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه طلبة الحوزة العلمية في المدرسة الفيضية، ١٣٧٠/١٢/١.

(٢) بيان قائد الثورة إلى رابطة أساتذة الحوزة العلمية في قم بمناسبة تأسيس لجنة التخطيط في الحوزة، ١٣٧١/٨/٢٤.

والحمد لله ـ للنظام والمسؤولين والحكومة والمتفانين، وعليهم الآن أن يكونوا كذلك[١].

٢ـ الإحاطة بالتغيرات والأحداث العالمية المعاصرة

ليس ثمة انفصام بين الحوزة العلمية والعالم بأحداثه ووقائعه، بل الحوزة العلمية تمثل اليوم حقيقة ذات صلة مباشرة وغير مباشرة مع الدنيا بأسرها. وتأسيساً على ذلك فلا شك في ارتباط الحديث عن الحوزة العلمية بالوقائع التي يمر بها العالم الإسلامي، وكذا قضايا بلدنا والعالم أيضاً؛ فليس هنالك ما يعد جديداً ومفاجئاً على صعيد قضايا العالم الإسلامي بالنسبة لأولئك العارفين بالثورة منطلقاً وفكراً[٢].

الجمهورية الإسلامية والحوزة العلمية هما اللتان يتعين عليهما تحمل مسؤولية التعريف بالإسلام والعلوم الإسلامية عالمياً. إذن فلو أخطأت الحوزة ـ لا سمح الله ـ في فهم القضايا المعاصرة أو أنها لم تصب التشخيص في واحد من المواقف، أو أنها لم تحسن إدراك الحاجة في محلها، أو جهلت العدو والصديق وجاء اتخاذ القرار في ضوء سوء الفهم أو سوء التشخيص، فستكون المشكلات الناجمة عن ذلك مما يتعذر تلافيها، لذلك يجب أن يرتقي الفهم والوعي السياسي للحوزة إلى أعلى المستويات[٣].

يجب أن لا يسمح العلماء للعزلة والابتعاد عن النشاط السياسي ـ وهو ما يطمح إليه الأعداء ويتعارض مع الواجب الإسلامي ـ بالتسرب إلى حياتهم وإلى الحوزات العلمية، ويجب أن يكونوا في طليعة الجماهير بجهودهم المخلصة التي لا تعرف الكلل لاسيما في المواقف الخطرة، وأن يقرنوا العلم بالعمل

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه طلبة الحوزة العلمية في المدرسة الفيضية، ١/١٢/١٣٧٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه طلبة الحوزة العلمية في المدرسة الفيضية، ١/١٢/١٣٧٠.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه ممثلي طلبة وفضلاء الحوزة العلمية في قم، ٤/١١/١٣٦٩.

والفقه بالجهاد والمعرفة بالتبليغ اللفظي والعملي، والعمل على ملء الخنادق الثلاثة: المدرسة، والمسجد، والجبهة[١].

علينا القيام بما من شأنه أن يجعل الحوزة العلمية قادرة ـ عن طريق أبنائها ـ على رفد الآخرين بالرؤية السياسية السديدة والفهم للقضايا المعاصرة وممارسة دور الهداية للناس والمضي بهم قدماً. إن اعوجاج الفهم وسذاجته وسطحيته، والبلادة والغفلة عن القضايا المعاصرة عالمياً وداخلياً لهي من بين الأمور المورثة للخسران التي قد تواجهها الحوزة العلمية[٢].

لو كنتَ أعلم أهل زمانك لكنك لم تحط بزمانك فإنك لن تكون نافعاً للمجتمع الإسلامي المعاصر؛ فلو جهلنا ما يريد العدو القيام به، ومن هم الأعداء، ومن أين يتسللون، ومنطلق عدائهم، وجهلنا ما يدور في مجتمعنا وما هي المصاعب التي يواجهها، وما علينا تدبيره لعلاجها، وجهلنا موقعنا من التحالفات التي تعم عالمنا، فمن المستحيل أن نكون ذوي فائدة للمجتمع الإسلامي.

فالذين يتلقون الصفعات والركلات والكدمات هم على الدوام أولئك المتقلبين بين هذه الفئة وتلك دون أن يعلموا إلى أين وما العمل وما هو السبيل! فهؤلاء الجهلة هم الذين يتلقون الضربات والصدمات أكثر من غيرهم؛ إنهم يعجزون عن استثمار الفرص. ومن الضروري لكل عالم التحلي بالبصيرة والعلم بالزمان بالقدر المتيسر، بدءاً من ذلك العالم الأعلم الذي تتملكه الرغبة في بسط مائدة الإفتاء للأمة وانتهاءً بذلك العالم الذي يتطلع لتعليم الأحكام الدينية لأفراد معدودين في واحد من الأزقة فلا فرق في ذلك، غاية الأمر أنه كلما ازداد الموقع رفعةً ازدادت معه ضرورة المعرفة.

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الإمام الخميني (ره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه ممثلي طلبة وفضلاء الحوزة العلمية في قم، ١٣٦٩/١١/٤.

لقد تلقينا الكثير من الصدمات على امتداد التاريخ الشيعي وبالذات خلال القرنين الأخيرين حيث اتخذ العالم طابعاً جديداً، فقد ظهر الاستعمار وتغيرت السياسات، ودخلت الدول الأوربية ميدان السياسة العالمية فتوغلت في الدول الإسلامية وعملت ما عملت واقتطعت الأراضي وقامت بإجراءات واسعة، فكان عاقبة جهل العلماء بحقائق الأحداث العالمية أن منينا بمشاكل جمّة خلال هذين القرنين؛ فلقد كنا نعيش الأمان مادام بيننا عالم ذكي متبحر، وكان النصر حليفنا حيث يمكث بين ظهرانينا رجل كالميرزا الشيرازي، وكان الظفر نصيبنا إذا كان بحوزتنا رجل متدين تقي ذكي واع كالشيخ الأنصاري.

ولكن ما إن اعترتنا الغفلة حتى خُدعنا فمنينا بالخسران الذي لم يقتصر في آثاره على شخص معين أو دائرة وفئة أو مدينة معينة ولم يستمر سنة أو سنتين، بل إن الخسران الذي ينجم عن الغفلة ربما يستمر أثره ضاغطاً على المجتمع الإسلامي بأكمله لمدة نصف قرن من الزمن.

علينا أن لا ندع ذلك يحدث ثانية وأن لا نستسلم للغفلة، ويجب أن نتحلى بالوعي وأن نقوي بصيرتنا[1].

حري بالحوزات العلمية أن لا تبقى بمنأى عن التطورات العالمية، وينبغي للمتصدين لشؤون الحوزة العمل على أن يعيش طلبة العلوم الدينية في خضم الأحداث العالمية، ولا يعيشوا العزلة والابتعاد عن الأحداث والتطورات العلمية والنظريات والابتكارات الحديثة على صعيد العلوم الطبيعية ولاسيما العلوم الإنسانية؛ فالإحاطة بالموضوع تمثل ركناً مهماً للإفتاء وإصدار الحكم، وإن

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أساتذة وعلماء وطلبة الحوزة العلمية في مشهد، ١٣٦٨/٤/٢٠.

جهل الفقيه الموضوع فلن يستطيع استنباط الحكم الشرعي من دليله الشرعي كما ينبغي.

افرضوا أن عالماً كان بصدد الإفتاء بشأن ماء الكر، فكيف يتسنى له إصدار فتواه إن كان جاهلاً ما هو ماء الكر؟ فلو أن شخصاً كان قابعاً في زاوية وكان في متناوله قدح من الماء ولم يكن قد عرف ماء الكر ـ وهو افتراض في غاية الاستبعاد ولكنه ممكن التصور ـ فكيف يقوى على الفتيا بشأن طهارة ماء الكر أو الماء الجاري؟ كيف يتسنى له استنباط حكم لموضوع يجهله؟!

من الصعب جداً على الفقيه استنباط حكم صحيح إن كان جاهلاً بالموضوع، وفي كثير من الأحيان يشاهد المرء فتاوى تفتقد للسلاسة والتمامية، وإذا ما نقّب جيداً يجد أن الموضوع لم يكن واضحاً أمام الفقيه. وكثيراً ما نواجه مثل هذه القضية في الأبحاث الفقهية؛ فمثلاً أننا نرى لأغلب الفقهاء فتاوى في مسألة معينة، وإذا ما تتبعنا حقائق الحياة نجد أن الحكم الشرعي فيها على غير ما هو عليه، وإذا ما تأملنا أكثر نرى أن تفاصيل الموضوع لم تكن بالوضوح المطلوب؛ فلم يكن الفقيه على إطلاع بهذه التفاصيل أو أنها لم تكن موجودة في زمانه بل جاءت بعده.

إذن، فإذا ما اطلع الطالب الشاب الفاضل على القضايا العالمية وأحاط بمجريات الأمور، فإن ذلك سيساعده في فهم الأحكام الإلهية والشرعية واستنباط الفتوى الصحيحة القريبة إلى الواقع.

فلا ينبغي لطلبة العلوم الدينية البقاء بعيداً عن الوقائع والأحداث، وعلى الحوزة العلمية في قم وسائر الحوزات انتقاء المناهج التي من شأنها زيادة وعي الطلبة بالأحداث، ولأجل مساعدتهم على تنامي معلوماتهم إما أن تلجأ الحوزة

إلى إصدار مجلات تخصصية تتناول بعض القضايا المعاصرة، أو الاستفادة من الذين لديهم اطلاع على القضايا المعاصرة[1].

اليوم حيث ينتشر طلاب الحوزة العلمية وفضلاؤها في أرجاء البلاد، فإن ما يريده الشعب منهم لا يقتصر على بيان المسائل الشرعية وتوضيح الرسائل العملية ـ وإن كانوا بحاجة إلى ذلك ويتطلعون إليه، لكنهم لا يريدونه فقط ـ بل إنهم اليوم يسألون العالم عما يدور في المنطقة أيضاً، وعن السياسات الدولية والقضايا الداخلية، كما أن عليه التصدي للتبيين حتى وإن لم يسألوه[2].

٣ ـ إيضاح دعائم ومرتكزات الفكر الإسلامي الأصيل

علينا أن نوضح أسس الفكر الإسلامي والرؤية العالمية للإسلام ومرتكزات النظام الإسلامي، وإيضاح القواعد والخطوط الأساسية للثورة الإسلامية ـ أي هذا الانتقال من نمط إلى نمط آخر ـ وإيضاح الجانب الاقتصادي والسياسي والعلاقات الاجتماعية والفردية والبعد الأخلاقي والثقافي ومكانة العلم فيه؛ وهذه مهام ضرورية لا وجود للكثير منها، وهذا ما يجب أن ينبثق من الحوزة العلمية ويتأسس فيها[3].

من المهام التي يجب أن تضطلع بها الحوزة هو تأسيس مركز يتولى جمع الكتب التي صدرت في العالم حول الثورة، سواء تلك التي تتطرق للثورة بشكل مباشر أو التي تسيء للثورة والشيعة والإسلام، أو التي تتحدث عن نقاط القوة لدينا والتي نجهل بعضها! اجمعوا الكتب التي جرى تصنيفها في العالم حول

---

(١) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه، ٢٩/٦/ ١٣٧١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه ممثلي طلبة وفضلاء الحوزة العلمية في قم، ٤/١١/١٣٦٩.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه طلبة الحوزة العلمية في المدرسة الفيضية، ١/١٢/١٣٧٠.

الثورة أي أن يقوم هذا المركز بجمعها، وأن يقوم مجموعة من المحققين بجمع ما تمّ تأليفه حول الثورة في الداخل ـ ولا يتبادر إلى الذهن حينما نطلق كلمة محقق أنهم أولئك الشيوخ الذين أنهكهم العمل، كلا، بل نعني المحقق الشاب مثلكم ـ ثم يبادرون لتصنيفها وتدوين فكر الثورة، أو كما يعبر عنه الغربيون ـ ومما يؤسف له أننا لم نضع بعد ما يرادف هذه المفردات ـ أيديولوجية الثورة، ومن ثم تصديره إلى الخارج كي يتسنى لنا الرد إذا ما سئلنا عن ثورتنا، لا أن نشير إلى كتاب معين أو خطاب معين!

إذا لم تضطلعوا بمهمة الدفاع عن قيم الثورة أو بيان حقائق الثورة ومبانيها للعالم فسيقوم غيركم ممن لا جدارة لهم بذلك[1].

لقد قمنا ـ نحن أبناء الشعب الإيراني ـ بثورة جبارة وفي غاية العظمة، وإنني أقولها بكل ثقة وقوة إن أغلبيتنا ما تزال تجهل أي إنجاز عظيم هذا الذي تحقق؛ فبالرغم من معرفتنا بكثير من الأمور لكن الأكثرية منا ما فتئت تجهل عظمة هذه الثورة! إنها أمر مدهش واستثنائي؛ فالعالم الاستكباري والطاغوتي والجاهلي يقف في جانب وهي لوحدها تقف في جانب، وهذا أمر في غاية الأهمية؛ فمن العظمة أن ترى ظاهرة في ذاتها الجدارة لمبارزة الطغيان والكفر العالمي بأسره وإننا نعيش في وسطها لكننا لا ندرك مدى عظمتها وأهميتها!

إن هذه الثورة على عظمتها وأبعادها وآثارها العملية هي الأضعف والأقل إمكانيات اذا ما قورنت مع الثورات التي لا تدانيها في تأثيراتها العالمية من حيث طرح مبانيها الفكرية، فعندما تستحدث السوق المشتركة مثلاً ـ وماذا تعني السوق المشتركة؟ تعني التبادل التجاري بين مجموعة من الدول، شأنه شأن

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه ممثلي طلبة وفضلاء الحوزة العلمية في قم، ١٣٦٨/٩/٧.

التبادل بين مجموعة من التجار ـ يجري تأليف العشرات من الكتب والكراسات وتصور الأفلام والتحقيقات حول المباني الفكرية لهذا الإنجاز وعلى مختلف المستويات للاقتصاديين وللسياسيين ولعامة الناس للمستهلك والمنتج. ولقد أردت إيراد مثال صغير جداً على مستوى قيام سوق مشترك، إذ إن ثورتنا هي الأضعف والأقل كفاءة في هذا المجال قياساً إلى الثورات العالمية!

عندما وقعت ثورة أكتوبر ـ على سبيل المثال ـ فإن الكتب والأفلام والقصص والكراسات التي صدرت على امتداد عشرة أو خمسة عشر عاماً حول المباني الفكرية لهذه الثورة كانت من القدر بحيث إنها لما دخلت تلك البلدان التي وصلتها ريح الثورة أغنت أهلها عن كتبهم، وجرى إثراء الوسط الفكري إلى الحد الذي كان مثقفو تلك البلدان أنفسهم يصنفون الكتب حول متبنياتهم القيمية والفكرية، وبلغ الأمر خلال العقود الثلاثة أو الأربعة المنصرمة أن صنف الإيرانيون المزيد من الكتب حول الأسس الفكرية للثورة السوفيتية باللغة الفارسية، وذلك للإشباع الذي بلغوه؛ أي أنهم كتبوا إلى الحد الذي أغنى المثقفين الذين كانوا على ارتباط بهم فكرياً حتى إن الذي يحاول الإمساك بالقلم متصوراً أن ما يكتبه ويسطره إنما ينبثق عن فكره وثقافته، تراه يمثل ترجمة للآثار الجمة التي صدرت عن أولئك! فما الذي أنجزناه نحن؟!

إن ما قمنا به في هذا المضمار ضئيل جداً في واقع الأمر، ولعل المرء لا تسوغ له نفسه القول بأنه بمستوى الصفر؛ فهنالك من المخلصين من أنجزوا شيئاً لكننا إذا أردنا تجاوز الجوانب العاطفية فعلينا القول إنه يفوق الصفر بمقدار ذرة! إنه ضئيل وضئيل جداً، لماذا؟!

لذلك أسبابه بطبيعة الحال؛ فبعض مثقفينا ومفكرينا الأساسيين اختُطفوا من بيننا منذ البداية، والبعض الآخر انهمك في الأعمال الإجرائية المختلفة، بيد أن

جوهر القضية يتمثل في أننا لم ننتج؛ فلقد مضى على الثورة عشرة أو أحد عشر عاماً وكان علينا خلالها أن نبادر إلى إعداد المئات من الكتّاب الإسلاميين الذين بإمكانهم الكتابة حول أصول الإسلام ـ وذلك لإسلامية الثورة ـ ونشر مؤلفاتهم، وهذا ما لم نقم به.

هذه إحدى مهام الحوزة ولست هنا بصدد إفراغ عاتق من هم خارج الحوزات من المسؤولية، غير أن العبء الأكبر من المسؤولية يقع على كاهل الحوزة العلمية، وفي مقدمتها الحوزة العلمية في قم التي كان يفترض بها تقديم نتاج ثر في هذا المجال[1].

٤ . فسح المجال أمام التحقيق والإبداع

الحوزة العلمية تراث نفيس من المناهج والخبرات والتجارب العلمية، ولغرض الانتفاع من هذا التراث الفني والعلمي وإثرائه يجب الاستعانة بالطاقات الخلاقة والمبدعة؛ فالسلف الصالح استطاعوا بدورهم الارتقاء بالعوم الدينية إلى المستوى الذي هي عليه الآن من خلال الإبداع والابتكار.

على الحوزة أن تفتح أمام أبنائها سبيل الحداثة علمياً وفنياً وأن تنظر إلى الإبداعات العلمية بعين التقدير ومكافأة أصحابها، وأن لا تفسح المجال في نفس الوقت أمام الأساليب المتعنتة التي تنطلق من المؤسسات المتحجرة، وتحد من الآراء الطفولية المغرضة[2].

بغية أن تنال الحوزة حظها من التطور يتحتم عليها الاستعانة بالأساليب والوسائل المتعارف عليها في الأوساط العلمية وأن لا تفرض على نفسها

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه ممثلي طلبة وفضلاء الحوزة العلمية في قم، ١٣٦٨/٩/٧.

(٢) بيان قائد الثورة إلى رابطة أساتذة الحوزة العلمية في قم بمناسبة تأسيس لجنة التخطيط في الحوزة، ١٣٧١/٨/٢٤.

الحرمان من الإمكانيات التي تأخذ بيد البشرية نحو النجاح في كسب العلم؛ فليس يليق بطالب العلوم الدينية الافتقار للسبيل المؤدي إلى الإبداع في الأساليب الناقصة والمعيبة[1].

يجب أن تبقى الحوزات العلمية مهداً للعلم، وينبغي علينا أن نعمل ما بوسعنا لكي نجعل العلم أكثر صفاءً ونقاءً وخالياً من الشوائب، وهذه الحركة باتجاه تنظيم البرامج العلمية في الحوزات إنما هي حركة ضرورية لولاها لن يتطور العلم؛ فالعلم مثله كمثل الشجرة التي يتوجب تشذيبها من الطفيليات وتقليم أغصانها كي تنال نصيبها من النمو، ولابد من عدم السماح للأغصان الشاذة والأعواد المؤذية للنمو في الوسط العلمي.

ومن بواعث التطور العلمي التي تحظى بهذا القدر من الأهمية أيضاً ـ ولطالما كان إمامنا العظيم يعتمدها ـ هي الإعراض عن زخارف الدنيا ومظاهرها، حيث يتوجب في هذا السبيل تجاوز الكثير من اللذائذ المادية، والحمد لله فقد حافظ علماؤنا المبجلون على هذه المزية، فميدان الإعراض عن الدنيا والزهد فيها شاسع من الممكن السير قدماً فيه[2].

يجب أن تفسح الحوزات العلمية المجال أمام الرؤى الجديدة في كافة المجالات، وإذا ما طرح رأي وفكر جديد فينبغي أن يحترم ويعتنى به، وليس مرادنا هنا ـ بطبيعة الحال ـ الأفكار الضالة والالتقاطية الخارجة عن القواعد، بل الأفكار الحديثة القائمة على أساس القواعد والمباني الفقهية. ولقد تقدمت

---

(١) بيان قائد الثورة إلى رابطة أساتذة الحوزة العلمية في قم بمناسبة تأسيس لجنة التخطيط في الحوزة، ١٣٧١/٨/٢٤.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه حشداً من علماء طهران وقم وأساتذة الحوزة العلمية في قم، ١٣٦٨/١٢/١٠.

باقتراح غير مرة بأن تصدر الحوزة العلمية في قم مجلة يستطيع من خلالها كبار العلماء أو الجيل الصاعد من العلماء طرح أفكارهم ونتاجاتهم الفقهية الحديثة. هكذا يجب أن يعرف الأفراد؛ فإذا ما توفر لدى شخص شيء جديد ينبغي أن يدونه ويبثه في الوسط الحوزوي ليعلم الجميع بوجود مثل هذا المستجد في الحوزة، وخلاصة القول لابد من الاهتمام بالشباب والإبداع والابتكار والأفكار الجديدة[1].

يتحتم على هذه المؤسسة (الحوزات العلمية) والتي تعلقت بها أنظار العالم، وتمثل عضد البلاد ومعقد آمالها حاضراً وفي المستقبل، يتحتم عليها التأقلم مع ظروف التطور الزماني وإمكانياته أي عليهم بنفس المواد الدراسية وكسب ذات العلم وذات السلوك الأخلاقي والديني ولكن بالانتفاع من الوسائل العالمية؛ فليس صحيحاً أن يغزو الكمبيوتر العالم وينتقل حساب السرعة من الساعة والدقيقة إلى الثانية ويحسب حساب دقائق الوقت والطاقة وتوفر الجامعات والمراكز العلمية في العالم كافة إمكانيات التحقيق للطلبة والمحققين، فيما نعمل نحن بتلك المناهج القديمة التي كان أعلامنا (قدس الله أسرارهم الشريفة) يعملون بها يوماً ما لقلة ما في أيديهم. فهل هذا مناسب؟!

إنه مرفوض بالمرة! فتلك مرافق لابد أن ينالها التطور؛ وهل يصح منكم التوجه إلى طهران في هذا العصر على ظهر دابة فتقطعون الطريق ببطء مارين بـ «كوشك نصرت» و«علي آباد» وغيرها من المناطق حتى يستغرق مسيركم إلى طهران أربعة أو خمسة أيام؟! لا مجال لذلك مطلقاً، بل إنكم تبادرون للبحث عن حافلة تقلكم لتقطعوا الطريق نحو طهران خلال ساعة أو ساعتين، إن هذه الوسيلة هي التي بأيدينا.

---

(١) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه، ١٣٧١/٦/٢٩.

إننا ندرس الفقه ونستعين بالوسيلة الأكثر سرعة، فهل من مانع في ذلك؟ فندرس الفقه ونستخدم الكمبيوتر أيضاً، ندرس الفقه ونستثمر المناهج التحقيقية الحديثة الكفيلة بالعلوم غير التجريبية، فالفقه من العلوم غير التجريبية التي لها مناهجها الخاصة بها والتي ينبغي علينا الاستعانة بها، فنحن ندرس الفقه ونستثمر العمل الجماعي أيضاً.

إن أعمالنا ليست جماعية، لذلك فإن مثلنا كأبي ذر (يعيش وحده ويموت وحده) وأعمالنا جميعاً فردية، فنأخذ الدرس عن الأستاذ فرادى ونطالع فرادى ونتباحث فرادى.. إنه عمل مزدوج لكنه فردي؛ أي يفتقد للاشتراك الفكري[١].

٥ ـ اكتساب الفضائل الأخلاقية والمعنوية

يجب أن نجدد بناء الحوزات العلمية ونعمل على ترصينها وتوسيعها على أساس الفقاهة والديانة والتقوى والتزكية الأخلاقية والمعنوية والوعي والبصيرة السياسية[٢].

إن الثروة المعنوية للحوزات العلمية هي التقوى والأخلاق الإسلامية والزي العلمائي وعدم الانبهار بزخارف الدنيا وزبرجها، وعدم تقليد أهل الدنيا، ومعرفة قدر القناعة وشأنها؛ كل ذلك يمثل ثروات حقيقية ومعنوية بالنسبة للحوزة. وإذا ما وقعنا نحن في الحوزة العلمية بقم ـ لا سمح الله ـ في فخ التنافس على الماديات والحياة المزخرفة واللهاث وراء امتلاك وسيلة النقل والأثاث والحياة المرفهة ـ كالتنافس الحاصل بين أهل الدنيا ـ فذلك مما لا ينسجم وطبيعة عملنا ووضعنا، ولابد لحوزة قم من الاعتناء بهذا المعنى ويتولى ذوو

---

(١) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه ، ١٣٧١/٦/٢٩.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أساتذة وعلماء وطلبة الحوزة العلمية في مشهد، ١٣٦٨/٤/٢٠.

المعنويات والتقوى مهمة نصيحة الشباب، فهم يتقبلون النصح والإرشاد أكثر من غيرهم"[1].

أيها الإخوة الأعزاء، يا طلبة العلوم الدينية، بادروا إلى بناء أنفسكم في مرحلة الشباب فبانتظاركم أيام مهمة وحساسة، وإن هذا البلد والنظام وهذه النهضة الإسلامية الكبرى التي تعم العالم بحاجة إليكم. فعليكم ببناء أنفسكم؛ والبناء المعنوي سهل طريقه ـ أي سهل التخطيط ـ بيد أن طيّه يستدعي إرادة، والخطة هنا هي التقوى التي تعني الاحتراز عن الذنوب وترك المحرمات والعمل بإخلاص وتجنب الرياء والمكر، وهذه الممارسات سهلة في أيام الشباب، وعلى العكس مما هو متصور فالأمر سيصبح أكثر تعقيداً عندما يصل بك العمر إلى ما نحن عليه الآن؛ وهذه واحدة من القيم.

إن صلاة الليل والنوافل والدعاء والتوجه إلى الله سبحانه والزيارات والتوسل كلها من الأمور البناءة التي تبعث على صلابتكم.

ومن المستبعد أن تتبلور لدينا حوزة نموذجية في حين يفتقر طلابها لهذه الأبعاد، فلابد من الالتزام بهذه القيم"[2].

إنني أعتقد أنه بوسع أعلام الحوزات العلمية في أرجاء البلاد ـ ويفترض بهم ـ بذل قصارى جهودهم ومساعيهم لترصين البناء الفكري والأخلاقي والعلمي لدى طلبة العلوم الدينية والعلماء، وإن لا يمروا على هذه القضية مرور الكرام، وعليهم التصدي لكل القبائح المتغلغلة في أوساط العلماء وبنفس النمط"[3].

---

(١) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه ، ١٣٧١/٦/٢٩.

(٢) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه ، ١٣٧١/٦/٢٩.

(٣) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة علماء الحوزات العلمية ، ١٣٦٨/٤/٩.

٦ ـ العناية بالتبليغ

الهدف من التبيلغ هو الارتقاء بالمعرفة الدينية لدى الجماهير بالكلمة والكتاب والمضمون النافع وتوفير المستلزمات الكفيلة بتوعيتهم وهدايتهم[١].

إن كان صحيحاً القول بأن شرف المرء بشرف هدفه وغايته، فحري بنا القول أن أشرفها هو التبليغ للدين وإشاعة المعارف الإسلامية، وهو ما تعارف بيننا بالوعظ والمنبر، إذ إن الهدف من مهنة التبليغ والخطابة الدينية هو تزكية الأمة وتدوين المعارف الإسلامية بغية الارتقاء بمستوى الوعي لدى الجماهير. والحديث عن أبي عبد الله الحسين ﷺ وإقامة مجالس الرثاء عليه إنما يعني رفد الأمة بالقدوة التي ترسم لها طبيعة التحرك في سبيل الأهداف الكبرى، فهذه جميعاً ـ التزكية والارتقاء بأفكار الأمة ووعيها وطرح القدوة على صعيد الجهاد في سبيل الله ـ تعد من أشرف الأهداف، لذلك ينبغي أن لا يستهان بهذه المهنة.

إن ارتقاء المنبر والتحدث في أمر الدين من أشرف الأعمال، وحقيق بأن يسلك هذا الطريق أشرف الناس وأعلمهم وأعرفهم بالتعاليم الإسلامية وأكثرهم عملاً بالأحكام الشرعية؛ ويعتبرون تكاملاً لهم. وهكذا كان الحال سابقاً حيث كان يرتقي المنبر علماء مثل الشيخ جعفر الشوشتري عالم الأخلاق الفذ، أو المرحوم الحاج آقا رضا الهمداني صاحب كتاب «هدية النملة» الذي كان واعظاً وخطيباً دينياً، أو نجله المرحوم الميرزا محمد الهمداني، وسبق لرجال العلم ومشاهير التقى والدين أن انتحلوا هذه النحلة ونالوا وسام الفخر في هذه الحرفة[٢].

---

(١) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه ، ١٣٧٠/١٢/١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء والمبلغين على أعتاب شهر محرم ، ١٣٧٠/٤/٢٠.

المسؤولية الجوهرية التي يتحملها العلماء تتمثل في هداية الأمة باتجاه الأهداف التي رسمها القرآن الكريم والأنبياء على امتداد تاريخ النبوات، والإنذار هو السبيل لهذا العمل ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[1]، ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾[2]، ﴿أَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[3]، وإننا إذ نتبوأ موقع من يتطلع للمحافظة على التراث الضخم الذي خلفه علماء الدين على مر ألف من السنين ومواصلة مسيرة هداية الأمة، يتعين علينا شحذ الهمم لإحداث التغيير في القلوب وتنوير العقول وتصحيح التوجهات والمسارات وتطهير الأعمال، وإحداث انقلاب داخلي في الأمة بحيث يتحول كل فرد منها إلى مؤمن واقعي تزينه الأخلاق الإسلامية. هذا واجبنا الرئيس والغاية العظمى التي تتحقق عن طريق الإنذار.

إن تغيرت الأمة فستتغير الدنيا، وإذا تعمق التغيير لدى الجماهير فإن هذه المسيرة ستتواصل إلى الأبد، وإذا غدت أخلاقها إسلامية قرآنية فستتحقق كافة الوعود القرآنية بحق هذه الأمة.

إننا نصبو لإدامة هذا الخط، وأن تتقدم هذه الحركة حتى تصل أهدافها وغاياتها على أيدي الجماهير، لذلك يجب إيصال هذا الإيمان وهذه الأخلاق الإسلامية إلى أعماق أرواح الناس ليحصل ذلك التغيير الحقيقي؛ أي تطهير النفوس وتزكيتها التي إنما جاء الدين من أجلها، وأن لا تعترينا الغفلة عن إنذار الناس من عذاب الله وما وعد الله تعالى المسيئين في الدنيا والآخرة، وأتباع منهج الأنبياء والأولياء وأسلافنا العظماء وهديهم لصناعة الإنسان المؤمن والمحافظة

---

(١) الفرقان الآية: ١.

(٢) نوح الآية: ١.

(٣) مريم الآية: ٣٩.

على إيمان الأمة، فإنني أعتقد بأن الإنذار هو اليوم أكثر إمكانية وعملية. وفي آية من آيات القرآن الكريم يوعز الحق تعالى إلى نبيّه قائلاً: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾[1]؛ إذ بالإمكان إنذار الأحياء من بني الإنسان والقلوب الحية، وتلك هي الحياة التي تتبلور داخل المجتمع بالثورة والحركة والجهاد. يقول بعض المفسرين مهمشاً على الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]: إن المراد من ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ هو الجهاد، ولعل هنالك رواية بهذا المعنى أيضاً.

واليوم فإن هذه الحياة تلقي بظلالها بفضل جهاد الشعب الذي يشعر أبناؤه بالأنس بالقرآن بشكل نسبي، وهذا الإنذار هو الأكثر عملية. يجب ممارسة عملية إنذار الأمة في المساجد ومن على المنابر، وفي المحافل القرآنية وكافة التجمعات الدينية وإيقاظ الروح المعنوية لدى الجماهير إلى جانب بث الوعي فيها؛ حيث اندلعت حركة التوعية السياسية والاجتماعية والرؤية السياسية الثاقبة ـ والحمد لله ـ لدى الجماهير قبل انتصار الثورة وهي ما تزال اليوم محافظة على ديمومتها وستتواصل في المستقبل[3].

العلماء هم الذين حافظوا على المعارف الدينية والفقه الإسلامي، وهم الذين أبعدوا التحريف عن حياض الأحكام الإلهية، وأوقدوا وهج الإيمان وحافظوا على توهجه في أفئدة الناس. والعلماء هم الذين صانوا التزام الأمة بالقرآن وتعاليم أهل البيتعليهم السلام، وهم الذين قارعوا الظالمين على مر التاريخ

---

(١) يس الآية: ٧٠.

(٢) الأنفال الآية: ٢٤.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء على أعتاب شهر رمضان المبارك، ١٣٦٩/١٢/٢٢.

وغدوا ملاذاً للمظلومين والشعوب المقهورة وللمؤمنين والمستضعفين. لقد اغتنموا الفرص لنشر المعارف الإسلامية وترويج الإيمان الديني والرسالة الإسلامية ومحبة أهل البيت﵈ والتعريف بسيرتهم على امتداد البلدان الإسلامية.

إن قوة السيف لتعجز عن غرس الإيمان قي القلوب، وإن الموعظة وبيان الأحكام والمعارف الإسلامية وتأسي العلماء بسيرة الأنبياء والأولياء هي التي تؤدي إلى تفتح براعم الإيمان في القلوب. والحمد لله فإن الفكر الإسلامي حي اليوم في ربوع العالم الإسلامي.

لقد تيقظت المشاعر التحررية لدى الشعوب خلال القرن أو القرنين الأخيرين، فكان النجاح حليف العلماء في ريادة وتقدم الصفوف الأولى للحركات التي عمت مختلف البلدان، فيما كانت هنالك حركات أخرى شهدتها الأمصار الإسلامية لم يقف علماء الدين في طليعتها، ولم يحالف الحظ الأعم الأغلب منها في بلوغ المرام. والذي أفلح في قطع أيدي المستعمرين عن أبناء الشرق الإسلامي ـ أي شبه القارة الهندية ـ وعن الغرب الإسلامي ـ افريقيا ـ وما بينهما والمحافظة على الثقافة الإسلامية والتصدي للثقافة الغازية المعتدية إنما كان نفوذ العلماء.

وفي إيران كان العلماء في طليعة ومقدمة الحركة الدستورية وقبلها ثورة التنباك، ومقارعة الدول الاستعمارية الأجنبية وإيقاظ الشعب، ومواجهة استبداد رضا خان ومواصلة هذا الجهاد حتى قيام النهضة الإسلامية المقدسة العملاقة. هذه إحدى الحقائق التاريخية التي لا يمكن لأحد إنكارها إلا من كان مغرضاً أو جاهلاً يحاول طمس الحقيقة، فهي مدونة يحتفظ بها تاريخ الشعوب[1].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء على أعتاب شهر رمضان المبارك ، ١٣٦٩/١٢/٢٢.

ثمة حركة متعينة على المجتمع الإسلامي في كل برهة زمنية؛ ففي كل مقطع زمني يبرز عدو أو جبهة تهدد المسلمين والعالم الإسلامي ولابد من معرفتها، وإذا ما أخطأنا في معرفة العدو أو الجهة التي تصدر عنها التهديدات والهجمات ضد الإسلام والمسلمين، فإن الخسارة التي سنتعرض لها مما لا يمكن تلافيه، وإذا ما استحوذت علينا الغفلة فستضيع منا فرص ثمينة، فتكليفنا اليوم يتمثل في خلق حالة من اليقظة والوعي، وتشخيص العدو ومعرفة التكليف بأعلى المستويات لدى المسلمين ولدى شعبنا، وكل هذه الإمكانيات في متناول المسلمين اليوم بعد قيام الحكومة الإسلامية ورفرفة راية الإسلام، وذلك ما لا سابقة له على مر التاريخ الإسلامي بعد الصدر الأول للإسلام؛ فلا يجوز لنا بعد الآن أن نغفل عن معرفة العدو، أو نخطئ في تشخيص الجهة التي يهاجمها[١].

السواد الأعظم من شعوب العالم في الواقع يلتزم الحياد وعدم الانحياز، فإذا ما وضحنا لهم الحقيقة صاروا إلى جانبنا، وإلا فإنهم سينحازون إلى طرفٍ آخر.

على أية حال، مرادنا من العالم الاستكباري تلك السلطة السياسية والدولية أي الحكومات والدول سواء القوى الكبرى أو الصغرى السائرة في ركاب قوى الاستبداد، فمن الأهداف والمآرب التي يتطلعون إليها في العالم هي إزاحة الإسلام عن طريقهم، وذلك لتعارض الإسلام مع استبدادهم.

لاحظوا بعض الدول العربية أو ما تسمى بالدول الإسلامية حيث لا تمانع من تشكيل الأحزاب على اختلاف مشاربها إلا الأحزاب الدينية فهم يصرحون جهاراً بعدم سماحهم للأحزاب الدينية والإسلامية بالتنامي، ويألفون الأعراف والتقاليد بشتى ضروبها ماخلا الاعراف والتقاليد الإسلامية!

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء وأئمة الجماعة، ١٣٧١/٥/٧.

ولقد شهدتم ما جرى في إحدى بلدان الجوار من محاربة للحجاب! وبالرغم مما يبيته هؤلاء فإن الشعب هناك يزداد توجهاً نحو الإسلام يوماً بعد يوم، وهذا هو الإسلام الذي تتطلعون إليه، فذودوا عنه وبلغوا له، وينبغي أن لا يغيب ذلك عن أذهانكم"[1].

من واجبنا الإحاطة بحقائق الدين والاطلاع على الاوضاع العالمية لغرض التبليغ للدين؛ فثمة أناس يتركون المدن الأوربية العامرة والحياة المرفهة قاطعين آلاف الكيلومترات ليسكنوا أقاصي أمريكا اللاتينية أو أفريقيا أو غابات الامازون أو غابات كينيا لغرض التبشير للمسيحية والمكوث هناك سنوات متمادية، ولقد قلت مراراً للسادة العلماء إنني أعرف من القساوسة من هبوا وتوجهوا نحو بقاع لم تطأها أقدام المستعمرين وبقوا فيها، واستصحبوا معهم الصليب ليغذوا الناس وأولئك البؤساء بخرافات المسيحية المعاصرة، وعمدوا إلى تنصير البعض ممن كانوا مسلمين وغيرهم؛ هكذا هم على باطلهم، فلم لا نكون كذلك على حقنا؟!

وإنني أقول لكم لقد كان لديّ الاستعداد للتوجه إلى أبعد نقطة والمكوث فيها لممارسة التبليغ ولو لطائفة محدودة، بيد أن وضعنا اليوم أصبح بهذا الشكل بحيث لا قدرة لنا على مزاولة هذه المهمة، وليس هذا ما أنتظره منكم فحسب بل هو ما أنتظره من العلماء عموماً"[2].

أيها الاخوة الأعزاء، ثمة فرصة ثمينة أمام العلماء اليوم، فلم تتوفر مثل هذه الفرصة أمام دعاة الدين على مر التاريخ منذ عهد الرسول الأكرمﷺ وحتى يومنا هذا، ولم يعثر الدعاة للدين على مثل هذه الفرصة السانحة أبداً. إنها فرصة

(١) حديث قائد الثورة في حشد من علماء محافظة جهار محال وبختياري ، ١٣٧١/٧/١٥.

(٢) حديث قائد الثورة في حشد من علماء محافظة جهار محال وبختياري ، ١٣٧١/٧/١٥.

كبرى ونفيسة وما علينا اليوم كمبلغين للدين إلا إيفاء دور فعال وخالد، فإن الله سبحانه لا محالة سائلنا وهذا واجبنا وعلينا الاستعداد له؛ فالشعوب اليوم ومنها غير الإسلامية بحاجة إلى الأحكام الإسلامية ناهيك عن الشعوب الإسلامية، فهذه الشعوب التي تشاهدونها ترزح تحت وطأة جور القوى الكبرى وتتجرع الاضطهاد، إنما ذلك بسبب بعدها عن الإسلام.

إن الصحوة الإسلامية هي التي ستنقذ الشعوب، وحقيق على ذوي الألباب في مختلف البلدان الالتحاق بالخط الإسلامي الذي يرسمه لهم القرآن الكريم؛ لأنه طريق العزة والخلاص، وعليهم الالتفاف حول الدور الذي يضطلع به المعممون والعلماء والخطباء والوعاظ وطلاب العلوم الدينية وأئمة الجماعات وجميع من تلبسوا بهذا الزي، فالعالم الإسلامي بحاجة ماسّة[1].

ما الذي يتعين علينا القيام به الآن لمواجهة هذا الغزو الثقافي الشامل الذي يشنه الاستكبار العالمي؟ لقد جرت العادة إذا ما سمعنا أو وقعت الانظار على مشكلة ثقافية فإن أنظارنا جميعاً تتوجه صوب الحكومة ونتساءل: لماذا لا تقوم الحكومة بواجبها؟

وأوضح مثال على ذلك ظاهرة التهاون بالحجاب أو ما يحصل في بعض المدن والمناطق النائية من شيوع للموسيقى وضرب الطبول وما شابه ذلك من الأمور التي يوافينا بها البعض ونطلع عليها عن طريق التقارير التي تصلنا، وهي تحمل عتب وانزعاج بعض السادة. ولا شك أبداً في أنها ظواهر منبوذة، لكن القضية لا تكمن في كونها مؤامرة ثقافية، بل في كونها ظاهرة صغيرة ليست بأهمية تلك المؤامرة.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء على أعتاب شهر رمضان المبارك ، ١٣٦٩/١٢/٢٢.

بون شاسع وعميق يفصل حالة الحجاب والوضع الذي عليه نسوة البلاد الآن عما كانت عليه قبل انتصار الثورة، أي أننا نادراً ما حققنا هذا المقدار من البون عن الوضع ما قبل الثورة في أي حقل آخر.

جولوا بأبصاركم في شتى قطاعات مجتمعنا سواء تلك التي تختص بالدين أو ذات الاختصاص بالمسائل العلمية أو ذات العلاقة بالسياسة والاقتصاد، ففي كلٍّ منها ستجدون مثل هذا الفرق. إننا نلمس فارقاً بين الوضع القائم وبين ما كان سائداً يومذاك، بين المرأة في يومنا هذا وبين المرأة في حقبة الحكم الملكي الجائر؛ فيومها لم يبق شيء من المرأة ولم يبق ذكر للحرمة والحجاب والمحافظة على قداسة المرأة وعفتها ولاسيما في المدن الكبرى، فالوضع الحالي لا يمكن مقارنته إلى ذلك اليوم، ولاشك بطبيعة الحال في ضرورة تحسن الوضع، لكن ما هو قائم اليوم لا مجال لمقارنته مع ما كان يومذاك، وهذا مما لا يمثل انهياراً ثقافياً أو تهرؤاً يعاني منه مجتمعنا يتعين علينا اعتباره خطأً أو هجوماً معادياً فنحتاط إزاءه، بل هنالك أمر آخر تستبطنه بعض أبعاد ومظاهر هذه القضية.

وخلاصة القول أن جيل الشباب في طريقه للانحراف التدريجي على أيدي العدو وعلينا أن لا نسمح بذلك، بل يجب علينا الحفاظ على جيل الشباب ليتواجد في ميدان الدفاع إن وقعت الحرب، أو يسجل حضوره إن طرأت حادثة في الداخل، ويتوجه نحو التحصيل الدراسي وبناء الذات إن حل دور العلم والتربية العلمية والتحقيقية، وإعداد نفسه للمستقبل.

لقد اتخذت المحاولات والجهود التي تستهدف جيل الشباب ـ مورد الثقة والتفاؤل ـ طابعاً تدريجياً وأنماطاً وأساليب شتى هي في الأساس محاولات ثقافية، وهنالك بطبيعة الحال محافل تسوق الشباب نحو التلوث بالفساد، وهي

ذات طبيعة غير ثقافية وتتميز ببعدها العملي، بيد أن الأخطر هو الهيمنة على الشاب وفكره وروحه.

وثمة عنصران هما الأكثر تأثيراً على عقلية الشاب هما: تبليغ العدو المتنوع أي ذلك التبليغ الذي يثير في نفسه روح اللامبالاة إزاء حقائق الإسلام المقدسة والحقائق التي برزت في الثورة على أنها ثوابت عقائدية وأعمدة أساسية للمعتقد. أما العنصر الآخر فهو فقدان المواعظ السليمة والبيان الصائب لهذه الحقائق وهذه الأصول.

وإنني أظن أن العامل الثاني لا يقل تأثيراً عن العامل الأول، وذلك لضعف التبليغ الصريح والعلني المناهض للإسلام والأصول والمباني والمعارف الإسلامية في ظل النظام الإسلامي وعدم انفتاح الساحة لمثل هذا التبليغ. وتأسيساً على هذا فإن العدو يغطي بنشاطه مجالاً محدداً في حين لا يعرف العنصر الثاني حداً معيناً، فإن لم نضطلع بمهمة التبليغ وبيان الحقائق وإن لم نقم بالبيان الصائب للمعارف الإسلامية من قبيل التوحيد، والحكومة الإلهية، ووجوب عبودية الإنسان لله سبحانه وخضوعه للأحكام الإلهية ـ مما يعتبر قواعد أساسية ـ فإن تأثير هذا النكوص عن البيان وعدم التوجيه الصحيح لن يقف عند حدود معينة بل سيعم الجميع. وانطلاقاً من هذا أحاول الحديث حول واجبنا كعلماء، لأن التكليف باعتقادي جسيم للغاية[1].

للتبليغ نمطان: تبليغ في الداخل وتبليغ في الخارج وطبيعة الأول تختلف عن الثاني، والذين مارسوا التبليغ في الخارج يعرفون المراد من كلامي؛ فنحن نعاني نقصاً في المبلغين في الكثير من أصقاع الدنيا، وللأسف فقليل هم الذين بإمكاننا إرسالهم للتبليغ خارج البلاد بالرغم من كل هذا النشاط التبليغي

---

(١) حديث قائد الثورة في ملتقى أئمة الجمعة في البلاد ، ١٣٧٠/٦/٢٥.

ـ اليوم ـ على المستوى العالمي المناوئ للإسلام من جهة، والتشيع من جهة أخرى، وأصول الثورة ومنهجها من جهة ثالثة.

بديهي أن لدى الشباب والجامعيين والمثقفين وسائر أبناء المجتمع في الخارج أسئلة وينتظرون منا إرسال من يحل المعضلات التي تواجههم ويبعث الطمأنينة في قلوبهم ويسرهم من خلال الإجابة عن أسئلتهم، لكننا لا نمتلك من نرسله! فنحن نعاني الآن مشكلة في إرسال المبلغين الذين بوسعهم الإقامة في الخارج، فهنالك بعض الدول لو كان بمقدورنا إرسال عشرة من العلماء الأفاضل ممن يتميزون بخبرتهم في مجال التبليغ إليها ويقيمون هناك بشكل دائم فسوف نحصد آثاراً جمة، لكننا وللأسف لا نمتلك واحداً من هؤلاء، وربما نعثر بعد عناء كبير على شخص واحد للإقامة في أحد البلدان لمدة ستة أو ثلاثة أشهر أو حتى سنة واحدة، أو ليس هذا نقصاً؟!

لاحظوا المبشرين النصارى، فقد توجهوا قبل قرنين أو ثلاثة قرون أو حتى قبل قرن على أقل تقدير إلى أقاصي أفريقيا وأمريكا وتوغلوا في أعماق الغابات وفي المناطق التي لم يقصدها البسطاء من الناس أو التجار وانهمكوا في عملية التبشير، ولعل الدهشة تستحوذ على المرء حينما يجدهم قد توجهوا نحو مناطق لم يكن هنالك أمل في اعتناق أهلها للمسيحية كما في إيران! ولقد صرحت غير مره بأن المبشرين النصارى طالما ترددوا على إيران ـ وقد ذكرت أخبارهم ـ منذ زمن نادر شاه ـ بل قبله ـ من أجل التبشير للنصرانية، حيث تخلوا عن الديار والاهل والأوطان وجاؤوا إلى بلد مثل إيران عبر وسائط السفر المعهودة في ذلك الزمان ومكثوا فيها سنوات متمادية لغرض التبشير للمسيحية، فيما تتنقلون اليوم بالطائرات وبإمكانكم الوصول إلى أية بقعة بالعالم تقصدونها خلال ثلاث أو اربع أو خمس ساعات بالإضافة إلى ما هو متوفر من إمكانيات واسعة من قبيل الهاتف وسائر وسائل الاتصال، ومع ذلك فإننا نعاني الشحة.

وإننا الآن نرجو من الفضلاء البارزين والشخصيات المستعدة للتبليغ الذهاب مدة معينة إلى الخارج في حين ينبغي أن يجري إعداد وتحضير أشخاص محددين لهذا العمل يخضعون لدورة خاصة ويطلعون على الأوضاع النفسية للشعوب ويتعلمون لغاتهم كي يستطيعوا التكلم والتفاهم معهم، لكننا وللأسف نفتقر لمثل هؤلاء. من الذي يتعين عليه ملء هذا الفراغ؟ هل من الصحيح أن ننتظر إحدى الكليات ممن لا تداني الحوزات العلمية من حيث مستوى المفاهيم الإسلامية التي تدرس فيها كي تقوم بإعداد المبلغين؟!

إن الحوزة العلمية في قم وسائر الحوزات هي المكان المناسب لإعداد المبلغين. وهل هنالك من يقوى على إعداد المبلغين غير الحوزة العلمية في قم، وتليها بالمرتبة سائر الحوزات العلمية؟![1].

٧ ـ المنهجية في التبليغ

الجيل الذي يتطلع للانتفاع من خطابنا الديني لن يرحمنا إن عجزنا عن إغنائه، وإن العالم المعاصر يستخدم أحدث الأساليب على صعيد المسائل والعلوم ذات الحيوية الفائقة بالنسبة للبشر والتي تخضع لتبادل وجهات النظر؛ فإن اطلعتم على نظرية ما اليوم فلن يكون بوسعكم الاعتماد عليها بعد شهر كآخر نظرية ظهرت إلى الوجود، وذلك للتبدل الحاصل في الأساليب والتجدد المضطرد في الآراء. أنى لنا طرح آرائنا الحقة اليوم بنفس ذلك النمط والأسلوب المتداول قبل قرن أو نصف قرن مضى؟! فالحال يومنا هذا يختلف حتى عن الأيام التي سبقت انتصار الثورة، فالمنبر الذي كان نافعاً ومؤثراً خلال الفترة التي سبقت انتصار الثورة في الأعوام (٥٥،٥٦،٥٧) ربما لا يتمتع اليوم بذلك القدر من التأثير والفائدة. ومن البديهي أن بعض المعارف تؤتي أكلها بأي لغة وتحت أي

---

(١) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه ، ١/١٢/١٣٧٠.

ظروف جرى بيانها، ولكن لا عمومية في ذلك. وتلك هي الملاحظة الرئيسية التي وددت التطرق إليها فيما يتعلق بالمنبر وأهله؛ وخلاصتها تطوير هذا الفن الشريف مضموناً ومنهجاً وأسلوباً وهيكلاً"[1].

التبليغ يعني الإيصال، وآليات الإيصال تختلف تبعاً للظروف فقد تحاولون نقل شيء إلى الغرفة المجاورة فيتحقق ذلك عن طريق حمله باليد ونقله إليها، ولكن ربما تكون المسافة الفاصلة فرسخاً، أو يتوجب عليكم التوجه إلى أقاصي الدنيا، وقد تكون هنالك حواجز وأسوار، أو ربما يستدعي أن تعبروا الجبال والمنعطفات، وتارة يتقبل الطرف المقابل ما يقال له طواعية ورغبة، فيما يتحتم التوسل باللطائف والمداعبة لإقناعه تارة أخرى، وحيناً يقف من لا يسمح بإيصال ما تحمله إليه.

وخلاصة القول: أن لهذا الإيصال أنواعه وأقسامه التي تختلف باختلاف الظروف، لذلك ما يحدد آلية الابلاغ وطريقته هو ما تتحلون به من إبداع وذوق وفهم وسرعة بديهة.

إذا ما ملأتم قدحاً بالماء بنية نقله إلى مكان على بعد فرسخ ثم أخذتم الطريق نحو المقصد، فإن شاهدكم العقلاء إذ ذاك ستستحوذ عليهم الدهشة للأسلوب الذي تنقلون به الماء! إذ عليكم ان تهيئوا كوزاً أو جرة ماء، لأن أمامكم فرسخاً من المسافة، وفي مثل هذه الحال سيترجرج الماء في القدح ويتصبب منه.

لا نقل إن هذا النمط من التبليغ الذي اتبعناه يوماً ما كان له فائق التأثير، أجل، فلقد كان الشيخ جعفر الشوشتري(ره) يرتقي المنبر في طهران وينادي في الناس: ((أيها الناس، اعلموا أن الله موجود))، فيحدث الثورة في القلوب؛ يومها

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء والمبلغين على أعتاب شهر محرم ، ١٣٧٠/٤/٢٠.

كان التأثير للمدد الإلهي وقابلية المستمع. أما اذا أردنا أنا وأنتم اليوم ارتقاء المنبر ونادينا في الناس: أيها الناس اعلموا ان الله موجود، فإنهم سيقابلوننا بهز رؤوسهم وينصرفون مدهوشين، ثم ننزل نحن من المنبر ونغادر المكان.

يوماً ما كان المرحوم المجلسي يتحدث في كتابيه (حق اليقين، وعين الحياة) عن الأخلاق والمعتقدات الدينية بمنطقه ذاك فيستقطب الدنيا نحو الفكر الشيعي وعقائده، فلا تتصوروا ان كتب الشيخ المجلسي إنما صنفت بطراً، بل هذه الكتب هي التي رسخت دعائم التشيع الذي كان يومها حديث عهد في بلادنا. فلا تنظروا إلى هذه الكتب بعين الاستصغار ـ لا قدّر الله ـ على أنها ماذا تركت من تأثير؟! فقد كان لها أثرها يوماً ما؛ فعندما حل المجلسي في مدينة مجلسي ذاتها كانت قد سبقته بقرن ونصف من الزمان ممارسات غير إنسانية لإرغام الناس على اعتناق عقائد التشيع، فجاء المجلسي وأقرانه فرسخوا هذه العقائد في قلوب الناس، لقد كانت تلك الكتب ذات فائدة يومها.

أما الآن فلا يسعنا أنا وأنتم تجويز كتابي حق اليقين وعين الحياة، ويفترض أن نضعها على الرفوف كتاريخ، وما علينا إلا كتابة تلك المضامين بلغة العصر إن كنا مبدعين. ومبعث عدم تجويزي لكتابي حق اليقين وعين الحياة إنما لعدم فائدتهما في الوقت الحاضر بالنسبة للأمة. لعل الكثير منكم لم يقرأهما، لكنني قرأتهما فوجدتهما غنيين بمضمونهما، ولكن بطبيعة الحال لا لجيل الشباب المعاصر والفكر الحديث الذي لم يكن له أي أثر في عهد المرحوم المجلسي.

إن الكلام الحديث والرأي المولد للأفكار وآليات استقطاب العواطف في الإذاعات والكتب والترجمات من الكثرة في يومنا هذا بحيث لا يصح منّا التباكي لكتابة موضوع ما أو نصطرخ لأن فلاناً ترجم شيئاً أو أدلى بشيء، فذاك فكر يعبرون عنه.

هل تتصورون أنه يوم حيكت شبهة «ابن كمونة» مثلاً، فإن التكفير كان يطال من يوردها في كتابه لمجرد إيراده لها؟ وهل يجوز تكفير انسانٍ ما دون مبرر، فنرد على كل من ينطق بما هو جديد انك مخالف ومعارض؟! إن المشكلات لا تحل بالصمت.

القرآن الكريم بما عليه من عظمة ينقل أفكار الملحدين والماديين، فهو ينقل إساءاتهم بحق الرسول ﷺ : ﴿يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[1]. غاية الأمر أن القرآن الكريم محكم ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[2] ولا يعتريه الشك أبداً، لذلك علينا جميعاً أن نغدو ممن «لا ريب فيه»، وأن تصبح معتقداتنا مما «لا ريب فيه»، وأن يكون منطقنا رصيناً متماسكاً منيعاً وبلغة مناسبة، حينذاك سنرى السحر يتقوض بفعل المعجزة؛ حققوا المعجزة ليتقوض السحر تلقائياً، المهم أن نخرج اليد البيضاء من جيوبنا ونلقي العصا[3]، وذلك ما يستدعي منا الابداع.

على أية حال، فإن لجهاز التبليغ والإيصال مقدماته فلابد من تهيئة المضمون واختيار ما هو ملائم من الآليات، وعلينا نحن المعممين أن لا نغفل عما وراء هذا المضمون. فلقد أمضينا سنين طوالاً كي يجتمع عدة أنفار في محلة أو مسجد أو حسينية من إحدى المدن لندلي بما لدينا أمامهم، وكان العالم أو إمام الجماعة أو أحد الفضلاء ممن خلت الديار من أمثاله أو ممن يدانيه بالفضل ليتحرق ويغتم ويبدل جهده متوسلاً بهذا وذاك ويدرأ التهم لئلاّ يسلبوا شبراً من مسجد، فلم ذاك؟ ما ذاك إلا لاعتقاده بأن هذا المكان قاعدة لأتباعه، فإن صودر فلن يبقى شيء.

---

(١) القلم الآية: ٥١.

(٢) البقرة الآية: ٢.

(٣) إشارة إلى معجزة النبي موسى عليه السلام.

إنكم اليوم تمارسون التبليغ في هذه المدينة ولديكم علم بأن هنالك من يشاطركم العمل في مئة وبضع وثلاثين مدينة أخرى، بالإضافة إلى اضطلاع الاذاعة والتلفزيون بمهمة التبليغ إلى جانبكم أيضاً. أجل، فهذه هي واجهة الاذاعة التلفزيون، وقد تصدر عنها بعض الانغام والالحان فترتفع الصرخات ضدها، أولا ترون إلى برامج الإذاعة عامرة بالبرامج القرآنية والاحاديث التي توضح المفاهيم الإسلامية منذ الصباح وحتى المساء؟ وهي تبتدئ بسم الله وتنتهي بآيات قرآنية.

إذن، فاليوم حيث تمتلكون فرصة سانحة فعليكم اغتنامها، فليس مناسباً أن نرتقي المنبر دون مطالعة، فذلك يعني أن كل همنا وغمنا منصب على بيان وتوضيح ما ليس في أذهاننا للناس، فلابد من وضع خطط مدروسة...

وبطبيعة الحال لابد من الاستعانة بالأساليب الابداعية لرفد المنبر، فالمنبر على نمطين: إبداعي، وغير إبداعي. والمنابر التي تشاهدونها ذات جدوى فإن جدواها لا تقتصر على جوهر المطالب التي تتناولها، بل تعود إلى الابداع في البيان. وفي زماننا ارتقى بعض المنابر أناس كانوا على معرفة بالإبداع الحقيقي، لذلك لابد من تعلم الابداع في البيان أي حتمية الفصل بين الشرائح، فالشابات من النساء شريحة، والشباب من الذكور شريحة أخرى، والاطفال شريحة، والأساتذة في العلوم الحديثة شريحة أخرى، وللعلماء أبحاثهم الخاصة بهم، ولعامة الناس وسوادهم أبحاثهم، وكذلك الحال بالنسبة لربات البيوت؛ فكل من هذه الشرائح يحتاج إلى مطالب خاصة[1].

الكتاب ضروري للجميع وعلى مختلف المستويات، وإذا ما أردت الآن منكم أنتم ذوي الاهتمام بالكتاب والمعارف الإسلامية أن تذكروا مجموعة من

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مسؤولي منظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٧٠/١٢/٢٥.

الكتب المهمة، ربما لا يبرز من يعرّف هذه الكتب بعدد أصابع اليد، ولعل ليس هنالك هذا القدر من الكتب الضرورية النافعة. وبالإضافة إلى ذلك فإننا بحاجة إلى البحوث الموضوعية. افرضوا ـ مثلاً ـ أن شخصاً أراد الاطلاع على وجهة نظر الإسلام حول قضية الحجاب فقط أو حقوق الزوجين أو حقوق البشر ـ التي يشهد العالم هذا الجدل الحاد حولها ـ بشكل موجز وبسيط، فهل لدينا كتب تختص بها جميعاً لنعرضها؟ قد يكون هناك من ترجم كتاباً حولها، بيد أن الترجمة ليست بكافية فلابد من تصنيف الكتب والتحقيق حول هذه القضايا.

قبل عدة سنوات حدثني أحد أعلام قم ومن شخصياتها البارزة المعاصرة قائلاً: قمت بزيارة لإحدى المكتبات في بريطانيا ـ ولا أتذكر ما إذا كانت بريطانيا أم بلداً آخر ـ وكان قسم منها مختصاً بالأخلاق، فكانت الكتب التي صنفت ـ على الظاهر ـ خلال العقد أو العقدين الأخيرين حول الأخلاق وملأت جانباً كبيراً من هذه المكتبة ما يقرب من عشرة آلاف كتاب، ولعل العدد يفوق هذا الرقم لكنني أذكر الأقل توخياً للاحتياط.

فلاحظوا كم هي كتب الأخلاق التي صنفناها نحن باللغتين الفارسية والعربية منذ مطلع الإسلام وحتى يومنا هذا؟ فهل يتجاوز عدد الكتب الأخلاقية المعروفة والتي هي في متناول يد عامة الناس أو الفضلاء ـ سوى المخطوطات التي قد تضمها إحدى المكتبات ـ المئة كتاب؟!

لقد صنف أولئك كل هذا العدد من الكتب الأخلاقية في غضون السنوات المتأخرة، ولا أقول الآن إن كل ما صنف حسن وصحيح، لكنني أقول إنه بالرغم من الطبيعة المادية لأغلبية الدول المتقدمة وابتعادها كثيراً عن المعنويات إلا أنها تبذل جهوداً علمية وفكرية.

للإنصاف نقول: قليلة هي تصانيفنا وكتاباتنا حول الأخلاق وكذلك سائر الموضوعات على مختلف المستويات ولمختلف المخاطبين؛ والشعوب الحديثة العهد بالإسلام بحاجة إلى هذه الكتب؛ ففي العام الماضي عندما كنا نتحدث معاً كانت هنالك دول تعد جزءاً من الاتحاد السوفيتي، أما اليوم فإن الملايين ممن كانوا يرزحون تحت نير الشيوعية يتوقون لمعارف الدين، ففي العام الماضي لم يكن ثمة وجود لهذه البلدان لكنها اليوم قائمة، وهذا ما يدلل على سرعة التطورات العالمية.

هؤلاء يقولون: لقد كنا منذ ٦٠ - ٧٠ عاماً نرزح تحت هيمنة الشيوعية التي وفرت لنا الكتاب والكراس والبوستر والفيلم والمعارض وما شابه ذلك حول الاقتصاد والتاريخ والفلسفة وشتى المفاهيم التي تحتويها الشيوعية؛ والآن إذ عدنا لإسلامنا ـ وإنكم حيث تدعون أن بلدكم هو أم القرى في العالم الإسلامي ـ تعالوا وارفدونا بالكتب الإسلامية بم ستجيبونهم؟! وما الذي قمتم بترجمته أو تصنيفه لتقدموه لهم؟! علينا أن ننتج الكتب في ضوء الوقائع والظروف، والتبليغ يشتمل على هذه الأبعاد.

إن النتاجات الفنية من فيلم وغير ذلك لها موقعها، ولكن لابد من استحداث قسم جديد يختص بالتبليغ في إدارة الحوزة صحيح أننا نرتكز على الفقاهة ونرى أصالتها، لكن ذلك لا يعني أن نقلل من أهمية فرع التبليغ في الحوزة العلمية بقم، فما يقوم به المبلغ يعجز عنه مئة فقيه، فعندما برز أحد المسالك الباطلة وكان يقف على رأسه أحد العلماء وقد تلقى دروسه في النجف ـ كأنه دودة قد خرجت من شجرة وتنامت عليها ـ وأخذ يتغلغل داخل الحوزة تدريجاً، انبرى له المرحوم الواعظ الحاج رضا الهمداني ـ وهو غير الحاج آقا رضا الهمداني صاحب كتاب مصباح الفقيه ـ وكان عالماً واعظاً مبلغاً بدعوة من

المرحوم الميرزا الشيرازي حيث ارتقى المنبر منددا بهذا المسلك، فتحولت تلك الخطابة على المنبر إلى كتاب حمل اسم «هدية النملة إلى رئيس الملة»، والكتاب هذا موجود حالياً، فقد ينجز مبلغ مثل هذا الانجاز الجبار ما لو أراد الميرزا الشيرازي بنفسه أو أمثاله القيام به لما قدروا عليه أو ربما ينجزونه بجهود مضنية، بيد أن الرجل كان مبدعاً في التبليغ[1].

علينا القيام بالأعمال التي من شأنها إعلاء كلمة أهل البيت عليهم السلام فعلينا أولاً التعريف بأهل البيت عليهم السلام، هل في العالم الإسلامي كتب حول أهل البيت عليهم السلام تتناسب وهذا الزمان، وبلغة مناسبة أو لا؟ الغالب على تصوري هو عدم امتلاكنا لها بشكل تام، ولعل بعض الأشياء موجودة هنا أو هناك؛ فإن كانت كذلك يتعين علينا نشرها ووضعها في متناول الجامعيين والعلماء وعامة الناس والمتأثرين بالإعلام سواء تلك التي تحمل طابعاً احتجاجياً من قبيل تصنيف الكتب والمؤلفات أو القيام بالنشاطات الثقافية الواسعة التي من شأنها التعريف بشخصياتهم ورؤاهم وأفكارهم والعلوم التي وصلت عنهم.

إننا نمتلك الكثير على صعيد العلوم الاسلامية أي الأصول والمعارف والآداب الاسلامية عن أهل البيت عليهم السلام ما لوقدمناه اليوم إلى الدنيا لأثار دهشتها، من قبيل دراسة نهج البلاغة وتحليل وتفسير المطالب والمضامين المهمة والروايات الواردة فيه.

لدينا معارف رفيعة جمّة نطق بها أهل البيت تحمل اسم الإسلام الذي يطرحه أهل البيت عليهم السلام والبشرية المعاصرة بحاجة إليها[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه ، ١٣٧٠/١٢/١ .

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ١٣٧٠/٧/٥ .

٨ ـ اهمية معرفة الزمان والمكان في التبليغ

التبليغ يعنى بالأوضاع والظروف السياسية والأحوال العامة للعالم حتى على صعيد مسألتي الوضوء والغسل، أي إننا نغذي مخاطبنا المسلم بالتعاليم الإسلامية ونفهمه أن الفرد أو المجتمع إذا ما تمسك بالاسلام لن تضره حينذاك الهجمة العالمية التي تستهدفه، وهو ذلك الشيء الذي يضع الفارق بين عالم الدين المعاصر وبين نظيره قبل ١٠٠ أو ٢٠٠ أو ٥٠٠ عام مضت. وإن كنت أرى لو أن بعض العلماء كانوا قد انتبهوا إلى هذه المسائل قبل مئة أو مئتي عام لكان الوضع قد تحسن أكثر مما هو عليه الآن.

لقد وقع بصري على اثنين من العلماء المعاصرين لـ «فتح علي شاه» فتبادرت إلى ذهني مقارنة بينهما؛ كان أحدهما عالماً قوياً فقيهاً شهيراً كبيراً ليس لأحد فيه مغمز في علمه وتقواه استهل كتابه مشيداً بـ «فتح علي شاه»، وفي أواسط الكتاب يورد اسمه أيضاً في مواطن عديدة، كما أنه يمنحه الوكالة في كتاب الجهاد مثلما نمنح الوكالة لأحد الأفراد كي يستلم الأموال أو يقوم ببعض الأعمال؛ فكان ينوه في كتابه إلى أن «فتح علي شاه» ينوب عنه، مصرحاً: نظراً إلى أن هذا الملك الشريف و... يقاتل الروس حالياً فقد عينته وكيلاً عني وعلى الجميع اطاعته!

أما الآن إذا ما تفحصنا التاريخ ندرك مدى بلاهة وقذارة «فتح علي شاه» بدءاً بطبائعه الشهوانية وقساوة قلبه وانتهاءً بدناءته المتمثلة في تضييع ١٧ مدينة من مدن القوقاز والتوقيع على اتفاقية العار المسماة «تركمان جاي» في عهده؛ هذا هو «فتح علي شاه». وقتذاك بادر ذلك العالم الفطحل ـ الذي كما أسلفت لم يكن لأحد مغمز في علمه وتقواه ويسلّم كافة أعلامنا لا سمه؛ وكتابه أحد أشهر الكتب الفقهية على امتداد السنوات الـ ١٥٠ أو الـ ٢٠٠ الأخيرة ـ ونتيجة

لعدم إحاطته بالأوضاع والظروف ولم يلتفت إلى أن «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[1] وأنه لم يكن عالماً بزمانه، بادر إلى تعيين «فتح علي شاه» وكيلاً له!

وقد عاصر هذا العالم عالم فذّ آخر هو المحقق الميرزا القمي صاحب كتاب «جامع الشتات» الذي يضم كتاب الجهاد فيه أسئلة وجهت له لو تمعن فيها المرء يدرك أنها موجهة له من بلاط «فتح علي شاه»، فكانوا يطرحون عليه أسئلة من قبيل: بما أنكم نائباً للإمام صاحب الزمان (عجل الله فرجه) هل تأذنون لأحد بإدارة الحرب نيابة عنكم؟ وقد وجهت إليه مثل هذه الأسئلة كراراً ومراراً، فلم ينخدع هذا الرجل الواعي العارف بزمانه المحيط بالأوضاع والظروف ولو لحظة واحدة، فكانت ردوده الحاسمة تمثل باعتقادي شواهد على الوعي الذي يتحلى به عالم الدين والفطحل من الفقهاء.

ففي رده على أحد الاسئلة يقول الميرزا القمي: واضح أن من صاغ السؤال من أهل العلم، أي ان عقول الجهلة من أتباع الحكومة الحافين بـ «فتح علي شاه» قاصرة عن ابتكار هذه الحيلة عسى أن يحصلوا على وكالة له من الميرزا القمي، ثم يردف قائلاً: هذه مزحة حسابها عليكم! وهكذا يجيب على التساؤل ويفلت من مسؤولية منح الوكالة ويبين الحكم الشرعي بكل ذكاء. ومشهورة قصة الرغبة التي تتملك فتح علي شاه بأن يصاهره نجل الميرزا القمي وكذلك الدعاء الذي دعا به الميرزا القمي ولها تفاصيلها. ومرادي هو: لو أن علماءنا جميعاً ـ كلٌّ في زمانه ـ كانوا قد اتصفوا بمثل ما اتصف به الميرزا القمي لشهد وضعنا تحسناً خلال المئتي عام الأخيرة على أقل تقدير.

---

(١) بحار الأنوار: ٧٨/٢٦٩.

على أية حال، تلك أزمنة قد تصرمت ولا شأن لنا بما كانوا عليه، بل علينا اليوم بمعالجة وضعنا. وبناءً على ذلك خليق بالسادة العناية بالزمان ومعرفته وترويج الصائب وما يتطلع إليه العالم من الدين والتبليغ للإسلام باعتباره الدين الذي يمنح البشرية الحياة، وعليكم اليوم أن تعلموا أن اقتفاء خط الأئمة﵇ يتمثل في أن يشحذ الجميع هممهم لإحياء الإسلام ومذهب أهل البيت، فذلك ما يخلق من أبناء الشعب كيانات فولاذية ويحول دون اندساس العدو بين أوساطهم. اعملوا على ترصين أبناء الشعب وعلموهم الفرائض الشرعية من قبيل الزكاة والخمس وسائر العبادات، فتلك هي وظيفتنا وعلينا بذل الجهود في هذا السبيل[1].

في الظروف الحالية حيث الميدان مشرع من أجل التبليغ للإسلام وأيدينا مبسوطة وصوتنا يصل بقاع المعمورة، ينبغي للبرامج التبليغية ـ التي تضعها الحوزة العلمية في قم بالدرجة الأولى وتليها سائر الحوزات العلمية ـ أن تختلف عما في السابق. فالعمل التبليغي يوم كان نشاطنا التبليغي ينحصر في جلسة تضم ٥٠ أو ١٠٠ شخص أو ٥٠٠ شخص كحد أقصى في مسجد أو مجلس ويكفي لأن يتولى عالم واحد ـ سواء كان أمام جماعة أو خطيباً محترفاً ـ إلقاء المحاضرة عليهم، يختلف عما هو عليه اليوم حيث هنالك من يتطلع للعمل التبليغي في كل أنحاء العالم وفي بلدنا ومجتمعنا.

ما أكثر الشباب التواقين لفهم الدين، وما أكثر المثقفين والواعين الذين كانوا حتى الأمس القريب مبعدين عن الدين والمعرفة الدينية، لكن الجهاز الحكومي هو الذي يحثهم اليوم نحو فهم الدين ويحفز لديهم الاندفاع الديني،

---

(١) حديث قائد الثورة في حشد من علماء محافظة جهار محال وبختياري، ١٣٧١/٧/١٥.

فهؤلاء يريدون فهم شيء من الدين، وإذا ما قال لكم قائل: أريد أن أتعلم دورة من المعارف الإسلامية بشكل مختصر وموجز وعلمي، لا فني واستدلالي ولا هو بذلك الأسلوب المتبع مع العوام، وأريد منكم إرشادي إلى كتاب، فما هو الكتاب الذي سترشدونه إليه؟! ولو افترضنا وجود كتب جامعة بوسعنا تقديمها لغرض التعريف بحقيقة الإسلام فهي قليلة جداً.

ثم ان الاذواق والمستويات ليست سواء فإنكم تخاطبون الطالب بنمط من الخطاب، فيما تحدثون الأستاذ العالم الذي يريد فهم شيء عن الدين بأسلوب آخر، وتحدثون الاستاذ بالعلوم الإنسانية بأسلوب خاص، فيما تتبعون أسلوباً آخر في الحديث مع أساتذة العلوم الطبيعية والرياضيات، وتتحدثون مع من لم يطلع على مفردات الثقافة الأجنبية بأسلوب يختلف عن الأسلوب الذي تتخذونه مع من اطلع عليها، كما أنكم تعملون مع الطبقات الوسطى بأسلوب، فيما تتعاملون مع السواد الأعظم ممن لا وقت لديهم ولا طاقة لهم على التفكير بأسلوب آخر[1].

يجب أن تحملوا لكافة طبقات المجتمع الغذاء الفكري الضروري الذي يشد إيمانهم بالإسلام ويزرع فيهم الاشمئزاز من الذنب ويرغبهم في الثواب ويعرج بهم إلى حيث المنزل الإلهي[2].

جامعاتنا تعج اليوم بترجمة أفكار الفلاسفة والكتاب والمفكرين الماديين في الغرب وليس ممكناً الحؤول دون نفوذهم، فلا قدرة على ذلك كما أنه لا ينطوي على مصلحة، فلا بد أن تردنا الأفكار ويكون لها وجود، غاية الأمر أنه

---

(١) حديث قائد الثورة في بداية درس خارج الفقه، ١/١٢/١٣٧٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه علماء وأساتذة الحوزة العلمية بقم في المدرسة الفيضية، ١٣٧٠/١١/٣٠.

من الواجب مكافحة هذه الأفكار وتحصين شبابنا في مواجهة الأفكار الماركسية البراقة وتزريقهم بالمضادات لها، وهل قصر الماركسيون عن النشاط في هذا البلد؟! وهل قليلة هي الكراريس التي نشروها والسجالات التي خاضوها؟!

بيد أن مفكري الإسلام وعلماءه هم الذين استطاعوا المحافظة على شبابنا مقابل كل تلك الآراء الجذابة المبهرة الخادعة التي قليلاً ما يأتي الإنسان الماكر بمثلها، وكان من بين شبابنا من خاض صراعاً علمياً ضد الماركسية. لذا فإن أي فكر يطل الآن لا يضاهي تلك الأفكار في جاذبيته، فعلينا إعداد المناهج الكفيلة بالرد على الانحرافات والتحريفات والأضاليل التي تملأ الكتب على اختلافها على هيئة غذاء فكري، بل ولعلها تصدر جهلاً في كراسات وكتب الدراسة الجامعية وأحياناً أثناء الحوارات التي تبثها وسائل الإعلام وتنتشر بين أوساطنا الشبابية، فلابد من أن يتفرغ لها مجموعة من خيرة العلماء[1].

إنني أعتقد بأننا اليوم نتحمل مسؤولية جديدة قبال المنبر، ولابد أن يوضع نظام خاص وقاعدة وضابطة معينة من قبل من قضوا عمراً في هذا الفن وأصحاب الخبرة والفضلاء ومن لهم معرفة بشرائط الزمان ولهم باع طويل في هذا السبيل وخبروا أبعاده المختلفة، للحيلولة دون التفوه بما هو واهن وضعيف، وأن لا تحتل المفردة المعرفية عديمة الجدوى أو قليلتها مكان المعارف الغنية بفائدتها، ويتم الاهتمام بمقتضيات الزمان وحاجة الأمة للمعارف الدينية[2].

إن وسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وصحافة جميعها تخدم الإسلام وتبلغ له، بيد أن السيرة التي دأب عليها منبرنا في الجلوس أمام المستمع والتحدث إليه

(١) حديث قائد الثورة في ملتقى أئمة الجمعة في البلاد ، ١٣٧٠/٦/٢٥.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء والمبلغين على أعتاب شهر محرم ، ١٣٧٠/٤/٢٠.

وجهاً لوجه تمثل أمراً استثنائياً وفي غاية العظمة والأهمية فلا تضيعوه، وعليكم بمراعاة بعض الأمور خلال الأحاديث التي تصدر من على المنابر، وهي:

اولا: حاجة الأمة

يجب أن تلاحظوا أي شيء تشعر الأمة بمسيس الحاجة إليه لتعثروا عليه، فالجماهير اليوم بحاجة إلى الأخلاق، وإلى التعمق بالفكر الثوري كي تطلع على المباني والقواعد التي ارتكزت عليها هذه الثورة في قيامها، فعليكم أن تصبوا تفكيركم على حاجة الأمة هذه. وأفضل مصدر يرجع إليه في ذلك هو كلمات وتصريحات الإمام ـ رضوان الله عليه ـ وبعض الكتابات والأقوال القيمة التي صدرت عن أعلامنا على مر هذه السنوات الإحدى عشرة، ولأهل التحقيق الرجوع إلى القرآن الكريم والروايات الخاصة بحاكمية الإسلام وشموليته وكونه دين الحياة.

ثانيا: مراعاة الاعتدال

ويعني الاعتدال اجتناب الإفراط في كل شيء فالبعض يقعون في الإفراط حين ارتقائهم للمنابر، والإفراط مذموم من دون فرق في ذلك بين الجوانب الأخلاقية أو السياسية. وبديهي أن الجماهير بحاجة كبيرة إلى الأخلاقيات، ونحن بحاجة إلى ثورة أخلاقية لاقتلاع جذور الخصال البذيئة من أوساط الشعب وتنمية الأخلاق التي وردت مواصفاتها في الآيات القرآنية والروايات للمسلم الواقعي لدى أبناء الأمة. لذلك فإن الأخلاق تحظى بفائق الأهمية، ولكن ذلك لا يعني ان نمر مرور الكرام على وقائع العصر وقضايا الثورة ووقائع الحياة وتاريخ هذه السنوات الإحدى عشرة الزاخرة بالأحداث حين حديثنا عن الأخلاق مع الشعب[1].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه حشداً من فضلاء وعلماء وطلبة مدينة مشهد، ١٣٦٩/١/٤.

٩- ضرورة المعرفة الصحيحة لمعارف الإسلام وتاريخه من أجل التبليغ

يجب أن نعرف الواجب الذي نتحمله اليوم وأي دنيا نواجهها، فلا يقل أحدكم إنني أتولى إدارة مسجد صغير، فكل عالم حتى وإن كان يواجه شخصاً واحداً أو يخاطب مستمعاً واحداً يجب عليه رفده بالمسائل الإسلامية آخذاً بنظر الاعتبار الظروف العالمية والفهم الصحيح لهذه المسائل لأن هذا المخاطب الواحد يمثل جزءاً من هذا المجتمع الثوري المجاهد. وعليه أن يتزود بالأفكار الإسلامية النيرة ويتمتع بالوعي السياسي السليم والمفاهيم المعاصرة السائدة في العالم ورفد هذه الجموع المليونية بها، ولكن ليس من الضروري أن يتمتع بمثل هذه الأمور ذلك الذي يواجه بضعة أنفار أو من كان إمام جمعة في مدينة صغيرة أو عالماً في أحد المساجد.

على كل منا حيث يتحدث عن الدين أن يراعي مجموعة من الأمور:

أولاً: إتقان الكلام وتجنب الواهي منه، فكل ما ننطق ونتحدث به يخضع لمجهر الأعداء، وأن مخاطبينا اليوم يتعرضون لهجوم معادٍ من الناحية الفكرية والعقلية، وعلينا الحذر الشديد حتى لو تحدثنا مع الأطفال فلابد من الإدلاء بما هو صحيح وإيراد المضمون القوي الموثق.

ثمة فارق بين أن يتحدث الإنسان بأسلوب بسيط وبين أن يقول خطأً، فالبساطة في الحديث إنما تختص بذوي الذهنية البسيطة كالأطفال وعوام الناس البعيدين من المفاهيم وهي مطلوبة وضرورية بالنسبة لهذه الفئة، أما الخطل في القول فلا حيث يتوهم أحد اذا هم بالتحدث لمجموعة ما أنه لا يلزم البحث عن كتاب معتبر ويكتفي بما هو موجود من الكتب وإن لم تكن معتبرة!

إننا نعلم التلميذ في الصف الأول الابتدائي أن الحاصل من عملية الجمع «٢+٢» هو أربعة، وبعد عشر سنوات حيث يتقدم في علم الرياضيات أو بعد أن

يكون قد قطع أشواطاً مرموقة في فرع الرياضيات إذا ما جمع «٢+٢» فإن النتيجة ستكون أربعة أيضاً، أي إن ما علمناه إياه منذ البداية يبقى حتى نهاية المطاف واحداً. لذلك يفترض أن لا نقول لأحد شيئاً لو دقق فيه بعد تقدمه في التعليم وازدياد معلوماته وارتفاع مستواه الفكري وتحسنه سيجد أن ما علمناه إيّاه كان واهياً وسراباً، إذن فإتقان الحديث أمر ضروري.

وثانياً: الإلمام بأبعاد القضية، فإننا اليوم نبلغ لإسلام برز لمواجهته الاستكبار العالمي بقدراته المادية والتسليحية والتقنية والعلمية وجهاً لوجه، فهذه القوى العالمية الطائشة تناصب الإسلام العداء، ولا أقول إنهم يعادون الإسلام فقط ليتبادر إلى الأذهان التساؤل التالي: ما الذي تقولونه؟ أيأتي هؤلاء جميعاً ويبدلون الجهد لمحاربة الإسلام فقط؟ أجل، فإنهم يعادون الكثير من الظواهر غير أن عداءهم للإسلام مضاعف، فحيثما كان الإسلام ناصبوه العداء وهذا العداء ليس ابن يومه[1].

إذا ما أردنا أن نعظ الناس فإن لازمة ذلك بالدرجة الأساس اتعاظ نفوسنا، أي أن تهذيب النفس أمر لازم بالنسبة لمن تصدى للحديث باسم الدين كي يترك كلامه أثره، ولينطلق كلامه من صميم قلبه ويعضد عملُه قولَه ويكون شاهداً عليه لأنه يصبو للارتفاع بالمستوى الفكري للأمة فيما يتعلق بالقضايا الدينية، ويجب أن يتميز بسعة معلوماته ورؤيته الدينية وتنوعها، مأنوساً بالقرآن متعمقاً بالروايات عارفاً بما استجد من أفكار تتصل بالدين والمعتقد، ولا يقتصر تحقيقه على القضايا والأفكار الدينية، بل لابد أن يكون قد تذوق إلى جانبها طعم الأفكار الفلسفية والرؤى الاجتماعية وغنياً بالمعلومات[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في حشد من علماء محافظة جهار محال وبختياري، ١٣٧١/٧/١٥.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء والمبلغين على أعتاب شهر محرم ، ١٣٧١/٤/٢٠.

١٠ ـ التبيين العملي للإسلام أمام العالم المعاصر

ان ما تجسد اليوم في الجمهورية الإسلامية على أيدي العلماء لا يمكن حسابه كرصيد لعلماء زماننا فحسب فنقول إن علماء هذا الزمان هم الذين أبدعوه، كلا بل إن ما قام به علماء هذا العصر كان استثماراً لثروة هائلة من عرق جبين العلماء على امتداد ألف عام.

فلقد تجمع كنز عظيم من كرامة وعزة وهيبة علماء الشيعة على امتداد ألف عام وتبلور مع مرور الأيام فكان أن اغتُنم هذا الكنز في عصرنا وزماننا على يد هذا الرجل العظيم والإمام الكبير والشخصية الاستثنائية وسائر الذين تشرفوا بزي العلماء وغذّوا السير في هذا الدرب واستفادوا منه على أحسن وجه، ولكن ينبغي أن لا تنفد هذه الثروة؛ لذلك يتعين الحفاظ عليها أولاً، وإثراؤها ثانياً؛ فإن نضبت هذه الثروة التي وصلتنا عبر ألف عام ـ لا سمح الله ـ نتيجة الإهمال والغفلة والجهل بالزمان وبالتكليف والانحراف عن الخط العلمائي الأصيل، وإذا ما شُوّهت أو تصدعت تلك الجوهرة النفيسة التي تبلورت بعد جهاد وإخلاص نتيجة لتعاقب القرون والعصور والحقب، فإننا بحاجة إلى مديد وقت لكي تتهيأ مثلها. إذن فأول واجب نتحمله نحن المعممين ومن تزيّا بزيّ العلم والعلماء هو الحفاظ على تلك الكرامة والعزة ذات الألف عام، لقد كان نصيبها الثراء ـ والحمد لله ـ في غضون مرحلة الثورة نتيجة التضحية والإيثار وتألقت صورة علماء الشيعة بشكل متميز[1].

المسؤولية الملقاة على عواتق العلماء في ظل نظام الجمهورية الإسلامية مسؤولية استثنائية، سواء بالنسبة لنا على امتداد تاريخنا ـ أي اننا وطوال التاريخ العلمائي الشيعي وتاريخ الفقه الإسلامي لم نر مثل هذ الحقبة بحيث ينوء الفقهاء

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء على أعتاب شهر رمضان المبارك ، ١٣٦٩/١٢/٢٢.

والعلماء بمسؤولية تضاهي بثقلها ما يتحملون اليوم من مسؤولية ـ أو بالنسبة لسائر علماء الدين في أرجاء المعمورة، وذلك لقيام نظام في بلدنا ومجتمعنا قد تبلور على أساس الفكر الإسلامي والشريعة الإسلامية ويدار على أساسها أيضاً، وارتضى هذا النظام لنفسه المسير باتجاه التحقيق الكامل للشريعة والأهداف الإسلامية.

وهذا ما يقلل من حجم المسؤولية الملقاة على عاتق العلماء في سائر الأمصار الإسلامية وإن كان الذود عن حمى الدين واجباً عاماً، وإن سكوت علماء الدين قبال السلاطين وزعماء الجور المناهضين للدين وبوجه السياسات الاستكبارية شرقيها وغربيها أمر مرفوض، وإن الباري تعالى إذ أناط مهمة الدفاع عن الدين بعلماء الأمة وسراتها وهداتها فهو لم يحصره بزمن معين.

فالدفاع عن الإسلام والقرآن والشريعة يقع بالدرجة الأولى على عاتق العلماء في جميع الأقطار الإسلامية، وليس ثمة ظروف تزيح عن كاهلهم مسؤولية الدفاع عن حياض الدين المقدس فالجميع يتحملون المسؤولية، غاية الأمر أن مهمة العلماء في سائر البلدان أخف مؤنة ووطأة ولا يواجهون التعقيدات التي تتسم بها مهمة العلماء في ظل النظام الإسلامي، فهم لا يتحملون مسؤولية الدفاع عن المكانة العالمية للإسلام، فتكليفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحدود التي رسمها الفقه وبالقدر الذي يحقق التأثير أو ما استطاعوا إليه سبيلاً، بيد إن إدارة نظام وريادة شعب والانهماك في بلورة ورسم حياة لأمة من البشر على أساس الإسلام لهو عمل في غاية التعقيد والصعوبة والدقة، وذلك ما نتحمله نحن ويثقل كاهل العلماء في المجتمع الإسلامي.

ربما يعاني أولئك من بعض الصعوبات على صعيد الجهاد وتحمل الضغوط السياسية، لكن مهمتهم أخف وطأة وثقلاً بكثير من المسؤوليات التي يفرضها نظامنا للدفاع عن عزة الإسلام على الصعيد العالمي.

لنصدق حقيقة أن الجمهورية الإسلامية لو أساءت العمل أو تميز أداؤها بالضعف فإنها لن توجه ضربة لسمعة الجمهورية الإسلامية فحسب، بل الإساءة ستمتد إلى سمعة الإسلام ككل، فالمراقبون على الساحة العالمية ينظرون لنا على اننا بيرقاً وقبة ومظهراً للإسلام والمجتمع الإسلامي المثالي.

فهنا الوجه الخارجي للإسلام فإن كان أداؤنا هزيلاً سيئاً وعجزنا عن تطبيق الأحكام الإسلامية وعن إشاعة الأخلاق الإسلامية في أوساط المجتمع والعمل على استتباب العلاقات الإنسانية بشكلها المنشود، فسيكون حكم الدنيا بأن الإسلام هو الذي عجز. وإنكم تلاحظون أن هذه المسؤولية هي مسؤوليتنا نحن فقط وليست مسؤولية علماء سائر البلدان الذين يعيشون تحت ظل الأنظمة الأخرى، فهي خاصة بنا وحسب.

انقل هنا قصة ذكرها المولوي وهي قصة تمثل رمزاً وعنواناً، وإنني كلما تذكرتها يهتز لها كياني وأستجير بالله منها. يقول مولوي: في إحدى المدن حيث كان يعيش المسلمون إلى جانب النصارى دخل مؤذن قبيح الصوت محلة المسلمين وتولى الأذان عدة مرات، فكان سيئاً أذانه. وذات يوم دخل نصراني محلة المسلمين وسأل عن المؤذن أين هو؟ قيل له: وما تريد منه؟ قال: أريد أن أقدم له الشكر لأنه عالج لنا معضلة كبرى فأرشدوه إليه، ولما عثر عليه وهم بتقديم الشكر، سأله المؤذن: وعلامَ تشكرني؟ قال: إن لك دَيناً في عنقي لم يطوقني بمثله أحد، والقضية هي أن لي ابنة شابة قد شغفها حب الإسلام منذ مدّة واعتراها الجنوح نحو الإسلام ولم ينفع كل ما قمنا به من أجل استدراجها إلى الكنيسة، فكانت تمتنع ولا تشارك في المراسم التي نقيمها ولا تكترث لمعتقداتنا فعجزنا عنها، وخلاصة القول لقد أحسسنا بالإعياء معها، ولكن ما إن

رفعت صوتك بالأذان يومين أو ثلاثة وطرق صوتك سمعها حتى تساءلت: ما هذا؟ ومن أين هذا الصوت القبيح؟ قلنا لها: أذان المسلمين. ومنذ تلك اللحظة هيمنت علينا الراحة، إذ انخلع عن قلبها حب الإسلام كلياً، وها هي قد عادت الآن لتواصل حياتها الطبيعية وتحضر إلى الكنيسة لتؤدي المراسم فيها ونحن مدينون لك في ذلك، فأنت الذي أعدت إلينا ابنتنا!

لقد حدثت نفسي وإخواني مراراً بأن لا نكون نحن كذاك المؤذن فنخمد جذوة حب الإسلام في القلوب، ونقابل التساؤلات الكبرى التي تملأ الدنيا حول معرفة الإسلام بأجوبة منكرة وقبيحة. إننا نتحمل المسؤولية ومن ذا الذي يتحمل مثل هذه المسؤولية في العالم؟ لقد انطلقنا من أجل الإسلام وفي سبيل الله[1].

إن عجزنا عن تطبيق الإسلام بمعناه الحقيقي في المجتمع، وعجزنا عن إبراز العدل الإسلامي في جهازنا القضائي والحكومي، وعجزنا عن الحد من تداول الأغنياء للثروات ذلك المبدأ الذي يركز عليه الإسلام من خلال تجسيدنا لنظام اقتصادي سليم في المجتمع الإسلامي، ولم نقوَ على تجسيد الأخلاق والقيم الإسلامية في المجتمع، ونتيجة ذلك يُقام نظام يحمل راية الإسلام واسمه لكنه غير إسلامي بحقيقته ومعناه وقد يكون جاهلياً ـ وكل ما هو غير إسلامي فهو جاهلي وضلال ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾[2] ـ فإن كان الحال كذلك فسنكون حينها كذاك المؤذن ذي الصوت القبيح، فيؤدي صوتنا القبيح إلى إلحاق الهزيمة بالإسلام بدلاً من إعزازه وإكرامه!

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسيم بيعة أساتذة وعلماء وطلبة الحوزة العلمية في مشهد، ١٣٦٨/٤/٢٠.

(٢) يونس الآية: ٣٢.

حسناً، من الذي يقوم بمهمة الحيلولة دون وقوع ذلك؟ ومن الذي يتولى عملية تبيين الإسلام؟ ومن الذي يبادر إلى ملء الفراغ حيث تبرز الحاجة للمتصدي الكفوء المؤمن العارف المطلع على أسرار الإسلام، والقيام بدور إرشاد الأمة وتقديم النصح للحكومة وتذليل الصعاب بما يمتلكه من قدرة معنوية؟ إنها الطبقة العلمائية، لذلك فإن للحوزات العلمية دورها الطليعي[١].

لو أردنا إيجاز ما يتوجب عمله في عبارة فإن تلك العبارة هي الفقه الإسلامي، فعلينا تطبيق الفقه الإسلامي في أوساط المجتمع. والفقه الإسلامي لا يقتصر على الطهارات والنجاسات والعبادات، بل هو يمتد ليشمل الأبعاد المختلفة لحياة الإنسان الفردية والاجتماعية، السياسية والعبادية والعسكرية والاقتصادية وكافة جوانب الحياة البشرية، وهذا هو فقه «الله أكبر» الذي يدير حياة الإنسان أي يتولى تنظيم الفكر والعقل والقلب والروح وآداب الحياة والعلاقات الاجتماعية والعلاقات السياسية والوضع المعاشي والعلاقات الخارجية، فهل بإمكاننا استيعاب هذا الفقه في غضون ١٣ عاماً إن أردنا ذلك؟ والحال إن العمل أشد صعوبة من التعلم، فليس الأمر بتلك البساطة بحيث لو أردنا للمجتمع أن يتنزه عن الخطيئة فإن ذلك سيقع بمجرد إشارة أو ممارسة العنف[٢].

نظام الجمهورية الإسلامية بطبيعته نظام مرتبط بعلماء الدين والحوزات العلمية، وحيث إن لعلماء الدين النصيب الأوفر في إقامة هذا النظام ورجوع

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أساتذة وعلماء وطلبة الحوزة العلمية في مشهد، ١٣٦٨/٤/٢٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه علماء وأساتذة الحوزة العلمية بقم في المدرسة الفيضية، ١٣٧٠/١١/٣٠.

الناس إليهم فيما يتعلق بالنظام، وللمسؤولية التي يتحملونها في النظام لعدة اعتبارات وللمناصب التي يشغلونها فيه، يتحتم عليهم الإحاطة بأوضاع النظام وكيانه على ما هو عليه وأن يشخصوا النواقص ويعرفوا مواطن التطور وتحديد تلك التي تحتاج إلى مد يد العون، وتشخيص المواطن التي تثير اهتمام العدو ويستهدفها كي تستطيع أداء دورها الصحيح في ديمومة النظام.

فلا يسع الحوزات العلمية وعلماء الدين عدم الإطلاع على أوضاع النظام أو البقاء بعيداً عن أخباره أو تحمل هذا الجهل بأوضاعه[1].

١١ - ترابية العلماء وتقواهم

إن إيمان الأمة بعلماء الدين منبعث من التاريخ الطويل لعلماء الشيعة ونفوذهم وتأثيرهم في عقول الناس وإيمانهم، وما علينا إلا الحفاظ على هذا الإيمان. فلو تجرد العلماء عن زيهم وأخذوا يلهثون وراء السلطة وتظاهروا بها أو صدر منهم ما يستشف منه سوء استغلالهم لها، أو صدر عن أحد العلماء ما يوحي عن ضعف تلك التقوى والورع اللذين عهدهما الشعب فينا ولأجله منحونا ثقتهم، فإن الضربة الناجمة من أي من هذه الممارسات مما لا يمكن تلافيها، لذلك فإن الظرف الذي نعيشه اليوم ـ نحن العلماء ـ ظرف استثنائي يختلف عن مرحلة ما قبل الثورة، فما كان يصدر عن عالم الدين قبل الثورة صحيح أنه كان يعد خسراناً تسري آثاره إلى العلماء جميعاً، ولكن حيث إن النظام اليوم نظام إسلامي والعلماء هم مظهر الإسلام، فإن الخسارة لا تصيب طائفة من العلماء ولا حتى جميعهم، بل ستصيب الإسلام أيضاً ولن يكون من السهولة تلافيها بتلك السرعة، وهذا ما أردت قوله.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه علماء وأساتذة الحوزة العلمية بقم في المدرسة الفيضية، ١٣٧٠/١١/٣٠.

وكانت للإمام الراحل (قدس سره) توجيهات قيمة جداً في هذا الصدد، فلابد من التركيز على الحفاظ على الزي العلمائي، وعلى تلكم الأواصر القديمة المتعارف عليها مع الناس، والمحافظة على تلك الأفعال والممارسات التي كان يستشف منها التقوى والورع والإيمان والتمسك الشديد بالدين والاحتراز عن كل ما من شأنه تشويهها، وهذا ما ينبغي التأكيد عليه والاهتمام به. وخطابي لا يختص بالحاضرين فقط، بل هو يشملنا وجميع العلماء في أنحاء البلاد، فكل استنتاج عن أي عمل نقوم به وكل فهم عن حركاتنا وسكناتنا يحصل اليوم إنما هو مصيري[1].

العلماء إنما أضحوا أعزة في أعين الناس بالتقوى والورع والزهد بالدنيا، وليس ممكناً لهم العزة دون ورع ودون إعراض عن الدنيا[2].

تكليف العلماء ـ وأنا أحد الطلبة المنتمين لهذه الفئة الواسعة ـ يتمثل في مضاعفة التماسك المعنوي لطلبة العلم علمياً وعملياً، فكرياً وحركياً وظاهرياً ومن جميع الجوانب ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً؛ لأن عزة العلماء هي عزة الإسلام والثورة وبالذات هي عزة الإمام، وذلك للتبجيل والدعم الذي كان الإمام يوليه للعلماء. لذلك فإن أي تحرك يقوم به العلماء يتميز بتألقه ونفعه للإسلام والمسلمين ويكون مؤثراً مباركاً يعد عزة وذخراً للإمام، وإن كل تحرك يبرز في أوساط الفئة العلمائية والمعممين ويكون مدعاة للهزيمة ـ لا سمح الله ـ أو يفضي إلى حالة من التشكيك في أذهان الأمة أو ينجم عنه تشويش في معتقدات الجماهير وأفكارها، أو يثير انحرافاً في ثقة الشعب بالعلماء فإنه مصدر هزيمة للإسلام والثورة ـ وبالذات لإمامنا العزيز ـ ولابد من التصدي له[3].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العلماء والمبلغين ، ١٣٧٠/٥/١١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية ، ١٣٧٠/٥/٢٣.

(٣) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة علماء الحوزات العلمية، ١٣٦٨/٤/٩.

١٢ ـ الاهتمام بصلاة الجمعة

اننا نتقدم ونسير إلى الأمام في ظل نظام الجمهورية الإسلامية بفضل إيمان الجماهير ومعنوياتها وهذه هي حقيقة الأمر، وان إمكانياتنا وقدراتنا كبلد وكشعب جمة؛ فلدينا كل الثروات والقابليات وهذه القوى الإنسانية، ولدينا حالياً ـ والحمد لله ـ التجربة الثورية في قيادة البلد التي يتحلى بها مسؤولو البلاد، لكننا ـ قبل أن نستخرج تلك المصادر وقبل أن تتخذ صناعتنا شكلها المنشود وقبل أن تجري التنمية في بلادنا بشكل صحيح ـ نمتلك شعباً ظل مؤازراً لمسؤوليه خلال جميع المواقف برضاه وبقبوله وبدعمه. وهذا الشعب ـ بالرغم مما يتحلى به من شموخ في الإيمان ـ قد يتزعزع إيمانه في بعض الحالات بفعل النواقص وحالات القصور وبفعل بعض الإيحاءات التي يثيرها الأعداء، أو حتى الأصدقاء في أذهان أبنائه.

إيمان الشعب ومعنوياته هي التي حافظت في واقع الأمر على هذه القلعة، ولكن من الذي يحافظ على إيمان الشعب ومعنوياته؟ إنني أرى أن صلاة الجمعة وخطبها من أهم عناصر المحافظة على الإيمان والروح المعنوية لدى الجماهير، فالتواجد المعنوي للشعب في عرصات صلاة الجمعة وتواجد ذلك الإنسان الأمين واللسان الصادق الذي ترتضيه الجماهير ليحدثها عن أوضاع البلاد ويقدم لها المواعظ ويصحح لها المسار، هو باعتقادي واحد من مرتكزات الحفاظ على نظامنا الاجتماعي.

وهذا هو الحال على مر التاريخ حيث كان أئمة العدل في الصدر الأول للإسلام ومنهم الرسول الأكرمﷺ وكذلك خلفاء الجور من بني أمية وبني العباس ـ وهذا ما لمسته في ثنايا التاريخ ـ يستثمرون صلاة الجمعة لتدعيم مرتكزات حكوماتهم، وذلك ما يقوم به الخليفة بنفسه أو ولاته في الأمصار الإسلامية.

أما أولئك الذين لم تكن صلاتهم صلاة حقيقية، ولم يترتب أثر حقيقي على دعوتهم لالتزام التقوى نتيجة أعمالهم البعيدة عن الورع، فإنها في الوقت نفسه كانت تترك أثرها ففي بعض الأحيان أتصفح خطب الجمعة التي كان يوردها بعض هؤلاء الأمراء أو خلفاء بني أمية أو بني العباس أو ولاتهم فأجد فيها بالغ التأثير، وإن كان حكمهم حكماً باطلاً قائماً على أساس الظلم والتفرقة وأعمال الفسق التي يقوم بها الولاة أنفسهم من قبيل الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان والياً على العراق يومها أو غيره.

أهمية هذا المنبر وحساسيته بهذا المستوى، واليوم حيث قام نظام حق يرتكز على مبنى الإمامة والولاية الحقة، وإن المتصدين لإمامة الجمعة هم في الحقيقة أناس يتحلون بالإيمان والصدق والنزاهة عن الأطماع والغنى المعنوي والروحي، ولا طمع لهم بالسلطة والتسلط ولا يرون في عملهم هذا منصباً دنيوياً، فإن لهذا المنبر ـ وبمثل هذه الظروف ـ آثاره الاستثنائية المرموقة في الحفاظ على القوام المعنوي والبناء الآمن للمجتمع، ولولاه لم أدرِ إلى أين سيؤول وضع الثورة والوضع المعنوي للشعب!

إنه واحدة من بركات الثورة التي كانت تحظى باهتمام الإمام، فمنذ بدايات تنصيبي لإمامة الجمعة في طهران حضرت عند الإمام واقترحتُ عليه إقامة هذا المحفل المتمثل بهذه الندوة وتنظيم أئمة الجمعة وقلت له: الآن حيث نمتلك في أرجاء البلاد من العلماء ـ ولم يكن عدد أئمة الجمعة وقتذاك بذلك القدر الذي يعتد به ـ المتصدين لإمامة الجمعة، وهذا ما يمثل شبكة معنوية واسعة تسهم في إدارة المجتمع معنوياً وتحافظ على البناء الإيماني للبلد، فهلاّ وافقتم على إيصال هذه الشبكة مع بعضها، فإن أفلحنا في إقامة شبكة شاملة تضم أئمة

الجمعة ـ أي شد الأفراد مع بعضهم إن شاء الله ـ نبادر فيما بعد لإقامة مؤتمرات تجمع هذه الشبكة مع أئمة الجمعة في العالم الإسلامي. فسرّ لذلك كثيراً ورحب بالفكرة، فتوجهنا إلى قم وعقدنا المؤتمر الأول في مكتبة المدرسة الفيضية، فكان ذلك هو الأساس ـ والحمد لله ـ واستمر العمل إلى يومنا هذا.

هذا التنظيم لمنصب إمامة الجمعة والنظر لهذه الكتلة على أنها بناء معنوي وإيماني للبلد والشعب هو في غاية الأهمية وينبغي عدم الغفلة عنه أبداً، غير ان هذه الشبكة ستتحول إلى حقيقة وتستطيع العمل كبناء حقيقي متى ما اتخذت هذه الاجتماعات طابع التنظيم والمواصلة.

إنني أؤكد وصيتي بأن لا تتوقف ملتقيات أئمة الجمعة سواء تلك التي على مستوى المحافظات أو ما بين المحافظات ـ فقد تعقد المؤتمرات أحياناً على مستوى مجموعة من المحافظات ـ وأن لا تتعطل أبداً وأن تجري بشكل منتظم. كما انني أكدت في وصيتي لأعضاء الأمانة العامة ـ لمكتب أئمة الجمعة ـ أن تصب المساعي لأن يتخذ ملتقى أئمة الجمعة سياق المؤتمر الحقيقي المبرمج زمنياً وتنظيمياً ويوضع بنظر الاعتبار على أنه عمل جاد، لا كاجتماع عادي نجلس فيه وهنالك من يتحدث إلينا.

فالمؤتمر هو ذلك المحفل الذي يجتمع فيه أناس لبيان القضايا المتعلقة بتلك الثلة بشكل تحقيقي وأصولي كي تتبلور لدى الجميع رؤية واحدة إزاء القضايا المشتركة بينهم ويتخذوا مسلكاً واحداً وتتم الاستفادة من تجارب وتحقيقات بعضهم، أي ان المجموعة تتحد في سياقها وترتقي بمستواها.

والمؤتمر الواقعي يجب أن تتوفر فيه ميزتان: أولاهما: أن يوحد المجموعة من حيث السياق ويقرب فيما بينها من حيث المستوى. والثانية أن يرتقي

بمستواها العام أي إن كل مؤتمر يعقد يجب أن نلمس فيه اضطراداً في قوام وتماسك البناء المعنوي لصلاة الجمعة ومنبرها في المدينة التي تقطنون فيها أكثر من السابق؛ بمعنى أنه يترك أثراً مباشراً على هذا المنبر، ومن ثم نقوم بربط هذه المؤتمرات ـ بإذنه تعالى ـ بالمؤتمر العالمي لأئمة الجمعة الذي لم يعقد منذ مدة، وهو أمر في غاية الضرورة والفائدة[1].

المؤمل من منبر الجمعة في أي مدينة لا يقتصر على أن نقوم بإعداد موضوع معين ومن ثم بيانه من على المنبر، بل المؤمل يفوق ذلك بكثير ويتمثل في القيام بدور الطبيب الذي يبحث عن المريض لتشخيصه ومن ثم يعاني الصعاب من أجل توفير الدواء، ثم يضع هذا الدواء على الجرح أو يسقي المريض منه.

فعليكم أنتم القيام بعملية الإسقاء، إذ ليس تكليفنا أن نقول: لقد بلّغنا ومن أراد العمل فليأت ويعمل، ففي هذه المرحلة حيث الحكم بأيدي المسلمين، وعبء إدارة المجتمع قد ألقي على عواتقنا ولاسيما أن أعداءنا جميعاً يسعون لمحو المفاهيم الإسلامية من العقول، فلا يتوقف تكليفنا على الحديث، فإن مضى أثره فبها ونعمت وإلا فلا، وما علينا إلا أن نقول كلمتنا وكفى. كلا، بل علينا أن نوصل كلمتنا إلى القلوب﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْـبَلاَغُ﴾[2]، فالبلاغ هو المهم وعلينا أداؤه، وليس مقبولاً القول أننا نرمي في الجو فمن تلقّفه فبها وإلا فلا.

إنني أرى هذا الأمر مشكلة واقعة وإن كنت على علم بجهود السادة وأعمالهم، فإمام الجمعة في المدينة يمثل معقد الآمال وملتقى المراجعات،

---

(١) حديث قائد الثورة في حشد من أئمة الجمعة في البلاد، ١٢/٤/١٣٦٨.

(٢) النور الآية: ٥٤.

وعمله ذو طبيعة شعبية إدارية سياسية وتطالبه الجماهير بحل الكثير من المشاكل، بل إن البعض من ذوي الآفاق الضيقة يرون المشكلات بين عينيه لمجرد ارتدائه للعمامة! وبعض المسؤولين في الدولة من المعممين أيضاً.. إنني أعلم بذلك، ولكن لابد من التغلب على هذه المشكلات وتشخيص التكليف الجوهري[1].

العلماء هم اليوم معقد آمال الشعب وسنده المعنوي، وأئمة الجمعة أجلى مظهر للعلماء في أرجاء البلاد. وبطبيعة الحال هنالك في الحوزات والمحافل العلمية أساتذة وأساطين ومراجع، بيد أن ما يمثل العمومية في بعض مناطق البلاد وعلى مستوى البلد هو إمام الجمعة الذي يعد ممثلاً للعلماء وللنظام أيضاً، وذلك لإسلامية النظام. لذا يتحتم التواجد في هذا المركز والمحفل المهم في ضوء هذه الرؤية وهذا الاستنتاج والتوجه، وعلى أساس ذلك يجب أن يتم انتقاء الموضوع والتحدث إلى الشعب به.

يجب العمل على إثراء منابر الجمعة بالجاذبية واستقطاب الشبيبة نحوها، ويجب الاحتراز عن كل ما ينفر الطباع السليمة وتجنب كل ما من شأنه استلاب خصلة الإيمان بعالم الدين.

فمن الواجبات الرئيسية التي يتحملها العلماء هو المحافظة على هذا الإيمان وذلك للتلازم المتواصل بين الإيمان بالعلماء والإيمان بأصل الدين، وقليل هم الذين كانوا يرفضون العلماء وفي نفس الوقت يتمتعون بإيمان صحيح ومحكم بأصل الدين. زعم البعض ذلك، لكننا وجدناهم قلة قليلة، فعن هذا الطريق فهِمَ الناسُ الدين، فلابد أن يقترن إيمانهم بالدين بالإيمان بهذه الطائفة[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في ملتقى أئمة الجمعة في البلاد، ١٣٧٠/٦/٢٥.

(٢) حديث قائد الثورة في ملتقى أئمة الجمعة في البلاد، ١٣٧٠/٦/٢٥.

١٣ ـ مسؤولية الإذاعة والتلفاز في تثقيف الناس والتصدي للثقافة المستوردة

ليعلم كل من يلتزم عملاً في الجمهورية الإسلامية ـ سواء كان العمل ثقافياً أو اقتصادياً أو خدمياً سليماً ونافعاً ـ أنه يعمل في سبيل الله ويؤدي حسنة، إذن فلم يذهب عمره هدراً، فيوم فيه عمل وآخر إسداء منفعة للشعب وثالث مدّ يد العون لرفد المسيرة التكاملية للمجتمع..

هذه هي الثقافة الإسلامية، لا ما يشاهده المرء في بعض البرامج التي تعرضها الإذاعة والتلفزيون والتي تصور إنساناً يستحوذ عليه الشعور بذهاب عمله هدراً وعمره سدىً بعد ثلاثين عاماً، فتلك ثقافة لا تمت للثقافة الإسلامية والقرآنية بصلة، فثمرة ثلاثين سنة من العمل هي أنكم قطعتم شوطاً أمده ثلاثين عاماً إلى الأمام بهذا الشعب، وسجلتم رصيداً من ثلاثين عاماً عند الله سبحانه، وسرتم ثلاثين عاماً إلى الأمام إن كنتم قد أحسنتم العمل. تلك هي الثقافة الإسلامية والقرآنية التي ينبغي أن تنعكس مفاهيمها عبر ما نقدمه من فن وعروض وأفلام وسينما وبرامج إذاعية.

لا أدري متى يعرف قطاعنا الفني الحكومي مكامن الفكر الإسلامي، فلماذا يكتبون المضامين الفنية خطأ ويقدمونها غلطاً ويتكلمون شططاً؟! فليس هذا من منطق الإسلام أبداً، بل الإسلام يصرح بأنك أيها العامل حيث تعمل بدافع من وجدانك الصالح وبنية خالصة، وأنت أيها المعلم إذ تلقي درسك بدافع الشعور بالمسؤولية، ويا أيها الموظف إنك إذ تجهد من أجل تطوير المجتمع وحل معضلاته فإن كل ساعة من عملكم بمثابة حسنة ورصيد لكم عند رب العالمين، وإن كل ساعة من عملكم إنما تسير بهذا الشعب ساعة إلى الأمام، وفي مثل هذه الحالة لن يعتري الإنسان الشعور بالملل والكلل من هذا العمل.

ليعلم معلمو البلاد والعاملون في المصانع والمزارع والحرفيون والمحققون والموظفون في المؤسسات التنفيذية والمدافعون عن حمى الأمن الوطني وكل من يتحمل مسؤولية مثل هذا العمل في أية بقعة من هذا الوطن الإسلامي أنهم يعيشون حالة عبادة. والملاحظة المهمة هي أن المسافر حينما يحط رحاله وسط الطريق في واحدة من المحطات بعد قطعه لمرحلة من السفر، إذا ما راوده الشعور بانتهاء مهمته فإنه سيتوقف، وهكذا الحال بالنسبة للمجتمع الإسلامي الذي يسير باتجاه هدف ويقطع مسيرته هذه مرحلياً، وها هو قد تخطى مرحلة الصراع ـ مع العملاء في الداخل ومع الاستكبار ـ بخير وسلام[1].

الهدف من الإذاعة والتلفزيون

هدفنا البلوغ بالإذاعة والتلفزيون إلى المستوى الذي تصل جميع برامجها مرحلة التكامل عبر تحقيق التطور الأمثل نوعياً لترسيخ الفكر الإسلامي الأصيل وما يلحق به من أخلاق وعمل وغرسه في حياة المخاطبين، أي أن تكون هذه الميزة هي الغالبة على برامج الإذاعة والتلفزيون منذ اللحظة الأولى لتشغيلنا المذياع ومنذ مباشرة التلفاز بث برامجه وحتى آخر المساء، بدءاً من عناوين البرامج ومروراً بالموسيقى التي تتخلل الأفلام وغيرها من البرامج وسيماء المذيعين ومقدمي البرامج الذين يظهرون على الشاشة، وانتهاءً بالنغمة التي يتكلم بها المذيعون ممن تسمع أصواتهم. ينبغي أن لا تخرج البرامج جميعها عن دائرة هذه المواصفات، لذلك فإن العمل من الأهمية بمكان[2].

الهدف من الإذاعة والتلفزيون إنما هو صناعة الإنسان المؤمن بالإسلام والثورة ليس إلاّ، أي ليس هناك هدف أسمى وأكثر شمولية من هذا الهدف

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من العمال والمعلمين ، ١١/٢/١٣٧٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء لجنة التخطيط في الإذاعة والتلفزيون، ١٤/١٢/١٣٦٩.

وإن كان يستبطن أهدافاً أخرى، فإننا نطمح للتأثير على مخاطبنا، وإنكم لا تعثرون في العالم على إذاعة وتلفزيون يقدم ما من شأنه ملء الفراغ وحسب ربما تكون هنالك محطات تجارية وقنوات تلفزيونية تقتحم بيوت الناس لتبث الأفلام التي لا همّ من ورائها سوى قضاء الأوقات واستقطاب الزبائن وكسب الأموال، غير أن محطات الإذاعة والتلفزيون الحكومية ترسم لبرامجها أهدافاً، وحتى لو ملأوا الوقت بما هو لهو فإن لهذا اللهو فلسفته أيضاً.

لا يمكن للإذاعة والتلفزيون في الجمهورية لإسلامية أن تكون أفلامهم بلا هدف، بل هدفها التأثير على المخاطبين والأخذ بأيديهم للرقي إلى مستوى ذلك الإنسان الذي يصبو الإسلام والنظرية الثورية الإسلامية لبنائه وبلورته. أوَ يسع الإذاعة والتلفزيون بما هي عليه من عظمة وقوة تأثير أن تنحاز جانباً عن هذا الهدف؟! عليها أن تقف في صميم هذا الهدف، بل الإذاعة والتلفزيون هي الوسيلة الإعلامية الأهم والأكثر تأثيراً لتحقيق هذه الهدف[١].

نظراً إلى أن جيلين أو ثلاثة قبعوا تحت ظلال حكم الأسرة البهلوية الثقيلة المشؤومة حتى انتصار الثورة الإسلامية، فإن فئة قد ولدت على هذه الثقافة ولم يدركوا قبحها، ولم يتذوقوا السلامة والنقاء العامر بهما الجو الإسلامي الأصيل، فيما عجزت وسائلنا الإعلامية عن أن تبين لهم مواطن الخلل في الثقافة الغربية، وهنا تتضح مسؤولية الإذاعة والتلفزيون في بيان مفاخر الثقافة الإسلامية على كافة الأصعدة وبالذات في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة ومنزلة المرأة في المجتمع.

إن الإذاعة والتلفزيون تتحمل مسؤولية باهظة، فهي ليست جهاز لهو وإنما هي جهاز تعليم، والعالم بأسره اليوم يستثمر الإذاعة والتلفزيون لغرض التعليم.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء قسم التاريخ في الإذاعة والتلفزيون، ١٣٧٠/١١/٨.

والصهاينة هم أولئك الذين يستخدمون هذا الجهاز بعلم وتدبير، حيث ينفقون الأموال الطائلة والمليارات من الدولارات في كل عام لتأسيس محطات الإذاعة والتلفزيون وتدريب عناصرهم، ولكن ما يعلّمون؟

إنهم يعلّمون ما يصبون إليه، ذلك هو الفساد الذي يتناغم مع الظروف الاجتماعية السائدة في الدول الرجعية التي يقف على رأس السلطة فيها الفاسدون من الحكام والمستعمرون وأذنابهم.

ماذا تعلّم الإذاعة والتلفزيون الناس؟ إنها الغفلة واللامبالاة والشهوانية والإباحية والإدمان، فلو إنهم لم يعلّموا الناس هذه المفاسد وتربى الناس على ثقافتهم الوطنية والإسلامية والدينية ـ أي دين كان ـ لما استطاعت القوى الكبرى والمستعمرون وحكام الجور التسلط عليهم بسهولة.

فخذوا أياً من الإذاعات الأجنبية ستجدونها تعجّ بالفساد، فما يعلّمون الناس إلا الغفلة واللامبالاة وعدم الاكتراث بأمور الحياة والمجتمع، ولعلهم يدسّون إلى جانب ذلك بعض العبارات من العالم الفلاني أو المقولة العلمية الفلانية ليعلموها الناس، بيد أن جوهر القضية يكمن في الجانب الآخر. ومحطات الإذاعة والتلفزيون التي تدار من الخارج مستهدفة الأقطار الإسلامية ولاسيما بلدنا مشغولة هي الأخرى بالتلقين. فهذه الوسائل الإعلامية إنما هي آلة تعليم وبيان وسوق للقلوب والعقول والأرواح بالاتجاه الذي يصبو إليه القائمون على هذه الوسائل الإعلامية.

يجب أن تغدو الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية الإسلامية وسيلة للأخذ بيد الجماهير صوب الثقافة الإسلامية وتعريفها بالإنجازات الإسلامية والإنسانية، وليس لها أن تكون على غير هذا أو تبث ما يتنافى معه أو يغايره.

على الفنانين والكتاب والمذيعين والمنفذين والمنتجين والممثلين جميعاً التضافر لإنتاج المفاهيم الإسلامية الثرية الزاهرة على هيئة برامج فنية تتعلم منها الجماهير، فإذا ما قلنا على الإذاعة والتلفزيون أن تمارس عملية التعليم، فلا ينصرف الذهن إلى المحاضرات فقط، فالتعليم لا ينحصر في المحاضرة أو من خلال طاولة الحديث أو في التدريس، فلابد أن تستخدم الإذاعة والتلفزيون البرامج الفنية والأفلام والعروض التمثيلية وشتى الأعمال الفنية لتعليم المفاهيم الإسلامية والإفصاح عن القيم الإسلامية في المجتمع، وفي غير ذلك فإن الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية الإسلامية ليست إسلامية![1].

على الإذاعة والتلفزيون بيان التوجهات الأصولية للنظام بكل ما لديها من صلابة واقتدار وبراعة، ويجب أن تراعى هذه القضية في كل ما يدور من حوارات وما تبثه هذه الوسيلة الإعلامية ويطرق أسماع وقلوب المستمعين، فانظروا ما هي توجهات النظام الأساسية ونقبوا عنها ثم قوموا ببثّها ..

يجب عرض المفاهيم والمعارف الإسلامية على حقيقتها، وبالإضافة إلى ذلك على الإذاعة والتلفزيون العمل على خلق التدين لدى الجماهير، فمن الواجبات التي ينبغي للسادة الاهتمام بها هي أن يتحولوا صناعاً للمتدينين أي أن يقوموا بما من شأنه أن يحول المستمع إلى متدين حقيقي وراسخ حين سماعه لحديثهم. ومن التوجهات الأساسية الأخرى هي مناهضة القوى الاستكبارية، ولعل الوضع ليس كما في السابق حتى يقال شرق وغرب فلم يعد لهذا التصنيف من معنى، ولكن لابد من أن يبقى العداء لهذه القوى مشهوداً في جميع برامج الإذاعة والتلفزيون أي معاداة أعداء نظام الجمهورية الإسلامية.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه الأطباء والمرضين، ١٥/٩/١٣٦٨.

من المبادئ الأساسية تكريم الإنسان واحترام منزلته في نظام الجمهورية الإسلامية ـ والذي يعد واحداً من مزايا الإسلام ـ وإرشاد الإنسان ووضعه في المكان اللائق به وتنمية طاقاته بالاتجاه الذي يخدم الأهداف السامية، ذلك على سبيل المثال لا الحصر وإلا فهي تزداد إن أردنا إحصاءها. وكذلك من المبادئ الأساسية دعم الحكومة سياسياً، ولابد أن يكون ملموساً في كافة البرامج سواء كانت خبرية أو اقتصادية أو سياسية، وذاك هو عين التوجه الذي دأب عليه الإمام على مدى حياته المباركة، إذ كان ملتزماً بمساندة أية حكومة تتولى زمام الأمور وفي كل المراحل.

وإنكم تعلمون أن بعض الحكومات عندما تركت العمل كانت موضع سخط الإمام والأمة، لكنها كانت موضع دعم من لدن الإمام مادامت متصدية للأمور، ومازلنا نتذكر دعم الإمام لبعض رؤساء الجمهورية أو رؤساء الوزارات في بداية انتصار الثورة، فلم ذاك؟ لأنها كانت حكومة قائمة ومسؤولة.

إن الإذاعة والتلفزيون ملك الشعب والحكومة، وهي تدار بأموال الشعب وتمثل أعظم مصلحة له لا يمكن إهمالها والتضحية بها[1].

الأبعاد الواسعة لمهمة الإذاعة والتلفزيون

إذا ما أردنا بناء مجتمع إسلامي فليس السبيل منحصراً في بث برامج تلاوة القرآن أو برامج تفسير القرآن أو توضيح الأحكام الشرعية بشكل دائم عبر التلفزيون، بل لذلك سبله في ضوء الرؤية الإسلامية فيما يتعلق بالإنسان المسلم الذي لا تقتصر معرفته على معرفة أحكام الإسلام بل هو ذو أبعاد، فعلمه ورؤيته وبصيرته وطاقاته الذاتية والروحية والبدنية ومعلوماته الواسعة وشعوره بالتفوق

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مسؤولي الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٣٦٩/٥/٧.

في ميادين الحياة كل هذه عناصر ذات دخل في بناء الإنسان، وعليكم أن تضعوا عدة سبل نصب أعينكم وتضعوا لكل منها حسابه حتى تبلغوا هذا الهدف، لكن الأصل هو أن لا يطوي النسيان هذا الهدف أو يطاله النكوص أو يحدث ما هو نقيض له، وهذا هو أساس القضية[١].

عليكم مراعاة الأبعاد القيمة في أدبياتكم، لأن مبتغى الإذاعة ووسائل الإعلام وكل هذه المنظومات والحوارات ومساهماتنا وما يقوم به الجميع هو أننا نصبو للارتقاء بهذا النظام إلى مرحلة الكمال بنحو أفضل إسلامياً وإنسانياً والاقتراب به من أهدافه السامية، وليس من هدف سوى ذلك.

حينما يقوم الشعب بحركة عملاقة وثورة جبارة ويقيم الجمهورية بهذه العظمة ويذود عنها بوجه كل تلك الهجمات فإنه يتطلع إلى أهداف، فلابد له من التحرك نحو هذه الأهداف بكل ما أوتي من قوة. فرب مساعيَ تجري لإهدار هذه الأهداف في واحد من المرافق فعلينا المبادرة للتعويض عنها، والأدب والفن من المرافق التي بوسعكم بذل المزيد من الجهود عن طريقها.

ضعوا الأبعاد القيمية للنظام نصب أعينكم واعملوا على إلغاء الأمور التي تتعارض مع قيم النظام، ولحسن الحظ فإن ما تحدثتم عنه من آداب قديمة عندنا تصب جميعها في اتجاه القيم الإلهية والإسلامية[٢].

انظروا ما هي قيم الإسلام والثورة وخذوها، ولتكن البرامج الفكاهية والترفيهية والكوميدية كلها تصب في هذا الاتجاه أيضاً[١].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مدراء القناة الثانية في تلفزيون الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٣٧٠/١١/٧.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه قسم الثقافة والأدب والفن في تلفزيون الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٣٧٠/١٢/٥.

مراعاة الأصول في برامج الاذاعة والتلفزيون

هناك خللان كانا يطغيان على قضية المرأة في السابق، أحدهما: أن شأن الحجاب كان في طريقه إلى الزوال، والادهى من ذلك أن الأدوار التي كانت تناط بالمرأة في البرامج الإذاعية والتلفزيونية كانت أدواراً مشينة، والحجاب هو الذي أصبح موضع تشكيك بسبب هذا الخلل.

أما في مجال الخلل الثاني فإن التشكيك كان قد طال القيم الإنسانية للمرأة برمتها، فإذا ما رويت قصة كانت طبيعتها غرامية تؤدي فيها المرأة الدور الذي يرسمه الصهيونية والاستكبار، ولا تغلب عليه صورة الأم أو الزوجة الصالحة أو الإنسانة الفاضلة إلا ما ندر، لذلك يتعين العمل لإزالة هذين الخللين.

يجب أن نقدم المرأة موشحة بالحجاب مكللة بالقيم التي يراها الإسلام والثورة لها، والقضية الأهم أن تتجلى طهارة المرأة وعفتها وأنها عنصر رئيسي وركن أساسي في الأسرة، وعضو أساسي وركن جوهري في نشاطات المجتمع، ودورها وتأثيرها في تكامل المجتمع وتكامل الرجال وفي الوقائع التي جرت من قبيل أحداث الثورة والحرب. كل ذلك يجب أن يتجلى في الأفلام والمسلسلات وفي الشعر والموسيقى وفي كافة البرامج التي يجري إعدادها(٢).

اجعلوا من الإذاعة والتلفزيون جامعة لتدريس أصول الإسلام الثوري.. وهذا هو فهمنا للإذاعة والتلفزيون.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء القسم الاجتماعي في إذاعة وتلفزيون الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٣٧٠/١١/٢٩.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء لجنة التخطيط والمسؤولين التنفيذيين في الإذاعة والتلفزيون، ١٣٦٩/١٢/١٤.

عندما يعبر الإمام عن الإذاعة والتلفزيون بـ «الجامعة» فإن ثمة شيئاً يدّرس في الجامعة، فماذا تريدون أن يدّرس في هذه الجامعة؟ ما يجب أن يدّرس في هذه الجامعة عبارة عن رسالة وقواعد ومفاهيم ودروس الإسلام الأصيل الثوري الحقيقي، وهذا ما نطمح إلى الوصول إليه في الإذاعة والتلفزيون[١].

تطوير برامج الاذاعة والتلفزيون

يجب أن تكرس الإذاعة والتلفزيون لخدمة فكر الثورة والإسلام وترسيخ هذا الفكر بكل أبعاده في أذهان أبناء شعبنا وأفكارهم وأرواحهم وأعمالهم وكذلك سائر الشعوب الواقعة في مديات البث الإذاعي والتلفزيوني، وأن تتحول إلى آلية للرقي والاستفادة من كل برنامج تبثه الإذاعة والتلفزيون وإن كان ذلك عملاً شاقاً.

كما يجب أن يكون المضمون مفيداً لا بالمعنى السطحي للفائدة بأن ينبري شخص لإلقاء درس فيها، وإنما الفائدة بمعناها العميق المنمي والمربي لروح المخاطَب وعقله الذي يرسم له طريق النشاط والحياة، وهذا ما لا يتيسر بطبيعة الحال إلاّ إذا اتخذت الأطر والصيغ الطبيعية التي تتناسب وأهمية هذه المسؤولية وعظمتها.

على أية حال، يجب أن ترقى الإذاعة والتلفزيون إلى هذا المستوى، وكل ما هو أدنى منه فهو قليل، وهكذا يأتي الفهم والاستنتاج بأن على الإذاعة والتلفزيون أن تكون في كل يوم أفضل من أمسها؛ أي يصدق الحديث «**من تساوى يوماه فهو مغبون**»[٢] بشأن الإذاعة والتلفزيون ..

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مسؤولي الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٣٦٩/٥/٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٢٢٠.

إذن فإذا ما كان يوم الإذاعة والتلفزيون كأمسهما فإننا بالتأكيد لسنا نتحرك باتجاه الكمال وبعيدون عن المسؤولية[1].

مهمة الاذاعة والتلفزيون في التصدي للاعلام المعادي

هـذا الجهـاز الحسـاس والبـالغ الأهمـية (إذاعـة وتلفزيـون الجمهوريـة الإسلامية) الذي كان إمامنا الكبير يعتبره جامعة تتجاوز في مداها بلدنا وشعبنا، يضطلع بمسؤولية الإرشاد الفكري والثقافي والسياسي وبيان الإسلام والتصدي للمؤامرات الإعلامية، ويجب أن تكون فيه (الرسالة، والفن، وانتقاء الخطاب، والموضوع المناسب والنقي من كل معلم باطل) هي العناصر الأربعة التي يجب أن يضعها المدراء والعاملون والمبرمجون نصب أعينهم.

وعلى صعيد التنوع في الموضوعات فإن الشرط هو أن تكون البرامج بأي نحو من الأنحاء في خدمة أهداف الإسلام والثورة، وعلى الإذاعة والتلفزيون العمل لإشاعة وترصين الاستقلال الفكري والعملي للشعب الإيراني ونظام الجمهورية الإسلامية، والترويج لمبدأ لا شرقية لا غربية عن طريق طرح ثقافتنا وفكرنا وفننا الأصيل والثري، واتخاذ موقف الهجوم مقابل الثقافة والفن والفكر المفروض الدخيل، والعمل من خلال انتقاء أفضل السبل وأبلغ الخطابات لإزالة غبار الغربة والعزلة عن وجه المفاهيم الإسلامية العميقة وإحياء الحقائق القرآنية الزاهرة، وإتحاف الشعوب الإسلامية في شتى أرجاء المعمورة بما كانت تتأمله من نظام الجمهورية الإسلامية[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء لجنة التخطيط والمسؤولين التنفيذيين في الإذاعة والتلفزيون، ١٣٦٩/١٢/١٤.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مسؤولي الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٣٦٨/٦/٢.

يجب أن تتدرع الإذاعة والتلفزيون لمواجهة الإعلام المعادي، فكثير هي وسائل الإعلام في العالم التي تمارس عمليات الإطاحة عبر الإعلام التقليدي، وهذه ممارسة عملية أيضاً. ولو أن نظاماً لم يقف على قدميه بصلابة فمن السهولة إزاحته عن الساحة والقضاء عليه عن طريق محطة إذاعة من خارج الحدود، وذاك ما تمارسه القوى الكبرى الآن ضد الثورات على اختلافها، وبالذات ضدنا أكثر من سوانا. غاية الأمر أنهم يسيئون التفكير بشأننا لصلابة دعائم نظامنا وقيامه على أكتاف الجماهير ونفوذه إلى قلوبها، لذلك يتعين عليكم أن تشرعوا صدوركم لمواجهة هذه الحركة الإعلامية المزعجة، وحيثما تناولت وسائل الإعلام محوراً من المحاور فعليكم ردّ كيدهم إلى نحورهم إن كنتم لم تردّوا عليهم سابقاً.. يجب أن يقف إعلامنا بصلابة بوجه إعلامهم المزيف[1].



(١) حديث قائد الثورة في لقائه مسؤولي الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٣٦٩/٥/٧.

رسالة المثقفين في مواجهة الغزو الثقافي

١ـ الاستفادة الصحيحة من موهبة الفن

الفنان بوسعه تغطية بلدٍ بل العالم بأكمله بفنه، فيبني العقول ويوفر سبل الهداية لبني الإنسان، أو يمنح اللذة الروحية والمعنوية لمن هم أهم لها[1].

لا شك في أن ذوي الأفكار والدوافع والنوايا الخاطئة سيعمدون لاستخدام الفن الذي يصبو كل ذي شعور للانتفاع به، وليس في العالم عاقل يزهد في الفن، وأحد سبل الانتفاع به هو زقّ الأفكار الدنيئة في عقول بني الإنسان عن طريق الفن، مثله كمثل المال أو السلاح حينما يستخدمه ذوو الأفكار والمناهج غير النزيهة يتعذر الوقوف بوجهه، بيد أن ما بوسعنا القيام به هو توظيف ما استخدمه هؤلاء أو يحاولون القيام به تحت اختيار الفكر المقدس الطاهر المتعالي ولو فشل الفكر الصالح المقدس في استثمار هذه الثروة فسيكون مصيره التقهقر.

فإذا ما أراد المفسد خلق الفساد في بقعة من العالم من قبيل تنظيم عمليات السطو أو القتل فسيلجأ لاستخدام السيارة الحديثة أو الطائرة المتطورة، وإن أردتم الحيلولة دون ذلك يتحتم عليكم استخدام الطائرة والوصول إلى تلك البقعة قبله أو تزامناً معه أو بعده مباشرة على أقل تقدير، هنا يتعين عليكم استخدام السيارة أو الطائرة وإلاّ فإنكم ستتخلفون لا محالة ولا نقاش في ذلك[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من الشعراء والكتاب والفنانين في الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٦٨/٨/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من الشعراء والكتاب والفنانين في الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٦٨/٨/٢١.

لو لم يقدم هذا الفكر الثوري ـ الذي جرى بيانه عبر آلاف من خطابات الإمام الراحل(قدس سره) منذ عام ١٩٦٢ سواء بصورة خطابة أو دروس أو أفكار فلسفية أو آراء فقهية ـ في إطار لوحة فنية فإنه سيصبح غريباً على الأجيال الآتية.

كيف يتسنى لكم إيضاح مشهد معين من قبيل اجتماع يضم مجموعة من الناس وعلى مراحل زمنية مختلفة ومستويات علمية متفاوتة وظروف اجتماعية متباينة وآراء وأفكار غير متجانسة لإنسان لم يكن حاضراً في ذلك الاجتماع، بنحو يوحي له وكأنه حاضر بينهم ويرى الحقائق أفضل وأدق من بعض الحاضرين في ذلك الاجتماع؟ هل ممكن مثل هذا؟ وإن كان ممكناً فما هي الوسيلة إليه؟ نعم، إنه ممكن بلغة الفن، فما هي لغة الفن يا ترى؟ إنها الصورة، الفيلم، النحت، الشعر، والرواية.

تأثيرات الفن هي السبب فيما ترونه من توظيف السياسات الاستعمارية لرؤوس الأموال في مجال الفن في عدائها للثورة والقيم التي لا تنسجم مع مآربها، فإذا ما خرجتم من هذا المكان وأردتم القول لمن لم يحضروا هذا الاجتماع ان فلاناً أنشد شعراً وآخر تحدث كذا، فمن الصعوبة عكس ما كان حاصلاً إلا عن طريق الفن حيث يتيسر عكس ما يدور في هذا الاجتماع.

افرضوا أن مصوراً بارعاً قام بتصوير هذا الاجتماع من زوايا عديدة تصويراً جيداً، فإن من يرى شريط التصوير فيما بعد وكان يتمتع بذوق فني ودقيق سيشاهد أموراً ربما لم تكن قد أثارت انتباهنا، من قبيل كم هو عدد الذين يرتدون ملابس ذات لون واحد، أو أي الألوان قد اصطفت إلى جانب بعضها؟ فتلك مشاهد نغفلها نحن الجالسون هنا، بيد أن عين الفنان هي التي تستشعرها

وتدركها على الفور، ومادام كذلك فاعلموا أننا لم نمسك بهذا السلاح كما ينبغي[1].

بلادنا وأرضنا مهد الفن أي إن الفن العالمي مدين للغة الفارسية والفنانين الإيرانيين منذ ألف عام وما تلاها، لكننا لم نمسك بهذا السلاح بأيدينا. والسبب في ذلك أن البعض كانوا على قدر من الفن والمهارة غير أنهم لم تكن لديهم القدرة على إبداء الشجاعة الكافية لأن الفن لا يقوم مقام سائر الخصال، فربَّ فنان راقٍ بفنّه لكنه يتميز بدناءته وحقارته وفسقه وخيانته، وكان بيننا من قبيل هؤلاء في السابق وكذلك في الوقت الحاضر، وكثير ما نشاهده الآن وتقع عليه أعيننا حيث لم يستطع فنانونا التأقلم مع الثورة إلاّ البعض منهم، والثورة إنما تستطيع قولبة نفسها في إطار الفن متى ما امتلكت الفنان الثوري وقامت بنفسها على تربية هذا الفنان، وإن هنالك مجموعة من الشباب تقوم بهذه المهمة على أحسن وجه.

فانهضوا بهذه المهمة، وعليكم جميعاً ـ كلٌّ من موقعه وشأنه ـ التزود بهذا السلاح وتسليط الأضواء على استخدامات العدو له، واعلموا أن من السهولة تأطير مفاهيم الثورة بمختلف الأطر الفنية، واعلموا أن لذلك بالغ الأهمية. فالنبيﷺ بالذات فنان استثنائي، والقرآن نتاج فني إلهي يرتقي بمستواه على البشر، والإسلام إنما انطلق بالفن أي لو لم تكن للقرآن تلك اللغة الفنية لتلكأ في واحد من المواقع، وإن الله سبحانه لم يخلق شيئاً دون مصلحة وحكمة، وكانت الحكمة تكمن في أن هذا الفن القوي الفاعل هو الذي يقدم المفاهيم الإسلامية للبشرية حتى يومنا هذا بعد مضي ألف وأربعمائة عامٍ على نزول القرآن[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مؤتمر الشعر في الحوزة، ١٣٧٠/٧/١٥.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مؤتمر الشعر في الحوزة، ١٣٧٠/٧/١٥.

علينا أن نذعن إلى أن رسوخ الثورة وامتدادها في الداخل أو في الخارج إنما يتيسر بالفن وليس بسواه[1].

الرسالات المعنوية ليست بتلك الطبيعة بحيث يتسنى بيانها من خلال الكلام العادي أو الموقع الرسمي، بل ذاك متعذر إلاّ عن طريق الفن. انظروا إلى ما تفهمه شعوب العالم حول اليهود الألمان، وبغض النظر عن سوء علاقتنا نحن المسلمين باليهود وعدم انتفاعنا من تلك القضية، فإن الرأي العام العالمي ينظر لليهود على أنهم ضحايا النازية، فما الذي استطاع تهويل ما وقع وتزويقه بالرتوش غير الفن؟ وما أكثر الأفلام التي صوروها ووزعوها في العالم حتى إن أفلامهم كانت تعرض في إيران أحياناً أي إن هذه البلاغات يتعذر نشرها إلاّ عن طريق الفن، وها نحن اليوم نعاني التأخر في مجال الفيلم والتمثيل أي إن مجتمعنا لم يرسُ على حال مع المسرح والتمثيل[2].

لعلي شاهدت من الأحداث ما عجزت عن إدراكه العين المادية، ثم بادرتم أنتم الفنانون لكتابته أو تصويره أو صورتموه على شكل قصة، وحين مشاهدتي لها مرة ثانية إذ ذاك أدركت أي حادثة مذهلة كانت، فبدأت أفهمها فهماً جيداً، وهي تلك التي شاهدتها بأُمّ عيني! لذلك فإنني أرى أن دور الفنان المسلم دور استثنائي في عظمته.

ومما يؤسف له أن حقل الفن منفلت الآن من أيديكم لقلة عددكم، ومن معجزات الثورة تربية الفنانين ورواة تاريخ الثورة، وإنكم وإن كنتم ـ والحمد لله ـ بالعدد الذي يعتد به، ولكن ثمة أناس يفوقونكم عدة وعدداً ولهم قدم

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة شاهد التلفزيونية، ١٣٧١/٢/٧.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة شاهد التلفزيونية، ١٣٧١/٢/٧.

السبق عليكم ولهم الأثرة بالإمكانيات، والبعض منهم يتميز بثرائه الفني لكنه يعد ثروة تخدم الأجانب وسيفاً بيد الأعداء.

وإنني لا أشعر أبداً بأية منزلة لذلك الفنان، فمن المتعارف عليه شعور المرء بالصغر وهو يواجه الفنان، وهذا الشعور هو الذي يتملكني؛ فعندما انظر إلى الفنانين تتجسد أمامي منزلة رفيعة لهم. أما ذلك الفنان الذي يخدم الأجانب فبالرغم من رقي فنه وبروزه الفني فإنني لا أشعر بأية قيمة لفنه، فما هي القيمة التي يحملها المال والثروة والساعد القوي واللسان الفصيح والفن إن لم يسخر لخدمة الحق وبني البشر ولخدمة الصدق والحقيقة؟! لا قيمة له أبداً، كما هو حال العلم المكرس الآن لخدمة الأسلحة النووية التي تمسك إسرائيل بزمامها، فهل له من قيمة؟!

إنها أشياء تفتقد القيمة، وقيمتها نسبية ـ أي غير مطلقة ـ وإن كان هنالك بطبيعة الحال قيمة مطلقة، كما هو حال الأديان التي تقوم بالأساس على إطلاق القيم الصالحة الصادقة، غاية الأمر أن العلم لا يعد من القيم المطلقة، والصناعة والتقنية لا تمثل قيمة مطلقة ما لم يعرف مآبها واليد التي تتداولها وطبيعة الانتفاع بها، والفن من هذا القبيل أيضاً. لذا فإن عددكم وعدتكم قد تبدو ضئيلة بالقياس إلى الكم الهائل من البشرية إلاّ أن شأنكم هو الأسمى والأرفع[1].

يجب تقييم الفن وفقاً لمعيار تأثيره وما عدا ذلك فهي أصول لتحديد ضوابطه، والتأثير هو الأصل بالنسبة للشعر وبعض الفنون الأخرى. إذن ارتقاء المستوى الفني يتمثل في القابلية على ما تبلور في ذهن الفنان ومخيلته وتمكن من إدراكه من خلال ما يتحلى به من فهم راقٍ ومن ثم عكسه بلغة فنية إلى

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مكتب الفن والأدب الحربي في منظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٧٠/٤/٢٥.

كافة الاتجاهات وغرسه في النفوس، وما عدا ذلك إنما هو معايير تضع له الحدود والمقادير.

فلو أراد من لا يمتلك القابلية الفطرية على هذا العمل الوصول إلى هذا المستوى فعليه أن يعرف الضوابط المتبعة في الرسم والشعر والموسيقى مثلاً.. لذلك فإذا ما لمستُ أثر العمل إذ ذاك أدرك أنه ذو مستوى فني عالٍ[1].

٢ ـ نشر وتعميق أدب الثورة الإسلامية وفنها

ليعلم الغيارى والصادقون من المثقفين أن اليوم يوم اختبار كبير، وسيكون للتاريخ حكمه الدقيق والصريح بحقهم وبحق ما يصدر عنهم في هذه البرهة.

فإذا لم يحالف الحظ أولئك المنتمين للطبقة المثقفة في البلاد للعمل بما تمليه المسؤولية الملقاة على عاتق المثقفين في الوقوف إلى جانب الشعب وتبوّؤ مواقعهم في جبهة النضال ضد أمريكا والنظام العميل خلال فترة تسلط الأجانب وحكم المرتزقة، فإن اليوم هو يوم حكومة الشعب وسيادة المثل الإسلامية والإنسانية ويوم مقارعة الأجانب الحاقدين المكرة، ولابد من التعويض عن الماضي ورفد صفوف الكفاح الذي يخوضه الشعب الإيراني ضد أمريكا والاستكبار وامبراطورية السلطة العالمية الخبيثة كل حسب وسعه ومشاركته.

وعلى الجميع تكريس ألسنتهم وأقلامهم وفنهم لخدمة الجهاد الإسلامي العظيم الذي يخوضه هذا الشعب، فالحياة في ظل نظام يقوم على أساس المعرفة والثقافة والقيم الإلهية لهي مبعث فخار للجميع، ذلك النظام الذي يقف على رأسه الإمام الخميني الرجل العظيم الذي يجله حتى أعداؤه ويعترفون بأنه رجل استثنائي وتغيظهم عظمته، وليس هناك من ينكر شموخه المعنوي وزهده وورعه

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قسم الأطفال والأشبال في الإذاعة، ١٣٧١/٢/٢١.

وعلمه ومعرفته ونقاء روحه العظيمة، وليس هناك من يعرف فيه أدنى شائبة من ضعف أو خنوع أمام أعداء الشعب أو تتبادر إلى مخيلته قمة أرفع منه في عظمته الروحية.

كم هم أقزام وأذلاء وصغار أولئك الذين يرون تبعيتهم لنظام يقف على رأسه أناس فاسدون فاسقون وخونة من قبيل السلاطين الذين شهدهم القرن الأخير، ويديره أمثال رضا خان ومحمد رضا وعلم وإقبال وهويدا وزاهدي ومنصور ومن لفّ لفهم من الجناة سيئي الصيت، وتكون أمريكا وبريطانيا سيداً على الجميع ومن بيده ناصية هذا الشعب ومالكيته!

هل يمتلك مدّعو الثقافة ـ الذين سنحت لهم الفرصة وتوفرت لهم الإمكانيات في ظل الحرية الإسلامية ليملأوا الصفحات بما يرضي الأجانب المطرودين متشدقين بالثقافة ـ هل يمتلكون الشهامة للاعتراف بصراحة بأن حنقهم ونقمتهم لم تكن من أجل العلم والحرية، وإنما بسبب لملمة بساط العار والفسق والفساد وقطع أيديهم عن ثقافة الانحراف الغربية؟! وإن عداءهم للنظام ليس لعيب أو نقص يعاني منه وإنما بدافع العودة إلى ذلك العالم المخزي الذي وفره لهم الأجانب وكانوا يستجدون العون منهم من أجله؟!

فلا أمل يرتجى من الذين مسختهم ثقافة الغرب الاستعمارية، بل الأمل والطموح معقودان على الصادقين الغيارى من المثقفين الباحثين عن رقي بلدهم وشعبهم وعزته وتقدمه معنوياً ومادياً ويرفضون التسلط الأجنبي بكل أشكاله، وخليق بهم أن يعرفوا قدر النظام الإسلامي الذي منح إيران عزتها وبعث الحياة من جديد في الشعب وأن يشخصوا مسؤولياتهم فيه[1].

---

(١) بيان قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الخميني (قدس سره)، ١٠/٣/١٣٦٩.

ليستخدم الفنانون لغة الفن السلسة لخدمة الثورة والإسلام اللذين يعدان أغلى رصيد لدى الشعب، وليوظفوا هذه الهبة الربانية للرقي بأفكار الجماهير، وينقوا الفن من المظاهر الضارة الناجمة عن الاختلاط بالثقافة الأجنبية، وليروّجوا الفن بين أوساط الجماهير وهو محتفظ بعنفوانه ومن ثم غرسه في عقولهم وإخراجه عن قالب السلع الكمالية التي تحتكرها فئة خاصة[1].

يجب أن يتسم التوجه الذي يختطه أدب الثورة وفنها بغاية الدقة والوضوح والصوابية كما هو شأن أية آلية أخرى تحمل فكراً، وينبغي تحاشي الوقوع في الخطأ عند رسم هذا التوجه، فقد سبق لنبي الإسلامﷺ أن استثمر كافة الآليات المتاحة لحمل ذات الفكرة التي أنتم بصددها أيها الفنانون، واستعان في هذا السبيل بأرفع الفنون وأرقاها التي تجلت في القرآن الكريم الذي يستبطن ذخائر فنية نقصر نحن عن تصورها. ولو أمعنتم النظر في القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرمﷺ لوجدتموها زاخرة بالتوحيد، وبمعاداة الشرك وعبادة الأوثان والشيطان التي تمثل مظهراً للخبثاء، وبالعزيمة والنشاط والعمل الدؤوب ومحبة الناس وتكريم الإنسان والإنسانية والدفاع عن المظلومين والمحرومين . .

فالأصول الفنية والإنسانية طافحة بين جنبات القرآن والآداب السليمة في الصدر الأول للإسلام أي الروايات الواردة عن الأئمة الأطهار﵈ وفي مقدمتها نهج البلاغة وسائر المصادر الأخرى، ولا يلمس في أي منها التواء في التوجه. فاتخاذ الفن حرفة لا يعد ذريعة لأن نسوّغ حالة التذبذب والازدواجية، إذ يُسمع من البعض القول أن فلاناً فنان، فهم يريدون القول أن بعض الثوابت الحياتية التي هي بمثابة الأصل بالنسبة لجميع الناس ليست كذلك بالنسبة للفنان، وهو

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٨/٤/٢٣.

مستثنى من القواعد المتعارفة في الحياة للرقة التي تتميز بها روحه وشفافيته وودّاعته الذهنية في حين ينبغي أن لا يكون كذلك.

فالفنان ـ ونظراً للرقة والرهافة والشعور الذي يتميز به ـ هو الأفضل والأسرع في إدراك الحقيقة وبيانها، فلابد أن يكون الأكثر تمسكاً بها، لا أن يضيع ببساطة تلك الحقيقة التي سبق الآخرين في نيلها أو كان الأكثر ظرافة ورقة في فهمها وهل ذلك ممكن؟! إنها إهانة للفن أن نلصق به حالات التذبذب الناجمة عن الأحاسيس الخاطئة.

إننا نمر الآن بمرحلة قد تقلصت فيها مظاهر التلوث والأغلال التي ابتلي بها بعض الفنانون أو إنها تلاشت من بين المعايير السائدة في الحياة، فمثل هذه الأمور تمثل عيباً في ضوء المعايير السائدة في مرحلة ما بعد انتصار الثورة. وبناءً على هذا ـ ونحن نعيش هذه المرحلة ـ علينا أن لا نستبدل تلك المظاهر التي تلاشت عن مسرح الحياة والتي تعد عيباً بهذه الأغلال بذريعة اتخاذ الفن حرفة. الغرض هو أنني أعتقد بوجوب مواصلة خط الثورة الأصيل، خط الإمام الذي هو خط الإسلام الأصيل وخط القرآن دون زيادة أو نقيصة.

لاحظوا كيف أن الحس الفني للإمام قد تكشف بعد رحيله فلعل الكثيرين كانوا يجهلون أن الإمام من أهل الشعر أو شاعر، وشعره عرفاني غزير بالرقة العرفانية والذوبان الذي يتميز به العارف العاشق، هذا الرجل العظيم بروحه العرفانية هو ذاك الذي كان صوته الأشد وقعاً على الاستكبار العالمي أي تقترن الرقة الروحية بالعزيمة الراسخة فتكون النتيجة إنجاز أعظم الأعمال في تاريخنا. فلم تكن إقامة الجمهورية الإسلامية إزاحةً لحكومة والإتيان بحكومة جديدة فقط، بل الأمر أكثر تعقيداً من ذلك لوقوعه في عالم ينحدر كل شيء فيه نحو

المادية؛ فمنذ ما يقرب من قرنين والجهود مكثفة بشكل مدروس ضد الدين وبالذات الإسلام من بين الأديان.

فإقامة حكومة إسلامية في منطقة هي الأكثر حساسية في العالم كان في الحقيقة ـ وبعيداً عن المبالغة ـ ما يشبه المعجزة، ولقد كان بمقدور هذا الرجل العظيم ـ بما يتحلى به من إرادة صلبة ـ استثمار كل هذه القدرات الشعبية الجبارة، وبعون من الله سبحانه حقق هذه المعجزة. ولقد سارت تلك الروح الشفافة إلى جانب تلك الإرادة الصلبة تكللها الاستقامة على مدى هذا الدرب الطويل والسنوات المتمادية وهي تقارع المشكلات دون أن تنحرف قيد أنملة يميناً أو شمالاً، وذلك ما يحظى ببالغ الأهمية.

وإنني أؤمن بأنه يمثل القدوة بالنسبة لنا جميعاً، وبالذات لكم كفنانين ملتزمين مؤمنين، ولكافة الطبقات على اختلاف نماذجها، وجدير ـ على أية حال ـ التعلم منه[1].

٣ ـ التركيز على الفن الإسلامي

لو أن أناساً أبوا استيعاب الفن الإسلامي والإذعان له، فذلك ـ باعتقادي ـ ما لا ينبغي أن يضيركم، ويجب أن لا يسوءكم عدم توفر الإمكانيات، ومن الضروري بذل الجهود حتى توضع الإمكانيات تحت تصرف تلك المجموعة المتفانية في عملها وتعالج هذه المشكلة. وإذا كان هنالك من يأبى القبول بفننا والاعتراف بأننا فنانون ـ وإنني أتحدث هنا عن لسان حالكم ـ فذلك مما لا أهمية له، وهو كذلك ليس بالأمر المشين؛ فهل يتفق الجميع مع فن ناهض عن فكر خاص؟!

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من الشعراء والكتاب والفنانين في الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي، ١٣٦٨/٨/٢١.

من المؤكد أن تنبري فئة تحمل فكرة أو توجهاً خاصاً لمناهضته، وينبغي أن لا يكبر ذلك في نظر الإنسان، بيد أن ما ينبغي أن يوضع في الحسبان هو أن الشيء الذي يعجز المرء عن مخالفته هو نفس (الفن) أو (روح الفن).

إذا ما قدمتم مؤلَّفاً جيداً أو شعراً رائعاً أو مقطوعة موسيقية جيدة أو لوحة رسم جميلة أو أي نتاج فني جيد مفعم بالمادة الفنية الأصيلة ونزلتم به إلى الميدان فلن يجرؤ أحد على القول بأنه رديء ولا يقوى أحد على مخالفته، لأن معاداة الفن بمثابة معاداة الشمس، والذي يمدح فنكم فكأنما مدح نفسه في واقع الأمر «مادح الشمس كمادح نفسه» ، ومن تحامل على فنكم فإنما تحامل على نفسه في الحقيقة وحطمها، وهل بالإمكان إنكار الفن المتألق؟! وقولي «المتألق» إنما المراد منه الآثار التاريخية الاستثنائية ذات القيمة الفنية العالية[1].

ما المعنى الذي يحمله قولنا: «الفن الإسلامي»؟ إنه يعني ذلك الفن الذي يتبلور بمضمونه وفق الأهداف والمبادئ الإسلامية ليقف بوجه ذلك الفن الذي يؤدي إلى انحراف بني الإنسان والشبيبة بالذات، ويستغفل الناس عن مبادئهم ومثلهم التي من المفترض أن يتحركوا باتجاهها، ويلهيهم بالقضايا المزيفة الكاذبة ويساهم في تفاقم الظلمات على هذا العالم بشكل عملي، ولا ينهض للدفاع عن المظلومين في العالم، بل هو مكرس لخدمة الاستكبار وبهارجه وتعسفه.. على أية حال، قفوا بوجه هذا الفن ولا تسمحوا له بالهيمنة على أفكار الجماهير فلا هدف لنا غير ذلك[2].

ما ينبغي القيام به ـ باعتقادي ـ هو أن تُعرف المفاهيم والقيم الإسلامية جيداً كي تتدفق ينابيع الفن على اختلافها وتبرز إلى الوجود بشكل ذاتي... إننا

(١) حديث قائد الثورة في لقائه فناني الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٦٨/٨/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه فناني الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٦٨/٨/٢١.

إيرانيون، والإيراني امتزج كل شيء عنده مع الإسلام منذ ألف وثلاثمائة سنة، وبالإسلام بلغ ذروة رقيه .

استقرئوا تاريخنا فهو تاريخ مدون وليس بخاف، وانظروا لمن يعود ما موجود فيه؛ فلقد استطاع أولئك الذين تربوا في ظل الأجواء الإسلامية وضع ما كان يزخر به مجتمعنا من شعر وعلم وتحقيق وسائر الفروع الثقافية والمعرفية بفضل الإسلام تحت تصرف الدنيا والبلاد، لذلك لابد من أن يجري النشاط الفني والأدبي وبصورة عامة النشاط الثقافي في ظل التعاليم والأفكار والمشاعر والقيم الإسلامية، أي يفكر المحقق والفنان والكاتب في ظل أجواء إسلامية.

ولغرض النهوض بهذه المهمة يتعين عليكم ـ باعتقادي ـ ترويج القرآن فيما بينكم ليأنس بالقرآن هؤلاء الإخوة أو الأخوات الذين قد تلهيهم الأعمال أحياناً، فالقرآن شيء عجيب، ووا أسفاه لأن المرء يعجز عن بيان ما يشعر به عن طريق الكلمات، لذلك ينبغي فهم القرآن بلغته؛ إذ إن ترجمة القرآن لا تقوى على أن تكون قرآناً وإن كانت تفصح عن شيء منه.

وإنني اعتقد بضرورة الأنس بالقرآن، والذي لا يجيد العربية فنظراً للتداخل بين ثقافتنا واللغة العربية الذي يشهده محيطنا الفارسي، فإنه إن طالع القرآن بدقة فسيحصل لديه فهم وإدراك تدريجي للقرآن، ومن المستحسن الرجوع لتفاسير وآراء العظماء.

إنه لشيء عجيب الأنس بالقرآن ونهج البلاغة الذي يلي القرآن في مرتبته، ومن يأنس بنهج البلاغة أو الصحيفة السجادية يلمس أصالة ما نمتلكه من الإسلام، فكل ما في الإسلام تقريباً موجود فيهما. وبطبيعة الحال فإن القراءة السطحية لا تغني المرء أبداً، فلو وضعتم أرقى الآيات القرآنية التي تنتزع الإنسان العارف عن كيانه بين يدي امرئ ليقرأها قراءة سطحية من أجل أن يفهم معناها

فهو لا يفهم منها شيئاً أبداً، فالقرآن يحتاج إلى تدبر وهكذا الحال بالنسبة لكل كلام معمق.

أوَ لا يحتاج كلام سعدي إلى تدبر؟ فلو قرأتم شعر سعدي لاثنين من البشر أحدهما غزير بفكره عارف بفكر سعدي وآخر عابر سبيل بسيط، فسيختلفان في طبيعة الاستنتاج منه، وهل يمكن أن يتساوى مستوى الفهم؟ ربما يفهم الإنسان الترجمة لكنه لا يتذوق طعم الحكمة إلا أن يعيش أجواء الشعر أي يأنس به ويتدبره، وذلك من الضروري بالنسبة لأولئك الطامحين لفهم الأدب والفن الإسلامي وكذا الفن الإيراني الزاخر من أوله وحتى آخره بالإسلام وليس فيه ما هو غير إسلامي، ومهما حاول البعض وغربوا أو شرقوا فإنهم يجدون الإسلام والقرآن بالنتيجة[1].

٤ ـ ملء الفراغ الفني والثقافي

لا شك أن للشيوعيين في روسيا اليد الطولى في هذا المجال، ولا أجد نظيراً لهم ولا أتصور أن هنالك من له القدرة على العمل بهذه الكثافة والكيفية، أي أنهم صنعوا فناً عملاقاً وحري بنا التمعن بما صنعوا. وبما أنني لم ألج عالم السينما والأفلام فلم أشاهد الأفلام الروسية لكنني قرأت كتبهم ورواياتهم، فمما يؤسف له أننا نفتقد لما يناظرها؛ فآثار من قبيل «الغضب الهادئ» «العبور من الآلام» التي ألفها تولستوي الثاني في غاية الأهمية.

ولقد قرأت كتاباً يبدو أنهم صوروه على شكل فيلم، وأظن أنه عرض على شاشة التلفاز في بلدنا، وهو يحكي قصة طيار تصاب طائرته في الحرب فيسقط ويصاب في رجله فيحاول الوصول إلى داخل الغابة بكل عناء حتى يصل مكاناً

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه القسم الأدبي في الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي، ١٣٧٢/٧/١٢.

فيبترون ساقه ويستبدلونها بساق خشبية، ثم يحلق بهذه الساق. إنها قصة إنسان واقعي وفق المعايير الماركسية التي ترى واقعية الإنسان في كدحه ونشاطه حتى يعود إلى منزله الأول، أي العمل والنشاط والكفاح.

على أية حال، إنه كتاب شيق وممتع جرى طبعه في الاتحاد السوفيتي بتكلفة منخفضه وأرسلوه من أجل التبليغ للماركسية، وهكذا فقد انهمك أرباب الدعاية عندهم لتأليف كتاب حول موضوع معين أي إنه «عمل فني» وليس تقريراً، لأن التقرير لا قيمة له. فهل جلس أمثالنا ليطالعوا تقريراً حول ما قام به السوفيت من جمع الأطفال السائبين في الشوارع وإسكانهم في بيوت خاصة؟ وإذا ما قرأنا فهل نصدق؟ لكنهم يؤلفون كتاباً حول تعليم الحياة، وقد جيء به إليّ مؤخراً كي أطالعه، وهو من أوله وحتى آخره عبارة عن قصة لتعليم الحياة، مؤلفه أحد دهاقنة الماركسية المتحجرين من عهد ستالين، والكتاب برمته يتناول موضوع مهد يحمل اسم «مهد الأول من حزيران»، وفي هذا المهد يجمع أبناء الشوارع وكيف يتم تبديلهم إلى أناس واقعيين وفقاً للنظرية الماركسية. إنها قصة ملفقة يتضح كذبها للمرء بمجرد مطالعته لها، وهي ليست سوى تزويق وتهويل لأمر صغير.

وللأسف فإننا لم نقم بمثل هذه الأعمال ـ وهذا ما يثير الشجن في قلب الإنسان ـ من أجل الثورة الإسلامية التي تتعرض لحملات المثقفين وهي التي لا تخفى على ذوي الألباب، أي إن الفنان والكاتب ومنتج الأفلام والشاعر وأمثال هؤلاء هم الذين وقفوا بوجه الثورة الإسلامية! لقد كانت طبيعة الكثيرين تتناغم مع التغيير الاجتماعي، ولكن ليس ذلك التغيير الذي يحمل طابعاً وجوهراً دينياً يمنع الفنان عما يستميله، فلم يكن هذا مبتغاهم، لذلك فقد اصطفوا في الجهة المقابلة.

لاحظوا ـ الآن ـ المجلات وما يصدر عن المخالفين من كتابات ستجدونها تعج بالنتاجات الفنية لمجتمعنا خلال العهد البائد. لقد اصطف الجميع بوجه الثورة فأصبحت غريبة، لذلك يتعين على الشباب النزول إلى الساحة لملء هذا الفراغ بسرعة والعمل على تفتح القابليات، فعندما أشاهد هذا المخرج الشاب الذي هو في مقتبل الشباب وما يزال في العشرين من عمره أتوسم فيه الفرصة الكافية للتكامل؛ فالإنسان إنما ينتهي طور التكامل لديه في سنين محددة إلا النوابغ فإنهم يتكاملون حتى أواخر أعمارهم من قبيل الإمام(قدس سره) الذي كان كل يوم من حياته أكثر تكاملاً من أمسه، ومن الدارج أن تحليق الإنسان ونشاطه يستمر حتى الأربعين أو الخامسة والأربعين ثم يتوقف بعدها، بيد أن هؤلاء الإخوة الشباب الذين هم في باكورة أعمالهم بإمكانهم التألق في عملهم الفني حتى ذلك اليوم، شريطة أن تتفتح قابلياتهم ويتم استثمارها الآن.

على أية حال، ينبغي أن لا يضيع هذا الصراط المستقيم بأي وجه من الوجوه. إن تكرارنا لـ ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[1] وبهذا المقدار ـ والإنسان لا يكرر أي دعاء في الليل والنهار وبهذه الكثافة، وأي صراط أكثر استقامة من صراط الثورة الإسلامية ـ إنما يأتي لتشعب الصراط إلى آلاف مؤلفة من الشُعب، وقد يتفرع إلى فرعين أو ثلاثة أو أربعة، وفي كل خطوة وآنٍ يحتاج الإنسان إلى هداية ربانية تبقيه على الصراط المستقيم على أمل أن يتواصل التقدم والعمل بإذنه تعالى.

وإني لأرجو أن لا يتسلل الرعب إلى نفوس السادة الفنانين، فلازمة ما أفكر به هو عدم الخوف، لذلك ينبغي عدم الخوف، فمواهبكم تفوق ما لدى الغالبية من فناني العهد البائد ممن أثبتوا كفاءتهم الفنية[2].

---

(١) الحمد الآية: ٦.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة شاهد التلفزيونية، ١٣٧١/٢/٧.

إن لمستم حساً فنياً لديكم فاسعوا لأن تتدفق ينابيع الفن وتتجذر أكثر فأكثر في داخلكم كي يتسنى لكم العمل على أن تأخذ الثورة الإسلامية مجراها بما تحمل من فكر مقدس وادعٍ وروح طاهرة، وهي تشق طريقها وسط عالم ملبد بالأفكار المنحرفة ودنيا حالكة، وتبسطه في ربوع المعمورة.

لسنا نحن أصحاب الشعار في هذا المجال، بل الله سبحانه هو ذو الشأن في هذه القضية وهو المتكفل بأن يشق هذا الفكر طريقه. وهذه سنة إلهية، ونحن واحدة من تلك المجاميع التي تجري فيها هذه السنة، لا أن نتصور أننا نحن الذين منحنا الإسلام هذه العزة على المستوى العالمي حتى غدا الإسلام قضية خطرة تتهدد الاستكبار العالمي في كل مكان، في أفريقيا وفي أوربا، ويشعر إزاءها بالرهبة أي لا يروادنا الوهم بأننا نحن الذين نرعب الاستكبار العالمي ونزعزع أركانه. كلا، فإنه الإسلام والسنة الإلهية حيث اقتضت عجلة التاريخ أن يطل الفكر الإسلامي والفكر الإلهي الناصع خلال فترة زمنية مقررة.

نعم، فواحدة من معالمه نحن، وكذا لبنان وأفريقيا وسائر الدول الإسلامية، ومن أماراته أيضاً الشعور بالضعف الذي اعترى الدنيا بأكملها وهي تواجه الفكر الإلهي التوحيدي. لذلك فعلى صعيد هذه المسيرة وهذه الحركة العملاقة، وعلى صعيد المواجهة بين هذا الفكر الناصع المقدس، الفكر الثوري التوحيدي الإلهي الذي أطل على الدنيا، وبين الفكر الشيطاني الخبيث ينبغي أن ينبري فنانون من أمثالكم للاستلهام من المناهل الأصيلة ويعملون على ترصين هذا الفكر.

فيجب أن يستخدم الشاعر والكاتب وغيرهما من الفنانين أقصى قابلياته لترصين هذه الحركة المقدسة، واستثمار آلية الفن بأعلى حد ممكن. والحديث

حول ما إذا كان الفن وسيلة أم لا، وما إذا كان التعبير عن الفن بأنه آلية صحيح أم لا، موكول إلى ذوي الاختصاص لمناقشته[1].

٥ ـ ملحمة الدفاع المقدس.. رصيد لا ينفد للفن السامي

إنني أعتقد بأن هذه الحرب لا نهاية لها أي أنها في الحقيقة معين وكنز عظيم لن ينفد متيسر الانتفاع منه على الدوام، وبالإمكان «التغني بجدائل الحبيب» مئة عام أي من الممكن التحدث عن الحرب مدى الحياة.

انظروا كم من الأفلام تصوّر وكم من الكتب والموضوعات تنشر في العالم حول حادثة واحدة ويستثمرونها، ولقد خضنا حرباً دامت ثماني سنوات، فكم هي مهمة هذه الكتب التي يتصدى أبناء التعبئة لكتابتها وتتولى الدائرة الفنية طباعتها ولا تتعدى كونها كراسات من ١٠٠ أو ١٢٠ صفحة، إذ إنها ـ في نظري ـ بمثابة وثيقة نفيسة لها قيمتها العظمى التي مازلنا قاصرين عن إدراكها إدراكاً صحيحاً، وستزداد جلاءً في المستقبل، ونحن الآن غافلون عن الذي وقع ويقع الآن. أو تلك الملاحظات التي يدونها الأحرار كذكريات فهي تعد أعمالاً ضخمة، والمراد هو أن الحرب لا نهاية لها[2].

لقد خلقت الحرب لنا ثروة نفيسة وأمدتنا ببركات جمّة، فلنقم الآن بعملية إعادة بناء لفن الكتابة القصصية في إيران، وإنني أؤكد على هذه القضية فقد ساهمت الحرب ـ حسب قولكم ـ في أن يتمكن المرء من تدوين ذكرياته، ويتعلم عدة لغات ليتعلم كيفية تدوين الوقائع، فلولا الحرب لما راودته فكرة الكتابة بالمرة.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه لفيفاً من الشعراء والكتاب والفنانين في الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٦٨/٨/٢.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة شاهد التلفزيونية، ١٣٧١/٢/٧.

والآن حيث تفتحت المواهب فعلينا استثمار الموهبة الجياشة التي تتغنى بالحرب وتصورها، وعند مطالعتي لهذه الكتابات في بعض الأحيان أرى مدى جمال الصحراء والطرقات التي تصورها، وباختصار فهي من الجودة في بيانها بحيث تبهر الإنسان وذلك دليل المواهب الجياشة.

وعلينا الآن توظيف هذه المواهب لخدمة الكتابة القصصية في مجتمعنا التي تحتاجها بلادنا، وهل للبلاد أن تعيش دون كتابة قصصية؟! فلو إنكم أعرضتم عن كتابة تاريخ الحرب فسيأتي غيركم ليكتبه مزيفاً! وهكذا الأمر بالنسبة للقصة، فإن لم تكتبوها فسيأتي غيركم ليكتبها مزيفة![1].

إن فرض ثماني سنوات من الحرب علينا ـ وإن كان بحد ذاته يفتقد الموضوعية ـ يعد فرصة في غاية الأهمية لتبلور الروحية الإسلامية الثورية والخصال التي يتحلى بها الفرد المسلم، ومن هذا اللحاظ يتمتع بقيمة عالية، لذلك يفترض شكر الله عز وجل لوجود مثل هذا الظرف وهذا الجو، وحري بالمرء أن يستحوذ عليه الأسى والحسرة لعدم وجوده. وبالرغم من عدم ارتياح المرء للحرب في نفسها، بيد أن البعد الآخر للقضية والوجه الآخر للمسألة يمثل بالنسبة لنا أمراً عظيماً للغاية.

والآن حيث لا وجود للحرب ولسنا بصدد افتعال حرب لإحداث فرصة للثورة، لكن حرباً قد وقعت واستمرت ثماني سنوات، وما علينا إلاّ استثمار روحية المقاومة والتضحية المقترنة بالإخلاص وكافة الخصال التي شهدتها سوح القتال عندنا. وتأسيساً على ذلك فإن كتاباتكم التي تنمّ عن الإخلاص وتلك الملاحظة التي تهز الإنسان، وكل ما تقدمونه معبراً عن الإخلاص، هو في

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مكتب الأدب والفن في الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي ، ١٣٧١/٤/٢٢.

غاية الأهمية، وإلا فإن الجميع بإمكانهم التضحية، التضحية من أجل العصبية ومن أجل الظهور تضحية يحفها الموت أيضاً.

فذلك الطيار الذي يناور أمام أعين الجمهور ويترنّح في الجو خمس مرات ـ مثلاً ـ وهنالك احتمال ٥٠٪ في السقوط، إنما يخاطر من أجل الظهور غير أن ذلك لا قيمة له، بل إنهم يفعلون أكثر من ذلك بغية الظهور، كما هو حال الذين يشعلون النار بأنفسهم جرياً وراء الظهور.. إذن حيثما اقترنت التضحية بالإخلاص أي إن الإنسان يعمل في سبيل الله وأداءً للتكليف الشرعي فقط، إذ ذاك سيكون نصيبه النقاء والتألق. لذلك يفترض بذل المزيد من الجهود لإبراز هذه المواقف والعمل على استمرار هذه الروحية على امتداد تاريخنا، ولابد من الانتفاع من سنوات الحرب الثماني.

لقد استمرت واقعة عاشوراء منذ بدايتها وحتى نهايتها بأحد المعاني نصف يوم، وبمعنى آخر استمرت يومين، وبمعنى ثالث ٧ ـ ٨ أيام لا غير، أي منذ أن دخل الإمام الحسين ﷺ أرض كربلاء كان ذلك منطلقاً لتحرك كان مشهوداً في ثورتنا وفي الحرب وفي ما سلف من تاريخنا، ولم يقتصر أثرها على تاريخ الشيعة، بل كان لواقعة عاشوراء تأثير واضح ومضيء في تاريخ الثورات التي شهدها الإسلام ضد الظلم وإن قامت بها عناصر غير شيعية، ولعلها كانت ذات تأثير في الأوساط غير الإسلامية كما هو المنقول عن غاندي وليس مستبعداً تأثيرها في مناطق أخرى.

ولكن على أية حال، كان لنصف هذا اليوم الذي شهد الواقعة أثره في تاريخنا الذي امتد ألفاً وأربعمائة عام، لذلك ليس عجباً احترازنا عن مقارنة السنوات الثماني التي استغرقتها حربنا إلى تلك الساعات الثماني أو التسع التي استغرقتها واقعة عاشوراء، ونظرنا إلى الأخيرة على أنها الأكثر ألقاً. فهذا هو

الواقع، فلست أعرف حادثة في التاريخ ترقى للمقارنة إلى التضحيات التي شهدها نصف اليوم ذاك وكل شيء يتصاغر أمامها، لكنه يمثل نفحة منها وقطرة من بحرها. وبناءً على هذا، فلماذا لا نتوقع إمكانية تحولها إلى مصدر تأثر داخل مجتمعنا ولسنوات متمادية؟!"[1].

٦ ـ اظهار دور المعوقين من خلال الفن

من الثغرات الموجودة هؤلاء المعوقين، فقبل عدة سنين قلت لأحد الأصدقاء: ضع نفسك محل هذا المعاق الذي يرقد في المصحّ. وبطبيعة الحال ليس سهلاً أن يضع المرء نفسه محله، ولكن لنفترض انك تمتلك القابلية على تفهم جانب من حياته ولو إلى حد ما، فلقد كان شباباً يمشي كسائر الناس، يلعب الكرة ويسوق العجلة، ويطالع الكتب ويدرس ويتزوج، وها هو الآن وقد تبدل إلى مخلوق عاجز منهك يرقد في المصحّ؛ مشاعره باقية وعقله باق وطموحاته مازالت على حالها كحقائق، والإيمان هو الشيء الوحيد الذي بوسعه تزيين حياته.

فإذا كان يتحلى بإيمان حقيقي فإن إيمانه هذا هو الذي يزرع فيه الأمل وستحلو به حياته، وإلا ستتحول حياته إلى حياة مرة على الدوام. وعلينا القيام بما من شأنه الإبقاء على هذا الإيمان حياً في ذاته، فلابد من تصنيف كتاب خاص بالمعاقين، ولا يعني ذلك أن تقتصر قراءته عليهم وإنما نقرؤه نحن أيضاً، غاية الأمر أن المخاطب فيه هو المعاق، ويجب أن تكون الغاية زرع الأمل لديه، فأي الكتب ستختارون؟ لا أدري.. ولكن لابد أن يكون الهدف من الكتاب هو رفده

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مكتب الفن والأدب الحربي في منظمة الإعلام الإسلامي، ١٣٧٠/٤/٢٥.

بالأمل والإيمان، والتخفيف من حدة الواقع المر الذي يحفّ به، وأن يصنع منه كياناً نافعاً للثورة ولمواصلة الطريق؛ لأن هذا المعاق قد أثبت جدارته.

ولست هنا بصدد القول أن المعوقين جميعاً على هذه الشاكلة، فربما اتفق أن أصيب أحدهم صدفة، لكن الغالبية منهم ممن توجه إلى الجبهة للتضحية بنفسه، لكن القدر جعله يصاب بنخاعه الشوكي ليعود وقد أبلى بلاءه، إذن يتعين أن يُكتب، فنحن ليس عندنا كتابة..

لقد طالعت كتاباً ـ ولعلني حدثت الأصدقاء عنه ـ كُتب وطُبع في روسيا ويحمل عنوان «قصة إنسان حقيقي» جاءني به شخص عام ١٣٦٠ أو ١٣٦١ هـ. ش وطالعته، فكان كتاباً رائعاً وقصته أن طياراً استهدفت طائرته في الحرب وسقطت فاضطر لقطع مسافة طويلة على ركبتيه، وبعد نجاته بشق الأنفس بترت ساقه ـ فالطيار جل أعماله تتوقف على الساق وهو يعجز عن القيام بعملية الطيران دون امتلاكه لبنية ضخمة وساق قوية ـ ومن ثم رقد في المستشفى حتى بدأ من جديد بالتدريب وزودوه بساق اصطناعية، ثم يختم القصة بصعود الطيار لإحدى الطائرات والتحليق من جديد.

لاحظوا كم هو درس عظيم للمعاق الذي فقد ساقه.. غاية الأمر أنه كتب في قالب الثقافة الروسية لا ثقافتنا أي أن الكثير من مضامينه غريبة علينا، وليس معلوماً إذا ما قدمناه لواحد من معاقينا أن يجدي ويبعث فيه الأمل إزاء خط الثورة والخط الذي يسير عليه، بل لعله يزيد فيه التشاؤم لأسباب يمكن فهمها.

على أية حال، لِمَ لا نمتلك مثل هذا الكتاب؟! قبل عدة سنوات قلت لأحد الإخوة: إنني على استعداد لتزويدك بترخيص للإقامة في أحد المصحّات لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر بحيث تدع عيالك وأطفالك وترتدي زي التمريض، وتتصور نفسك في الجبهة وتمكث وسط معاقينا بحيث لا يفهم أحد منهم من

أنت أي يتصور الجميع أنك ممرض كي تدرك طبيعة حياة المعاق، ثم تبادر لعكس حياته وآلامه وهمومه وصبره وطموحاته واحتياجاته إلى الخارج، وصنف كتاباً يكون فيه علاجاً لآلامه وبلسماً لجراح قلوبنا.

وإنني أقول لكم إن أياً منكم يريد القيام بذلك فليذهب إلى واحد من أوساط المعاقين، وذلك لعدم إمكانية رؤية الحقائق عن بعد[1].

ليس ثمة من يقوى على إدراك العالم الكامن داخل كيان هذا المعاق أبد الدهر، كعجز أي إنسان عن إدراك ما في داخل الإنسان الآخر، إلا أن يكون هو ذا بيان فني كاف يستطيع من خلاله التعبير عن شيء ما، أو أنكم تتحرون ثم تبيّنون ما يختلج في داخله، بل تبيّنون القضايا المتعلقة به وتستحق الثناء له وللآخرين؛ والثاني بمقدور كل فنان القيام به.

وأنا شددت على هذه المسألة وقلت: اذهبوا واستأنسوا بالمعاق واعرفوه كما ينبغي واسمعوا كلامه كي يتسنى لكم التأثر بإشعاعات أفكاره، لا أن تلجوا إلى عقله والميدان الحقيقي لوجوده، ولنقم ببيان ما ينبغي بيانه فيما يتعلق بالمعاق، فليس ثمة بيان شافٍ وكافٍ سوى البيان الفني أي هنالك أمور لا تقدر أية لغة على النطق بها سوى لغة الفن[2].



(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مكتب الأدب والفن في الدائرة الفنية لمنظمة الإعلام الإسلامي، ١٣٧١/٦/٢٢.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه القسم الأدبي في مؤسسة المعوقين، ١٣٧٢/٧/٢٥.

الفصل الرابع

مقولات هامة من صلب الدين تبني الانسان وترقي بالمجتمع

أولا: التمسك بالدين والحفاظ على المعنويات

١ . المحافظة على الإيمان والمعنويات وتعزيزهما

الحياة الطيبة للإنسان في ظل حاكمية الدين الإلهي ستحقق متى ما أحيا بنو البشر قلوبهم بذكر الله وانطلقوا ـ مستعينين به ـ لمقارعة نزعات الشر والفساد وتحطيم كافة الأصنام وقطع أيدي الشياطين داخليّاً وخارجيّاً عن وجودهم[١].

إن عزّتنا الوطنية وتقدمنا وهذه الحركة العملاقة والنشاط الذي تعيشه جماهيرنا، والنجاحات المنقطعة النظير التي حققها شعبنا وحكومتنا لحد الآن ـ والحمد لله ـ إنّما هي معطيات الانقطاع والإعراض عن القوى الشيطانية والقرب من الله سبحانه، وهذا هو مفتاح العلاج لكل مشاكلنا، فعلينا جميعاً العمل لإرضاء الله تعالى عنّا.

ولا يقول قائل: ليَرضِ فلانٌ الله عنه أولاً فلا معنى لذلك، حريٌّ بنا جميعاً السعي والجد في سبيل نيل رضا الله عز وجل الذي إنّما يتأتى عن طريق التزامنا جميعاً بالتقوى التي تعني: الاحتراز عن الخطايا، وخشية الله، والإحسان لعباد الله، والشدة والغلظة مع أعداء الله، والتغاضي عن مواطن الاختلاف مع الإخوان، والصرامة مع الأعداء ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

فتواضعوا للمؤمنين وذللوا أنفسكم لهم، فليس ثمة تجانس بين التقوى وبين التناحر ونشب المخالب، وإنما هي تنسجم مع المحبة والحلم والمدارة. واعلموا أن التزام التقوى على صعيد القضايا المتعلقة بنواميس الخلق أو القضايا المالية

---

(١) بيان قائد الثورة الى مؤتمر الصلاة في مشهد المقدسة، ١٦/٧/١٣٧٠هـ. ش.

(٢) المائدة الآية: ٥٤.

والشخصية والوظيفية ولاسيما التقوى في القضايا السياسية يضفي جلالاً وبهاءً على مسيرة التقوى في بلدنا وعلى حركة شعبنا ما يجعلها تخطف الأبصار، وحيثما وجدنا مشهداً تتجسد فيه التقوى فهو إنّما يمثل أثراً لذلك[1].

علينا جميعاً العمل على بلورة حالة من النقاء والنورانية داخل وجودنا، وهذا هو الدرس الذي نستقيه من وليد هذا اليوم (النبي الأكرمﷺ)، وبدون هذا الدرس لا يمكن النهوض بأعباء الثورة الإسلامية؛ فالمحافظة على سلامة الثورة والمضي بها قدماً يعد مسؤولية باهظة لا يمكن مقارنتها مع أية مسؤولية أخرى، ولقد نهض هذا الشعب ـ والحمد لله ـ بهذه المسؤولية على مدى هذه السنوات الصعبة واجتاز شتى الاختبارات على أحسن وجه وشق طريقه قدماً.

فلا ثورتنا الإسلامية تشابه سائر الثورات ولا حكومتنا تناظر باقي الحكومات، وكما خاطب الباري عز وجل رسوله الأكرمﷺ قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۞ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[2].

فلما كان هذا القول وهذه المسؤولية بهذا الثقل بحيث جعلا من النبيﷺ محتاجاً إلى التربية المعنوية والنفسية والتزكية الروحية والمرانة المتواصلة، فما هو شأننا نحن الضعفاء في مقابل ذلك المنهل الفياض من القدرة والقوة الإلهية! وهذا هو السر الذي يقف وراء تقدّم الثورة حتى يومنا هذا.

لقد أخطأت القوى الدولية في سياساتها عندما تصورت إمكانية التعامل مع الجمهورية الإسلامية كسائر البلدان والدول ذات القدرات والإمدادات الظاهرية

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من الجامعيين واللجان الساعية وعوائل الشهداء، ١٣٦٩/٣/٢هـ. ش.

(٢) المزمل الآية: ١ - ٥.

المحدودة، والعمل على إقصائها عن طريق ممارسة التهديد والترغيب والضغوط وما شابهها. كلاّ، فالخطأ الفادح الذي وقعوا فيه هو أنهم لم يدركوا هذه المعنويات وروح الإيمان بالله التي يزخر بها شعبنا وثورتنا. وبناءً على هذا، فإذا ما سادت روح التقوى والإيمان بالله فلن يبقى أي وجود لهذه النزاعات والاختلافات الجانبية القشرية التي لا أهمية لها، والتي هي ـ حسب اعتقادي ـ أدنى من أن تحظى بمزيد اهتمام. وعلى أية حال، فكلّما تعمقت حالة التلاحم والوحدة بكافة أبعادها كان ذلك مدعاة لافتضاح العدو ومبعث زهوٍ وشموخٍ وتفاؤل بالنسبة للصديق[1].

حيثما وجدت المعنويات والارتباط بالله والإيمان بفضله والتسليم والخضوع والتضرع له عز وجل لم يعد هنالك أي معنى للضعف والخوف والأسف ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]، فإذا كان عملنا لله فنحن نفرح سواء أحرزنا تقدماً ظاهرياً أم لا، لأننا نكون قد عملنا لله وقمنا بواجبنا والتكليف المعهود إلينا[3].

٢ ـ الجهد والاجتهاد لاحداث التغيير

ان إحداث التغيير بيد الله سبحانه، لكننا مكلّفون بالمبادرة والجد والاجتهاد لتحقق هذا التغيير في ذواتنا وحياتنا وعالمنا، فالقبائح والرذائل التي يعجّ بها العالم والحياة البشرية إنما منشؤها البشر، فإن صلُح البشر صلُحت الحياة وازدهرت، وإذا لم تطغ الأهواء النفسية والشيطانية الباطنية على أعمال الإنسان،

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين وجمع من أبناء الشعب بمناسبة المولد النبوي، ١٣٦٨/٧/٢٦هـ. ش.

(٢) يونس الآية: ٦٢.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه القائمين على مراسم الحج، ١٣٧١/٢/١٦هـ. ش.

حينها ستسير الحياة بالنحو الذي يُرضي الرحمن. فالبشر هم الذين يدفعون بالحياة وحقائق الكون لأن تتلبد بالمرارة والشيطنة وتشوبها الآلام والاحباط.

إذا صلُح البشر صلُحت الحياة، ولو غيروا انفسهم تغييراً عميقاً إذ ذاك ستشهد حياتهم تغيراً عميقاً أيضاً، وإذا ما شاهدنا في هذا العالم الرحب الإجحاف والتميز والفقر والاضطهاد والظواهر الشيطانية، فعلينا التنقيب عن أسباب كل ذلك في وجود البشر وشيطانهم الداخلي[1].

الجمهورية الإسلامية بحاجة اليوم ـ في واقع الأمر ـ إلى أن نبادر نحن المسؤولين أولاً، ومن ثم أبناء الشعب إلى إحداث تغيير دقيق ومنظم في قلوبنا ووجوداتنا يصبّ في مجرى تحقيق التطلعات الأخلاقية للإسلام، وصحيح القول بأنه لولا التغير الذي طرأ في القلوب والنفوس لما انتصرت الثورة، فانتصار الثورة بذاته فيه دلالة على حدوث تغيير في القلوب لولاه ما كانت الثورة، لذا فنحن جميعاً بحاجة إلى أن نقوم بعملية التغيير في شؤوننا الأخلاقية والروحية لغرض ديمومة الثورة وتواصل الانتصارات ودوام الاستقامة في هذا الخط وعدم الزيغ عنه وهو الأهم[2].

٣ ـ التربية والتهذيب والتزكية لمواجهة الاعداء

مافتئ الأعداء يتربصون بنا ليروا متى يسأم شعبنا من الإسلام ويتخلى عن إيمانه كي يتكالبوا عليه بهجومهم من كل ناحية، فلم يهدأ لأعداء الإسلام بال.

طالما وجه شعبنا وإمامه العظيم الصفعات لأمريكا وسائر الطغاة في العالم، بيد أنهم لم ييأسوا، ولمّا أدركوا عجزهم عن فصل هذا الشعب عن إسلامه

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة اطلالة العام الجديد، ١٣٦٩/١٢/٢٩.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين وجمع من أبناء الشعب بمناسبة المولد النبوي، ١٣٦٨/٧/٢٦.

وإيمانه وثورته وإمامه وثنيه عن تحقيق شعاراته ـ وهو المستحيل من الناحية العملية ـ فإنهم راحوا يصورون لشعوب العالم جنوح بلدنا نحو الغرب وأنه قد فتح أبوابه بوجههم، وما ذلك إلاّ لإضعاف معنويات شعوب العالم وبثّ روح اليأس والاحباط في قلوب المسلمين في شتى أصقاع الدنيا والذين تعلقت أنظارهم بكم يا أبناء شعبنا المقدام العظيم ليقولوا: واعجباً، هكذا إذن أصبحت إيران! وبذلك يفقدون الأمل، لكن الأعداء قد أخطأوا في ذلك[1].

إن العدو ضعيف وهو يقابل شعباً ناهضاً كشعبنا، إنه قوي وفق الحسابات المادية غير أنه يعاني ضعفاً مريعاً في البعد المعنوي، وعلى شعبنا أن يواصل حضوره في الساحة متزوّداً بتلك المعنويات وذلك الإيمان والاتحاد والفطنة واليقظة التي أبداها في بداية الثورة[2].

في هذا العالم حيث يتراءى أمامكم تكالب الأعداء والسلطويين والمستعمرين والتيارات، حريّ بالشعب الذي يصبو لئلاّ تتقاذفه الأمواج المتلاطمة أو يكبو في مسيرته أو يذوق مرارة الهزيمة ويكبح جماح هذه الأمواج، حريّ به أن يكون صلباً مرصوص الصفوف، وذلك ما لا يتحقق أبداً إلاّ في ظل المعنويات[3].

علينا الارتقاء إلى المستوى الذي تسير فيه دنيا شعبنا نحو الصلاح والازدهار، وإن طريقنا طويل وشاق وينبغي لنا جميعاً أن نعمر نفوسنا بالنور الإلهي بسلوك طريق التربية والتهذيب والتزكية. وإذا ما حافظنا على إسلامية ثورتنا وصرحها فلن يخمد عداء القوى الكبرى وتصميمها للقضاء على هذا

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه جمعاً من العمال والمعلمين بمناسبة يوم العامل، ١٣٧٠/٢/١١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه جمعاً من عوائل الشهداء في خرم آباد، ١٣٧٠/٥/٣٠.

(٣) حديث قائد الثورة لدى استقباله قادة قوات حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧٠/١١/١٨.

الصرح، ولن يأتي اليوم الذي تعيش فيه أمريكا وطلاب الدنيا والطواغيت بوئام مع الجمهورية الإسلامية[1].

إن الشعب الذي يتحرك متسلحاً بإيمان إسلامي صادق سيكون نصيبه العزة ولن يستطيع أحد فرض شيء عليه وسيتنعم بالاستقرار والرفاه الماديين أيضاً، وذلك ما نتطلع إليه. وفي ظل الإيمان الراسخ الذي يتمتع به شعبنا وبفضل الله سبحانه وتعالى سنبني المجتمع الزاهر المتحرر المستقر المرفّه في هذه البقعة من العالم، بحيث يغدو قدوة لشعوب العالم ومنطلقاً لتصدير فكر الثورة، فلم يزل شعبنا محاطاً بالعناية الإلهية وسيبقى كذلك في المستقبل أيضاً[2].

٤ ـ التقوى والمحافظة على القيم

إن حركة هذا النظام ونجاحاته إنما تتحقق ببركة التقوى وحسب، وهذه هي مزيّة النظام الإلهي، ولا نصيب للنظام المبتني على الحق من التقدم بدون التقوى. أمّا النظام القائم على الباطل والذي يقف قبالة الحق فله شأن آخر.

وبالرغم من التقيد والالتزام ببعض القواعد الضرورية الكفيلة بتحقيق التقدم، بيد أن التقوى بمعنى الطهارة والعفة والورع والالتزام بالقيم التي ينطوي عليها المجتمع القيمي لا تعد أمراً ضرورياً في جبهة الباطل، وحيث إنهم لا عهد لهم فهم لا يتورعون عن ولوج سبل الباطل ولا تهمهم العواقب السيئة.

إنهم يضربون ويتقدمون، يفقدون شيئاً ويكسبون شيئاً آخر. أمّا في جبهة الحق فليس الأمر كذلك، فجبهة الحق إنما تستطيع الوقوف بوجه جبهة الباطل والمضي قدماً عندما تكون مع الله فقط متزودة بالتقوى والطهارة ليس إلاّ.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة القوة البرية في حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧٠/٢/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أهالي باختران، أراك، رشت، و... ، ١٣٦٨/٤/١٤.

يجب المحافظة على دينية النظام وقيميته، فلطالما حاول الاستكبار وأياديه وأبواقه منذ سنوات إذكاء روح الندم فينا من امتلاكنا لنظام قيميّ، فما برحوا يوصموننا بالرجعية والسلفية والتطرف حتى انهم أخذوا يطرحون بعض الأحكام الإسلامية ويركزون حربهم الإعلامية عليها، ويلقون تبعات ممارساتنا، الشخصية أو ما يقوم به سائر المسلمين على كاهل الإسلام. كل ذلك كي نصاب بالارتباك وينفد صبرنا، وبالتالي نعلن عدم دينيتنا وإن نظامنا من طراز سائر الأنظمة السائدة في العالم، هذا هو مطمحهم. وحتى ان لم تصرحوا بذلك وكان عملكم خارجاً عن طبيعة النظام القيمي وينمّ عن طبيعة دنيوية فإنهم يكونون قد بلغوا مرامهم، وفي ذلك هزيمتنا.

إن أقصى غايتهم هزيمة هذه الجبهة التي لن ترى التقدم إلاّ بالتقوى وحسب، ولن يذوق هذا النظام طعم التقدم إلاّ بالتزام التقوى والطهارة والعفة ومحاسبة كل منا لنفسه محاسبة دقيقة قويمة «حاسبوا أنفسكم»[1]، وإنه لمن الخطأ أن يتصور أحد أن علينا ان نقوم بما تقوم به سائر الحكومات ونمارس ما يمارسه سائر أرباب الحكم في العالم. إن لنا أصولنا ومناهجنا الخاصة بنا، وهي التي يقرها الإسلام والتي لابد أن تسود الدنيا، لا أن تفرض تلك الأصول الجاهلية الاستكبارية نفسها علينا.

علينا أن لا نغفل ذكر الله وذكر الموت والحساب الإلهي، فإننا نستجمع قوانا كلها إذا ما شعرنا بأن أعمالنا ستتعرض للحساب ـ أو احتملنا ذلك ـ من قبل إنسان ضعيف، فما بالك وإننا سندخل وادياً آخر ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا﴾[2]![1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٠، ص٧٣.

(٢) الكهف الآية: ٤٩.

لقد استطاع النظام الإسلامي المقدس باستقامته وتمسكه بالأهداف الإلهية السامية وسيره الحثيث على الصراط القويم الذي اختطه الأنبياء والأولياء، وثباته في نصرة المظلومين ومقارعة الظالمين والجهاد في سبيل إقرار القسط والعدل الذي ينشده الإسلام دون وجل من التهديدات والضغوط والضربات التي قد تلحق به في هذا السبيل من قبل النظام السلطوي الدولي، استطاع أن يوقد جذوة الأمل في قلوب المحرومين في جميع أنحاء العالم ويبعث فيهم الحياة ويزرع في نفوسهم الشجاعة والقدرة على المبادرة. فواضح التفاوت بين الصورة التي يحملها عالمنا المعاصر وبين تلك التي كان عليها قبل انبثاق الدولة الإسلامية.

والعالم اليوم يمرّ بمرحلة حساسة وهو يعيش حالة انقلاب من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ولاشك في أن الإيمان الإسلامي والعمل الصالح المرتكز عليه بإمكانه المساهمة بدور جبار في هذا التغير والتحول وأن يسير بالحياة البشرية نحو الصلاح والكمال. لذا فأنظار شعوب العالم تتطلع نحو الجمهورية الإسلامية حيث رُفعت راية الإسلام العزيز بأيدي أبناء هذا الشعب العظيم الذي قل نظيره، وحافظ عليها بتضحياته وبدماء شهدائه، وأثبت أمام الجميع صلابة إيمانه وعجز اللاهثين وراء الدنيا في العالم[٢].

٥ ـ التمسك بالايمان وتجسيد الشعارات الإسلامية

الشموخ الذي يجلل الشعب الإيراني اليوم إنما جاء بفضل هذا الإيمان ـ الإيمان بالله والإسلام ـ وذلك ما حدا بأعدائه إلى الاذعان بأن الشعب الإيراني شعب شجاع متحرر مقتدر أبي، وعلينا العمل يومياً لترسيخ هذا الإيمان في قلوبنا، ولاسيما أولئك الذين يضطلعون بمهمة تربية الأمة ويحملون البشارات

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية، ١٣٧٠/٥/٢٣.

(٢) بيان قائد الثورة بمناسبة بداية الدورة الثانية لمجلس الخبراء، ١٣٦٩/١٢/١.

الإلهية للناس، وعلى العلماء والوعاظ والخطباء أن يبذلوا جهودهم لترصين هذا الإيمان.

أيّها الاخوة والأخوات الأعزاء، اعلموا انكم ـ وكما وعد الله في كتابه ـ ما إن تمسكتم بإيمانكم فلن يتهدد هذا الشعب وهذه الثورة أي خطر ولن تستطيع أية قوة إلحاق أدنى ضرر بجمهوريتكم وثورتكم الجبارة[1].

إن النظام الإسلامي ينبثق ويصان ويشق طريقه إلى الأمام بالإيمان وتجسيد الشعارات والمحافظة عليها[2].

ليست القنبلة النووية التي تمنح القوة للنظام، فقوة النظام الإسلامي التي عجزت أمريكا والاتحاد السوفيتي السابق وباقي القوى في العالم صغيرها وكبيرها عن مقاومتها حتى يومنا هذا ـ وسوف تعجز ـ هي قوة الإيمان التي يتحلى بها أبناء حزب الله[3].

إن المعنويات والتضرع إلى الله سبحانه وتعلّق القلوب به عز وجل والتوجه إليه وعدم الانخداع بالظواهر وعدم التعلق بزخارف الدنيا وزبرجها وبريقها، كل ذلك هو الذي يصنع الفئة المؤمنة، وحينها يتحقق قول الله عز وجل: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[4].

فانكم على قلّتكم ستلحقون الهزيمة بالكثرة التي تقابلكم، وذلك عن طريق تلك الجنبة المعنوية التي تتحلون بها، وهي ذاتها التي كانت تثير روح الحماس

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أهالي باختران، أراك، رشت، و...، ١٣٦٨/٤/١٤.

(٢) حديث قائد الثورة الى قادة كتائب قوات التعبئة الشعبية، ١٣٧٧/٤/٢٢.

(٣) حديث قائد الثورة الى قادة كتائب قوات التعبئة الشعبية، ١٣٧٧/٤/٢٢.

(٤) البقرة الآية: ٢٤٩.

والعشق في كيان التعبويين في سوح الوغى وتدفع بالشباب شوقاً إلى خطوط الجبهات، بحيث إنهم إذا ما عادوا منها لم تنفصل قلوبهم عنها[1].

إن للإيمان القلبي والديني أثره المتعاظم في الحركات البناءة على العكس مما كان يروج له الغرب والاستكبار العالمي منذ سنوات متمادية من أن الدين عامل تخدير وتقاعس للشعوب ومصدر للانعزال والزهد في الدنيا، وذلك ما يعاكس تلك الحقيقة التي جسدها الإمام. فلقد كان الإمام متديناً حقيقياً، لاحظوا ما كان يصدر منه من سلوك إزاء الدنيا وما فيها من سياسات ووقائع وإزاء حركة الإعمار، وهذا هو الأثر الذي يتركه الدين.

فأولئك الذين كانوا يزعمون أن الدين افيون الشعوب لم يفهموا الدين، ولعلهم لم يضمروا سوء نية لكنهم لم يفهموا الدين، وربما كان قد وصلهم ما لا علاقة له بالدين ويحمل اسم الدين، فوجدوا فيه ما هو افيوناً فتصوروا ان الدين أفيون. كلا، فالدين ليس أفيوناً ولعل ما كانوا قد لمسوه أفيوناً، بيد أن الدين الإسلامي دين انبعاث وانطلاق[2].

إيمانكم واعتقادكم بالله وبالإسلام هو العامل الجوهري والقوة الهائلة التي شدّت أفئدتكم ـ يا أبناء الشعب ـ إلى الثورة والإمام والجمهورية الإسلامية بهذه القوة، وهو ذلك الزخم العظيم الذي صنع من الشعب الإيراني بحراً هادراً أمام أنظار شعوب العالم على مدى جميع المراحل التي مرت بها الثورة، ومنها المرحلة التي أعقبت رحيل إمام الأمة، فينبغي عدم الاستهانة بذلك.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة حرس الثورة الإسلامية ، ١٣٧٠/٦/٢٧.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة القوات الثلاث في الجيش ، ١٣٦٨/٣/١٨.

فلولا إيمان جماهيرنا بالإسلام لما انتصرت الثورة، وإذا ما تمتع إمامنا العزيز بذلك النفوذ العميق في قلوب أبناء شعبنا في الداخل وسائر شعوب المعمورة بحيث إن أية إشارة كانت تصدر عنه أو كلام ينطلق منه أو فعل يصدر منه يتخذه ابناء شعبنا بل وحتى شعوب العالم درساً لهم، فذلك للإيمان الذي يحملونه بالله والإسلام.

ولقد كان للإيمان دور ممتاز في التطورات التي حصلت على الصعيد العالمي خلال السنوات العشر المنصرمة، وبما أن عملنا للإسلام فالله تعالى هو الذي يمنّ علينا بنصرته، ونظراً لما يتحلى به الشعب الإيراني من إيمان بالله ودينه وكتابه فإن باقي الشعوب تكنّ الاحترام له، ونظراً لهذا الإيمان بالله الذي يعمر به شعبنا فقد كان يكرم قائده الرباني بما يليق به، وحيث تنور فؤاد ذلك الإمام العزيز بنور الإيمان الصادق الخالص فقد تغلغلت محبته في أوساط الجماهير وتسمرت آثاره في أذهانهم وأرواحهم ومنحه الله من القدرة والقابلية ما مكّنه من إنجاز أعظم الأعمال في التاريخ المعاصر[1].

٦ ـ الانشداد إلى الله والتوكل عليه

الأعمال التي أنجزت خلال الفترة التي بلغت فيها النهضة ذروتها، وخلال فترة السنوات العشر المشرقة من عهد إمامنا العزيز كانت فعلاً إلهياً، وهكذا اليوم فإن الفعل لله وهو جلّت قدرته مع هذا الشعب، ولولا إخلاصكم يا أبناء الشعب وتضحياتكم وإيثاركم لما أنزل الله سبحانه نصره عليكم.

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أهالي باختران، آراك، رشت، و... ، ١٣٦٨/٤/١٤.

تلك هي معطيات الإيمان والعمل الصالح، فحيثما كان الإيمان والعمل الصالح كان معهما الفضل الإلهي «**من كان لله كان الله له**»[1]. ليس في ذلك كذب، بل هي حقائق عالم التكوين، فعندما يسخّر شعب كل وجوده لله وفي سبيل أهدافه يسخر الله تعالى له كل ما في عالم الطبيعة من قدرات ويشمله بعنايته.

لقد أحسنتم إدارة الحرب وخضتم غمارها حتى النهاية، وأحسنتم مؤازرة إمامكم وأعرتموه أسماعكم فأدخلتم السرور إلى قلبه حتى رحل عن هذه الدنيا ملتحقاً بجوار ربه راضياً عنكم، وذلك من الأهمية بمكان بالنسبة لأيّ شعب.

لقد تحملتم المصاعب خلال العقد الأول الحساس من عمر الثورة، وعبرتم خلاله عن وعيكم ورشدكم ومعرفتكم فيما أبديتم وفاءً رائعاً بعد الرحيل الملكوتي لذلك الرجل العظيم، وها أنتم توجهون الصفعات بقبضاتكم الفولاذية إلى أفواه أعدائكم.

تلك هي الأعمال التي توضع في عداد الأعمال الصالحة لشعبنا التي سينال ثوابها من الله سبحانه، ولكن علينا أنِ لا نغفل المحافظة عليها فلا يغيب عن أذهاننا أن لا معنى للعبثية عند ربّ العرش، لنكن مع الله لكي يكون النصر حليفنا على الدوام، ولنكن مع الله ليشمخ شعبنا ويسمو عالمياً ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، وهكذا أنتم وستبقون كذلك بإذنه تعالى[3].

المنطلق الحقيقي للتعبئة الشعبية في إيران هو الانشداد لله سبحانه، فالشاب التعبوي أو أياً كان من أبناء الشعب رجالاً ونساءً شيباً وشباناً عندما ينضوون

---

(١) بحار الأنوار: ج٨٥، ص٣١٩.

(٢) آل عمران الآية: ١٣٩.

(٣) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة جمع من أهالي قم، رفسنجان، وكهنوج، ١٣٦٨/٤/١٩.

تحت لواء التعبئة فإن ذلك يعني انشدادهم لله انشداداً معنوياً وصميمياً، وهذا هو الجوهر الحقيقي لعملنا، فالعامل الذي يزيل العناء عن كاهل الإنسان وهو يجوب ميادين الحياة هو ذكر الله، والقوة التي تحافظ على صمود الإنسان وتماسكه بوجه كافة القوى هي التوكل على الله، فبالتوكل على الله والثقة والاتصال به تتوطد مسيرة الشعب وتعبئته ويكون نصيبها الخلود وإلاّ فإن الثورة وجذوتها ستتوقد إلى حينٍ لكنها لا تدوم وسرعان ما تخبو.

لو تحرّيتم بلدان العالم فإنكم لن تعثروا على بلد يضاهي إيران بظروفها بحيث يستطيع الصمود أمام أعدائه، ويتغلب عليهم ويشق طريقه مكتسحاً جميع العراقيل التي اعترضته، ويواصل مسيرته صوب الأهداف التي يتطلع إليها. فلطالما انحرفت الثورات والحركات في أغلب البلدان جراء الضغوط التي تتعرض لها او المتاجرات التي تدور حولها، بيد أن ما سار بحركة إيران الإسلامية حتى يومنا هذا وسلك بها الطريق القويم نحو أهدافها هو إيمانكم وارتباطكم بالله سبحانه وروح التضرع والمناجاة الكامنة لدى القوى التعبوية.

إنه دعاء كميل الذي واظبتم ولازلتم مواظبين عليه، وحضوركم في صلاة الجمعة، وتوسلاتكم بالأئمة‏‏. إن الانشداد والتعلق المعنوي هو الذي حفظ كل شيء، وهذه ميزة لا وجود لها في أية بقعة أخرى، ولابد من المحافظة عليها[1].

إن شعبنا يتمتع بإيمان قلّ نظيره، والذين خبروا سائر الشعوب عن قرب يشهدون بأن الشعب الإيراني أحد أكثر الشعوب الإسلامية إيماناً.

لقد اتضح لأبناء شعبنا أنهم تحت ظلال الإسلام يستطيعون بلوغ الحياة الحرة والتنعم بالمواهب المعنوية والمادية، لذا فإن قوام نهضتهم كان الإيمان

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة قوات التعبئة في أرجاء البلاد ، ١٣٧١/٨/٢٧.

ومحبتهم للإسلام، فقامت هذه الثورة الجبارة وحكومتها على أيدي الجماهير وعلى أساس الإسلام، ولذا فإن المسلم أينما وجد يشعر بالانشداد نحو هذه الحركة، لأنها لم تتقيد بالأطر القومية أو الوطنية التي تتحدد بقوم دون آخرين، بل هي حركة من أجل الإسلام الذي يمثل قاسماً مشتركاً يجمع الكثير من الشعوب، ولهذا فإن المسلمين يكنّون المودة لهذه الثورة وهذا النظام[1].

لتوطّد الشعوب إيمانها وتعقد رباط قلوبها بالله سبحانه، فإنكم أيّها الشعب العظيم المجاهد الشجاع ـ حيث أرعبتم القوى الكبرى والحمد لله، ولازال هذا الرعب مستحوذاً عليهم ومن الطبيعي أن يعيشوه ـ إنّما حصلتم على هذه القوة والصلابة بفضل الإيمان بالله تعالى، فوطّدوا هذا الإيمان ووثّقوا وحدتكم ولا تخضعوا لأعداء الله مهما كلف الثمن.

إن الإسلام عزيز ومعز، والعزة نصيب مَنْ محضَ الإسلام، أما مَن حاقت بهم الذلة فهم الذين انسلخوا عن الإسلام، فحافظوا على إسلامكم وصونوا قيمه، وادعوا سائر الشعوب للالتزام بالإسلام والعودة إليه، إذ ذاك ستقطع عنهم أيدي القوى الشيطانية[2].

الأمة الحيّة هي التي تصنع من مواطن الضعف مدعاة قوة لها، ولقد ازداد ثناء الدنيا لكم بعد رحيل الإمام لمّا لمسوا ان هذا الشعب شعب قوي.

من أين يا ترى جاءت قوتكم هذه؟ إنها من إيمانكم ووحدتكم؛ إيمانكم بالله ووحدة كلمتكم. حافظوا على وحدة كلمتكم واعملوا على توطيد إيمانكم

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من أبناء الشعب وأعضاء لجنة صلاة الجمعة في طهران، ١٣٦٨/٨/٣.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من أبناء الشعب بمناسبة الخامس عشر من شعبان، ١٣٦٩/١٢/١١.

بالله يوماً بعد يوم، فهو السر في معالجة المشاكل، والإيمان بالله وبالنفس والمسؤولين والنجاح والهدف، كل ذلك من الإيمان.

فعليكم بتوطيد هذا الإيمان في نفوسكم، وحافظوا على ما انتم عليه من وحدة الكلمة ولا تدعوا العدو يزعزعهما[1].

إن التوهم بأن الاستكبار العالمي قد أقلع عن عدائه للإسلام والنظام الإسلامي والشعب الإيراني المسلم إنما هو دليل قصور في الفكر، ولن يتسنى الدفاع عن استقلال البلاد وعن الثورة الإسلامية العملاقة إلاّ عبر المحافظة على الإيمان وترصينه والمعرفة الراسخة[2].

إن طريق النجاة والصلاح والفلاح وطريق الانتصار على العدو الماكر الخبيث، الطريق الذي يؤول إلى رضى الله سبحانه وتعالى وتحقيق الأهداف الإلهية، هو ذات الطريق الذي كان يوصي به إمامنا العزيز الشعب الإيراني قاطبة، أي رعاية الارتباط بالله تعالى والتوكل عليه وعدم الرهبة من أعداء الله والمحافظة على الجمهورية الإسلامية في إيران ومساندتها بكل الوجود. هذا هو طريق الشعب الإيراني.

وعلى الجميع، جماهير ومسؤولين، المحافظة على الجمهورية الإسلامية ـ وهي أسمى ميراث تركه إمامنا العزيز ـ وصيانتها بكل وجودهم، وعليهم التحلي بالحذر إزاء أعدائهم، وليعلموا أن الله معهم وأن العدو ضعيف بما لديه من كيد ومكر، وليعلموا أن الطريق الذي يفضي إلى سعادة الشعب الإيراني هو ذات الطريق الذي عرفناه وسلكناه بوحي من هدي إمامنا وزعيمنا، وفيه نال الشعب الإيراني الكثير من المكاسب ـ والحمد لله ـ وأمامهم المزيد من النجاحات

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من أبناء محافظة جهار محال وبختياري، ١٣٦٨/٦/٨.

(٢) حديث قائد الثورة في مجموعة من عوائل الشهداء وأبناء الشعب ، ١٣٧١/٧/٢٩.

أيضاً، فالمستقبل زاهر حيث إنني أتطلع اليوم إلى مستقبل الجمهورية الإسلامية فأراه مستقبلاً زاهراً مفعماً بالأمل[1].

لقد أدرك الشعب الإيراني جيداً أن نقطة قوّته وثباته هي بالذات تلك التي عبّأ العدو كافة قواه لمواجهتها أي التوكل على الله والتمسك بالمبادئ الأساسية للثورة المنبثقة عن متبنيات الإسلام، وأكد عليها قائد الثورة الكبير (قدس سره) في خطاباته.

إن ما طبع التصريحات الاستفزازية الصادرة عن وسائل الإعلام المعادية من حماقة وغيظ مشوب بالعناد حين إيرادها لمفردة (الأصولية) منذ اليوم الأول لانتصار الثورة وحتى يومنا هذا، إنما هو ناجم عن ذهولهم وارتباكهم إزاء ثبات الإمام والشعب والنظام على المبادئ الجوهرية للثورة[2].

ثمة عبارة وردت في وصية إمامنا العزيز ينبغي أن لا تغيب عن مخيلتنا أبداً، وهي قوله بأن العامل الذي قاد الثورة نحو الانتصار هو ذاته الذي سيكون سبباً في استمرارها، وهو التوكل على الله وإيمان الشعب بإسلامه وإرادته القاطعة على أداء التكليف الإلهي والديني ووحدة الكلمة[3].

٧ ـ اتباع السنن القوانين الخالدة

إن الطريق الذي سلكناه هو طريق الأمل لأنه سبيل الله والسنن الطبيعية، وإن حركتنا تسير وفق القوانين الإلهية والسنن الطبيعية، إنها القوانين الخالدة بالرغم

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أبناء مدن آمل ونيشابور وبهار همدان ، ١٣٦٨/٣/٢٦.

(٢) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

(٣) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أبناء ومقاتلي محافظة خوزستان، ١٣٦٨/٤/٢١.

من مرور مئات السنين عليها. وما بذله أعداء الدين من جهود منذ ما يربو على القرنين كان لإقصاء الدين عن الساحة، وها هو الدين يقتحم الدنيا وتقام الحكومة الدينية في هذه البقعة الحساسة من العالم، وها هي الدول التي أقصيت عن الدين لمدة ثمانين عاماً تقوم بعملية إعادة بناء على الصعيد الديني.

هذه هي القوانين الإلهية والسنن الطبيعية، فهل يا ترى هذا ما يريده الصهاينة وأرباب السياسة وصناع الأفكار المادية الذين ساقوا البشرية نحو الرذيلة متناسين بشكل كامل ما تحفل به حياة البشرية من معنويات؟! وهل كانوا يرغبون في أن يرى الدين النور من جديد وتتجدد الشعائر الدينية وبالذات منها الإسلامية؟!

إنها السنن الإلهية التي تفعل فعلتها وتشق طريقها بالرغم من تخرصات أعداء الله والدين والمعنويات، فلماذا لا يغمرنا الأمل ونحن نتحرك في ضوء هذه السنن؟! إننا نخطو وفق تلكم القوانين التي كانت تبعث الأمل في نفس رسول اللهﷺ في أحلك الظروف التي مر بها خلال حياته، في تلك الأيام التي أحكم قومه مقاطعتهم عليه وتعرضت حياته للخطر، فطاردوه ولم يدعوه يركن في بيته مما اضطره إلى أن يرحل يوماً إلى الطائف، وآخر يطرد إلى شِعب أبي طالب، يومها ظل ينادي: ﴿إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]. علامَ كانﷺ يعتمد عندما كان يريد أن يهزّ الدنيا ويتطلع لاحداث ثورة عالمية؟ ليس سوى الاعتماد على الله والسنن الإلهية والتصميم على الجهاد.

وهكذا نحن إذ نتحرك معتمدين على تلك القوانين، فلم لا نكون متفائلين؟! لقد أفلح هو وسنفلح نحن، إنه استطاع تغيير وجه التاريخ فأبهر الدنيا بأسرها

---

(١) الأعراف الآية : ١٨٨.

بتعاليمه ونظامه على مدى قرون عديدة، وسوف نتمكن من ذلك نحن أيضاً لأننا نقتفي ذلك الدرب بعينه، فلماذا لا يحدو الأمل الشعب الإيراني؟![1].

يجب أن يقوم اتخاذ القرار في النظام الإسلامي على مرتكز العقيدة والتكليف الإلهي[2].

إن هذه النهضة الشعبية والثورة الفريدة من نوعها التي تمخضت عن خمس عشرة سنة من النضال، وهذه الملحمة الكبرى التي سطرها شعبنا المؤمن المجاهد على مدى أحد عشر عاماً من عمر هذا النظام، وما قدم من أبنائه الشهداء ذوي النفوس الطيبة وتحمله لضروب المشقات والمحن والمآسي، إنّما كان كله من أجل الإسلام.

لقد أيقن هذا الشعب العظيم وإمامه الفذ أن السعادة مرهونة بالسير الحقيقي على خط الإسلام، ووجدوا في حاكمية الإسلام الوسيلة للخلاص من هيمنة الشياطين والطغاة الظالمين، وتلمسوا رضى الله سبحانه في حاكمية الإسلام، ومن أجل الإسلام أيضاً يرى المسلمون والمخلصون الغيارى في شتى أرجاء العالم الإسلامي انتسابهم لهذه الثورة وهذا النظام ويدافعون عنهما ويؤازرونهما، وعلى هذا فإن المسؤولية العظمى التي تتحملها الجمهورية الإسلامية هي أسلمة الحياة العامة للجماهير والارتقاء بالمجتمع إلى المجتمع الإسلامي النموذجي.

وبغية تطبيق هذا الطموح على أرض الواقع ـ حيث اتخذت خطوات أساسية وواسعة بهذا الاتجاه منذ انتصار الثورة من قبل المسؤولين وبإشراف مباشر واهتمام أكيد من الإمام (قدس سره) ـ يتعين على السلطات الثلاث في

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة ومنتسبي حرس الثورة الإسلامية وقوى الأمن الداخلي بمناسبة يوم الحرس، ١٣٦٨/١٢/١٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من أبناء الشعب والأحرار، ١٣٦٩/٨/٢.

البلاد تنسيق جهودها، وينبغي للحوزات العلمية والمراكز الثقافية والتحقيقية أن تبذل قصارى جهودها لتكريس الفقه والاجتهاد الواعي المتبصر بما يمثله من منهل لا ينضب لتعميق المعارف الإسلامية وبسطها، كما يتعين على الأجهزة ذات الاختصاصات الفكرية والعلمية في نظام الجمهورية الإسلامية العمل معاً إلى جنب أبناء الشعب، والسير في طريق تحكيم الإسلام وتحقيق الأهداف الإسلامية.

فعلى جميع أبناء الشعب تقع مسؤولية جسيمة في المحافظة على الأحكام النورانية للإسلام وصيانتها، والعمل على بسطها وتعميقها في المجتمع[1].

٨ ـ الحفاظ على الروح المعنوية

ثمة أمور متعددة تحظى بالأهمية بالنسبة لنا وهي ترتبط بالمستقبل ـ إذ لابد من أن يكون الماضي في خدمة المستقبل أيضاً ـ منها: أن كل ما تتمتع به هذه الثورة وهذا الشعب، وما يترشح من بركات هذا الشعب على سائر الشعوب الإسلامية إنّما هو ثمرة الإيمان بالله والتوكل عليه وإحياء القلوب بذكره.

وهذا مما لا ينبغي التغافل عنه ولو لحظة واحدة، فلولا التوجه لله سبحانه والاستلهام من القدرة الإلهية الأزلية ما كان يخامرنا التصور ان تتمكن هذه الثورة وهذا الشعب من تحقيق مثل هذه المكاسب، وهذا ما ينسحب على المستقبل أيضاً.

إن بناء الإنسان يمثل دعامة الثورة الإسلامية، وبناء الإنسان إنما يتمثل بالدرجة الأولى في عمارة القلوب وإنعاش النفوس، فالدنيا التي تعجّ بالزخارف

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الأمام الخميني(قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

والبهرجة والملذات فيما يفتقر فيها الإنسان للقيم الإنسانية والأخلاقية وللتدين لن توفر اللذة حتى لأهل الدنيا، ولن تهب الطمأنينة لبني البشر؛ إذ إن طمأنينة الإنسان إنما مصدرها الروح والأخلاق التي يؤمّنها الدين ومنه يتحتم استلهامها وتلقيها، والدنيا التي تخلو من الأخلاق والمعنويات والدين هي عينها التي تشاهدونها في يومنا هذا والتي تظللها القوى الكبرى وعتاة الدنيا بعارهم وشنارهم وبما جلبوه ويجلبونه من ويلات على الشعوب.

يجب أن تتركز جهود كل فرد منا بالدرجة الأولى حيثما تواجدنا على بناء النفس وتهذيبها وإعمار الباطن والتحلي بزينة الأخلاق الإلهية والمعنوية[١].

في المجتمع الإسلامي تتواءم الحياة المعنوية مع الحياة المادية، فالازدهار يعم دين الأمة وأخلاقها وثقافتها ومعارفها إلى جانب حياتها المادية والمعاشية، بحيث يتم تأمين العمل والانتاج والابتكار والابداع في المجتمع الإسلامي، فعلينا العمل لتحقيق مثل هذا التحرك[٢].

حق أصوّر هذه الحياة بذلك الإنسان الذي يعيش ليأكل ويأكل ليعيش، فلا غاية من هذه الحياة سوى الأكل، والأكل يُذكر هنا كمثال وإلاّ فالأهداف والأغراض المادية متعددة، منها مثلاً اللهو وحب الجاه والمنصب والتفاخر التعالي والتسلط، ويفترض بنا الاستعاذة بالله سبحانه من ان تتعلق قلوبنا بهذه الحياة، لأن مثلها كالسيارة التي نتوجه بها إلى محطة الوقود فنملؤها ثم نتحرك وهدفنا المحطة الأخرى لنملأها ثانية، وهكذا دواليك نظل ندور في دوامة

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من أبناء قم بمناسبة يوم ١٩ من شهر دي، ١٣٧٠/١٠/١٩.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من أبناء العشائر وعوائل الشهداء، ١٣٧٠/٤/٢٨.

البحث فنجول بين المحطات دون ان نغير مسيرنا أو نتخذ مقصداً ووجهة معينة لحركتنا أو نستخدم تلك السيارة للعبور من وادٍ محفوف بالمخاطر أو نقدم من خلالها خدمة لأحد.

ما أعظمه من خسران فادح يمنى به ذلك الذي تنحصر جل غايته في الحياة بهذه الماديات، ويتركز هدفه من هذه الحياة في الظفر بأيام معدودات من حياة الدعة واستهلاك عمره بهالة من المفاخر الواهية! في حين يسع المرء ان يتوصل إلى وهمية هذه المفاخر عبر ما يتراءى للأنظار من خوائها وفنائها وتلاشيها وخلوها من المعنى لدى الملايين من البشر على وجه الأرض[١].

٩ ـ التمسك بالشعائر الدينية

انني أوصيكم يا أبناء شعبي العزيز وبالذات الشبيبة منكم بالتمسك بالشعائر الدينية.

اعرفوا قدر التكاليف الدينية، اقرنوا إيمانكم بعملكم وتصدوا للفساد الاخلاقي والانحراف العقائدي، جدوا في تقوية انفسكم بدنيّاً وفكرياً وروحياً وإيمانياً، وسيأتي ذلك اليوم الذي يرى فيه هذا الشعب نصره على أعدائه كافة وفي شتى أصقاع العالم، وتنقطع مطامع الاعداء عن هذا البلد وشعبه[٢].

يخاطبنا القرآن قائلاً: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾، ثم يردف قوله بإيراد الشرط وهو ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجلس الشورى الإسلامي في دورته الرابعة، ١٣٧١/٣/٢٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجموعة من أبناء محافظة جهارمحال وبختياري في ملعب مدينة شهركرد، ١٣٧١/٧/١٥.

(٣) آل عمران الآية: ١٣٩.

ما قلته آنفاً منوط بصلاح علاقتنا مع الله سبحانه، وتزودكم أيها الشباب بالتقوى، وسعيكم جميعاً رجالاً ونساءً للدفاع عن الدين وعدم الانهيار أمام النزعات التي تفضي إلى الخطيئة، ومقاومة الوساوس الشيطانية، وإنكم لقادرون فلقد خبرنا قدرتكم، وأقوى الوساوس الشيطانية تلك التي تحوم حول عملية تهذيب النفس.

كم انهالت عليكم قذائف العدو ونيرانه المكثفة في جبهات القتال، لكنكم كنتم تواصلون تقدمكم دون وجل! وكم شاهدتم من جثث رفاق دربكم الزاكيات الذين سقطوا شهداء بين ظهرانيكم لكنكم كنتم تغذّون التقدم إلى الأمام! وبالرغم من سطوة الشيطان في تلك اللحظات ورهبته لكنه لم يقو على إرعابكم وعجز عن تكبيلكم وإخضاعكم لوساوسه، فهو إنما ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾[1]، وسيعجز عنكم حينما تقفون أمام الذنوب.

اعلموا أن أحد الاسلحة التي يتوسل بها أعداؤكم الذين تصرخون بالموت لهم اليوم هو نثرهم حبيبات الذنوب أمامكم، عساهم يفلحون باستقطاب شبابنا، وصاحب النفس الرصينة عليه الثبات وعدم الاستسلام لهذه النزعات.

احذروا فالشباب التعبويون عندنا مؤمنون طاهرون أعفّاء، ولكن قد يخرج من بينهم من يفتقر لتلك الروح الصلبة فتصطاده أحابيل الاعداء والشيطان فهنا تنفع التقوى، تلك التقوى التي تعني دوام مراقبتنا لأنفسنا وعدم الوقوع بالهفوات.

وأحد أسلحتنا الدعاء «**لا يملك إلاّ الدعاء**»[2]، فنحن نملك سلاح الدعاء وسلاح التضرع والبكاء، ونحن لا نبكي خشيةً من أحد البتّة، ولا نرهب أحداً أو

---

(١) آل عمران الآية: ١٧٥.

(٢) مفاتيح الجنان، ص٦٧.

قوة في الدنيا أبداً، وأسمى ما يناله المؤمن من فخر إنما يكون في انهمال دموعه بين يدي عظمة بارئه، متحسراً على ما مضى من عمره المحفوف بالخطايا والذنوب.

فعليكم بالتضرع إلى الله سبحانه واطلبوا منه ما شئتم وأنتم تعيشون حالة الضراعة إليه، ومع الدعاء تُثبت هذه السواعد المفتولة والعزائم الصلبة فاعليتها، فلقد كان النبي الاكرمﷺ وأمير المؤمنينﷺ يلجآن إلى الدعاء في ساحات الوغى ويتضرعان إلى الله سبحانه بحاجاتهما، وكان إمامنا العزيز يدعو الله أثناء الحرب[1].

١٠ ـ الوعي والإيمان والجدية

انكم تشاهدون اليوم أن الدنيا غدت حلبة صراع بين جبهتين؛ إحداهما تمرست بالرذائل بشتى ضروبها فيما وقعت الشعوب تحت طائلة الظلم، فتحقق ما ورد في الحديث «**ملئت ظلماً وجوراً**»[2].

وها هي إمارات ذلك شاخصة في الآفاق حيث ملأت الأيدي السلطوية الآثمة عالمنا المعاصر ظلماً وجورا، فأي مكان يخلو من ظلمهم وجورهم؟ حيث أضحى بوسعنا ترديد ما كان قد صرح به أمير المؤمنينﷺ في ذلك الوقت: «**لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم**»[3].

فلقد امتد ظلمهم إلى كل زاوية في هذا العالم، وهذا الظلم الذي يمارسه الاستكبار العالمي والقوى السلطوية في العالم يضع تكليفاً على عواتقنا، فما هذا

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجموعة من أبناء محافظة جهارمحال وبختياري في ملعب مدينة شهركرد، ١٣٧١/٧/١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٥١، ص ٧٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٩٨.

التكليف يا ترى؟ انه مكافحة الظلم، فالمهمة التي يضطلع بها شعبنا هي مقارعة الظلم والجور والإجحاف والاستغلال والاستعباد، ولكن ما هي الكيفية التي يجري بها هذا الكفاح؟ لعله يتم بأيدٍ عزلاء خالية من السلاح، بيد أن الأيدي التي تعدم العلم والمعرفة والايمان لا تقوى عليه، ولا يمكن إنجازه مع تفشي البطالة والعبثية وتنامي حالة الطيش بين الأجيال ـ لا سمح الله ـ هذا الكفاح إنما تخوضه الجماهير بمختلف طبقاتها وبالذات الشباب والفتوة فيها بعد ان تتحلى بالوعي والإيمان والجدية[1].

إيها الشباب، إنكم أعمدة الثورة في المستقبل والمراحل اللاحقة، ونظراً لما تحملون من عنوان الشباب فإن لكم الدور الأوفر في الثورة، فأنتم اليوم وحينما سجلتم حضوركم تمثلون العناصر الفاعلة في الثورة على مختلف الجبهات سياسياً وعسكرياً وتنموياً، بيد أنكم ستغدون أعمدة الثورة، وإن كنتم اليوم عناصر التأثير في الثورة فإنكم ستصبحون غداً أركانها، فعليكم معرفة الثورة جذوراً ومباني فكرية ومنطقية.

بعد مضي عشر أو إحدى عشرة سنة على تلك الأيام الدامية لا يحق للشبيبة من أبناء الشعب الإيراني أن ينسوا تلك الأيام وما سبقها من أيام حالكة، وعليهم مواكبة الشعب في مسيرته التقدمية نحو الأمام، وأخص بالذكر منهم الشباب من الجامعيين، فلا يجوز للشبيبة الركون للأمية والفتور، فالشاب الذي يغمض عينيه عن الأحداث التي تشهدها بلاده ومصيرها وعن الممارسات العدائية التي تستهدفها ولا يتحمس أو ينتفض لها، ليس جديراً ان ينتحل صفة شاب مواطن ينتمي لشعب ثوري.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه بمجموعة من أبناء الشعب بمناسبة يوم العامل والمعلم، ١٣٧١/٢/٩.

فروح الشباب تلك الروح الطافحة بالعنفوان التي تهب لنصرة الامم عند الشدائد وتنتشلها منها، ولقد حالف الحظ جيل الشباب المعاصر إذ لم يشهد الحقبة العصيبة الخانقة من حكم رضا خان وابنه محمد رضا، وينبغي ان لا يمحى من ذلك العهد عاصروا ذاكرة شبيبتنا اليوم ما كابده جيل الشباب الذين عاصروا ذلك العهد والمحن التي تجرعوها. ولم ينحصر الامر على شعبنا، بل إن الشباب في سائر البلدان وفتيانها بذلوا التضحيات الجسام خلال العهد الذي كانت تلك البلدان تكابد الاستعمار والإرهاب.

انكم تتحملون اليوم مسؤولية تعميق الثورة وترسيخها في أعماق وجودكم وهضم مفاهيمها ومتبنياتها الفكرية، وادّخارها إلى حين تبرز حاجة الشعب اليها، وهذه الحاجة إنما تطل في ساحتين: إحداهما: الأخطار التي تهدد الثورة اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، حينها يتحتم النزول بتلك الذخيرة إلى ميدان العمل للدفاع عن ثورتكم ووطنكم بما يقتضيه الزمان والظروف. أما الساحة الأخرى فهي ساحة الإعمار فخير البناة الثوريون، وأفضل المبدعين لتوفير حياة زاهرة للثورة أولئك الراضعون منها وقد ترسخت في صميم أرواحهم، وعليكم يا أيها الشباب التأهب لاقتحام هاتين الساحتين في كل آن.

وباعتباري قد خبرت الأحداث وعلى تماس معها ـ سواء تلك المكشوفة عالمياً أو التي تجري خلف الكواليس ـ وعاصرت المؤامرات التي حاكها الاعداء منذ انطلاق الثورة، أقول لكم يا شبابنا الاعزاء: احذروا ! فإن الأعداء قد رصدوا ميزانيات طائلة لمواجهتكم محاولين بذلك سَوْق البعض نحو اللامبالاة، وبث روح اليأس والفتور في البعض الآخر، وهذه الحالة من أخطر الآفات التي تدهم الشباب.

وليعلم الشباب ان اليأس سرعان ما يدب إلى روح الشاب كما هو الحال بالنسبة للأمل، وعليكم بترصين المنعة في نفوسكم في مقابل محاولات العدو الرامية إلى بث روح اليأس في نفوس الشباب، وكذلك محاولة جرف البعض نحو الفساد وإيقاعه في شتى المفاسد التي تحيل الشاب الذي هو مظهر الطهارة والنقاء والعفة إلى شاب فاسد ملوث قذر فكلا المحاولتين لا فرق بينهما، وتغذي البعض بالأطروحات والأفكار السياسية.

فثمة فئة من الشباب حملت السلاح في الأيام الأولى لانتصار الثورة لمقاتلة الدولة التي انبرى لمقارعتها الشرق والغرب، وما ذلك إلاّ حصيلة الافكار السياسية المنحرفة التي زرقوها في عقول أولئك البؤساء الطفوليين. وفي جامعة طهران بالذات انبرى بعض الطلبة لحمل السلاح عام ١٣٥٨ و ١٣٥٩هـ ش وتمترسوا وسط الجامعة ليوجهوا رصاصهم نحو الحكومة ونحو الشعب الثوري! فما هو المقياس الذي يمكن في ضوئه فهم ذلك وتصديقه؟! فإذا بالطالب الذي يفترض به التمترس لمواجهة أعداء ثورته ويكون درعاً لها، إذا به يبادر بنفسه للفتك بها! إنه لأمر خارج عن حدود التصديق، لكنه حصل!

بيد أن الثورة تيار هادر تكتسح ما يعترض طريقها، وقد جرفت أولئك ومن هم أكبر منهم، وقد نجا أولئك الذي تمكنوا من مواكبة الثورة والتأقلم معها، فيما غرقت فئة وآل مصيرها إلى الفناء، فناءً بدنياً أو معنوياً والذي هو أدهى!

إذن دس الأفكار السياسية المنحرفة في أذهان الشبيبة يمثل جانباً من نشاطات العدو، واعلموا أن أية فكرة تثير الشعور لدى الشاب بانفصاله عن قادة الثورة وطليعتها ومسؤولي البلاد في وقتنا الحاضر إنما هي من طراز تلك الأفكار السياسية المدسوسة. فعليكم الانتباه إلى أنه يجب على الشعب والحكومة التكاتف والعمل يداً بيد وجنباً إلى جنب وبذل أقصى الجهود لتحطيم أبهة

الاستكبار والقوى السلطوية والقضاء عليها، وهذا الميدان في غاية الأهمية والحساسية. أما الفكر الذي سيقودكم نحو الهداية فهو الفكر الإسلامي، وعليكم في الجامعات إيلاء المزيد من الاهتمام بالأفكار والفعاليات الإسلامية[1].

مادامت المسيرة ماضية في خط الإسلام المحمدي الأصيل فلن يكف العدو عن كمائنه وضغائنه، ومازال النظام الإسلامي المقدس عرضة للمؤامرات والممارسات الخيانية والاعمال المفسدة، ومادامت هذه الاخطار تحدق بالثورة فإن تواجد فدائييها وخلّص أبنائها وسواعدها المقتدرة ضرورة ملحّة[2].

١١ـ مسؤلية النظام السياسي ايجاد التوازن بين الهدف والوسيلة

لا مبرر لأن نسعى لبناء دولة أو حكومة أو بلد يضاهي اليابان ـ على سبيل المثال ـ بما هو عليه الآن من مستوى قد لا ينال نظيره، أو تلك الدول التي هي أقل منها شأناً، ولم أشأ التطرق لذكرها الآن. يعني إذا ما انطمست المعنويات وتلاشى العمل في سبيل الله، ولم يكن الهدف إقامة المجتمع الإسلامي المثالي، فحينها يفقد العمل والجد مبرره، لذا فلابد من أن يكون التحرك في سبيل الله ويتأطر العمل بإطار الأهداف الإلهية ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[3].

والعمل والنشاط لابد منهما بالنسبة للإنسان وإلاّ فما أكثر الدول في العالم التي نال بعضها حصته من التطور، بيد أن ما نصبو إليه نحن هو تحقيق الأهداف الإلهية وتجسيد القيم، وبناءً على هذا فإن ما يحتل اهتماماتنا هو تحقيق طموحات الثورة وأهدافها بقيامنا لله.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من الجامعيين والتلاميذ ، ١٣٦٨/٨/١٠ .

(٢) بيان قائد الثورة الى ملتقى القادة وممثلي الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧٠/٦/٢٥ .

(٣) المطففين الآية : ٢٦.

والمثل التي جاءت بها الثورة وتتركز كافة جهودنا وأعمالنا من أجلها ترتكز على دعامتين هما: الدين والأمة، والدين بلا أمة لا قدرة له على الفاعلية؛ لأن ديننا ليس بذلك الدين المعزول عن الأمة. وانها لخدعة أن نحاول الفصل بين الإسلام وبين جموع الأمة ومصالحها ونقول: دعوا الأمة هي وقدرها وتمسكوا بدين الله وبالإيمان! فذلك بعينه الإسلام المحرف الذي انبرى الإمام(قدس سره) لمقارعته منذ أن انطلق في نهضته، وأدرك الكثير من الصالحين والعلماء في وقتها ما كان يدلي به الإمام في هذا السبيل، فيما بقي بعض المتحجرين والبلداء على جهلهم، ولم يزل البعض أيضاً لم يدرك بعد حقيقة عدم انفصال الفكر الإسلامي عن الأمة وجماهيرها.

فاعلموا أن كل ما يتبادر إليكم بعيداً عن صلاح الأمة وإسلامها قد أخطأتم معرفته أي من المسلّم به ان هنالك خطأ في فهمه إن كان من الإسلام أو أي شيء آخر. إذن ما في إسلامنا وثورتنا من قيم يقوم على هاتين الركيزتين[١].

١٢ـ التوجه إلى الحياة الإسلامية الطيبة

الحياة الإسلامية هي التي تتوفر فيها السعادة الدنيوية والأخروية؛ الرفاه المادي والسمو المعنوي، فكل شيء يجتمع في الحياة الإسلامية الطيبة[٢].

إنما تتحقق الرفاهية والسعادة والسلام والأمان لأي شعب في ظل الإيمان بالله وسيادة القيم الإلهية لا غير[٣].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية ، ١٣٦٨/١١/٩.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أبناء مدن تبريز ، فيروز آباد ، إيلام ، و... ، ١٣٦٨/٤/١٢.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية بمناسبة عيد الغدير ، ١٣٧١/٣/٣٠.

١٣ ـ إقامة العدالة الاجتماعية

في مقدمة الأهداف المتوخاة من إقامة النظام الإسلامي يأتي إقرار العدالة الاجتماعية والقسط الإسلامي، ولقد جاءت نهضات الأنبياء وأُنزلت الكتب والميزان لإنقاذ البشرية من الظلم والتمييز والضغوط، ولكي تحيا في ظل القسط والعدل، وترتقي إلى الكمالات الإنسانية في ظل نظام العدل.

إن الدعوة لإقامة نظام إسلامي مجرد عن المعتقد الراسخ والعمل الدؤوب في سبيل العدالة الاجتماعية ما هي إلاّ دعوة شوهاء بل زائفة خاطئة، فإن أي نظام ـ وإن تلبس بزي إسلامي ـ إذا لم يضع إقرار القسط والعدل وإنقاذ المستضعفين والمحرومين على رأس قائمة أعماله فهو نظام غير إسلامي وقائم على النفاق. ولهذا جاء رفض العقلاء المتبحرين بمعارف القرآن والإسلام لأباطيل السلاطين والحكام قديمهم وحديثهم؛ لأنهم كانوا يزعمون الانتساب إلى الإسلام والتلويح بشعار السير على خطى القرآن، وهم قد سلكوا سبيل الجبابرة وعمقوا الهوة بين الفقراء والأثرياء ووقفوا في صف الأغنياء متناسين آهات الفقراء والحفاة[1].

١٤ ـ مزج الايمان بالعمل

إن أهدافنا ـ أيها الأخوة والأخوات ـ واضحة وهي خلاصة الإسلام الذي لا يعد معتقداً وحسب، بل هو الحياة الطيبة للإنسانية. وحينما نقول الحياة الإسلامية والنظام الإسلامي فإننا نقصد ذلك النظام وتلك الحياة التي تجتمع فيها كافة المواهب التي يتمناها الإنسان فيها الصفاء المعنوي والرفاه المادي والأمن الاجتماعي والروحي، فيها العلم والمعرفة والبصيرة والتحقيق، فيها التعبد

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الامام الخميني (١)س سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

والخلوص والتوجه إلى الله سبحانه والعبودية له.. تلك هي الحياة الإسلامية الطيبة التي نصبو لتحقيقها، وهي التي يمنحنا إياها الإسلام وأثبت ذلك عملياً بالتجربة، حيث أكد قدرته بالدفاع عن الأمة التي تؤمن به وتحيا في ضوء مبادئه؛ وان مناصبة القوى الدولية العداء لنا بسبب الإسلام ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1].

فالصراع إنما يدور حول الإسلام الذي يمثل قلعتنا الحصينة، والإسلام هو الخندق المنيع الذي بإمكاننا التمترس فيه للدفاع عن كرامتنا وشخصيتنا وهويتنا والاستمتاع بالحياة الطيبة.

هذه هي غايتنا وهذا هو دربنا ولا يعوزنا شيء للسير على هذا الدرب والتحرك نحو هذه الغاية، فإنّ الإيمان لازم وقد نوّر الله سبحانه قلوبنا بنور الإيمان، وإنّ الحركة والعمل والاقدام لوازم وقد وفق الله عز وجل الشعب الإيراني ليثبت أنه أهل للتحرك والإقدام، وذو بصيرة إزاء العراقيل التي تعترض السبيل نحو هذه الأهداف وتحمل الشدائد، حتى غدا الأقوى مراساً وأهلاً للعمل الصالح، وهكذا يتطلب الموقع الجغرافي والسياسي في العالم. ولقد وهبنا الباري تعالى ذلك، إذ ان المنطقة التي نحيا فيها ـ شاء الأعداء أم أبوا ـ تعدّ من أكثر المناطق في العالم حساسية، وتلك ميزة تختص بها الشعوب القاطنة في هذه المنطقة، وقد حبانا الله بهذه الميزة، كما أننا نتمتع بالإمكانيات الطبيعية الهائلة أيضاً.

لقد توفر هذان العنصران ـ أي الإيمان الراسخ، والإقدام والعمل والعزيمة الراسخة على طيّ هذا الدرب ـ فينا لحد الآن، فاستطعنا ـ والحمد لله ـ المضي

---

(١) البروج الآية : ٨.

قدماً. فعلينا المحافظة عليهما أيضاً، وذلك ما ينبغي أن يعيش في ذاكرة أبناء شعبنا رجالاً ونساءً وبمختلف طبقاتهم وفي أية بقعة كانوا من بلدنا.

فالإيمان والاندفاع نحو العمل والاقدام والنشاط والوحدة والتلاحم تلقي بظلالها على شعبنا والحمد لله، فعليكم المحافظة عليها وبالذات منكم الخطباء ومن لهم التأثير في أوساط الجماهير وذوو القدرة على التأثير في أذهان الناس وقلوبهم وأرواحهم، فهؤلاء يتحملون القسط الأوفر من المسؤولية في ترسيخ عرى الإيمان والحث على العمل وصيانة وحدة الشعب وتلاحمه.

وقد تكرر مني الحديث لأبناء شعبنا العزيز وأولئك العامرة قلوبهم بالأمل والإيمان بأنني لا يساورني القلق والتردد بشأن المستقبل، وأعلم أن شعبنا سيتمكن بعونه تعالى من بلوغ تلك الحياة الطيبة التي تعمر فيها الدنيا والآخرة معاً، والزاخرة بالجوانب المادية والمعنوية بالعلم والعبادة، الطافحة بالرفاهية والمعنويات وفيها كل شيء، وليعلموا بأننا لو أفلحنا في إقامة هذا النظام ومثل هذا المجتمع يومها نكون قد أنزلنا هزيمة نكراء بأعدائنا[١].

١٥- مزج المدنية بالافكار الإلهية

يتميز بلدنا بخصوصيات بارزة وهي عبارة عن: بلد ناهض، شعب شجاع، أرض تتميز بالاستعداد للعمران والازدهار ونزول البركات والخيرات، موقع جغرافي مؤثر في استقرار هذه المنطقة الحساسة، بل هو بتعبير آخر مؤثر في استقرار العالم بأسره، نظام منبثق على أساس فكر ديني راقٍ في غاية الحداثة، أي أن الفكر الذي نطرحه اليوم أمام أنظار العالم فكرٌ في غاية الحداثة ويقوم على أساس ديني أيضاً.

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أبناء محافظات يزد، وكهكيلوله وبوير أحمد، ١١/٤/١٣٦٨.

لقد درج العالم والمحللون وأصحاب النظريات المادية في العالم على الفصل بين المدنية وبين الأفكار الإلهية والمعنوية مدعين التضاد بينهما، وعليه فهم يعتبرون كل ما يمتّ للدين والمعنويات بصلة ـ إسلامياً كان أم غير إسلامي ـ سلفياً ورجعياً، وكل ما يزعمون حداثته ومدنيته إنما يقصدون بذلك حتمية مناهضته للدين وتجرده عنه وعن المعنويات وهذا هو الفهم الخاطئ للدين، بيد أن العدالة الاجتماعية التي ننادي بها الآن وحقوق الإنسان بالطراز الذي ينادي به الإسلام هي الأرقى من تلك التي ينادي بها دعاة الديمقراطية في العالم، وعدالتنا الاجتماعية تفوق في رقيها ما راج عالمياً من مصطلح الاشتراكية، وإن حقوق الإنسان والحريات الفردية المتوفرة لدينا أسمى من تلك التي يصطلح عليها الديمقراطية، وهي تحظى بقبول شعوب العالم.

فلا تنظروا إلى الحملات الاعلامية التي تشنها الاذاعات أو المجلات الارتزاقية وإلى ما تكتب وتسطر من تعابير مثل الرجعية، فهي لا تستحق الذكر أو الاهتمام[1].

إننا شعب يتمتع بإمكانيات وافرة، وبوسعنا التنعم بحياة ذات مستوى راقٍ مادياً ومعنوياً، بحيث نعيش أحراراً أعزاء سادة أنفسنا يكللنا الإيمان والتقوى والصدق والطهارة إلى جانب الرفاهية والدعة والتنعم بالمواهب المادية، وهي تلكم الحياة التي يتمناها الإسلام لأمته وأتباعه، ونحن بإمكاننا توفير مثل هذه الحياة بما فيها من تلك المقومات المتقدمة. فالشعب الإيراني قادر على بلوغ مثل هذا المستوى لتوفر الامكانيات الضرورية لديه ليصبح هذا البلد وهذا الشعب القدوة والانموذج الذي يأخذ بأيدي سائر الشعوب إلى طريق الخلاص والفلاح بإذنه تعالى[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مدراء هيئة الاركان للقوات المسلحة، ١٣٦٨/١٢/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أهالي محافظة أصفهان ١٣٦٨/٤/٢٥.

لا شك في ان الله تبارك وتعالى يجازي الشعوب على قدر أعمالها، وهذه معادلة حتمية خالدة في عالم الخلق أي ان أي عمل تقومون به فإن الله عز وجل قد أعدّ إزاءه جزاءً ـ سواء كان خيراً أم شراً ـ وليس ثمة عمل لا يعقبه الجزاء الظاهري من قبل الله سبحانه، ولربما نلمس الآثار أو نفهمها وقد لا نفهمها غير أن الأثر موجود. والآيات القرآنية الكريمة بأجمعها تحمل الدلالة على أن حياة أي قوم وعزتهم واستقلالهم ستتحقق فيما إذا عملوا صالحاً واقترن هذا العمل الصالح بالإيمان والتقوى، وكذلك إذا خلا من الايمان والتقوى فإن الله تعالى يجازي عليه أي ان الله يجازي الذي يعملون للدنيا ايضاً ﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ﴾[1]، إذ انه جلّت قدرته سيجازي أولئك العاملين للدنيا وكذا الذين يعملون للآخرة على وجه الحقيقة.

ان ما تلاحظونه من تنعّم بعض الامم بحياة مادية مناسبة ظاهرياً بالرغم من تجردهم عن الدين والتقوى ما هو إلاّ ثمرة عملهم، غاية الأمر أنه لا عاقبة له فهم سيعيشون حياةً محفوفة بالفساد مما يؤدي على انفجارها والقضاء على كل شيء، كما نشاهد الآن من ملامح تشير إلى نهاية خط الحضارة المادية لعالمنا المعاصر، بيد ان الله سبحانه ـ بلا شك ـ سيجزل عطاءه لشعبٍ مؤمن عامل فعّال مثلكم، وجزاؤه هذا لا يقتصر على الجزاء الأخروي بل سيكون دنيوياً أيضاً، ولكن ما هو الجزاء الدنيوي؟

انه سيمنحهم السعادة على قدر ما يقدمون من عمل، ويمنّ عليهم بالعزة فيخرجهم من الذلّ بحيث لن يخضعوا بعدها لسيادة متسلط أو متعسّف، والشعب الايراني هو الوحيد من بين شعوب العالم في وقتنا الحاضر الذي لا يأتمر بأوامر أية قوة في العالم ولا يحابي أحداً، وهو بنفسه الذي يتخذ قراراته ويختار طريقه،

---

(١) الاسراء الآية: ٢٠.

وكذلك الشعب هو الذي يمسك بزمام الأمور على صعيد الشؤون الداخلية للبلاد[1].

١٦ـ تأسيس المشاريع واعمار البلاد

يجب ان نبني إيران الإسلامية ونعمّرها بشكل يوجب عزّة الإسلام، فبقاء إيران أسيرة الأمية والأمراض والتخلف ويفتقر أبناؤها للوحدة والوئام ليس لا يعدّ فخراً للإسلام والثورة الإسلامية فحسب، بل ذلك مما يؤدي على الذلة[2].

إن أردنا بناء بلدنا وادارة الحقل الزراعي بما يكتنزه من قابليات هائلة يزخر بها البلد، وان أردنا تشييد صناعة مستقلة ترفدها القابليات العلمية والتجربية لذوي الاختصاص داخل البلد، وإن أردنا تطوير قاعدة العلم والتحقيق داخل الجامعات والمحافل التحقيقية، وان أردنا بسط الرفاهية على مستوى البلاد حتى تصل أقاصي الريف، وإن كنّا نبغي تحكيم المعنويات والأخلاق وأحكام الإسلام والقرآن بشكل كامل على كافة مرافق البلاد ـ وهذا ما ينبغي العمل على إنجازه بحول الله وقوته ـ فإن الوسيلة لإنجاز كل هذه المطموحات هو أنتم ياأبناء الشعب بتواجدكم وإيمانكم[3].

إنني أؤمن إيماناً عميقاً بالدور الذي تلعبه إرادة الإنسان وقدرته، وهذا من مبادئنا الفكرية التي لا ينحصر الايمان بها على مرحلتنا الحالية، بل هو من تلك الاصول التي توصلنا اليها خلال بحثنا للمواضيع الإسلامية طوال المراحل التي مرّت بها الثورة، وبادرنا لتجسيدها عملياً وقد لمسنا آثارها وثمارها ايضاً.

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أهالي جهرم، كاشان، بوشر، و... ، ١٣٦٨/٤/١٨.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من الجامعيين، واللجان السباعية، وعوائل الشهداء، ١٣٦٩/٣/٢.

(٣) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة مجموعة من أبناء ومقاتلي محافظة خوزستان، ١٣٦٨/٤/٢١.

ان إيمان الإنسان وإرادته تعني أنه لو عقد المؤمنون العزم وجنّدوا الطاقات للعمل فلن يبقى وجود للمستحيل في هذه الدنيا، وبالإرادة النابعة من القدرات الذاتية للانسان، المقترنة بالإيمان والثقة بالتسديد الإلهي، تتزعزع الجبال العوالي[1].

يوم تتكلل جهود الشعب الايراني بالنجاح وبمؤازرة مسؤوليه الغيارى، وبهمة السواعد المفتولة لكوادر البلاد ومدرائها في تبديل هذا البلد إلى بلدٍ مزدهر حرّ يرفل بالرفاهية في كافة مرافقه، تظلّله العدالة الاجتماعية وسائر المثل الإسلامية، يعيش تحت أفياء الشريعة الإسلامية السمحاء، في ذلك اليوم ستصدّر ثورتنا العملاقة ذاتياً دون جهد وعناء من أحد إلى الامصار الإسلامية بأسرها، والاستعمار يدري أن إيران ستحول يوماً ما إلى قدوة، ولذا استهدفها بالضغوط عشر سنين لئلاّ يأتي ذلك اليوم[2].

ان الإسلام يولي اهتمامه لدنيا البشر وآخرتهم، لذا فإن المسؤولين في البلاد مكلفون بالاهتمام بالجوانب المعنوية والقيمية للشعب بموازاة اهتمامهم بالشؤون المادية. أما الاجانب فإنهم يروّجون إلى أية منظومة إذا ما أرادت معالجة مشاكل الجماهير وزيادة وتيرة الانتاج في البلاد، وتفعيل الحقل الصناعي والمعدني، ومضاعفة العائدات الزراعية، وتشجيع المصانع للعمل بأقصى طاقاتها، وهذا مما يعني حتمية تناسي مبادئ الثورة وأهدافها وأبعادها المعنوية، أو على الأقل التقليل من شأنها وإضعافها.

هذه هي الفكرة التي يحاول الاعداء غرسها في أذهان جماهيرنا، وإنه لمن دواعي الاسف ان يرى المرء بعض الاصدقاء قد استحوذت عليهم الغفلة

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة وزير الداخلية ومحافظي البلاد، ١٣٦٨/٣/١٩.

(٢) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة أهالي جهرم، كاشان، بوشهر، و... ، ١٣٦٨/٤/١٨.

والسذاجة وأخذوا يرددون أباطيل العدو تلك! ان الدنيا والآخرة متلازمتان، فالمبادئ والرفاهية متلازمان وبمقدورهما السير قدماً جنباً إلى جنب، فلو تصور أحد استحالة نهوض المجتمع الذي تسوده المبادئ لمعالجة مشاكله المادية والرفاهية، فذلك معناه القول بإهمال الأديان والمقدسات والمبادئ لدنيا الناس ومعيشتهم، وفي ذلك مخالفة لصريح ما ورد في الإسلام وسائر الأديان الإلهية.

لاشك في ان السير باتجاه حلحلة المعضلات التي تواجه الجماهير وفتح المنافذ نحو حياة مرفهة سليمة وصالحة بحيث يتنعم أبناء الشعب بالخيرات والمواهب والنعم المتوفرة، يمثل تكليفاً إسلامياً يقع على عاتق الجميع وبالذات على عواتقكم أيّها المسؤولون وكوادر البلد، وهذا ممكن عملياً ويعد بلا مواربة أحد المبادئ الإسلامية التي كان إمامنا العزيز يؤمن بها. واذا ما وقع التعارض يوماً بين المتطلبات المادية والمسائل المعنوية فإن الشعب المؤمن الثوري سيضحي بدنياه الفانية اليسيرة في سبيل المبادئ الخالدة التي يصعب بلوغها.

أما على المدى البعيد وما تضعون من خطط شاملة فإن الشعب الإيراني سينجح ان شاء الله في نيل طموحاته وتوجهاته الثورية ومعنوياته الإسلامية إلى جانب الرفاه المادي، ولسنا في عجالة من أمرنا ولن نضطر مسؤولينا للاستعجال، وسوف نتحرك بتأنٍ وتؤدة مستجمعين قوانا في كافة الحقول الاقتصادية والثقافية والصحية وفي المجالات الخدمية والانتاجية ولاسيما الزراعة والمعادن ـ وهذا ما ينبغي أن نتحرك فيه حركة مخطط لها ـ ونضع الخطط اللازمة بإذنه تعالى، وهذه هي مسؤوليتكم والدَّين الذي في أعناقكم إزاء الشعب[1].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه رئيس الجمهورية والوزراء ، ١٣٦٨/٦/٨ .

في المجتمع الإسلامي الثوري يبقى الاندفاع والحماس الثوري والايمان الإسلامي حيّاً فاعلاً لدى الجماهير، وينبغي أن يوضع هذا العامل المهم في تحقيق الانتصار في الحسبان أثناء مرحلة إعمار البلاد التي تعدّ إحدى مراحل النضال الثوري[1].

ان مرحلة الإعمار التي تمر بها الدول الناهضة وتغذّيها الحوافز لهي مرحلة صعبة، وهذا ما نمر به الآن. فعلينا اليوم العناية أكثر فأكثر بقضية المحافظة على تلك الاهداف والمبادئ المقدسة، وكذلك إدامة حالة التوجّس من مؤامرات الاعداء والخصام المستديم الذي يضمره الاستكبار العالمي للإسلام، والعمل على عكس هذه الحالة إلى الجماهير، أي من الضروري ان يدرك أبناء شعبنا ان المواقف العدائية لم تنته بعد وما تزال الجمهورية الإسلامية عرضة لها، وليفهموا الطرق التي تندسّ منها لتصوّب نحو مجتمعنا، فربما تأتي عن الطريق الثقافي وما شابه ذلك[2].

الإعمار جهاد في سبيل الله، ومن دخل معترك هذا الجهاد عُدّ مجاهداً خادماً سائراً في طريق ادارة المجتمع الإسلامي، وصيانته التي تعدّ واجباً عظيماً وعملاً جباراً.

ان الإعمار بذاته مسألة، أما الجنوح نحو الماديات والتعلّق بها وحب الدنيا فهو مسألة اخرى، والإعمار هو ما كان يمارسه علي بن ابي طالبعليه السلام واستمر عليه إلى ما قبل خلافته ـ ولعله تواصل حتى أيام خلافته، وهذا ما يساورني الشك حوله ـ فلقد كانعليه السلام يباشر عمارة بساتين النخيل بنفسه، ويُحيي الاراضي وغرس الاشجار وحفر الآبار والسقاية.. هذا هو الإعمار. أما التعلق بالدنيا ومادياتها فهو

(١) حديث قائد الثورة في لقائه بمجموعة من أبناء الشعب، ١٣٧١/٧/٢٩.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه قادة حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧١/٦/٢٦.

من شأن عبيد الله بن زياد ويزيد، فمتى حصل منهم الانتاج والبناء؟! إنه لم يُرَ منهم سوى الدمار والبطنة والبهرجة المفرطة.

ينبغي عدم الخلط بين المفهومين، فثمة فئة استغلت عملية الإعمار لتغرق في الثروة وزخارف الدنيا ومادياتها، فهل هذا هو الاعمار؟! ان الانغماس بالشهوات وتضييع روح التقوى والتضحية هو الذي يُفسد مجتمعنا[1].

الهدف المنشود في هذه البرهة من عمر الثورة ـ مرحلة الإعمار ـ عبارة عن بناء بلد نموذجي يقترن فيه الرفاه المادي بالعدالة الاجتماعية والمعاني الروحية، وتمتزج فيه المبادئ الثورية مع المثل الاخلاقية في الإسلام، وأيّ من هذه الأركان الأربعة السياسية يطاله الوهن أو يقع ضحية الغفلة، إذ ذاك سيصبح من العسير المحافظة على ديمومة الثورة واجتيازها لمختلف المراحل.

ليس المراد من الرفاه المادي إشاعة الروح الاستهلاكية التي جلبتها إلينا الثقافة الغربية المشؤومة، بل المراد منه ان يرتقي البلد إلى المستوى المنشود من الإعمار والازدهار في استخراج المعادن والانتفاع من الثروات الطبيعية، وتوفير الصحة والسلامة في المجتمع، والانتعاش الاقتصادي والانتاجي والتجاري القائم على اساس استثمار القابليات الذاتية والطاقات الانسانية المحلية، ويعمّ العلم والثقافة والبحث فيما تختفي معالم الفقر والتخلف إلى الأبد.

العدالة الاجتماعية تعني زوال الفوارق الطبقية العميقة والمنافع الباطلة ومظاهر المحرومية، وشعور المستضعفين الحفاة ثقاة الثورة وأكثر الناس وفاءً لها بأن هنالك تحركاً جدياً باتجاه القضاء على محروميتهم، ولابد من لملمة بساط التعدّي والتطاول على حقوق المظلومين والتلصص على حياة الناس، وذلك عن طريق سنّ القوانين اللازمة لذلك وتوفير الأمن القضائي في البلاد

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه قادة كتائب قوات المقاومة الشعبية، ١٣٧١/٤/٢٢.

ليشعر الجميع بأن هنالك ملجأً يُستظل به في مقابل الظلم والعدوان، وليدرك الجميع إمكانية بلوغ الحياة المنشودة عن طريق العمل والمباشرة.

أما الروح الثورية والمبدئية والثورة فإنها تعني ان لا يجرف النزوع نحو حياة الدعة والرفاه المجتمعَ والمسؤولين صوب المهادنة والاستسلام قبال تعسف القوى الكبرى، والغفلة عن مؤامرات الاستكبار وعدم الاكتراث بالرسالة العالمية للثورة؛ فاليوم الذي لا تضع فيه الجمهورية الإسلامية تحقيق الرفاه والإعمار هدفاً جوهرياً لها ـ لا سمح الله ـ وتصبح على استعداد لأن تغض الطرف عن مبادئها الثورية والعالمية وتتناسى الرسالة العالمية للثورة في سبيل ذلك، فإن ذلك اليوم سيكون يوم الانحطاط وفناء الآمال بأسرها ـ أسأل الله سبحانه أن لا يأتي ذلك اليوم ـ ولا شك في استعداد الشعب الإيراني للتضحية بكل شيء دفاعاً عن الإسلام العزيز وعن استقلاله الوطني.

أما التحلي بالقيم الاخلاقية الإسلامية فيعني ان تشيع في المجتمع روح الفضيلة والورع والتقوى والحلم، ويتم الاحتراز عن الشهوات المحرّمة والتنزه عن الحرص والطمع وحب الدنيا ومصادرة الحقوق والوقاحة وجمع الثروة، ويشيع الإخلاص والطهارة والتدين وسائر الخصال الاخلاقية، وتتحول إلى قيم متبنّاة في المجمع.

في ضوء هذه الأركان الأربعة يأخذ المجتمع سبيله نحو التكامل الإسلامي وفيها يكون قوامه وصيانته، وتتفتح القابليات وتتفجّر ينابيع الاحسان والسعادة مما يجعل المجتمع الإسلامي نموذجاً باهراً تقتدي به شعوب العالم بأسرها[١].

اليوم حيث انطفأت نيران الحرب ووضعت الحكومة ومجلس الشورى الخطط الكفيلة بالإعمار وشمّرت العناصر المخلصة عن سواعد الهمة، يجب

---

(١) حديث قائد الثورة في مراسم بيعة طلبة وعلماء الحوزة العلمية في قم، ١٣٦٨/٤/٢٣.

على الجميع النظر بجدية فائقة لعملية إعمار البلاد وإزالة العراقيل التي تعترض سبيلها، فعزة الإسلام مرهونة اليوم بأن تتبدل إيران الإسلامية إلى بلد عامرٍ تُجنّد به في سبيل ذلك الأعمال والابداعات لتستتبّ حياة الناس، وتقتلع جذور الفقر والحرمان ويتوازن الانتاج المحلي مع متطلبات الشعب، وتبلغ البلاد الاكتفاء الذاتي صناعياً وزراعياً، ولا يجد العدو منفذاً له لممارسة ضغوطه عن طريق ضروريات الحياة المعاشية لأبناء الشعب. وخلاصة القول: أن يضفي الدين بما فيه من معنويات حالةً من الانتعاش على الحياة المادية للجماهير.

بعض وسائل الاعلام الاجنبية المغرضة تصر على الإيحاء بأن التمسك بمبادئ الثورة معناه الإعراض عن الرفاه المعاشي، وتعذّر إيجاد الحلول للمشكلات التي تعاني منها الطبقات المحرومة والمسحوقة. وهذه المزاعم تصدر عمّن أخضعوا مجتمعاتهم عشرات السنين للظلال الثقيلة للفكر الشيوعي وسلكوا بها طريق الشقاء، في حين كان زعماء هذه الدول كنظرائهم في الدول الرأسمالية منغمسين في حياة البذخ، فيما تئن الطبقات المسحوقة في المجتمع تحت وطأة ضروب المصاعب المادية والمعنوية. بيد أن مكافحة الفقر والحرمان تتصدّر أهداف النظام الإسلامي، وان المسك بمبادئ الثورة دون غمار الجهاد في سبيل إنقاذ المستضعفين والمحرومين إنما هو كلام فارغ لا معنى له.

على الحكومة والشعب اعتبار إعمار البلاد تكليفاً ثورياً، والعمل على بناء إيران وتطويرها من خلال التعاون وتعبئة الطاقات والقابليات والعقول والسواعد بحيث تحيي الآمال في قلوب الشعوب المظلومة، وتضع أمامهم طريق الرفاه المادي والتكامل المعنوي[1].

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى السنوية الأولى الرحيل الأمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

١٧- العبودية والاخلاص لله تعالى

هنالك قضية إسلامية جوهرية ذكرها القرآن الكريم، وحري بنا نحن أبناء الشعب الإيراني أن تعيش في مخيلتنا على الدوام، وهي عبارة عن التحرك باتجاه الحياة الإلهية الإسلامية الطيبة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]، فالله ورسوله لا يدعوان نفس الإنسان للحياة الحيوانية، فالحيوانات إنما تبحث عن العلف وإخماد أوار شهواتها، وهي إنما تكافح لملء بطونها والبقاء في هذه الحياة ساعات معدودة.

أمّا الحياة الطيبة فهي تكرّس هذه الحياة في سبيل الله وبلوغ الغايات السامية، فليس الهدف الاسمى للإنسان إشباع بطنه بأي نحو كان، فذلك أدنى ما يسع كل حيوان أن يتخذه هدفاً له، بل الغاية القصوى للانسان عبارة عن الوصول إلى الحق وبلوغ القرب من الباري تعالى والتخلق بأخلاق الله.

ولغرض الوصول إلى هذه الغاية على الإنسان أن يتوفر على مجموعة من السبل المعنوية والمادية، فالغذاء ضروري ولكن من أجل أن ينطلق الانسان نحو هدفه، والحياة المرفهة ضرورية لبني البشر، والإسلام يقود البشرية نحو الرفاهية والحياة الوادعة بقوانينه وأحكامه، بيد أن هذه الحياة الوادعة ليست هي الهدف بحد ذاتها، فما اكثر الذين هنت حياتهم بعيداً عن الهواجس إزاء معيشتهم ومواردهم لكنهم لم يتنسّموا عبير الانسانية قط.

والحضارات المادية تدعو البشر لمثل هذه الحياة وهم كاذبون في ذلك ايضاً، ففي الانظمة والدول التي تستقيم حياتها على الاجهزة المتطورة والعلوم المادية لا يتنعم الناس جميعهم بالحياة الهانئة، بل هي تقتصر على فئة معدودة منهم.

---

(١) الانفال الآية : ٢٤.

ها هي أمريكا والدول الأوربية المتطورة تعج بالفقر المدقع والموت الناجم عن شحة المواد الغذائية وفقدان المأوى والسكن، بل وحتى الحياة الحيوانية، أما المنتفعون بالتقنية والعلوم الحديثة فهم يشكلون طبقة خاصة من مواطني هذه الدول، وأما الذين يضطرون للمتاجرة بكرامتهم ونواميسهم ويجرعون المهانات لتأمين لقمة العيش وسد رمق الجوع فهم يمثلون شريحة واسعة وهذه الحقيقة واقعة، وما تلك المظاهر البراقة الخادعة الجذابة التي تتناقلها عدسات التلفاز ووكالات الأنباء إلاّ مشاهد دعائية تعرضها أمام الشعوب.

كذبت المدنية الغربية ـ بما تمتلك من تطور علمي وبغزوها للفضاء والثروات الطائلة التي بحوزتها، أو تلك التي نهبتها من دول العالم الثالث وسائر الدول الفقيرة ـ إن هي ادّعت استغناء الطبقات الفقيرة في الدول المتطورة، فالحضارة المادية لا تقوى أيضاً على أن تهب للإنسانية تلك الحياة المعاشية الوادعة وتجعلها تتنعم بالرفاهية.

في النظام الإسلامي ليس السعيد مَن حشا بطناً وحسب، فبالإضافة إلى ضرورة تأمين المعيشة المادية والرفاهية والأمان له، لابد أن تتميز روحه وقلبه بالنقاء والتألق والنورانية، ويتملّكه الشعور بالأخوة والايثار في مقابل الآخرين، ويعيش العبودية والاخلاص لله سبحانه، وذلك ما يريده الإسلام وسائر الأديان الإلهية لبني البشر. فالهدف اذن أسمى من الماديات التي يسعى الإسلام لتوفيرها أيضاً؛ أي ان الجميع يجب أن يتمتعوا في ظل النظام الإسلامي بالرفاهية والطمأنينة والأمان والحياة التي يحلمون بها، وهذا لم ولن تؤمّنه حضارة الغرب المادية ولا حضارة النظام الاشتراكي الشيوعي الذي شاهدتم بأعينكم أي مصير كان بانتظاره! ونحن تكفينا تجربة الصدر الاول للإسلام كنموذج لتحقيق تعاليم الإسلام الإلهية.

لـو عملنـا بالاحكـام الإسـلامية، وقـرن المجتمـع الإسـلامي إيمانـه بالعمـل بالتعاليم والقوانين الإلهية، فسيتحقق ما تصبو اليه البشرية على مدى التاريخ، وهو الاسـتقرار والرفـاه المعاشـي المتـوائم مـع التكامـل والرقـي والسـمو المعنـوي. فالإنسان ليس كالحيوان يكفيه ما تلقيه أمامه من علف، بل الإنسان ينشد الصفاء والشعور بلذة النورانية والعبودية لله سبحانه وتعالى.

إنكـم تشعرون باللـذة عنـدما تعبـدون الله أو تتوجهـون اليه بالـدعاء بحضـور قلب، أو تؤدون الصلاة مقرونة بالتوجه اليه، أو تتصدقون على أحد المستحقين، ولا يمكن أن تأتي هذه اللذة عن طريق الأكل مطلقاً.

ان الشعور باللذة ينتاب الذين تذوقوا طعم العبوديـة لله سبحانه ـ ومثل هذه قد تراود المؤمن احياناً خلال مسيرته ـ في تلك اللحظات التي يتوجهون بها إلى الله ويخلصون التعبد لـه ومناجاته والبكـاء بين يدي بارئهم بحيث يكونون على استعداد للتضحية بالدنيا وما فيها كي تدوم تلك اللذة لديهم. وبطبيعة الحال فإن الماديـات تسلخ الإنسـان عن تلـك الحالـة، ولعلـه يضـيعها احياناً، بيـد أن اولئك الغافلين عن الله والغايات المعنوية لا يتذوقون طعـم تلـك اللذة مطقاً، ومـا أكثر الذين تصرَّمت أعمارهم في ظل الأنظمة المادية الفاسدة ولم تتبلور في داخلهم حالة التوجه إلى الله تعالى ولـم يتذوقوا تلك اللـذة المعنويـة، انهـم لا يفهمون ما نقول أنا وأنتم.

أما الإسـلام فهـو يريـد الارتقـاء بالبشـر وتنـوير الأفئدة وتنقيـة صـدورنا من القبـائح بحيـث يجعلنـا نتحسـس تلـك اللـذة المعنويـة لـيس فـي محـراب العبـادة فحسب، بل على امتداد آنات العمر جميعها؛ في العمـل والـدرس وفي سـاحة الحرب والتعليم وحتى خلال عملية الإعمار، وما قيل في المشهور: « **طوبى لمن هم في صلاة دائمة** » إنما يعني ان يكون الإنسان مع الله أثناء العمل والتكسب،

ويعيش ذكر الله أثناء الأكل والشرب منوراً بذلك الحياةَ وجنبات الكون. فإذا ما استطاعت الدنيا تربية هكذا أناس، حينها ستقتلع جذور التقاتل والظلم والتمييز والرذائل، وتلك هي الحياة الطيبة.

إذن، فالحياة الطيبة لا تعني انهماك الناس في الصلاة والعبادة وإهمال الحياة والجوانب المعاشية، بل هي التي تجمع بين الدنيا والآخرة وبين المادة والمعنى.. والحياة الطيبة هي ان تتفاعل الشعوب للقيام بعملية البناء والارتقاء بالحقول الصناعية والتجارية والزراعية إلى أعلى المستويات، وبلوغ الاقتدار العلمي والتقني، ونيل التطور في مختلف المجالات. وفي جميع تلك الحالات تعيش قلوبهم مع الله وتطّرد معرفتهم بالله سبحانه يوماً بعد يوم، وهذه هي غاية النظام الإسلامي والهدف الذي نادى به الأنبياء والمصلحون، ودعا اليه أعلام الإسلام على امتداد القرنين المنصرمين.

ولقد أدرك الاعداء ما تخفيه جعبة الإسلام فاستولى عليهم الرعب، فإذا ما رأيتموهم يقارعون الإسلام فلأنهم يدركون أنه لو أُطلقت يد الإسلام في بناء البشرية والمجتمعات الانسانية لما بقي للقوى المادية ومدنيتها أي تأثير، ومن هذا المنطلق تأتي مناهضتهم للجمهورية الإسلامية التي رفعت راية الإسلام والقرآن ولقد أعلنت ثورتنا وإمامنا وشعبنا منذ البداية أنه بالرغم مما يروّج له الاعداء من انفصال الدنيا عن الآخرة، فإننا لسنا بذلك الشعب الذي يرضى بذلك، فالدنيا تتلازم مع الآخرة ولا تنفك عنها بأي حال.

لقد أدركت القوى الكبرى وفي مقدمتها امبراطوريتا العصر في الشرق والغرب ـ وإحداهما آل مصيرها إلى الزوال ـ منذ البداية، أنه لو نزل هذا الفكر الحديث والنظام الجديد وهذه الحضارة الراقية إلى الساحة؛ إذ ذاك عليها الرحيل إذ لا بقاء للتعسف والإغارة والعدوان والغزو ـ وهذه مظاهر مازالت على

مرأى من الدنيا ـ لذا فمنذ اليوم الاول الذي شعروا فيه بعدم مهادنة هذا الكيان الجديد (الجمهورية الإسلامية) لعتاة العالم، استهدفوه بمواقفهم العدائية واستمر الأعداء في مناصبته العداء ومحاربته والتصدي له بكل ما استطاعوا حتى يومنا هذا[1].

ان الله سبحانه وتعالى لا يبذل النعم المعنوية بيسر كالنعم المادية، وإن بذلها فإنه لا يدّخرها لنا بسهولة، وكما أن الإنجازات تتوقف على جهد الإنسان ومثابرته فإن الحفاظ عليها يتوقف ايضاً على كدحه وجهاده وتضحياته، وان ما تشاهدون من دول قد نالت التقدم علمياً وتقنياً، أو سياسياً واقتصادياً، وأصبحت في عداد البلدان الغنية وبلغت مبلغ العزة، فإن ذلك كلّه من معطيات كدحهم، وهذا بذاته يمثل أحد الاصول الإسلامية: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا له فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ﴾[2]، والآية اللاحقة ناظرة لأولئك الساعين نحو القيم المتمثلة بعالم الآخرة وما فيها من ثواب إلهي: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لها سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ﴾[3].

اذن فالسعي هو المناط والمعيار لنيل المكاسب، وهو كذلك شرط للحفاظ عليها، وهذا هو التاريخ ماثل أمامنا، وهذا هو القرآن الذي يلهم البشرية البصيرة؛ ففي بعض المواضع خاطب الله سبحانه بني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4]، غير أنهم أنفسهم بلغ بهم الأمر أن قال سبحانه وتعالى بحقهم:

---

(١) خطاب قائد الثورة في أهالي مشهد في جوار المرقد الطاهر لثامن الحجج الإمام علي بن موسى الرضا، ١٣٧٠/١/٢٩.

(٢) الإسراء الآية: ١٨.

(٣) الإسراء الآية: ٢٩ - ٢٠.

(٤) البقرة الآية: ٤٧.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾[1]؛ فلا قرابة لله مع أي قوم، بل هي مساعيهم التي تحدد مصائرهم، لذا ورد قوله تعالى في سورة الجمعة حول بني إسرائيل : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[2] .

فلقد حُمّلوا التوراة وتغلغلت إلى قلوبهم وأرواحهم وهيمنت على حياتهم وعقولهم فانتفعوا بها، لكنهم هجروها فيما بعد وسلخوها عن عقولهم وقلوبهم وحياتهم، فبقي ظاهر التوراة ولكن لم يعد هنالك وجود لباطنها.

اذن يُفترض الكدح في كسب النعم المعنوية، وما ان يتم الحصول عليها فلا بد من الحفاظ عليها بالكدح أيضاً[3].

١٨ ـ المحافظة على المظاهر الإسلامية

هناك أمران في البلاد يجب ان يطّردا قوةً جنباً إلى جنب يوماً بعد يوم: أحدهما المحافظة على الآثار والشعائر والمظاهر والصبغة الإسلامية للمجتمع فذلك من الأهمية بمكان، فالأعداء مافتئوا يستهدفوننا بحملاتهم الاعلامية، ولكن عليكم أن لا تصغوا لما يقولون فالعدو عدو.

وينبغي الحفاظ على المظاهر الإسلامية في المجتمع فإنه مجتمع إسلامي، والمجتمع الإسلامي نموذج وعلى الجميع التزام الحذر نساءً ورجالاً، وعلى الذين يتحملون المسؤولية ومنهم علماء الدين وغيرهم من الثوريين التحلي بالمزيد من الحذر أكثر من الآخرين، وينبغي للجميع العمل ان يكون ظاهر المجتمع إسلامياً.

---

(١) البقرة الآية : ٦١.

(٢) الجمعة الآية : ٥.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه قادة حرس الثورة الإسلامية، ١٨/ ١١/ ١٣٧٠.

ولا يفوتني هنا التذكير بقضية الأذان حيث لا يطرق الأذان المسامع في طهران، فلماذا؟! الأذان شعيرة إسلامية، ونحن وإن كنا نعارض أولئك الذين يزعجون جيرانهم بإنشاد الشعر وتلاوة القرآن والمراثي عبر مكبرات الصوت وحتى ساعات متأخرة من الليل ونتصدى لمثل هذه الأعمال، لكننا نوافق على ارتفاع صوت الأذان عند الظهر والمغرب والفجر ولاسيما إذا انطلق من حناجر المؤذنين، فالأذان أمر مستحسن للغاية، فلماذا يفتقد الأذان في أوساط المجتمع؟!

ان الأذان يهب القلوب الأمل، وصوت الأذان يجلي القلوب الصدئة، وينبغي ان لا تستخدم مكبرات الصوت عند أذان الفجر، ويُكتفى بأن ترفعه الحناجر فلا إشكال في ذلك، فلعل مكبرات الصوت تكون سبباً في إزعاج الآخرين. وهكذا الأمر بالنسبة لكافة مظاهر المجتمع، فيجب أن تشهد المساجد أثناء موعد الصلاة حالة من الحيوية والزهو بالذاكرين والساجدين والراكعين، وحريّ بأن تُراعي المظاهر الإسلامية؛ لأن القلوب تقف خلف الابصار، فلا يتصور أحد أن هذه العيون المستقرة في الوجوه ما هي إلاّ زجاجة، كلا، فخلف هذه العيون يقف قلب الإنسان وروحه وعقله، ولهذا يتعين أن تُملأ هذه العيون والقلوب التي تقف وراءها بمعالم الإسلام[1].

إنني كلّما استذكرتُ القصة التي ذكرها مولوي يهتز كياني لها، ففي إحدى مدن المسلمين كانت هنالك محلة يقطنها النصارى، وكانت فيهم فتاة تعلقت بالإسلام وتشوقت اليه، فلم تكن تذهب إلى الكنيسة وأمسكت عن

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من الجامعين، واللجان السباعية، وعوائل الشهداء، ٢ / ٣ / ١٣٦٩.

المشاركة في المجالس الدينية، فأصيب أبواها بالحيرة من أمرها فما عساهما صانعين معها؟ واذا بهما قد عثرا على مؤذن أو مقرئ للقرآن ذي صوت قبيح فاستأجره أبوها ليؤذن على مقربة من دارهم، وما ان فعل المؤذن ذلك ورفع صوته المنكر بالأذان حتى عم الامتعاض أهل المحلة، فنادت الفتاة: ما الذي حصل؟ فأجابها أبوها: لا شيء انه أذان المسلمين. قالت الفتاة: واعجباً، أهؤلاء هم المسلمون؟! وهكذا زال حب الإسلام من قلبها، هذا ما يرويه مولوي في كتاب المثنوي وهو كتاب مفعم بالحكم، وهذه واحدة منها.

إنها الحقيقة، فهم ينظرون للإسلام بمنظارنا ويتطلعون حقائق الإسلام من خلالنا، والهفوة التي نرتكبها ستُلقى لا محالة على عاتق الإسلام، والفشل الذي يصاب به المسلمون ـ لا سمح الله ـ سيعد فشلاً للإسلام، فيقال ان الإسلام هو الذي فشل لا أن يقولوا بأن فئة من المسلمين لم يحسنوا الفهم والعمل فلحقتهم الهزيمة. وان أدنى اخفاق يتعرض له شعبنا الآن سيؤدي إلى تقهقر الصحوة الإسلامية نصف قرن من الزمن أو أكثر.

فأولئك الشبيبة الذين يرفعون أصواتهم منادين باسم الإسلام في أفريقيا وآسيا ودول الشرق الأوسط، بل وحتى في المدن الأوربية، متحمسين للنداء باسم الجمهورية الإسلامية إنما أبصروا الإسلام من خلال زحفه وتقدمه، ومن خلال الإمام وسمائه وكلماته النورانية وإدارته الربانية للبلاد، وعبر التقوى التي تبلورت بفضل الثورة وأخذت تنحدر من أعلى قمة في مجتمعنا لتشمل كافة طبقاته وشرائحه، فلو وقع الفشل أو الإخفاق أو أسيء التصرف حينها سينقلب كل شيء وسيزداد العدو جرأة[1].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية، ١٣٧٠/٥/٢٣.

١٩ ـ المحافظة على النظام الإسلامي

ان هـذا الشـعب ـ ولكـي يحـافظ علـى عزتـه وكيانـه الحقيقـي والإنسـاني والإسلامي الثوري والثقافي والوطني ـ بحاجة إلى الجهاد والمقاومة والصمود بوجه العدو، وكذلك مهاجمة نقاط الضعف لدى العدو، وأصدقاؤنا بوسعهم القيام بذلك أيضاً وهذا ما أؤمن به[١].

إننا ـ وبما يتمتع به بلدنا من عظمة وشموخ وتاريخ حافل ـ بوسعنا ان نصبح شعباً مقتدراً منيعاً ومبعث اعتزاز للإسلام، وبوسع هذا الشعب ان يغدو أسوة للمسلمين في كافة أرجاء المعمورة وكل ذلك ممكن، وهكذا الحال لحد الآن والحمد لله[٢].

ان هذا النظام الإسلامي هبة إلهية، وحقاً ان الله تعالى هو الذي أخرج هذه التحفة إلى عالم الوجود بقدرته التامة بعد ان كانت في حكم المستحيل ـ بطبيعة الحال وفق القوانين والسنن التاريخية والقوانين الحاكمة على عالم البشرية ـ وهذه الهبة الإلهية إنما كانت هدية للشعب الإيراني أولاً، ومن ثم لمسلمي العالم، ولا عجب إن قلنا ان هذه الهبة الإلهية والمنة الربانية الكبرى تمثل بالتالي هدية لكافة المظلومين في العالم، بيد أنها ـ وكما هو الحال بالنسبة لسائر النعم الإلهية ـ ليست بمثابة وثيقة مضمونة العواقب أودعها الله سبحانه بيد الأمة، أي شأنها شأن باقي النعم إن أحسنّا ادّخارها فإنها ستدوم وتسمو يوماً بعد يوم وستزداد بركة، أما إذا ضيعناها وتقاعسنا عن حملها فإننا سنصبح كأولئك الذين

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه العاملين في الحقل الإعلامي ورؤساء دوائر التربية والتعليم، ١٣٧١/٥/٢١.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من الأحرار، ١٣٦٩/٥/٢٩.

طالما ذكرهم الله سبحانه في كتابه عبرة لنا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا...﴾[1] [2].

ان طريق مواجهة الاستكبار العالمي وما يناصبه من مناوأة للإسلام والمظالم التي يعج بها العالم، ليس بذلك الطريق الذي بوسع الجمهورية الإسلامية التنازل عن سلوكه، فهو حكم الإسلام والفلسفة من قيام الجمهورية الإسلامية[3].

انكم تواجهون اليوم عالماً قد صمم عتاته على مقارعة الإسلام؛ وذلك للرعب الذي استحوذ عليهم منه، وللصفعة التي وجهها إليهم فيما عقدتم العزم على مواجهتهم وإحياء الإسلام عزيزاً، وفعلكم هذا في غاية الأهمية. وإنني أقول لكم بأنكم ستتقدمون في إنجاز أعمالكم، كما أنكم أهل لإعزاز الإسلام رغم غيظ الذين تأبى نفوسهم مشاهدة ذلك.

لا يتوهم جبابرة الدنيا وامبراطوريات الثروة والقوة أنهم سيفلحون بإقصاء الإسلام عبر ما يفرضونه من خناق على المسلمين، من قبيل ما يتعرض له مسلمو أوربا وسائر الدول الإسلامية، فلقد حل أوان ظهور الإسلام وهو الذي سيبقى في الميدان، ولقد ولّى ذلك اليوم الذي كان بمقدورهم فرض العزلة على الإسلام، فلقد سبق لهم أن عزلوا الإسلام سنوات متمادية بالقدر الذي لم يعد يرهبهم؛ لأنه لم يعد يشكل خطراً عليهم. إن إسلامهم إسلام انهزامي مدحور، إسلام يشعر أتباعه بالعار إن أفصحوا عن انتسابهم اليه![4].

---

(١) الجمعة الآية: ٥.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه مسؤولي البلاد ورؤساء السلطات الثلاث، ١٣٦٩/٩/١٤.

(٣) حديث قائد الثورة في لقائه قادة حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧١/٦/٢٦.

(٤) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من عوائل الشهداء في مختلف مدن البلاد، ١٣٦٨/٦/٢٤.

اعلموا أن العدو متيقظ، والاستكبار العالمي ما يزال مصمماً على توجيه ضربته لهذه الثورة، واذا ما لمستم عدم تراجع الجمهورية الإسلامية ونظامها على مدى السنوات الإحدى عشرة المنصرمة وأنها واصلت طريقها بقوة وثبات فذلك لا لأن الاعداء لم يشاؤوا توجيه ضرباتهم لنا، بل إنهم مازالوا يجهدون لضربنا، غاية الأمر أن كيد الشيطان ضعيف، والعدو يتصاغر إن هو واجه أمة مؤمنة متحدة متلاحمة مطيعة لأمر الله تعالى.

ان العدو وإن بدا في ظاهره قوياً من حيث العدّة والعدد لكنه ضعيف في باطنه، وأمريكا قوية مقتدرة بظاهرها، وقوتها هذه مادية وهي فاعلة أيضاً ولكن في مقابل الشعب المادي، والقدرة المادية إنما تكون فاعلة في عملها عندما يقابلها شعب مادي لا يحمل الايمان بالله وتوحيده. أما إذا جوبهت القوى المادية العظمى من قبل شعب مؤمنٍ موحدٍ فإنها ستصاب بالعجز مهما بلغت من القوة، كما هو شأن العدو في مواجهته للشعب الايراني حيث عجز عن القيام بأي فعل وسيعجز في المستقبل أيضاً، لأن الضعف سيلازمه ايضاً ويبقى الشعب الإيراني قوياً.

وذلك مشروط بأن نحافظ على إيماننا ووحدة كلمتنا ويقظتنا، وفي مثل هذه الحالة لن تقوى أية قدرة على مواجهة الشعب الايراني أو القيام بما من شأنه الإضرار بثورته وإسلامه.

أجل، ربما يزرعون العراقيل في طريقنا نحو الاهداف المنشودة أو يشغلوننا بمضايقاتهم، لكنهم لا يقوون على إلحاق الهزيمة بشعبنا القوي المنيع[١].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من العلماء ومجموعة من أبناء مدينة رفسنجان، ١٣٦٨/٧/٢١.

٢٠ ـ المحافظة على الثورة الإسلامية

ليعلم الشعب الايراني أن الحفاظ على الثورة والإبقاء على راية العز والشرف عالية خفاقة، ومواصلة طريق العزة الذي شقّه هذا الشعب الشريف بجهاده أمام شعوب العالم لاسيما المسلمين منهم، لهو الطريق الأوحد للتغلب على ما يمارسه الجبابرة من ضغوط وجور، والدفاع عن أصول الثورة وحراسة قيمها هما السبيل الأمثل لإجهاض مؤامرات الاعداء التي تستهدف الثورة والجمهورية الإسلامية. وتلك هي النقطة الجلية التي انبثق عنها شعار مقاومة سلطة الاستكبار العالمي ليشمل العالم بأسره، وزعزع الدعائم التي يقوم عليها نظام الهيمنة العالمي، وهذا هو الذي سينال به الشعب الإيراني الظفر على مؤامرات الاعداء لاحقاً[١].

صحيح أننا أقوياء والحمد لله، ولا قدرة للعدو على الحاق أدنى ضرر بثورتنا وشعبنا وبلدنا، والعجز والخور كان نصيب المؤامرات الدولية في مقابل إيمان هذا الشعب، ولكن ينبغي عدم الغفلة عن العدو فعلى الجميع صيانة ثورتهم ونظامهم الإسلامي اللذين لم يأتيا إلاّ بعد إراقة تلك الدماء، والمحافظة على إسلامهم واستتباب القوانين الإسلامية؛ انه تكليف الشعب الايراني بمختلف طبقاته.

لا تنسوا التقوى والورع والدفاع عن أصول الثورة، والعمل بالموازين الإسلامية واجتناب الذنوب.

ضعوا ذكر الله في مقدمة أعمالكم، ولا يقل قائل انني أنجزت ما بعهدتي من واجب وأنا الآن في حلٍّ أفعل ما أشاء، فالجهاد في سبيل الله وبلوغ المراتب السامية لا يحدده وقت أو زمان.

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل الأمام الخميني(قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

فلقد واصل الإمام عمله وثباته وسعيه وهو قد ناهز التسعين، وناء إمامنا ـ على شيخوخته ـ بأثقل عبء يمكن للمرء تحمله، فأسوتنا ومقتدانا إمامنا وسائر الأعاظم من أئمة الهدى المعصومينﷺ الذين واصلوا جهادهم في سبيل الله حتى اللحظات الاخيرة من أعمارهم، فالتكليف لا يتوقف أبداً[1].

لقد عاصر آباؤنا لسنوات متمادية الحكومات المتجبرة والطاغوتية، فلا هم خاضوا غمار الجهاد وأنجزوا أعمالاً جبارة، ولا منَّ رب العالمين عليهم في المقابل بموهبة، بيد أن الشعب الايراني نال في هذا العصر الشرف الرفيع حيث وفقه الله لإحياء الإسلام ليصبح شاهداً وقدوة للمسلمين في شتى أرجاء المعمورة، وأسوة لشعوب العالم مبدداً بذلك محاولات الاعداء ومخططاتهم المعادية للإسلام التي دامت عدة قرون، وليقيم حكومة عمادها القرآن والإسلام؛ لتنتعش بذلك الآمال في قلوب المسلمين وتعم الصحوة الإسلامية أصقاع الدنيا وتحيا الدوافع الإسلامية في النفوس.

فحريّ بنا المحافظة على هذا التوفيق الذي مَنَّ به الباري علينا وعلى شعبنا في هذا العصر، يا لها من نعمة كبرى! لا تدعوا شبابكم ينساقون وراء المظاهر المادية ويسلمون قلوبهم لتلك الامور التي تخدع عوام الناس وبسطاءهم؛ فالعوالق الدنيوية إنما هي نصيب عامة البشر والبهائم، والمتعلق بها والمنشد اليها مصيره الانحدار إلى مستوى الإنسان المتوسط البسيط، أما الذي يعيش هذه البرهة مرتبطاً بهذا التيار فإنه انسان سامٍ، والسمو يعني عروجه من هذا المستوى الداني وبلوغ الذرى لذا ينبغي أن لا ندعه يهوي ثانية، وتلك مسؤولية جوهرية[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من عوائل الشهداء والمعاقين والأحرار في مدينة شهركرد، ١٣٧١/٧/١٥.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه قادة حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧١/٦/٢٦.

اننا نؤثر شعارات الثورة وروحها وطريقها على كل شيء، ويساورنا الاعتقاد بإمكانية بلوغ الرقي في هذه الدنيا المادية، وصاحب الفكر هو الظافر فيها.

إننا دولة عظيمة وشعب عملاق ونعيش في منطقة حساسة من العالم ولنا تأثيرنا على شعوب العالم، ولسنا كبعض الشعوب المنطوية على مصيرها وما يمسّها من خير أو شر، ولسنا شعباً معزولاً، بل ان وجودنا اليوم وما ندلي به وما نطلق من شعار، وخطنا ورايتنا ذو تأثير على قطاع عريض من الشعوب خارج حدودنا[1].

٢١ ـ الحفاظ على الأهداف المقدسة

حقيقة الأمر ان حياة الإنسان إنما تصيب المعنى الحقيقي لها متى ما كُرّست في سبيل هدف مقدس، وقد أهدر حياته من لا هدف مقدساً له وأمضى عمره لاهياً، متلفاً بذلك تلك الثروة النفيسة لديه لمدة معينة.

وانني أحياناً أصوّر هذه الحياة بذلك الإنسان الذي يعيش ليأكل ويأكل ليعيش، فلا غاية من هذه الحياة سوى الأكل، والأكل يُذكر هنا كمثال وإلاّ فالأهداف والأغراض المادية متعددة، منها مثلاً اللهو وحب الجاه والمنصب والتفاخر التعالي والتسلط، ويفترض بنا الاستعاذة بالله سبحانه من ان تتعلق قلوبنا بهذه الحياة، لأن مثلها كالسيارة التي نتوجه بها إلى محطة الوقود فنملؤها ثم نتحرك وهدفنا المحطة الأخرى لنملأها ثانية، وهكذا دواليك نظل ندور في دوامة البحث فنجول بين المحطات دون ان نغير مسيرنا، أو نتخذ مقصداً ووجهة معينة لحركتنا، أو نستخدم تلك السيارة للعبور من وادٍ محفوف بالمخاطر أو نقدم من خلالها خدمة لأحد.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه سفراء وقناصل الجمهورية الإسلامية، ١٣٦٩/٥/١.

ما أعظمه من خسران فادح يمنى به ذلك الذي تنحصر جل غايته في الحياة بهذه الماديات، ويتركز هدفه من هذه الحياة في الظفر بأيام معدودات من حياة الدعة، واستهلاك عمره بهالة من المفاخر الواهية! في حين يسع المرء ان يتوصل إلى وهمية هذه المفاخر عبر ما يتراءى للأنظار من خوائها وفنائها وتلاشيها، وخلوها من المعنى لدى الملايين من البشر على وجه الأرض[1].

انني أوصيكم يا أبناء شعبي العزيز وبالذات الشبيبة منكم بالتمسك بالشعائر الدينية. اعرفوا قدر التكاليف الدينية، اقرنوا إيمانكم بعملكم وتصدوا للفساد الاخلاقي والانحراف العقائدي، جدّوا في تقوية انفسكم بدنيّاً وفكرياً وروحياً وإيمانياً، وسيأتي ذلك اليوم الذي يرى فيه هذا الشعب نصره على أعدائه كافة وفي شتى أصقاع العالم، وتنقطع مطامع الاعداء عن هذا البلد وشعبه[2].

٢٢ ـ المحافظة على العلاقة مع الله

يخاطبنا القرآن قائلاً: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾، ثم يردف قوله بإيراد الشرط وهو ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

ما قلته آنفاً منوط بصلاح علاقتنا مع الله سبحانه، وتزودكم أيها الشباب بالتقوى، وسعيكم جميعاً رجالاً ونساءً للدفاع عن الدين وعدم الانهيار أمام النزعات التي تفضي إلى الخطيئة، ومقاومة الوساوس الشيطانية وإنكم لقادرون، فلقد خبرنا قدرتكم.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجلس الشورى الإسلامي في دورته الرابعة، ١٣٧١/٣/٢٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجموعة من أبناء محافظة جهارمحال وبختياري في ملعب مدينة شهركرد، ١٣٧١/٧/١٥.

(٣) آل عمران الآية: ١٣٩.

وأقوى الوساوس الشيطانية تلك التي تحوم حول عملية تهذيب النفس، كم انهالت عليكم قذائف العدو ونيرانه المكثفة في جبهات القتال، لكنكم كنتم تواصلون تقدمكم دون وجل! وكم شاهدتم من جثث رفاق دربكم الزاكيات الذين سقطوا شهداء بين ظهرانيكم لكنكم كنتم تغذّون التقدم إلى الأمام! وبالرغم من سطوة الشيطان في تلك اللحظات ورهبته لكنه لم يقو على إرعابكم، وعجز عن تكبيلكم وإخضاعكم لوساوسه فهو إنما ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾[1]، وسيعجز عنكم حينما تقفون أمام الذنوب.

اعلموا أن أحد الاسلحة التي يتوسل بها اعداؤكم الذين تصرخون بالموت لهم اليوم هو نثرهم حبيبات الذنوب أمامكم، عساهم يفلحون باستقطاب شبابنا. وصاحب النفس الرصينة عليه الثبات وعدم الاستسلام لهذه النزعات. احذروا فالشباب التعبويون عندنا مؤمنون طاهرون أعفّاء، ولكن قد يخرج من بينهم من يفتقر لتلك الروح الصلبة فتصطاده أحابيل الاعداء والشيطان فهنا تنفع التقوى، تلك التقوى التي تعني دوام مراقبتنا لأنفسنا وعدم الوقوع بالهفوات.

وأحد أسلحتنا الدعاء «**لا يملك إلاّ الدعاء**»[2]، فنحن نملك سلاح الدعاء وسلاح التضرع والبكاء، ونحن لا نبكي خشيةً من أحد البتّة، ولا نرهب أحداً أو قوة في الدنيا أبداً، وأسمى ما يناله المؤمن من فخر إنما يكون في انهمال دموعه بين يدي عظمة بارئه، متحسراً على ما مضى من عمره المحفوف بالخطايا والذنوب.

فعليكم بالتضرع إلى الله سبحانه واطلبوا منه ما شئتم وأنتم تعيشون حالة الضراعة إليه، ومع الدعاء تُثبت هذه السواعد المفتولة والعزائم الصلبة فاعليتها،

---

(١) آل عمران الآية: ١٧٥.

(٢) مفاتيح الجنان، ص٦٧ .

فلقد كان النبي الاكرمﷺ وأمير المؤمنينؑ يلجآن إلى الدعاء في ساحات الوغى ويتضرعان إلى الله سبحانه بحاجاتهما، وكان إمامنا العزيز يدعو الله أثناء الحرب[1].

٢٣ ـ التصدي لمختلف الجبهات المعادية

انكم تشاهدون اليوم أن الدنيا غدت حلبة صراع بين جبهتين؛ إحداهما تمرست بالرذائل بشتى ضروبها فيما وقعت الشعوب تحت طائلة الظلم، فتحقق ما ورد في الحديث «**ملئت ظلماً وجوراً**»[2].

وها هي إمارات ذلك شاخصة في الآفاق، حيث ملأت الأيدي السلطوية الآثمة عالمنا المعاصر ظلماً وجوراً، فأي مكان يخلو من ظلمهم وجورهم؟ حيث أضحى بوسعنا ترديد ما كان قد صرح به أمير المؤمنينؑ في ذلك الوقت: «**لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم**»[3].

فلقد امتد ظلمهم إلى كل زاوية في هذا العالم، وهذا الظلم الذي يمارسه الاستكبار العالمي والقوى السلطوية في العالم يضع تكليفاً على عواتقنا، فما هذا التكليف يا ترى؟ انه مكافحة الظلم، فالمهمة التي يضطلع بها شعبنا هي مقارعة الظلم والجور والإجحاف والاستغلال والاستعباد، ولكن ما هي الكيفية التي يجري بها هذا الكفاح؟ لعله يتم بأيدٍ عزلاء خالية من السلاح، بيد أن الأيدي التي تعدم العلم والمعرفة والايمان لا تقوى عليه، ولا يمكن إنجازه مع تفشي البطالة والعبثية وتنامي حالة الطيش بين الأجيال ـ لا سمح الله ـ هذا الكفاح إنما

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء مجموعة من أبناء محافظة جهارمحال وبختياري في ملعب مدينة شهركرد، ١٣٧١/٧/١٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٥١، ص ٧٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٩٨.

تخوضه الجماهير بمختلف طبقاتها وبالذات الشباب والفتوة فيها بعد ان تتحلى بالوعي والإيمان والجدية[1].

إيها الشباب، إنكم أعمدة الثورة في المستقبل والمراحل اللاحقة، ونظراً لما تحملون من عنوان الشباب فإن لكم الدور الأوفر في الثورة، فأنتم اليوم وحينما سجلتم حضوركم تمثلون العناصر الفاعلة في الثورة على مختلف الجبهات سياسياً وعسكرياً وتنموياً، بيد أنكم ستغدون أعمدة الثورة، وإن كنتم اليوم عناصر التأثير في الثورة فإنكم ستصبحون غداً أركانها، فعليكم معرفة الثورة جذوراً ومباني فكرية ومنطقية.

بعد مضي عشر أو إحدى عشرة سنة على تلك الأيام الدامية لا يحق للشبيبة من أبناء الشعب الإيراني أن ينسوا تلك الأيام وما سبقها من أيام حالكة، وعليهم مواكبة الشعب في مسيرته التقدمية نحو الأمام، وأخص بالذكر منهم الشباب من الجامعيين، فلا يجوز للشبيبة الركون للأمية والفتور، فالشاب الذي يغمض عينيه عن الأحداث التي تشهدها بلاده ومصيرها وعن الممارسات العدائية التي تستهدفها ولا يتحمس أو ينتفض لها، ليس جديراً ان ينتحل صفة شاب مواطن ينتمي لشعب ثوري.

فروح الشباب تلك الروح الطافحة بالعنفوان التي تهب لنصرة الامم عند الشدائد وتنتشلها منها، ولقد حالف الحظ جيل الشباب المعاصر إذ لم يشهد الحقبة العصيبة الخانقة من حكم رضا خان وابنه محمد رضا، وينبغي ان لا يمحى من ذلك العهد عاصروا ذاكرة شبيبتنا اليوم ما كابده جيل الشباب الذين عاصروا ذلك العهد والمحن التي تجرعوها. ولم ينحصر الامر على شعبنا، بل إن

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من أبناء الشعب بمناسبة يوم العامل والمعلم، ١٣٧١/٢/٩.

الشباب في سائر البلدان وفتيانها بذلوا التضحيات الجسام خلال العهد الذي كانت تلك البلدان تكابد الاستعمار والإرهاب.

انكم تتحملون اليوم مسؤولية تعميق الثورة وترسيخها في أعماق وجودكم وهضم مفاهيمها ومتبنياتها الفكرية، وادّخارها إلى حين تبرز حاجة الشعب اليها، وهذه الحاجة إنما تطل في ساحتين: إحداهما: الأخطار التي تهدد الثورة اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، حينها يتحتم النزول بتلك الذخيرة إلى ميدان العمل للدفاع عن ثورتكم ووطنكم بما يقتضيه الزمان والظروف. أما الساحة الأخرى فهي ساحة الإعمار فخير البناة الثوريون، وأفضل المبدعين لتوفير حياة زاهرة للثورة أولئك الراضعون منها وقد ترسخت في صميم أرواحهم، وعليكم يا أيها الشباب التأهب لاقتحام هاتين الساحتين في كل آن.

وباعتباري قد خبرت الأحداث وعلى تماس معها ـ سواء تلك المكشوفة عالمياً أو التي تجري خلف الكواليس ـ وعاصرت المؤامرات التي حاكها الاعداء منذ انطلاق الثورة، أقول لكم يا شبابنا الاعزاء: احذروا! فإن الأعداء قد رصدوا ميزانيات طائلة لمواجهتكم محاولين بذلك سَوْق البعض نحو اللامبالاة، وبث روح اليأس والفتور في البعض الآخر، وهذه الحالة من أخطر الآفات التي تدهم الشباب.

وليعلم الشباب ان اليأس سرعان ما يدب إلى روح الشاب كما هو الحال بالنسبة للأمل، وعليكم بترصين المنعة في نفوسكم في مقابل محاولات العدو الرامية إلى بث روح اليأس في نفوس الشباب، وكذلك محاولة جرف البعض نحو الفساد وإيقاعه في شتى المفاسد التي تحيل الشاب الذي هو مظهر الطهارة والنقاء والعفة، إلى شاب فاسد ملوث قذر فكلا المحاولتين لا فرق بينهما، وتغذي البعض بالأطروحات والأفكار السياسية.

فثمة فئة من الشباب حملت السلاح في الأيام الأولى لانتصار الثورة لمقاتلة الدولة التي انبرى لمقارعتها الشرق والغرب، وما ذلك إلاّ حصيلة الافكار السياسية المنحرفة التي زرقوها في عقول أولئك البؤساء الطفوليين. وفي جامعة طهران بالذات انبرى بعض الطلبة لحمل السلاح عام ١٣٥٨ و ١٣٥٩هـ ش وتمترسوا وسط الجامعة ليوجهوا رصاصهم نحو الحكومة ونحو الشعب الثوري! فما هو المقياس الذي يمكن في ضوئه فهم ذلك وتصديقه؟! فإذا بالطالب الذي يفترض به التمترس لمواجهة أعداء ثورته ويكون درعاً لها، إذا به يبادر بنفسه للفتك بها!

إنه لأمر خارج عن حدود التصديق، لكنه حصل! بيد أن الثورة تيار هادر تكتسح ما يعترض طريقها، وقد جرفت أولئك ومن هم أكبر منهم، وقد نجا أولئك الذي تمكنوا من مواكبة الثورة والتأقلم معها، فيما غرقت فئة وآل مصيرها إلى الفناء، فناءً بدنياً أو معنوياً والذي هو أدهى!

إذن دس الافكار السياسية المنحرفة في أذهان الشبيبة يمثل جانباً من نشاطات العدو، واعلموا أن أية فكرة تثير الشعور لدى الشاب بانفصاله عن قادة الثورة وطليعتها ومسؤولي البلاد في وقتنا الحاضر إنما هي من طراز تلك الأفكار السياسية المدسوسة. فعليكم الانتباه إلى أنه يجب على الشعب والحكومة التكاتف والعمل يداً بيد وجنباً إلى جنب وبذل أقصى الجهود لتحطيم أبهة الاستكبار والقوى السلطوية والقضاء عليها، وهذا الميدان في غاية الأهمية والحساسية. أما الفكر الذي سيقودكم نحو الهداية فهو الفكر الإسلامي، وعليكم في الجامعات إيلاء المزيد من الاهتمام بالأفكار والفعاليات الإسلامية[1].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من الجامعيين والتلاميذ، ١٣٦٨/٨/١٠.

ما دامت المسيرة ماضية في خط الإسلام المحمدي الأصيل فلن يكف العدو عن كمائنه وضغائنه، ومازال النظام الإسلامي المقدس عرضة للمؤامرات والممارسات الخيانية والاعمال المفسدة، ومادامت هذه الاخطار تحدق بالثورة فإن تواجد فدائييها وخلّص أبنائها وسواعدها المقتدرة ضرورة ملحّة[1].

ثانيا: العلم

لقد كانت الحركة الفكرية في ايران تولد مريضة وتابعة منذ زمان القاجاريين، وللاسف بعض الأشخاص الصالحين والمخلصين كانوا يغرقون في هذا السيل الجارف.

لقد كانت هذه التعبئة الفكرية موجودة منذ البدء، كان بعضهم تابعاً لروسية مثل الميرزا فتح علي آخوند زاده والبعض الآخر كان يخضع لنفوذ اوروبا والغرب كالميرزا ملكم خان وأمثاله. كانت هذه الامور موجودة في إيران ولكن أثرها كان محدوداً، ولكن الشخص الذي حقّق للغرب واوروبا والاستعمار الانجليزي أكبر الخطوات في المجال الثقافي هو رضاخان.

انظروا كم هو مخزٍ هذه الأيام ان يقدم زعيم شعب على تغيير الزي الشعبي لأبناء الشعب دفعةً، سافروا إلى نقاط الدنيا ـ إلى الهند مثلاً ـ سترون انّ الشعوب تفتخر وتعتز بزيها القومي ولا يشعرون بالخجل منه، ولكن هؤلاء جاؤا فمنعوا الزي الشعبي في البلاد لماذا؟ قالوا لأن هذا الزي لا يسمح بأن يكون الانسان عالماً! ما أعجب ذلك؟! فإنّ أعظم علماء ايران والذين لا تزال مؤلفاتهم تدرّس في اوروبا قد ترعرعوا في هذه البيئة وبهذه الثقافة، وما هو دخل الزي

---

(١) بيان قائد الثورة الى ملتقى القادة وممثلي الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧٠/٦/٢٥.

في العلم؟ ما أسخف هذا الكلام والمنطق الذي كانوا يتفوهون به؟ لقد غيّروا زي شعب بأكمله، كشفوا عن رؤوس النساء وقالوا لا يمكن أن تصبح المرأة عالمة، أو تشارك في بناء الحياة مع وجود الحجاب.

وأنا أتساءل هنا: أين هي الفعاليات الاجتماعية التي شاركت فيها النساء بعد إلقاء الحجاب؟ وهل أعطى رضاخان وابنه فرصة للنساء حتى تشارك في النشاطات الاجتماعية؟ انّ الفرصة لم تعط في عهدهم حتى للرجال ليشاركوا في النشاط الاجتماعي.

لقد ساهمت النساء الايرانيات في النشاط الاجتماعي وساعدن في تطوير البلاد بسواعدهن الكادحة، وحفّزن الرجال على النزول في ساحة الصراع فقط عندما نزلن إلى الساحة وهن يرتدين الحجاب. ما هو تأثير الحجاب على مشاركة أو عدم مشاركة المرأة أو الرجل في النشاط الاجتماعي؟ المهم هو كيف يكون قلب هذا الرجل أو هذه المرأة؟ كيف يفكران؟ وكم يكون مقدار إيمان كلّ منهما، كيف تكون روحيتهما؟ وما هي حوافز كلّ منهما للمساهمة في النشاط العلمي أو الاجتماعي.

لقد جاء هذا الرجل الغبي الجاهل الأمّي ـ أعني رضاخان ـ وأسلم زمام أموره بأيدي الأعداء. في يوم واحد بدّل الزي العام للشعب، وغيّر الكثير من التقاليد والعادات الشعبية، منع ممارسة الطقوس الدينية ومارس القضايا بعناد بالطريقة التي تعلمونها فأصبح الوجه المحبوب لدى الغرب، وفي الحقيقة أصبح محبوباً لدى رجال السياسة والحكم الغربيين لا الشعوب الغربية والرأي العام الغربي.

لقد بدأ الهجوم الثقافي على الإسلام والشعب الإيراني منذ ذلك الحين، واتخذ صوراً متنوّعة. وقد اتّخذ هذا الهجوم في العصر البهلوي الجديد أعني

لـ (٢٠ - ٣٠) سنة الأخيرة نحواً آخر أشدّ خطورة ولا مجال لأنْ نخوض فيه الآن.

١ـ الصلة التاريخية بين العلم والدين وانفصالهما عن بعضهما

مضى ألف عام والعلم والدين توأمان يعيش احدهما إلى كنف الآخر في تأريخ هذا البلد، فلم يكن كبار العلماء في تأريخنا من أطباء بارزين وفلكيين كبار ورياضيين نوابغ وغيرهم ـ ممن مازالت أسماؤهم معروفة واكتشافاتهم متداولة في العالم ـ سوى علماء باللّه، أصحاب دين ومفكرين دينيين.

حين نأتي إلى ابن سينا على سبيل المثال الذي لازال كتابه في الطبّ يُعدّ كتاباً علمياً حياً، وكانت له آثار بارزة في مختلف الشؤون خلال ألف عام، بحيث أضحى له حضوره كوجه لامع في تأريخ البشر، وفي مختلف ضروب المعرفة، وكان اسمه متداولاً وما يزال، وقد ارتبطت باسمه بعض الانجازات العلمية في تأريخ العلم.. حين نأتي إليه نجده من العلماء باللّه والمفكرين الدينيين.

والذي نراه ان ثمة عاملين كان لهما أثرهما في تخلف المجتمع الإسلامي، وبقائه بمعزل عن ركب التقدم:

الأول: نظرة سوء الظن والشك التي استحوذت على موقف علماء الدين إزاء العلم، وذلك بعد ان أضحى الغربيون مهيمنين على ناصية العلم الطبيعي في العالم، فموقف الريبة من الغرب دفع بعلماء الدين إلى رفض (العلم الغربي) ونبذه من الساحة.

الثاني: ان العدو الكافر لم يكن على استعداد ليسمح لعلمه أن ينفذ إلى داخل الحوزات العلمية التي تعدّ مركزاً للدين.

كان أحدهما يفرّ من الآخر وأصبحا عدوين، ومردّ ذلك ان (العلم الغربي) تحوّل في كلّ جزء من العالم ـ ومنه العالم الإسلامي ـ إلى سلاح بيد السياسات المضادة للدين.

كان القرن التاسع الذي بلغ البحث العلمي فيه أوجَه في الغرب هو قرن الانفصال عن الدين، وطرده من معترك الحياة. وقد أثر هذا المسار على بلادنا فكان أن أُرسيت دعائم الجامعة على أُسس غير دينية مما أدّى بالعلماء إلى ان يصدّوا عنها، وفي الوقت نفسه صدّت الجامعة عن العلماء والحوزات العلمية، ووقعت القطيعة بين الاثنين.

لقد كان لهذه الظاهرة المؤلمة تبعات سيئة على الحوزة العلمية؛ لأنها صرفت علماء الدين للاهتمام بالمسائل الدينية الذهنية (النظرية) والاقتصار عليها وحدها، صاروا في عزلة عن التحولات التي تطرأ على الدنيا من حولهم، وبقي مسار التقدم العلمي المطّرد خافياً عليهم.

لقد اختفت إثر ذلك روح التحوّل (التجدّد) في فقه الإسلام، وغابت هذه الحركية في استنباط الأحكام الدينية داخل الحوزات[1].

وبذلك بقيت الحوزات بعيدة عن وقائع الحياة والتحولات العظيمة التي شهدها المحيط العالمي، وانشغلت في الغالب بسلسلة من المسائل الفقهية الفرعية مما أدّى في نهاية المطاف إلى ترك امهات مسائل الفقه من قبيل قضايا الجهاد، تأسيس الحكومة، اقتصاديات المجتمعات الإسلامي، وكل ما يدخل في فقه الدولة (فقه الحكومة) بحيث اضحى هذا اللون من ضروب الفقه منزوياً بل نسياً منسياً.

---

(١) حديث قائد الثورة إلى مجموعة من شعراء وأُدباء وفناني تبريز، ١٣٧٢/٥/٥.

لقد توفر جلّ اهتمام (القوم) على المسائل الفرعية، وعلى فروع الفروع في حين بقيت الوقائع المهمة وقضايا الحياة الملحة بعيدة في الأغلب عن مدار الاهتمام، وكانت هذه ضربة ألمّت بالحوزات العلمية.

لقد استغلت التيارات السياسية هذه الحالة وعززت انفصال الحوزة عن الحياة من خلال الدعاية، وعبر توظيف أساليب شيطانية في هذا المضمار.

أما الجامعات التي أُسست على أساس ان تكون اللبنة الأولى في صرح القطيعة مع الحوزات العلمية ومع الدين، فقد وقعت بيد حثالة تفتقر إلى الدين والأخلاق الإسلامية، وتفتقد المؤهلات السياسية وبعيدة عن النظم[1].

علينا ان ننمّي الروح العلمية بحيث تنبث روحية التطلّع العلمي بين جميع المستويات في المجتمع، فالتوجه نحو العلم (روحية التطلع العلمي) هي مسألة في غاية الأهمية. بديهي يتوهم بعضهم خطأً أنَّ التوجه صوب العلم لا يتوافق مع التوجه نحو الدين.

لقد شهدنا في السنوات الأخيرة دعوات بعضها ينطوي على غرض سياسي، وبعضها خالٍ من الغرض السياسي. نحن نعرف هؤلاء، فقد يخفى الهدف السياسي على عامة الشعب، بيدَ إنّا نعرف ماذا يهدف فلان من دعوته، ونحدس سريعاً ما الذي يريده؛ لأنّنا أدرى بسوابقه وأعرف بها.

المهم ان بعضهم يروّج التوجه نحو العلم ليحقق غرضاً مؤدّاه: انَّ التوجه الذي يشهده مجتمعنا نحو الدين في الوقت الحاضر يتنافى مع التوجه نحو العلم، ومن ثمَّ يمكن صدم وعي الناس الديني من خلال ترويج الروح العلمية واشاعة العلم!

---

(١) حديث قائد الثورة في مجموعة من العلماء والجامعيين والطلاب، ١٣٦٨/٩/٢٩.

هؤلاء على خطأ، فإذا كان منظورهم من الدين هو الإسلام الذي ننتمي إليه فهذا الدين هو الذي صنع الثورة وربى المقاتلين لميادين القتال، وهو الدين الذي يدعو الناس إلى العلم.

فحينما نعود ونفحص العلة التي جعلت المسلمين يحملون مشعل العلم ويمسكون به في العالم طوال عدّة قرون، ويمثلوه على أعلى مستوى نجدها متمثلة بهذا الدين، بالإسلام. فالأسماء التي لمعت بين الفارابي وحتى الخواجه نصير الدين الطوسي هم ثمرة هذه القرون.

وما يهمنا الاشارة إليه انَّ رؤى أمثال الخوارزمي أو ابن سينا لم تنسخ في مجال اختصاصها (العلمي) الذي تحركت فيه، وهي لم تبطل بل هي صحيحة وان استكملت برؤى جديدة، كانت تلك أساسها، قد انبثقت من الإسلام برمتها، كان الإسلام هو العامل الأساس الذي رفع المسلمين إلى ذروة العلم.

انكم تعرفون ان اوربا شهدت في قرون ضديتها للدين ظهور روّاد العلم وهم من الحملة الأوائل لمشعل العلم الديني أيضاً، من هؤلاء روجر بيكون الذي كان قسيساً فرانسيسياً (نسبة إلى سان فرانسيس القديس: ١١٨٢ ـ ١٢٢٦م). والفرانسيسيون جماعة من القساوسة الزهّاد الذين كانوا يتبعون سان فرانسيس الذي كان بدوره قديساً معروفاً، تنسب إليه مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية لميلهم إلى اطلاق الأسماء المقدسة على المدن.

كان سان فرانسيس هذا قديساً معروفاً، عاداه جهاز البابا لما كان يبديه من نقد لبذخ الجهاز عداوةً شديدة، وكان مبعث العداوة موقف القسيس فرانسيس المعارض لمظاهر الجاه والثراء والبذخ في جهاز البابا، وميله إلى الزهد .

وإذا أردنا على سبيل المثال ان نعثر من بين الفرق الإسلامية على مثال لروجر بيكون، فهو يشبه فرقة (دراويش خاكساري) من الصوفية الذين كان

عملهم الدروشة، وفي مجال القسوسة برز روجر بيكون من روّاد العلم الذي ربما كان في القرن الثالث عشر.

ومعنى ذلك ان أول التجليات العلمية التي ظهرت في أوربا وقادت في نهاية المطاف إلى التحوّل العلمي الذي شهدته هذه القارة، حصل من قبل شخصيات دينية، شخصيات دينية متفتحة وليست متبلدة الذهن، هذه الشخصيات هي التي أوقدت أُولى جذوات التحوّل العلمي.

وحينما نعود إلى ابن سينا ـ الشخصية المنبثة من داخل تربتنا الإسلامية ـ نجده هو الآخر عالماً دينياً، بل كان كما نعرف ـ وكما يظهر من كتابه «الاشارات» ـ عارفاً بمعنى من المعاني.

كذلك كان غيره، فالبيروني مثلاً هو عالم ديني رغم تفوقه في الرياضيات والنجوم وعلوم أُخرى وكان من الشخصيات اللامعة، أو البهائي الذي كان «آخوند ـ ملاّ» عالمَ دين فقيهاً بمعنى الكلمة ومن أهل العبادة والتهجّد أيضاً.

والذي حصل في عصر الشيخ البهائي انَّ العلوم الدينية اكتسبت مسيرها العلمائي الصنفي الذي هي عليه الآن، وذلك خلافاً لما كانت عليه قبل ذلك؛ إذ كانت لا تقتصر معارف عالِم الدين على أصناف العلوم (الرسمية المتداولة) في الصنف العلمائي ـ الحوزوي اليوم ـ بل كان عالم الدين عارفاً بجميع العلوم والفنون (العلوم الدينية وغيرها) ، فابن سينا مثلاً كان له تلاميذ في الفلسفة كما كان له تلاميذ في الطب.

أما الشيخ البهائي فقد برز في بيئة كانت فيها العلوم قد انفصلت بحيث أضحى العالم الديني مختصاً بتحصيل لون معين من المعرفة (الدروس الرسمية المتعارفة حوزوياً)، وعليه ان يعتلي المنبر ويقوم في المحراب وحسب.

وحين نرجع إلى أبي ريحان ـ مثلاً ـ نجد من بين مؤلفاته كتاب «تحقيق ما للهند»، والعنوان في الواقع جزء من بيت شعر نصه:

تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة

لم تكن الروح الدينية إذاً على تنافٍ مع الروح العلمية، بل كانت سنداً لها.

ينبغي لكم ان تنموا الروح العلمية في المجتمع، وتزيدوا من توجهه نحو العلم.

ان هذا الكون يقوم على قاعدة وله قانون ينبسط على جميع أجزائه، وقد أمرنا الدين ان نكشف عن هذا القانون كي يكون بمقدورنا ان ندير الوجود. ومردّ ذلك انّ الإنسان خلق لكي يكون حاكماً للأرض، ومسخراً لما فيها وتحتها لا أن يكون محكوماً من قبلها.

لذلك لا يمكن للإنسان ان يتمثل موقع الحاكمية ومركز الخلافة في الأرض، هذا الموقع الذي يعكس فلسفة وجوده والوظيفة الأصيلة التي يجب ان ينهض بها من دون ان يعرف قوانين الأرض، قوانين الطبيعة.فما لم يكشف الإنسان عن هذه القوانين لا يستطيع ان يحقق حاكميته (خلافته)، وهذه القوانين تعرف بالعلم وعليه تكون الروح العلمية من الأهداف المهمة[1].

٢ ـ ازدهار العلم هدف أساسي للثورة الإسلامية

تملك هذه الأمة استعدادات بزغت طوال سنوات متمادية، بيدَ انَّ السؤال: ما الذي حال بينها وبين ذلك بحيث أضحت متخلّفة عن ركب العلم وقافلة المعرفة قرنين وربما أكثر؟

---

(١) حديث قائد الثورة إلى القسم العلمي التابع للاذاعة، ١٥ / ١١ / ١٣٧٠.

يعود سبب ذلك يقيناً إلى الأيدي غير الأمينة التي تسلطت على الأمة، السلاطين المستبدون الظلمة الذين استحوذوا عليها طوال هذه السنين هم سبب البلاء الذي نزل على البلد. فلو قدّر وان انبثقت حكومة إسلامية أخذت على عاتقها تنفيذ أحكام الإسلام وقوانينه لزالت الموانع من أمام الناس.

والثورة الإسلامية في إيران، يجب عليها في الواقع ان تنهض بهذا الدور الكبير، وان تحقق المعجزة في هذا المضمار[1].

من الأهداف الأساسية للثورة هو تنمية الروح العلمية وبسط العلم، وزيادة التوجه نحو التحقيق، وتفتح الاستعدادات الإنسانية، وتوسيع مدارات الوعي والمعرفة العامة. فالمجتمع الذي ينشده الإسلام هو المجتمع الذي يستطيع ان يستخرج كنوز الفكر الإنساني، ويوظّف الطاقة الذهنية للبشر التي تعد أثمن الثروات الوطنية لأيّ مجتمع.

والمجتمع الإسلامي هو الذي يستطيع أن يستأصل جذور الأمية والجهل، وتفلح فيه المدارس في جذب جميع الأطفال والأزهار المتفتحة بحيث تكتسب مراكزه المعرفية والعلمية من حوزات وجامعات رونقاً خاصاً، وتنشط فيه مراكز التحقيق والبحث، ويكتسب الكتاب موقعاً مميزاً بحيث تروج القراءة في كلّ مكان وفي أوساط الجميع.

تنطوي المطبوعات في المجتمع الإسلامي على مادة ثرّة وهي تقوم ببث الوعي.. ينهض الاساتذة والعلماء في ممارسة عملهم بنشاط وحيوية، وتفيض روحية المبدعين والفنانين والكتّاب بالحركية والدفئ.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء عدد من العشائر وعوائل الشهداء، والعاملين في جهاد البناء والمتضررين من الزلزلة، ١٣٧٠/٤/٢٨.

إنّ المسافة شاسعة الآن بين ما نحن فيه وبين الوضع الذي يريده لنا الإسلام، ولكن المهم ان هذا الطريق قابل للطي بحيث يمكن ردم الفجوة.

على إيران الإسلامية ان تثبت اليوم انها مازالت قادرة على تنمية الاستعدادات العلمية وتربية النابغين، وان قرنين من الاستبداد والاستعمار لم يقضيا على الجوهر الذاتي لهذا الشعب.

فإذا كان التسلط الاستبدادي والاستعمارُ قد منعا تفتح الاستعدادات خلال القرنين الماضيين، فيجب ان نتدارك التخلف الذي أصابنا في ظلال عصر الحرية واليقظة الذي نحياه ببركة الثورة الإسلامية[1].

تعرفون ان مسار العلم يتقدم إلى الأمام بحركة مطّردة. ومثل (الشعوب) التي تريد ان تلحق بالركب مثل انسان يريد أن يلحق بسيارة تسير وهو يسعى وراءها ماشياً على قدميه، وآخر يتوسّل بالدراجة الهوائية لكي يبلغها. بديهي ان صاحب الدراجة أوفر حظاً في اللحاق بالسيارة في حين ستكون الفاصلة كبيرة بالنسبة للذي يقطع المسافة مشياً، ومع ذلك فالسيارة في هذا المثال ليست نهاية المطاف بالنسبة للتقدم العلمي، بل تأتي بعدها مرحلة الطائرة حيث تزداد سرعة المسير مئات المرّات.

والسؤال: ماذا علينا ان نفعل والمسافة تزداد لحظة بعد أُخرى بيننا وبين البلدان المتقدمة؟ علينا ان نختصر الطريق، وان نستفيد من جميع الاستعدادات الكامنة في البلد. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا عاش البلد حالة صميمية في حركته، وفي مواجهته للأعداء وللسياسات الاستعمارية مما لا يمكن ان نرجوه حاضراً ومستقبلاً إلاّ في ظلال الثورة وبركاتها.

---

(١) خطاب قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

هذه الروح ضرورية لمستقبل البلد، وإذا قدّر لكم النهوض بهذه المسؤولية، فسيكون الأجر الإلهي العظيم من نصيبكم، وأقول حقاً ستعجز الملائكة الكرام عن احصاء ثوابكم[1].

٣ ـ مسؤولية الشباب الخطيرة في تحقيق النمو العلمي والتقدم الصناعي في البلد

إنّ ما تحقق للجمهورية الإسلامية الآن، انما جاء بفضل همة أبنائها بحيث لم تضطر للانحناء أمام أحد في العالم. طبيعي اننا استفدنا ـ ونستفيد بعد ذلك ـ من التقنية العالمية الحديثة ولكن بعزة، وفي الوقت نفسه يوجد أمل يحدونا هو ان يكون جلّ اعتمادنا على قوانا الذاتية وقدراتنا الداخلية في ايران الإسلامية العزيزة، وتقع المسؤولية على عاتق شبابنا والعقول المفكّرة، والأيدي الماهرة والهمم الكبيرة المبدعة المبتكرة في تزويدنا بما نحتاج إليه.

لا أملك إلاّ أن أدعو أبناء هذا البلد الشجعان في ان يعتمدوا على أنفسهم، وهذا لا يعني أن ننغلق ونسد الأبواب ونرفع الجدران من حولنا بحيث لا نستفيد من التقنيَّة ومعطيات التقدم العلمي. كلا، فالعلم والتقنيَّة هما من المعطيات العامة للبشرية جميعاً، فالبشر شركاء في ذلك كافة وليس لأحد ان يحتكرهما أو يمن بهما على الآخرين.

لقد ساهمت الانسانية بأجمعها في اكتمال المدنية المعاصرة، وما يزال لها دورها في ذلك. إنّنا لن نغلق الأبواب على أنفسنا، بل نعدّ ـ الانفتاح ـ حقّنا الطبيعي[2].

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مع مسؤولي محافظة جهارمحال وبختياري، ١٣٧١/٧/١٦.

(٢) حديث قائد الثورة إلى مجموعة من طياري القوة الجوية التابعة للجيش، ١٣٧١/٧/١٨.

لسنا ممن يعارض الاستفادة من علم الآخرين وتجارب البلدان والشعوب الأُخرى، وانما غاية ما نقوله ان هذا البلد ينبغي أن يُبنى بيد أبنائه ومن قبلهم. الأجنبي لا يتحرق قلبه لبناء بلدكم، لذلك عليكم أنتم أيّها الإيرانيون من شباب وعلماء ومتخصصين وعقول خبيرة وكل من له قدرة ان تبذلوا همتكم مع أبناء القاعدة الشعبية العريضة في بناء البلد.

بديهي انّ هذا لا يعني عدم الاستفادة من تجارب الآخرين وعلومهم واختصاصاتهم، فلن نغلق باب التعلم من الآخرين وننغلق على أنفسنا، بل نسعى لتحصيل أي علم مفيد أو تجربة نافعة في الشرق والغرب، وفي أي مكان من العالم ونستخدمها لما يفيدنا.

وهذا المنحى يعبّر عن حكم الإسلام في هذا المضمار فالإسلام لا يعارض الاستفادة من الآخرين إلاّ ان كلمتنا الأساس، وما نسعى إليه الآن هو ان تتحملوا ـ أنتم ـ المسؤولية[١].

أحمد اللّه أنكم من أهل العلم، وربما تعرفون أفضل مني ما كان عليه الماضي العلمي لايران، كان ماضياً يبعث على المجد وملء الافتخار. إذا شاء أحدهم الآن ان يستقل شيئاً ويستحقره ينسبه إلى القرون الوسطى، متغافلاً أنّ القرون الوسطى في الوقت الذي كانت عصور عار لأوربا، كانت بالنسبة إلينا عصور فخر ونور.

حين نعود إلى ما كتبه كريستيان سن المؤرخ المعروف عن التمدن الإسلامي في القرن الهجري الرابع، نراه يذكر انّ المحيط الإسلامي كان سوقاً مزدهرة بالعلم في الدنيا، ويعتقد انّ النقطة المركزية في هذا المحيط هي إيران؛

---

(١) حديث قائد الثورة في لقاء عدد من العشائر وعوائل الشهداء والعاملين في جهاد البناء والمتضررين من الزلزلة، ١٣٧٠/٤/٢٨.

يعني أصفهان والري وفارس وخراسان وهرات وغير ذلك مما كان مركزاً يبث العلم إلى أرجاء العالم.

بيد انّ الذي يؤسف له حاضراً ان أبناء هذا الجيل لا يعرفون ذلك، لا أقصد أنهم يجهلون مثل هذا الكلام فهم سمعوا به وقرؤوه في الكتب، ولكن المشكلة انهم ينظرون بعين الانكار وعدم التصديق، تستولي على هذا الجيل والذي سبقه روح عدم التصديق والقبول بما كان عليه ماضي إيران.

ومردّ حالة الشك هذه هو هيمنة الحضارة الغربية، وهذه التقنيَّة التي ترمي بهيبتها على كل شيء وتملأ الجوّ العام بالشكل الذي لا يجرؤ معه على مجرد النظر إلى أُصوله!

ليس ثمّ شك في أنّ أزمّة العلم اليوم بيد أولئك، ولكن ـ المشكلة ـ انهم يبتغون نفي السوابق العلمية للأمم الأُخرى، ويحصل في بعض نقاط العالم التي ذهب الأوربيون ـ للاغارة عليها ـ ان يلغي هؤلاء الغربيون الحضارة المحلية لتلك المناطق كما حصل في بعض اقاليم أمريكا اللاتينية (البيرو كمثال).

أذكر على سبيل المثال أنّ رئيس البيرو ـ الذي انتهت دورته الرئاسية العام الماضي ـ حدّثني مرّة أن آثار الحفريات والبحوث أثبتت انّ للبيرو في السابق حضارة كانت قائمة.

الكلام نفسه يصح بالنسبة إلينا على العهد السلجوقي الذي لم يترك أي أثر يدل عليه.

ومعنى ذلك انّ البيرو ـ على سبيل المثال ـ كانت كبلد تتمتع قبل ٥٠٠ سنة بحكم مقتدر له علم وثروة، أما الآن فانظروا إلى موقعها على خريطة العالم، انها لا تملك شيئاً.

ما فعله هؤلاء انهم قطعوا شعب البيرو عن ماضيه، بحيث لم يعد له أي اطلاع على تأريخه، وإذا قدّر وان كانت هناك حاجة لانجاز الحفريات فقد قام أولئك ـ المستعمرون ـ بهذه العملية، وما بقي مما لا قيمة له تركوه وراءهم فأخذ يشتغل به أهل البلد.

هذه الممارسة لا يمكن ان تنجح داخل إيران مع وجود هذه الكتب والآثار العلمية والتأريخية البارزة، ولكنهم نجحوا في محو آثارها من الأذهان ـ مسخوا وعي الجيل الماضي وقطعوه عن ماضيه ـ وعليكم الآن تقع مسؤولية وصل الجيل بماضيه.

لقد نهض مشاهير العالم ببعض هذه المهمة (من خلال ما كتبوه عن الخلفية العلمية للبلد) ، ولكن ـ والحق يقال ـ ينبغي ان تعطى هذه المسألة الأهمية التي تليق بها. على الجيل الجديد ان يحيط بماضيه ويعيه؛ لأن له دخلاً في تقدمنا العلمي.

فإذا وعى الجيل الراهن انه ينتمي إلى تأريخ لأهله مثل تلك الاستعدادت، سينظر إلى المستقبل بأُفق آخر. أمّا إذا تصوّر ان كل ما هو موجود فهو بيد الاوربيين وحدهم وحسب وعليه ان يسعى أبداً وراء أوربا، فسيكون لذلك أثر آخر على منحاه في طيّ مسير التقدم العلمي[(١)].

إنّ واحدة من القضايا التي تمثل هاجساً للعالم المعاصر هو ان لا يسمحوا للنظم الثورية أن تأخذ حظّها من التقدم العلمي، وهذه الحساسية تتضاعف إزاء بلد كبلدنا. ومردّ ذلك انّ الاستعمار وأمريكا والصهاينة ـ وهم مهندسو الفساد في العالم ـ يعيشون هاجساً إزاء الإسلام والثورة الإسلامية لم ولن يعيشوه مع أية ثورة أُخرى.

---

(١) حديث قائد الثورة إلى القسم العلمي التابع لاذاعة الجمهورية الإسلامية، ١٣٧٠/١١/١٥.

ان الذي يمكن ان تكون له يد في تنمية العلم في هذا البلد عليه ان يعيش الاحساس بالمسؤولية بشكل مضاعف، فالعدو لا يريد لنا ان نقف على أقدامنا. ولن نقف على أقدامنا إلاّ إذا نبع العلم وتفجّر من داخلنا بحيث لا نمدّ يد الاستجداء إلى الأعداء[١]".

٤ ـ إزدهار العلموية في اوربا بداية لمواجهة الثقافة الدينية

منذ قرنين على الأقل شهد العالم ولادة تيار عرف باسم التمدن الصناعي (الحضارة الصناعية) الذي اقترن بسمات وخصوصيات معينة، ورغم ان مقدمات هذا التيار تتقدم زمنياً على هذا التأريخ بكثير إلا انّ ما يعنينا أنه اكتسب خلال هذين القرنين عدداً من الخصوصيات في طليعتها الميل صوب الصناعة والعلم، الميل إلى استخدام الوسائل الجديدة في الحياة، والأهم من ذلك كله الميل إلى فلسفات تقوم على قاعدة مادية.

ومعنى ذلك ان أبرز الاتجاهات الفكرية والفلسفية التي ظهرت في الغرب خلال هذين القرنين اتخذت موقعاً مضاداً للفكر الديني، وكانت الماركسية أكثر هذه الفلسفات ضجيجاً خلال هذا التأريخ. وبقية المدارس الفلسفية والاجتماعية التي ازدهرت في القرنين التاسع عشر والعشرين كانت في الغالب تميل نحو المادية وهي غير دينية، بل وعلى الضدّ من الدين.

أرجو الانتباه جيداً لكي تتضح أهمية الموضوع، لقد بدأ هذا الاتجاه غير الديني ـ والمضاد للدين ـ من نقطة صغيرة ضيقة، ثم راح يزداد ويتسع شيئاً فشيئاً وهو يتحرك صوب نقطة الذروة، وكان نموه وتغلغله واضحاً في حياة الناس، في فكرهم وفي العلاقات الاجتماعية، وفي الأسرة.

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه مع مجموعة من العلماء والجامعيين والطلاب، ٢٩ /١ /١٣٦٨.

وإلى جوار هذا التيار الفكري الفلسفي والاجتماعي كان التيار السياسي يختط في دنيا الناس، وبموازاة الخط الأول نهجاً يتحرك بالكامل في الاتجاه المضاد للدين ولعالم المعنى.

لقد كانت بعض هذه الاتجاهات السياسية تبدو وكأن لا علاقة لها على الظاهر بالاتجاهات الفلسفية، وهُناك من يعتقد انَّ الفكر المادي حتى في صيغة اليسار المتطرِّف هو حصيلة لفكر رجال السياسة وثمرة لجهودهم، ولا صلة له بفكر الفلاسفة.

يذكر هؤلاء في التدليل على رأيهم ان ظهور كل هذه الاتجاهات والتيارات كان تعبيراً عن عمل سياسي بالمعنى الحقيقي للكلمة، وهو إلى ذلك فعل اقتصادي باتجاه تنمية الثروة وزيادة رؤوس الأموال، ولبسط (النهج) الرأسمالي الذي أخذ نفوذه بالتزايد يوماً بعد آخر.

لا يعنينا في هذا المضمار مناقشة الآراء المختلفة في هذه المسألة، وانما يهمنا أن نشير إلى ان الاتجاهات (النظم) السياسية سارت هي الأخرى في التيار الذي يتضاد مع عالم المعنى، بحيث أخذت علاقة الضدية هذه تزداد يوماً بعد يوم.

ومن الطبيعي ان يشتد الهجوم ويتكاتف عند كل نقطة تتمركز فيها المعنويات أكثر من غيرها، وهذا بالضبط ما يفسّر لنا شدّة الهجوم الذي تعرّض له الفكر الإسلامي في كلّ نقطة من نقاط العالم. ففي شرق العالم الإسلامي ـ الهند ـ دخل الإنجليز في مواجهة مع الإسلام، وفي غرب العالم الإسلامي ـ أفريقيا ـ هاجم الفرنسيون الإسلام ودخلوا الجزائر.

وبرغم انَّ بريطانيا وفرنسا كانتا تتنافسان استعمارياً إلا انَّ خصمهما كان واحداً ـ عالم الإسلام ـ .

لقد أخذ حضور التيار الديني ومسار عالم المعنى يضعف في العالم، وأخذ تأثيره يتضاءل حتى أضحت البشرية تفتقر إلى الأخلاق والمعنى.

لقد أخذت العجلة المادية الثقيلة تسحق في حركتها عالم المسيحية ودنيا الإسلام والإيمان، أو جعلت تأثيره باهتاً على الأقل. هكذا سارت حركة الحياة (الإنسانية) في العالم طوال قرنين وهذه ليست مدة قليلة.

راح التيار المادي يتحرك بسرعة وقسوة، وبات نفوذه يتسع يوماً بعد آخر خلال قرنين، وإلى جوار المادية التي بلغت ذروتها في الفكر والسياسة والسلوك الحياتي للبشر أخذت الثروة تتزايد يوماً بعد آخر، ويتنامى العلم بشكل مطّرد، وتكثر الاختراعات والاكتشافات الجديدة، وتتزايد المراكز والمؤسسات التي تدفع النهج المادي هذا.

ومعنى هذا الكلام انه لا يمكن أن نقارن علمياً بين أمريكا وأوربا اليوم، وبين ما كانتا عليه قبل خمسين عاماً. انهم أنفسهم الذين وظّفوا أموالهم وعلومهم واختراعاتهم، واستفادوا من امكانياتهم المختلفة في دفع هذا النهج وتقويته والتعجيل به حتى وصل إلى ذروة لا يمكن تصورها، بحيث لم يبق أمامهم في الخطوة اللاحقة سوى اجتثاث الدين والأخلاق والمعنويات من المجتمعات (البشرية) حتى لا يبقى لها ذكر!

استئصال الدين والمعنى والأخلاق كان هو الخطوة التالية في المسار المشار اليه، وهذا الكلام لا أقوله وحدي بل سجّله حتى أولئك الذين اشتغلوا بكتابة قصص الخيال العلمي، وحاولوا ان يرسموا من خلال كتاباتهم صورة المستقبل لهذا العالم بعد خمسين عاماً مثلاً. لقد قرأت شخصياً بعض هذه الكتابات فرأيتها تعكس تصوراً لمستقبل العالم لا وجود فيه للاحساس المعنوي.

تُرى ما هي الخطوة اللاحقة في مسار حركة العالم في قرن يوصف بأنه قرن الذرة والالكترونيك، وقرن الكومبيوتر والتقدم الفضائي المدهش؟ انها بلا ريب

تتمثل في افراغ العالم من الفكر، أو على حدّ تعبيرهم استئصال أوهام(!) الدين وعالم المعنى، ولا يمكن تصوّر غير ذلك.

وفيما كانت جميع المخططات تشير لمستقبل البشرية على هذا المنوال، وإذا بنهضة علمائية دينية تنبثق من إيران فجأة سنة ١٣٤١ (١٩٦٣م). لم تستطع هذه الواقعة ان تجذب للوهلة الأولى اهتمامات العالم، بيدَ انها أخذت تتسع خلافاً لتوقعات المراقبين والمحللين، وتسيطر على المحيط من حولها حتى انتهت فجأة إلى انفجار كبير في نقطة من نقاط العالم.

عند ذلك أحست القوى العالمية انها أخطأت في تقدير هذه الظاهرة، فحاولت ان تتدارك الموقف ولكنها لم تستطع[١].

يسير العالم ـ كما تعلمون وكما قرأتم في التأريخ ـ منذ سنوات متمادية في الاتجاه الذي يبتعد عن الدين وعالم المعنى. فمنذ قرنين والبشرية تتحرك في هذا المسار لأسباب معلومة وعلل غير مجهولة.

لقد اكتسبت حركة البشرية خلال المائتين سنة اللتين ترافقتا مع ذروة التقدم الصناعي والعلمي ـ أي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين اللذين أطلق عليهما قرني التنوير والإنسانية ـ سرعة مطّردة في الانسلاخ عن الدين وعالم المعنى.

بديهي ان بعض هذا المسار يمكن ان يفسّر بأسباب طبيعية تمليها طبيعة الاختيار ـ الذي سارت عليه البشرية ـ إذ لا يمكن لتلك المقدمات التي ظهرت إلاّ أن تفرز هذه النتائج (بمعنى انّ البعد عن الدين هو لازم لا يتخلف عن النهج المادي المفرط).

---

(١) خطاب القائد في ثلة من العلماء وأئمة الجمعة، ١٣٦٩/٢/٢٢.

ولكن في هذا المسار عناصر خطط لها عن قصد أيضاً، فقد وصلت جميع القوى العالمية إلى نتيجة مؤدّاها ضرورة ازالة الدين من ساحة الوجود. لم يكن يقصد هؤلاء ان يمحى اسم الدين، بل كانوا ينظرون إلى المعنى الحقيقي للدين، وإلى الدين الحقيقي الخالص.

يمكن للظواهر الدينية ان تبقى، ولكن ما يستأصل هو الإيمان الديني الواقعي.. كم من الأموال بذلت في هذا المضمار، وكم من الناس اقتنعوا بضرورة الغاء دور الدين، وان هذا الالغاء هو من لوازم البشرية في هذا العصر!

لم ينبثق سعي جميع هؤلاء عن خيانة، وانما كان بعضهم يعتقد حقاً بضرورة هذا العمل للبشرية.

لقد بذلوا جهوداً كبيرة للقضاء على المعنويات ـ في كل مكان وفي العالم الإسلامي أيضاً ـ ألّفوا الكتب وتوسلوا بالعمل الأدبي، مارسوا الدعاية واعتمدوا نهج القوة وانفقوا الأموال. وفي هذه اللحظة التي كان كل شيء فيها يحشّد ضدّ عالم المعنى وإذا بحكومة تنبثق، ونظام يقوم في منطقة حساسة من العالم على أساس المعنوية والإسلام.

لقد كان انبثاق هذه الحكومة واستقرارها خلال عقد من السنين معجزة حقاً، بل كل شيء فيها معجزة[1].

ثالثا: الحرية

١ ـ الحرية المرفوضة والحرية المقبولة

يتهمون النظام الإسلامي بأنه لا يمنح الحرية، ولكن كيف (بأي معنى) نحن لا نمنح الحرية؟ هل هناك بلد فيه هذا العدد من الصحف والمجلات والنشريات التي يكتبون فيها ما يريدون؟

---

(١) حديث قائد الثورة في لقائه عدد من مسؤولي الجمهورية الإسلامية، ١٣٦٨/١١/١٩.

ان الصحف الرسمية في البلد تنتقد سياسات الحكومة علناً وتضعها في دائرة الاستفهام، ثم تبادر الحكومة للجواب على نقد الصحافة بشهامة تامة.

تطبع الآن مجلات في إيران يستطيع من له أدنى معرفة بالعناصر الثقافية في عهد الطاغوت، وبالكتّاب والفنانين وحملة الأقلام في العهد الملكي، وبالعناصر الجبانة أمام العدو والموالية لأمريكا أن يدرك من أين تموّل هذه المجلات!

هذه المسألة قابلة للحدس، ونحن على علم بالأمر وكذلك الجهاز المسؤول، ولكن رغم ذلك ما تزال هذه المجلات تطبع من دون أن نتعرض لها. نحن لا نخشى من مجلة تكتب ضدّ رؤيتنا بضع كلمات، فنحن نكتب أيضاً بما يتسق مع رؤيتنا أو في سياق الردّ على ما تكتبه.

ان سعة الحرية التي تحظى بها المطبوعات في إيران لا يوجد في الأماكن الأخرى، ومن ثمّ فأن نظامنا مظلوم في مضمار حرية المطبوعات، وآية هذه الظلامة ان المجلات والصحف تحصل على الحرية، ثم تمتلئ بنقد النظام ومع ذلك يأتي من يردّد في سياق هذه الانتقادات بأننا لا نملك الحرية!

والسؤال: إذا لم تكن تملك الحرية فكيف كتبت ما كتبت؟ ومن الذي عوقب ـ في البلد ـ لمجرد انه كتب وعبّر عن رأيه بالكتابة؟ أجل، إذا اجترح أحدهم جريمة صحفية فإن ذلك جرم كائناً من كان صاحب الذنب، والشخص الذي يخالف القانون يتعرض للعقوبة، وإحدى العقوبات التي ينص عليها القانون هو تعطيل الصحيفة أو المجلة التي ارتكبت الجريمة.

وهذه قضية أُخرى غير حرية المطبوعات، أما الكلام وابداء الرأي فالإنسان فيهما حر.

وما يحصل ان العدو يرمي النظام بتهمة سلب الحرية لمجرد أن الأجهزة المعنية تبدي احساساً بالمسؤولية إزاء ما يُكتب وتردُّ عليه. ان العدو يريد لكتّاب التيار الثقافي التابع للاستكبار ان يكتب ما يشاء، ولكن لا يرضى للكتّاب

المرتبطين بالنظام الإسلامي والموالين للاتجاه الإسلامي أن يردّوا على ما يكتبه أولئك، وإذا ما ردّوا ما يلبث ان يقول: ليس هناك حرية! هُم يريدون تخويفنا!

هذه هي الأجواء التي يصنعها العدو، وهناك من البسطاء من يُخدع بذلك، وما أكثر من ينخرط في هذا التيار من دون قصد ومن دون أن يعي ماذا يقول أو يعرف ما الذي يعمله.

يناهض بعض الكتّاب والمتحدثين ممن أمضى عمره غارقاً في مستنقع الفساد والرذيلة، وضروب الانحطاط الأخلاقي والسياسي الحكومة الإسلامية التي سدّت الطريق على هذه الممارسات الماجنة، وطردت أسياد هؤلاء الكتّاب. ثم يعمد هؤلاء إلى تسويغ معارضتهم التي تتجه حقيقة ضدّ الإسلام والاستقلال الوطني، وحرية البلد والطهارة الأخلاقية من خلال تتبع العثرات الصغيرة وتوجيه النقد إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية.

وفي الوقت الذي يتحدث هؤلاء بما يشاؤون بحرية تراهم يطالبون بالحرية بوقاحة!

ان ما يبتغيه هؤلاء حقيقة هو فتح المجال للنفوذ الأمريكي وتسليم مقدرات البلد بيد الأعداء، بيد ان الخصم الذي يواجه هؤلاء هو الشعب الرشيد الواعي. فشعبنا سيجعل من عودة عهد العبودية لأمريكا مجرد حسرة في قلوب أولئك، وسيدافع بما يملك عن انجازه الكبير المتمثل بالنظام الإسلامي وحاكمية ارادة الإنسان وإيمانه.

٢ ـ رافع راية الحرية هو الإسلام والقرآن

اننا نرفض بصراحة وحزم حرية الفساد والتحلل والفحشاء والكذب والاحتيال والظلم والاستغلال والاعتداء على حقوق الشعوب، فهذه الحرية التي يمارسها الغرب ويرفع لواءها.

اننا نرفض الحرية التي تبيح للمرتد سلمان رشدي اهانة مقدسات مليار إنسان في حين انّها تمنع المسلمين الإنجليز حقهم في توجيه شكوى ضدّ هذه الاهانة.

اننا نرفض ونبدي استياءنا من الحرية التي تبيح لأمريكا أن تحرك الغوغاء والأوباش ضدّ حكومة شعبية، بيد انها ترفض حق هذه الحكومة في مواجهة هؤلاء.

اننا نرفض وندين الحرية التي تبيح للرأسماليين الإغارة على البلدان الضعيفة والسطو على مقدرات الشعوب ونهب ثرواتها، وتأخذ على هذه الشعوب حقها في المواجهة، نحن نرفض هذه الأنماط من الحرية ونستنكرها ونعدّها عاراً على البشرية.

ان الحرية في منطقنا هي ما يهبه الإسلام للشعوب، وهو يحوّلها إلى جبال من الثبات والصمود بوجه الظلمة والغاصبين، تماماً كما حصل لشعب إيران حيث ظهرت هذه المعجزة.

هذه هي الحرية الموجودة والتي ستبقى دائماً في بلدنا، وعلى جميع أفراد الشعب حمايتها والحفاظ عليها[(١)].

هناك حرية للمطبوعات في بلدنا، ونحن نهتم بالحرية ونعدها شأناً كريماً عزيزاً. وبذلك ينبغي أن توجد مثل هذه الحرية، ولكن حرية المطبوعات لا تعني تنفيذ سياسات العدو كما هو شأن بعض المطبوعات[(٢)].

أتوجه إليكم بهذا السؤال: إذا أبدى مدير مدرسة معينة احساساً بالمسؤولية وخشي عاقبة فساد (٥٠٠) أو (٦٠٠) أو (١٠٠٠) شاب يافع من الطلاب الذين

---

(١) كلمة قائد الثورة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٩/٣/١٠.

(٢) حديث قائد الثورة في لقاء وزير ومعاوني وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، ١٣٧١/٩/٤.

أُوكلت إليه مسؤوليتهم، فقام بمعاقبة صبي سيّئ تحوّل إلى آلة بيد الأعداء وهو يوزّع مادة «الهيروئين» داخل المدرسة وبين الطلاب، فماذا نقول لـهذا المدير؟ هل نقول له انَّ أُسلوبك في معاقبة الصبي المخطئ يتعارض مع الحرية؟ هل مثل هذا الكلام صحيح؟ سيرد مدير المدرسة بأنه مسؤول عن مصير (١٠٠٠) فتىً يافع تحمّل مهمة تربيتهم، وهو لا يريد أن يعودوا إلى آبائهم وهم مدمنون على تناول مادة «الهيروئين».

هل من الصحيح أن نقول لمثل هذا المدير. كلا، لم يكن تدبيرك صائباً، دعهم ينتخبون ما يريدون. نحن نوزّع مادة «الهيروئين» والذي لا يرغب بها بمقدوره ان لا يتناولها.. ان مسؤوليتك تنحصر في حدود الحديث عن مضار «الهيروئين» وحسب!

أليس هذا النمط من التعامل هو جزء من الغزو الثقافي؟

إننا نرفض مطلقاً ـ وبشكل حازم ـ حرّية الفساد والتحلُّل والتميُّع، وحرية الكذب والتزوير والخداع، وحرية الظلم والاستغلال والتعدي على حقوق الشعوب، هذه الحريات التي يحمل لواءها الغرب ويطبّقها في تعامله.

إنّنا نرفض تلك الحرية التي تفسح المجال للمنحرف سلمان رشدي كي يهين مقدّسات مليار إنسان، ولكنها لا تسمح لمسلمي انجلترا حتى بالتمتع بحقّ إقامة الدعوى ضدّه. وتلك التي تسمح للحكومة الأمريكية بتشجيع مجموعة من الأرذال وتأليبهم على معارضة حكومة شعبية، ولا تسمح لتلك الحكومة الشعبية بالقيام بأي عمل مضاد لأُولئك الأرذال، وتلك التي تسمح للرأسماليين الجشعين الناهبين كي يتسلّلوا بشكل غير مشروع إلى الأقطار الضعيفة، ويغيِروا على ثرواتها، ولا تفسح المجال لتلك الشعوب بالكفاح ضدّ الغزاة.

إننا نرفض هذه الحرية ـ بكل نفور ـ ونعدّها عاراً يلطّخ جبين الإنسانية، ان الحرية ـ في منطقنا ـ هي الحرية التي يمنحها الإسلام للشعوب، ويحوّلها إلى أطواد شامخة أمام المتسلّطين الظلمة الغاصبين، وهو ما حدث بالنسبة للشعب الإيراني فصنع هذه المعجزة.

مثل هذه الحرية توجد في قطرنا وسوف تبقى دائماً، وعلى كلّ فرد من أفراد الشعب أن يصونها ويدافع عنها، كما أنّ على المسؤولين أن يقدّروا هذه المشاركة والتفاعل الشعبي وتأثيره المصيري في استقلال البلاد، ويشجّعوا الشعب على التفاعل المتصاعد التأثير في السوح السياسية والاقتصادية والثقافية والدفاعية والأمنية.

٣ ـ الحرية حق يفرضه الدين

يحظى موضوع الحرية اليوم باهتمام من الصحافة وأصحاب النظر وهذه ظاهرة مباركة طبعاً، إذ اننا كُنا نترقب منذ أمد بعيد ان تخضع المباحث الأساسية للثورة للنقاش وتبادل الآراء والأفكار، كما ان هذه الظاهرة تناولت أيضاً بالبحث والنقاش جوانب مختلفة أخرى، والمسألة المطروحة على بساط البحث اليوم هي مسألة الحرية.

انني أطالع قليلاً أو كثيراً ما يكتب وما يُقال واستفيد منه أحياناً، ولاحظت ان الآراء متضاربة والجميع لا يكتبون في اتجاه واحد، بل يطرحون آراء متعارضة تجد بعضها يحمل شيئاً من الصحّة والصواب لدى كلا الطرفين.

ويا حبّذا لو يتواصل هذا الحوار، ويا حبّذا لو يتحفّز أصحاب النظر لاثارة مثل هذه المباحث الأصولية في الصحافة من أجل اثنائها واخراجها من حالة السطحية، وتحويلها إلى صحافة ذات مضامين توجيهية تثير مكامن التفكير

والتأمّل لدى ابناء الشعب. ونحن كثيراً ما نؤكد على وجوب تعميق ثقافة الثورة، وأمثال هذه البحوث من مستلزمات تعميق هذه الثقافة.

ثمّة قضيّتان مطروحتان بشأن مفهوم «الحرية»؛ احداهما وجوب انتهاج مبدأ الاستقلالية، وهو شعار آخر مطروح لدينا أي ان نفكر على نحو مستقل دون تقليد ولا تبعية. أما إذا سرنا على منهج التقليد وفتحنا ابصارنا التي تُلقى علينا منها الأفكار الغربية فحسب، في هذه القضية التي تشكل قاعدة للكثير من اهتماماتنا ومجالات تطوّرنا نكون قد ارتكبنا خطأً فاحشاً ينعكس علينا بنتائج مريرة.

٤ ـ الحرية في القرآن والسنة

أُشير ابتداءً ان قضية الحرية واحدة من المفاهيم التي أكد عليها القرآن الكريم وأحاديث الأئمة﵈ مراراً، ومن الطبيعي ان الحرية التي نتحدث عنها هنا لا تعني الحريّة المطلقة التي لا أعتقد ان أحداً في العالم يؤيّدها أو يدعو إليها.

كما اننا لا نقصد بها ايضاً الحرّية المعنوية المعروفة خاصة في المراتب العليا من المعارف الإسلامية، وهي نمط من الحرية تسالم عليها كل أهل المعنى ولا نقاش بينهم حولها على اعتبار انها لا تدخل في صلب بحثنا هذا، وانما المراد من الحرية التي نتحدث عنها هاهنا هي الحرية الاجتماعية.

حرّية التفكير والقول والاختيار، وما إلى ذلك حق إنساني ورد تكريمها في الكتاب والسُنّة. تقول الآية الشريفة ١٥٧ من سورة الأعراف ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ . لقد فرض اللّه من جملة ما فرض على أنبيائه ان يزيلوا القيود والأغلال عن الناس، أي يرفع عنهم الالتزامات المفروضة عليهم مما لم ينزل اللّه به من سلطان، وهذا مفهوم عميق وواسع.

فلو أخذنا بنظر الاعتبار الأوضاع التي كانت تعيشها المجتمعات الدينية وغير الدينية آنذاك نجدها كانت تنوء تحت وطأة الكثير من الآراء المتزمّتة كالمعتقدات البالية والخرافات، والقيود الاجتماعية المغلوطة التي فرضتها أيدي الاستبداد أو التحريف على بني الإنسان، فكانت بمثابة الأغلال المضروبة عليهم.

عقد جورج جرداق ـ مؤلف الكتاب المعروف «الإمام علي صوت العدالة الإنسانية» ـ مقارنة بين جملتين احداهما للإمام علي‏، والأخرى للخليفة الثاني عمر بن الخطاب قالها بعدما استقدم بعض ولاته في أعقاب ما رفع إليه عنهم من ظلم واستعباد للناس، فقال لهم بعد ان وقفوا بين يديه جملته المشهورة: «استعبدتم الناس وقد خلقهم اللّه أحراراً». والأخرى قالها أمير المومنين عليه الصلاة والسلام ووردت في نهج البلاغة وهي: « **لا تكن عبد غيرك وقد خلقك اللّه حراً** »[1].

ويستخلص جورج جرداق بعد المقارنة بين القولين ان قول أمير المؤمنين‏ أفضل من قول عمر بمرات متعددة، وذلك لأن عمر يخاطب في كلامه هذا أشخاصاً لا ضمانة لتسلطهم على الحريّات باعتبار انهم هم الذين يصفهم بقوله «استعبدتم الناس» وعليكم ان تمنحوهم حرّيتهم، وهذا نمط من أنماط المطالبة بالحرية. أما النمط الآخر منها فهو خطاب أمير المؤمنين للناس أنفسهم، وهو ما ينطوي تلقائياً على الضمانة التنفيذية لهذا الحق « **لا تكن عبد غيرك وقد خلقك اللّه حرّاً** ».

في كل واحدة من هذين القولين ميزة للحرية ـ إضافة إلى ما يتسم به كلام أمير المؤمنين من خاصية الضمانة التنفيذية ـ احداهما هي السمة الفطرية للحرية

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٣٢، ص٥٤٩.

«**وقد خلقك اللّه حرّاً**»، وهي ما سأشير إليها لاحقاً عند المقارنة بين التصورين الإسلامي والغربي للحرية.

لا أروم اليوم القاء هذا البحث على نحو التفصيل، بيد انني سأسلّط مزيداً من الضوء على مقولة الحرية والتحرر في موضع آخر بإذن اللّه، إذ ان هناك الكثير من الكلام الذي يجب أن يطرح بشأن هذا الموضوع، وأكتفي اليوم بالاشارة إلى أحد بُعدي الحرية وأعني به بُعد الاستقلالية.

٥ ـ خطران يحدقان بالحرية

يبدو لي أن ثمة فريقين تتظافر جهودهما ضد النظر إلى الحرية باعتبارها مقولة إسلامية ونابعة من هذه الارض؛ الفريق الأول هم أولئك الذين يستشهدون على الدوام في كلماتهم عن الحرية بأقوال الفلاسفة الغربيين الذين ظهروا خلال القرون الثلاثة الأخيرة، مع ملاحظة ان الشرفاء منهم يذكرون أسماء أولئك الفلاسفة.

أما الآخرون المتفلسفون الذين ينشرون آراءهم على صفحات الجرائد فينسبون أقوال «جان استوارت ميل»، أو بعض الفلاسفة الفرنسيين أو الالمان أو الأمريكيين إلى أنفسهم دون الاشارة إلى أسماء أولئك، وهم يمارسون عملية تزييف على هذا النحو، إلا ان ذلك لا يمنعهم من إلقاء هذه الفكرة وهي ان فكرة الحرية ومفهوم الحرية الاجتماعية وفدا علينا من الغرب.

أما الفئة الأخرى التي تقدّم لهم اسباب العون جهلاً فهي تلك المجموعة التي ما ان تسمع بمفهوم الحريّة حتى يعتريها الرعب، وتأخذ باطلاق صيحات الخوف على ذهاب الدين.

إلا انهم واهمون في موقفهم هذا، وذلك لأن الدين أكبر منادٍ للحرية، والحرية الصحيحة والحرية المعقولة أكبر هدية يقدمها الدين للمجتمع

وللشعب، بفضل وجود الحرية تتنامى الأفكار وتزدهر الطاقات. أما الاستبداد ففيه كبت للطاقات، وحيثما وجد الاستبداد ينعدم ازدهار الطاقات التي يدعو الإسلام إلى رعايتها. والطاقات البشرية يجب استخراجها كما تستخرج الثروات الطبيعية من أجل ان يتسنى لها اعمار الدنيا، فهل يتحقق هذا بدون وجود الحرية؟ وهل يتحقق هذا بالأمر والنهي وحدهما؟

يتضح لنا إذن سقم الفكرة التي تذهب إليها هذه الفئة، والحقيقة هي ان هاتين الفئتين؛ المتغربين والمحتاطين ـ هكذا نسمّيهم ـ يتعاضدان في ما بينها ودون شعور منهما على اخراج مفهوم الحرية من البيئة الإسلامية، وهذا ما يتعارض طبعاً مع حقيقة ان مفهوم الحرية مفهوم إسلامي.

٦ ـ الحرية من اعظم الحقوق

أُشير هنا إلى ان الإسلام أعطى للحرية الاجتماعية زخماً أكبر مما أعطته ايّاها المذاهب الغربية على ما فيها من تفسيرات ليبرالية متعددة، أي منذ ما أعقب عصر النهضة وانتشار الفكر الليبرالي في فرنسا وفي أوربا ومن بعدهما في كل أرجاء العالم، وانتهى بقيام الثورة الفرنسية، ثم استغل في ما بعد على نحو مشوّه في حروب استقلال أمريكا، وإلى حين صدور المنشور الأمريكي ـ إلى آخر ذلك من المواضيع المطوّلة التي يستلزم الحديث عنها فرصة أوسع ـ طُرحت منذ ذلك الوقت وحتّى العصر الحاضر عشرات التفسيرات لمفهوم الليبرالية ـ وخاصة في الآونة الأخيرة ـ حيث ما برح المنظرون الأمريكيون ومن يدور في فلك أمريكا يدبّجون المقالات في هذا المضمار.

أود أن أبيّن لكم ان الكثير من هؤلاء المفكّرين وحتى غير الأمريكيين منهم يكتبون في هذا المجال وخاصة في ما يتعلق بالليبرالية، بناء على توصيات من الأجهزة الأمريكية. وربّما تؤلف كتبهم في النمسا أو في ألمانيا أو في فرنسا إلا

انّها تطبع في نيويورك بتوصيات أمريكية، ولأن منطلقاتها تصب في سياق الأهداف الأمريكية.

وهذا الموضوع بحد ذاته موضوع ذو شجون، وخلاصة الكلام هي ان هذه التفسيرات ـ وعلى الرغم من تنوّعها ـ إلا ان الرؤية الإسلامية تبقى رؤية راقية.

يواجه الغربيون مشكلة عند محاولاتهم اعطاء الحرية طابعاً فلسفياً، ويؤكدون على ضرورة وجود أدلّة وجذور فلسفية لحرية الإنسان، وقد طرحت في هذا المجال آراء وكلمات شتّى وذهبوا في تبريرهم لضرورة وجود الحرية مذاهب شتّى من قبيل المنفعة، والخير الجماعي، واللذة الجماعية واللذة الانفرادية، أو على أكثر الاحتمالات هي حق من الحقوق المدنية، إلا ان هذه التبريرات كلّها واهية، وحتى هم أنفسهم طعنوا فيها.

إذا أمعنّا النظر في ما كتب عن الليبرالية في السنوات الأخيرة نلاحظ انّ الكثير منه كان مضيعة للوقت ولا طائل من ورائه، وأشبه ما يكون بمساجلات القرون الوسطى حول مفهوم الحرية كأن يطرح أحدهم رأياً فيرد آخر عليه، فينبري الأول للرد على الثاني .

وهذه في الحقيقة ملهاة لا بأس بها لمثقفي العالم الثالث ليكون أحدهم نصيراً لنظرية ويكون الآخر نصيراً لنظرية أُخرى، ويقتنع أحدهم باستدلال ما ويكتب شخص آخر تعليقاً على هذا الاستدلال، وينسب شخص آخر نظرية غيره لنفسه.

وأكثر ما قالوا في هذا الباب هو ان مصدر الحرّية والحكمة من وجودها حق إنساني، في حين ذهب الإسلام إلى ما هو أسمى من هذا حين اعتبرها ـ كما ورد في الحديث الشريف ـ أمراً فطرياً ملازماً لطبيعة الإنسان. صحيح أنّها حق، ولكن حق يفوق سار الحقوق من قبيل حق الحياة، مثلما ان حق الحياة لا يمكن وضعه في مصاف حق السكن وحق الاختيار وما إلى ذلك، فكذا الحال في ما

يخص حق الحرية الذي يعتبر أرفع واسمى من هذه الحقوق، بل هو الارضية والقاعدة لها جميعاً، هذا هو رأي الإسلام في الحرّية.

لاشكّ في ان هنالك استثناءات، فهذا الحق يمكن سلبه في بعض الأحوال كحق الحياة؛ فإذا ما قتل شخص شخصاً يُقتص منه، وإذا ما أفسد يُقتص منه. وهذا المعنى ينطبق أيضاً على حق الحرّية، غير ان مثل هذه الحالات تعكس وضعاً استثنائياً.

يتضح من هذا خطأ الفكرة التي تصور وكأن الحرية الاجتماعية فكرة وفدت علينا من الغرب، وكلّما شاء أحدنا الاتيان بكلام جذاب ومثير لابدّ له احالة المقابل لقراءة كذا كتاب لكذا مؤلف غربي. هذا أمر مرفوض ويجب علينا التفكير بالاستقلالية والرجوع إلى مصادرنا الإسلامية، وعلى الإنسان ان يستفيد من افكار الآخرين لإنارة عقله والعثور على النقاط المضيئة، لا أن يتعامل معها من باب التقليد؛ لأن التقليد تترتب عليه أضرار لا تحمد عقباها.

٧ ـ الحرية بين فهمين

كان من جملة ما استخلصته من هذا السجال الفكري والصحفي الذي يدور في بلادنا ـ وهو كما سبقت الإشارة ظاهرة مباركة ـ هو ان الكثيرين لا يلتفتون إلى حقيقة هامّة تتلخص في وجود ثلاثة فوارق اساسية بين الحرية في المنطق الإسلامي، وبين الحرية في المنطق الغربي. وكما أشرت فإن الليبرالية تتألف من خليط من نظريات وآراء وتوجهات شتّى، ولعل بعضها يختلف عن البعض الآخر في بعض المجالات إلى حدٍّ بعيد.

الليبرالية في المنظور الغربي معناها حرية الإنسان دون النظر إلى حقيقة الدين والخالق، ولذلك فهم لا يعتبرونها هبة إلهية للإنسان وانما يبحثون عن جذور فلسفية لها، وطرحوا بشأنها تفسيرات شتّى.

أما في الإسلام فالحرية ذات جذر إلهي، وهذا بحد ذاته فارق اساسي تتفرع عنه فوارق عديدة. ويذهب المنطق الإسلامي إلى اعتبار أي تحرك مُناهض للحرية بمثابة تحرك مضاد لظاهرة إلهية؛ بمعنى انه يُلقي على المقابل فريضة دينية للتصدي لأي محاولة لسلب الحريات، ومثل هذا التصور لا وجود له في الغرب أي ان الكفاح الذي يخوضه الناس في سبيل الحرّية ليس له أي تبرير منطقي في وجهة نظر الليبرالية الغربية؛ لأن من جملة ما يُقال في هذا الصدد هو ان في «الحرية» خيراً عاماً ومنفعة للأكثرية أي ان هذا هو منطلق الحرّية الاجتماعية، إلا ان التساؤل الذي يُثار هنا هو لماذا أُقتل وأُعَذَّب في سبيل مصلحة الأكثرية؟ هذا أمر بعيد عن المنطق.

لاشكّ في ان حالة التفاعل والحماس الآنيان تدفع بالكثيرين نحو ميادين الحرب والقتال، ولكن ما ان يخرج احد المقاتلين تحت لواء مثل هذه الأفكار من ساحة القتال حتى تعتريه الهواجس والشكوك في الاسباب التي من أجلها يضحّي بحياته.

في الفكر الإسلامي لا تسير القاعدة على هذا المنوال وانما يُنظر إلى الكفاح من أجل الحرّية كتكليف ديني؛ لأنه يجري في سبيل أمر إلهي. وكما اننا مكلفون باغاثة من يتعرض لخطر القتل مثلاً، وان لم نفعل نقترف ذنباً فهكذا الحال أيضاً في مجال الحرية التي يعتبر الدفاع عنها تكليفاً.

ويترتّب على هذا الفارق الأساسي فوارق أخرى فرعية؛ منها على سبيل المثال ان الليبرالية تؤمن بالحرية المطلقة انطلاقاً من اعتقادها بنسبية الحقيقة ونسبية الأخلاق، ويبررون ذلك بالقول انك لا ينبغي لك مؤاخذة من ينتهك ما تدين به من معتقدات؛ وذلك لأنه ربّما لا يعتقد بمثل ما تعتقد به، ويترتب على هذه القاعدة طبعاً عدم وجود أي حد للحرية لا معنوياً ولا أخلاقياً. وهذا التصور نابع من عدم إيمانهم بوجود حقيقة ثابتة، وان القيم الإنسانية أُمور نسبية.

أما الإسلام فلا يذهب إلى هذا الرأي، وانما يؤمن بوجود قيم ثابتة ومسلّم بها، وبوجود حقيقة الكمال والقيم التي يسير الإنسان نحوها. والحرّية انما تكون محدودة في اطار هذه القيم، أما كيفية فهم هذه القيم وتحديد معالمها فهو موضوع آخر لعل البعض يسلك المنهج الصحيح في فهمه، وقد يسلك البعض الآخر مسلكاً خاطئاً في استيعاب مضامينه.

وعلى كل حال فالحرية محدودة في اطار الحقيقة وفي اطار القيم، وحتى هذه الحرية الاجتماعية التي يكرّمها الإسلام إلى هذا الحد إذا استغلت في طمس المعطيات المادية أو المعنوية لشعب ما تصبح حينئذاك مضرّة، ومثلها تماماً كمثل حياة الإنسان ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

هذا المنطق القرآني الذي يصوّر قتل الإنسان وكأنه قتل لجميع الناس منطق يلفت الانتباه؛ لأنه يعتبر هذا العمل انتهاكاً لكرامة الإنسانية. غير انه يستثني من ذلك «بغير نفس أو فساد في الأرض». إذن فالحقائق والقيم الثابتة المسلّم بها هي التي تحدد اطار هذه الحرّية، مثلما تحدد أيضاً حق الحياة.

الفارق الآخر في النظرة إلى الحرية هو ان الغرب ينظر إليها في اطار المصالح المادية، وحتى الحريات الفردية والاجتماعية تتحدد في ضوء هذه الرؤية، فعندما يكون هناك مساس بالمصالح المادية تضيق رقعة الحرية، وحتى ان المصالح المادّية تشمل هنا الهيمنة العلمية لتلك البلدان.

فمن المعروف ان حق التعليم والتربية من جملة الحقوق والحريات المسلّم بها لكل إنسان، إلا ان رقعة هذه الحرية تضيق في الجامعات الكبرى للدول الغربية؛ إذ لا يجوزون انتقال العلوم والتقنية المتطورة إلى بعض البلدان مخافة ان

---

(١) المائدة الآية: ٣٢.

تخرج التقنية من احتكار هذه الدول مما يفقدها تسلطها وهيمنتها في هذه الحقول. هنا تكون للحرية حدود فلا يحق للاستاذ تعليم طلاب بلد من العالم الثالث؛ كالطلبة الإيرانيين أو الصينيين على سبيل المثال أسرار كذا علم، وهكذا الحال أيضاً في مجال انتقال المعلومات والأخبار.

هنالك اليوم ضجّة في العالم تنادي بحرية تداول الأخبار والمعلومات ليطلع الناس عليها، وهذا من مصاديق اشاعة الحرية في الغرب إلا ان أمريكا حينما شنّت هجومها على العراق ـ على عهد رئاسة بوش ـ فرضت رقابة صارمة على المعلومات لمدّة اسبوع أو أكثر، وأُعلن رسمياً بأنه لا يحق لأي صحفي نقل أو نشر أية صورة أو خبر عن الهجوم الأمريكي على العراق. كان الجميع على معرفة بوقوع الهجوم استناداً إلى الخبر الذي أذاعه الأمريكيون أنفسهم، إلا انهم لم يسمحوا لأحد بالاطلاع على التفاصيل بذريعة ما ينطوي عليها من خطر على الأمن العسكري.

إذن فالأمن العسكري يقيّد حق الحرّية وهذا القيد هو قيد مادي طبعاً، هذا فضلاً عن ان توطيد ركائز تلك الحكومات يمثل قيداً آخر على الحريات. ولابدّ وانكم سمعتم ما حصل في أمريكا قبل حوالي خمس سنوات ـ وهو ما نشرته الصحف تلك الأيام، وقد أُتيح لي الاطلاع على معلومات أكثر عن تلك الحادثة ـ حينما ظهرت جماعة تحمل توجهات دينية خاصة ضد الحكومة الأمريكية ـ في عهد الرئيس الحالي كلينتون ـ فحاولت السلطات الأمريكية القضاء عليهم عبر الأساليب الأمنية ولكن دون جدوى، فلجأت إلى محاصرة الدار التي اجتمعوا فيها وأضرمت النار فيها فالتهمت النيران أجسادهم وكان عددهم حوالي ثمانين شخصاً بينهم نساء واطفال، ولعله لم يكن بينهم عسكري واحد، وقد نشرت صور الحادثة يومها وشاهدها العالم بأسره.

تلاحظون إذن ان حرّية الحياة، وحرية المعتقد، وحرّية الكفاح السياسي مقيّدة بهذه الحدود. ويستخلص من هذا ان الحرية في العالم المادي الغربي لها حدودها وقيودها أيضاً، غاية ما في الأمر انها قيود مادية.

أما القيم الأخلاقية فلا تشكل هناك أي حاجز أمام الحرية، فهناك ـ على سبيل المثال ـ في أمريكا حركة الشذوذ الجنسي، وهي من الحركات الناشطة وتتباهى بسعة نشاطها وتنظم التظاهرات في الشوارع، وتنشر ما تشاء من الصور في المجلات، وتشير بكل فخر إلى أسماء التجار والساسة الذين ينتمون إليها، من غير أن ينكر أحد منهم مثل هذا الانتماء أو يشعر بالخجل منه. والادهى من ذلك هو ان بعض من يعلنون معارضتهم لهذه الحركة يواجهون هجمة شرسة من بعض الصحف والمجلات، وخلاصة القول هي ان القيم الأخلاقية لا توجب لديهم فرض أي قيود على الحرية.

من الأمثلة الأخرى الشائعة في الدول الأوربية هي ان حرية البيان تتقيّد بعدم الدعاية لصالح الفاشية، ومن الواضح ان الدافع الكامن وراءه دافع مادّي ومنفعة حكومية في حين ان حركة العري ـ وهي حركة أخرى أيضاً ـ لا تفرض عليها مثل هذه القيود، وهذا يعني ان حدود الحرية وفقاً للنظرة الغربية وفي ظل جذورها ودوافعها الفلسفية تتقيد بالحدود المادية لا الأخلاقية. غير ان الإسلام يقر قيوداً أخلاقية لها أي انّه يعتقد بحدود معنوية للحرية فضلاً عن تلك الحدود المادية. ولاشك طبعاً في وجوب تقييد حرّية كل من يقدم على عمل فيه اضرار بمصلحة البلد، وهذا أمر منطقي إلا ان القيود المعنوية موجودة أيضاً.

إذا كان الإنسان يؤمن بعقيدة ضالّة فلا مؤاخذة عليه، وحينما نقول لا مؤاخذة عليه فذلك يعني انه مؤاخذ أمام اللّه وأمام المؤمنين، إلا ان الحكومة غير مكلفة باتخاذ أي اجراء ضدّه. كان اليهود والمسيحيون واتباع بقية الأديان

موجودين في المجتمع الإسلامي في زمن صدر الإسلام، وفي بلدنا في الوقت الحاضر ولا مانع من ذلك، أما إذا حاول صاحب العقيدة الفاسدة اضلال الناس البسطاء ـ لابدّ ـ من وضع قيود أمام حريته.

وهذا المثال ينطبق أيضاً على من يبتغي اشاعة الفساد السياسي أو الفكري أو الجنسي، وعلى ادعياء الفلسفة ممن يدأبون على تدبيج مقالات تقدح على سبيل المثال بالدراسات العليا للشباب وتحصي ما فيها من المعايب والنواقص. من الطبيعي أن مثل هذه المقالات عديمة التأثير بنسبة تسعين بالمائة، لكنها من المحتمل أن توثر على بعض الشباب الكسولين بنسبة عشرة بالمائة، ولا يجوز في مثل هذه الحالة السماح لمن يتّبع أساليب الخداع والأكاذيب لصرف الشباب عن مواصلة الدراسة.

٨ ـ الحرية لا تعني الأكاذيب ولابث الاشاعات والأراجيف

ان مما يحز في النفس هو عدم الرجوع إلى الدراسات والمبادئ الإسلامية في ما يخص قضايا الحرية. ورد في الآية ٦٠ من سورة الأحزاب ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ .

المنافقون والذين في قلوبهم مرض فئتان وإلى جانبهما فئة المرجفين الذين يثيرون الرعب والخوف على الدوام في أوساط المجتمع الإسلامي الوليد الذي يجب أن يكون أفراده في حالة استعداد روحي دائم للدفاع عنه، إلا ان فئة كانت تقع في النفوس كوقع الآكلة، وتثبط العزائم والهمم وهؤلاء هم المرجفون الذين يحذرهم القرآن انهم إذا لم يكفوا عن عملهم، ليغرينّك بهم ويؤلبك عليهم، وهذا حد للحرية. إذن الفارق الآخر الذي تتسم به الحريّة في المنطق الإسلامي هو ان لها قيوداً من القيم المعنوية.

وهناك فارق آخر ايضاً وهو ان الحرية في منطق الفكر الليبرالي الغربي تتنافى مع التكليف على اعتبار ان الحرية تعني التحرر من التكليف أيضاً، في حين يذهب الإسلام إلى ان الحرية هي الوجه الآخر للتكليف والناس أحرار لأنهم مكلفون. وإذا لم يكن هناك تكليف فلا ضرورة للحرية، ولكانوا على طبائع الملائكة؛ وكما قال الشاعر مولوي (ما معناه): انه جاء في الحديث ان الخلاق المجيد خلق العالم على ثلاثة أنماط، وأحد هذه الأنماط هم الملائكة الذين كلّهم عقل وعلم ولا يعرفون غير السجود للّه، بينما يتصف البشر بأنه مركّب من جملة غرائز ودوافع متناقضة يسير من بينها على طريق الكمال، وقد منح الحرية من أجل طي طريق الكمال هذا.

وهذه الحرية على ما لها من قيمة انّما مُنحت له من أجل تكامله، مثلما ان حياته نفسها وهبت له في سبيل السير نحو الكمال. ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فهو تعالى خلق الجن والانس من أجل ان يبلغوا مرتبة العبودية وهي مرتبة عالية جداً، والحرية أيضاً ـ كحق الحياة ـ تمثل مقدّمة للعبودية.

بلغوا في الغرب في رفضهم للتكليف مرحلة رفضوا معها كل تفكير ديني وغير ديني، وكل عقيدة فيها تكليف وحلال وحرام ويجب أو لا يجب.

ويلاحظ حالياً في مؤلفات الكتّاب الليبراليين الأمريكيين ومن يحذون حذوهم، ومن يتخذونهم بمثابة أنبياء لهم ـ مع انهم ينتمون إلى أُمم في بلدان أخرى، ويشكل بعض الأفراد في بلداننا وللأسف فئة منهم ـ انهم يذهبون إلى انّ الفكر الغربي الحر يتعارض مع مبدأ «يجب أو لا يجب» ومع كل مبدأ عقائدي. في حين يقف الإسلام على طرف نقيض من ذلك، ويعتبر الحرية

---

(١) الذريات الآية: ٥٦ .

مواكبة للتكليف لكي يستطيع بواسطة هذه الحرية اداء تكاليفه على نحو صحيح، وينجز أعمالاً كبرى ويستطيع بلوغ التكامل.

٩ ـ الاستقلال في فهم الحرية

أول توصية إلى من يكتبون ويبحثون في هذا المضمار وهي وجوب السير على منهج استقلالي في استيعاب مفهوم الحرّية، واؤكد في الوصية الثانية على عدم استغلال الحرية حيث يكرر البعض مراراً في حديثهم ذكر الحريات الصحفية الممنوحة حديثاً، وأعتقد ان هذا الكلام مجافٍ للحقيقة ومصدره الاذاعات الأجنبية.

ويلاحظ حالياً ان الصحف والمجلاتِ تورد اثارات لم يكن البعض يثيرها في ما مضى، بينما كان البعض الآخر يثيرها في السنوات الماضية حيث كثيراً ما كنا نشاهد الصحف تكتب ضد رئيس الجمهورية آنذاك وضد المسؤولين على اختلاف مستوياتهم، وضد بعض المباحث الأصيلة للثورة ولم يتعرض لها أحد. وانا احتفظ في ذهني ببعض الأمثلة التي كنت سأوردها لكم لو لم يكن اللقاء طال عليكم.

سبق لي وان طرحت قبل حوالي سبع سنوات موضوع الغزو الثقافي الذي تحول في ما بعد إلى موضوع مثير احتدم حوله النقاش، ولعل البعض منكم يتذكر ان ندوة عقدت في تلفزيون الجمهورية الإسلامية حول هذا الموضوع شارك فيها أربعة أشخاص كان أحدهم يؤيد وجهة نظري بينما رفضها الباقون رفضاً قاطعاً واعتبروها مجرد أوهام باطلة، وتلاحظون من هذا ان أحداً لا يتعرض لأي شخص كان.

كان عدد من ذوي الماضي الأسود والأيدي الملطّخة بالجرائم يخشون النزول إلى الساحة والافصاح عمّا يختلج في قلوبهم، ولو انهم طرحوا آراءهم

حينذاك لما تعرّض لهم أحد. ولو انهم صرحوا بالأمس بما يصرّحون به اليوم لما تعرّض لهم أحد ايضاً، لكنّهم كانوا يخشون ذلك بسبب ماضيهم السيئ. وكان حقدهم على الإمام وعلى الفكر الإسلامي الإمامي معروفاً منذ البداية، إلاّ أنّهم تجرّأوا على الظهور بعد الانتخابات الأخيرة لرئاسة الجمهورية في ضوء ما رسموه لأنفسهم من تحليلات خاطئة مبنيّة على ان الشعب صوّت بثلاثين مليون رأي ضد النظام فشعروا جرّاء ذلك بالارتياح، في حين صوت الشعب بثلاثين مليون رأي لصالح توطيد دعائم النظام.

فكان من جملة مفاخر النظام الإسلامي ان بلغ عدد المشاركين في الانتخابات ـ وبعد ثماني عشرة سنة من انتصار الثورة ـ ثلاثين مليوناً من أصل اثنين وثلاثين مليوناً ممن يحق لهم التصويت؛ أي بنسبة تسعين بالمائة، إلا ان هذه الفئة نظرت إلى نقطة القوّة هذه لدى النظام وكأنّها نقطة ضعف فيه.

دأبت الاذاعات الأجنبية منذ الأيام الأولى للانتخابات على توجيه من يتوفر فيهم موجبات الوقوع في هذا الخطأ والانحراف، والايحاء لهم بأنّ ثلاثين مليوناً من أبناء الشعب عبّروا عن سخطهم على النظام، فصدّق هؤلاء المساكين أو خدعوا فتصوروا أن الأوان قد آن للافصاح عما في قرارة أنفسهم في بلد يبلغ عدد المعارضين فيه ثلاثين مليوناً، فوجدوا في أنفسهم الجرأة على الكلام. والحال ان الوضع لم يتغيّر، فلو انهم تجاوزوا الحدود المنطقية في ذلك الحين لتعرّضوا للملاحقة القانونية، واليوم أيضاً إذا سعى البعض للاضلال والافساد والارجاف يواجه نفس الموقف.

ونستخلص من هذا عدم وجوب المضي في التصريح في وصف الأوضاع الحالية بصفة الحرية الممنوحة حديثاً، وألاحظ ان بعض المسؤولين يؤكدون على الصحف بعدم استغلال الحرية إلى حد بعيد خشية تعرّض أصل الحرّية

للخطر! فما هو الداعي لمثل هذا الكلام؟ فالناس بامكانهم الاستفادة من الحرية إلى أبعد حد ممكن بشرط عدم تجاوز الحدود المنطقية، وكلما استثمر الناس هذا العطاء الإلهي أكثر يقترب النظام الإسلامي من أهدافه أكثر، ونحن كثيراً ما كُنّا نشكو من الكتاب لعدم اندفاعهم نحو الكتابة والدراسة والتحليل.

طبعاً يجب التمسك بالحدود المنطقية، والحدود المنطقية التي نتحدث عنها هنا ليست من ابتداع حكم او نظام ما وضعها في سبيل خدمة مصالحه. وإذا افترضنا ان بعض الحكومات في العالم تفعل ذلك ـ ولابدّ انها تفعل ذلك ـ فإن نظام الجمهورية الإسلامية ليس من هذا النوع من الحكومات، بل انه نظام يقوم على مبدأ العدالة، فإذا فقد القائد شرط العدالة يسقط من مقامه تلقائياً وبدون أي عامل آخر، وليس من المعقول ان يلجأ مثل هذا النظام لوضع قيود معيّنة لضمان مصالح فئة أو شريحة أو اتجاه معيّن، وانّما يقول بذات القيود التي يقول بها الإسلام والقرآن والحديث الشريف والفهم الصحيح للدين.

١٠ ـ الحرية حق لا يمكن لأحد سلبه أو الغاؤه

الموضوع الذي كثيراً ما تتداوله الأوساط الجامعية في يومنا هذا هو الحرية، إذ يقول البعض إن الحرية تؤخذ ولا تعطى، بيد أنني أقول إن الحرية تعطى وتؤخذ وتتعلّم أيضاً، فماذا يعني القول بأنها «تعطى»؟

إنه يعني عدم امتلاك الحاكم الحق في سلب حق الحرية الطبيعي ـ ونعني به الحريات المشروعة ـ من أيّ كان، وليس ذلك امتناناً من الحكومات بل عليها أن تمنح تلك الحرية، فذلك يمثل واجباً مفروضاً عليها. والقول بأن الحرية تؤخذ فمعناه وجوب أن يعرف كل إنسان واع فطن في المجتمع حريته وحدودها ويطالب بها ويسعى من أجلها.

أما القول بأن الحرية تكتسب فذلك معناه أن لها آدابها وثقافتها التي يتحتم تعلمها، فلن تتوفر هذه النعمة الإلهية العظمى لأي فرد في المجتمع كما ينبغي إن هي خلت من الثقافة والآداب، فإن افتقد المجتمع لآداب الحرية وجهل أبناؤه كيفية استثمارها، فليعلموا في مثل هذه الحالة أنهم سيضيّعون هذه الحرية الضرورية لكل مجتمع فعال وناهض، وهذا ما يراه الإسلام كارثة بالنسبة للمجتمع، فزوال الحرية كارثة.

ولا فرق في نظر الإسلام بين الاستبداد والدكتاتورية الفردية أو الجماعية فكلاهما على حد سواء، والدكتاتورية الحزبية شأنها كالدكتاتورية الفردية إن لم تكن أسوأ منها أحياناً، وإذا ما حاول شخص الاستحواذ على مقدرات الناس في ضوء أهوائه النفسية فإن ذلك أمر مرفوض، وهو بمثابة الكارثة إذا ما حصل في مكان ما، فإذا جهلنا كيفية الانتفاع من الحرية ولم نُحط بثقافتها وآدابها إذ ذاك ستتضارب المآرب، فيما تحاول فئة أخرى إثارة الفوضى من خلال الغفلة عن آداب الحرية كي تقع الجماهير فريسة مستبد متغطرس.

وفي بعض المجتمعات تفعل الفوضى والاضطرابات والانفلات وفقدان الأمن فعلتها بحيث يتمنى الناس مجيء طاغوت متعسف لإقرار النظام، فالبعض يسعى إلى جرف هذا المجتمع إلى هذا المستوى فيتمادون في استغلال الحرية استغلالاً خاطئاً، ويتلاعبون بمقدرات الجماهير وأفكارها ومشاعرها وايمانها وطموحاتها ليدفعوا المجتمع نحو الانفجار، وهؤلاء هم أعداء الحرية.

فينبغي عدم الاساءة للحرية واستخدامها حربة تصوب نحو صدور حراس الحرية، كما ينبغي عدم التلاعب بالحرية. فأولئك الذين ينادون باسم الحرية دون أن يتمسكوا أو يؤمنوا بثقافتها إنما يوجهون ضربة لها، وهم ليسوا أنصاراً للحرية بل خونة لها.

ينبغي عدم اتخاذ الحرية أداة لانتهاك القانون ومطرقة يضرب بها أصل نظام الجمهورية الإسلامية، فليس هنالك نظام في شرق الأرض وغربها يصفح عمن يستهدفون أصل ذلك النظام، أما نظام الجمهورية الإسلامية فقد فعل، إذ تحمل منذ مدة بعيدة والتزم جانب الصمت إزاء أولئك الذين فعلوا ما بدا لهم باسم الحرية، وتطاولوا على إيمان الجماهير وتطلعاتها.

إنني وباعتباري خادماً لكم وأخاً للحاضرين في هذا الجمع وحريصاً ودوداً على كرامتكم ومحباً لشريحة الطلبة، أقول لكم: من الآن فصاعداً لا يحق للجمهورية الإسلامية ومسؤوليها ولا خيار لهم في محاباة الذين يريدون التحرك والعمل بما يتعارض ومصالح الأمة والحرية ومصير هذا الشعب، فلقد صرح هؤلاء في مجالسهم الخاصة عن نيتهم في إطاحة النظام بشكل قانوني! إنه لأمر عجاب!

إننا لا نعرف شيئاً اسمه الاطاحة القانونية، فكل حركة أو محاولة يقصد منها التآمر فهي بمثابة إعلان الحرب، ومعلوم حكم المحارب في الإسلام، وهذا ما لا يقتصر علينا. إننا إذ نواجه هذا الكم من الأعداء ونتعرض لمقاطعة دولية اقتصادياً وإعلامياً، علينا والحالة هذه بالمزيد من التأمل، وهذا هو حال الآخرين الذين يعيشون تفكيراً دائماً.

رابعا: حقوق المرأة

١ ـ نظرة الغرب للمرأة

الامبراطورية الرومانية وثقافتها هي أساس الحضارة في أوربا المعاصرة؛ أي إن مكونات الثقافة الأوربية والغربية المعاصرة وتتبعها بذلك أمريكا، وما يسود الغرب حالياً ما هي إلاّ ذات الخطوط والأصول التي كانت الامبراطورية

الرومانية قد اعتمدتها، والمعايير والملاكات المعتمدة حالياً هي ذاتها كانت سائدة في ذلك الوقت، يومها كانوا يرفعون المرأة إلى اعلى المنازل ويحيطونها بشتى أنواع الحلي والحلل والتبجيل، لا لشيء سوى إشباع أكثر الغرائز وضاعةً ودناءةً لدى الرجل، يا لها من إهانة هذه التي توجّه للإنسان وبالذات للمرأة![1].

عندما اخترع الاوربيون الصناعات ـ مطلع القرن التاسع عشر ـ وبادر أصحاب الشركات إلى تأسيس المصانع بكثرة، يومها تبلورت لديهم الحاجة إلى القوى العاملة الزهيدة السهلة، وهنا ارتفعت عقيرتهم للمناداة بحرية المرأة، مرامهم من ذلك إخراج المرأة من بيتها وإدخالها المصانع واستغلالها كيدٍ عاملة زهيدة، وبذلك يكونون قد ملأوا جيوبهم وأسقطوا المرأة عن كرامتها ومنزلتها.

وما ينادي به الغرب حالياً من حرية المرأة ما هو إلاّ مخلفات تلك الوقائع والاحداث؛ لذلك فإن ما ألحقته الثقافة الغربية من ظلم بالمرأة وما يحمله الأدب والثقافة الغربية من فهم خاطئ عنها مما لا سابقة له على امتداد التاريخ البشري.

لقد ظُلمت المرأة فيما مضى من العصور، بيد أن عصرنا هذا شهد ظلماً شاملاً واسعاً بحقها خلّفته الثقافة الغربية التي ترى في المرأة أداة يتلذذ بها الرجل، مدّعين بأن ذلك حرية في حين أنه يمثل حرية للشهوانيين من الرجال للتمتع بالمرأة.

ولم ينحصر ظلم الغربيين للمرأة على صعيد العمل والنشاط الصناعي، بل امتد ليشمل الميادين الفنية والأدبية؛ فلو ألقيتم نظرة على نتاجاتهم الفنية والقصصية ورسومهم ومخطوطاتهم لأدركتم أية نظرة يحملونها عن المرأة، فهل تعنى بالأبعاد البناءة والمثل السامية التي تحملها المرأة؟ وهل ماثلة فيها العواطف الرقيقة والوادعة في الطباع والشعور بالأمومة وروح المحافظة على

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

الولد وتربيته التي اودعها الله سبحانه في المرأة، أم إنها تعج بالمشاهد الشهوانية أو ما يعبرون عنها بالعشقية؟!

إنه تعبير خاطئ ويفقد للصواب، فالشهوة في حقيقتها ليست عشقاً، وعلى هذا المنوال أرادوا تربية المرأة وترويضها. انهم يعتبرون المرأة مخلوقاً استهلاكياً وألعوبة ويداً عاملة زهيدة بخسة الثمن، بيد أن الإسلام لا يرى أن تلك الأمور تعطي قيمة للمرأة[1].

لم تكن النسوة في أوربا والدول الغربية وحتى وقت ليس ببعيد يتمتعن بحقوق مالية مستقلة ـ وقد استجمعت الارقام حول ذلك وتناولتها في إحدى صلوات الجمعة ولعله قبل ثلاث أو أربع سنوات ـ وذلك يعود إلى مطلع القرن العشرين؛ ففي بريطانيا على سبيل المثال حتى عام ١٩١٨م وغيرها من الدول حتى عام ١٩٢٥ وأخرى حتى عام ١٩٠٤، بالرغم من تبجحهم والسفور العجيب الذي غزاهم وهو يزداد قوة يوماً بعد يوم، والاختلاط الجنسي المذهل الذي تستحيل السيطرة عليه، متوهمين أنه تكريم للمرأة وتبجيل لها، بالرغم من ذلك كله لم تكن المرأة تمتلك الحرية في التصرف بما لديها من أموال ولا تتمتع بالملكية في قبالة زوجها، أي ان المرأة حينما تتزوج تنتقل ملكيتها وأموالها إلى زوجها ولم تكن تمتلك الحق في التصرف بأموالها، حتى حصلت النسوة على حق المالكية وحق العمل وسائر الحقوق تدريجاً وبمرور الزمن حتى بدايات القرن العشرين؛ أي انهم سلبوا هذا الحق من المرأة.

وهو بحد ذاته من أبسط حقوق الإنسان، لكنهم يركزون على تلك المسألة (السفور) التي تقف على العكس تماماً من المُثل الواقعية والتي يعنى بها الإسلام

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من النساء في محافظات البلاد، ١٣٧١/٩/٢٥.

كثيراً، ولهذا يأتي تأكيدنا على مسألة الحجاب، وان البحوث التي تتناول قضية حجاب المرأة هي بحوث جيدة في اعتقادنا[1].

إن أوربا هي المهد الذي انطلقت منه الرؤية الغربية للمرأة، والصهاينة هم الذين يروّجون لهذه الثقافة الخاطئة في التعاطي مع المرأة وهذا الفهم الخاطئ لحركتها، غاية الأمر انهم ليسوا مبتدعيها، بل هم يستغلون هذه الروحية والثقافة.

لو اطلعنا على التاريخ الأوربي وتصفحنا الكتب التاريخية وأيضاً الفنية والثقافية والأدبية التي تتطرق إلى أوضاع الغرب، لرأينا أنه كلما عدنا فيها إلى الوراء اتضحت لنا هذه القضية بشكل كامل وتبين لنا تعاملهم المشين مع المرأة الذي يرفضه الإسلام؛ أي ان الرجل في اوربا والغرب مسموح له الالتذاذ بالمرأة بالنحو الذي يشاء، وهذا ما كانت تستبطنه الحضارة القديمة وإن تعددت الانماط، ولعل الموقف والرؤية يختلفان فيما لو كانت المرأة تنحدر من طبقة الأشراف أو كانت تنتمي إلى طبقة الرعية والفقراء ولا نصيب لها من الثقافة.

وقد يتم استغلال المرأة عن طريق التملق لها، لكن هذا التملق لا يعني أبداً تكريماً وإجلالاً واقعياً لها، بل هو في حقيقته امتهان لها، وواضحة عيناته ونماذجه، لكنني أأبى الخوض فيها خشية الخروج عن الآداب وان كانت من الواقع، وإنني أناشد السيدات التأمل في هذه القضية والتنقيب عن هذه النماذج وبيانها لسائر النسوة، واذا ما شوهدت بعض مظاهر التكريم للمرأة في الغرب من قبيل نجوم السينما والفنانات والحسناوات اللواتي يشاركن في مسابقات الجمال، فذاك تكريم في مقام الامتهان وامتهان في قالب التكريم! وهنالك نماذج بارزة في الحياة الخاصة لأولئك الناس بمقدور المرء العثور عليها وإدراك مغزاها.

---

(١) من حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

فالامتهان المتأطر بإطار التكريم يمثل واحداً من تعقيدات القضية، حيث تنحدر المرأة في ذلك المنحى من العلاقة بالرجل، وهو ما حصل في العهد البهلوي والملكي حيث سيقت المرأة نحو الخلاعة والانهماك بالموضات والتبرج والتجمّل الخارق[1].

المثير للدهشة في الغرب أنه وبالرغم من كل هذه المزاعم فيما يتعلق بتكريم المرأة والمظاهر الخادعة التي تقام تحت يافطة تكريمها ـ وهو في الواقع امتهان لها ـ فإن علاقة النساء بأزواجهن في داخل البيت مما تبعث على الأسف، كتلك العلاقة القائمة بين الازواج في عوائلنا المتخلفة المتزمتة للغاية التي تتخلها أعمال من قبيل ضرب المرأة أو قتلها أو كي بدنها لدواعي واهية، فهي مما تبعث على الأسف أيضاً.

وقبل سنتين أو ثلاث طالعت إحدى المجلات الامريكية وكانت تتضمن أرقاماً مذهلة عن النسوة اللواتي يشتكين أزواجهن بسبب هذه الممارسات، وكلها تحكي عن الواقع المزيف الذي تعيشه المرأة عندهم، وهذا بذاته أحد العراقيل التي تعترض سبيل الرقي والتكامل[2].

أيتها الأخوات، لقد جرف عالم الغرب المرأة نحو الابتذال، فحتى ستين أو سبعين عاماً مضت لم يكن أي اعتبار للمرأة في أوربا قاطبة وسائر الدول الغربية إلا تحت سيطرة الرجل ـ سواء كان زوجها أو أي رجل آخر أو مالك المعمل أو المزرعة ـ فلم تكن تمتلك أي حق من الحقوق البدائية للإنسان في ظل المجتمع المتمدن من قبيل حق التصويت والمالكية والمتاجرة، ولما نزلوا بها فيما بعد إلى ميدان العمل والنشاط الاجتماعي كانوا قد أعدوا كافة مستلزمات

---

(١) من حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس المركزي للجمعيات النسوية، ١٣٧١/٢/١٥.

(٢) من حديث قائد الثورة إلى أعضاء المجلس المركزي للجمعيات النسوية، ١٣٧١/٢/١٥.

انزلاقها في معترك الحياة، فأطلقوا المرأة وتركوها دون مأوى، واختمرت في عقول كبار التجار وأرباب السياسة الخبثاء وجهابذة الدوائر السرية فكرة مفادها: إن هم جرفوا المرأة نحو الابتذال فسيجنون المزيد من المنافع في أعمالهم السياسية والاقتصادية! أجل، هنالك حيث العلم والسياسة فإنهم ينزلون بالنساء إلى هذين الميدانين، ولكن بأية ضريبة؟!

في وقتنا الحاضر يعاني السواد الاعظم من النساء في الدول الغربية والامريكية وتلك التي نالت حظاً وافراً من الثقافة الغربية ـ ما عدا أولئك النسوة من الشهادات العليا في الطب أو ذوات الاختصاص والكاتبات والنخبة من النساء ـ من وطأة ظروف معيشية قاسية لا تطاق، فالظلم يطالهن وينؤن بالأعمال الشاقة تحت طائلة إقحام المرأة في المجتمع، في حين سُلب منهن أي متسع للتفكير واتخاذ القرار[1].

ان الإسلام يريد الوقوف بوجه هذا الاستنتاج الخاطئ أو هذا النمط المنحرف من الفهم الذي حام حول قضية المرأة على امتداد التاريخ، وانني لأعجب لما دهى الفكر البشري من اعوجاج إزاء قضية الرجل والمرأة إلاّ ما ندر، فإذا ما استثنيتم تعاليم الأنبياء ستجدون عدم صوابية الموقع الذي يحتله كل من الرجل والمرأة والنسبة بينهما وفق مقاييس البشر وتحليلاتهم وأفكارهم.

وحتى لو أمعنتم النظر في ثنايا الحضارات الراقية في التاريخ من قبيل الحضارة الرومانية أو الايرانية تشاهدونها تحمل فهماً خاطئاً عن المرأة مما لا أريد الحديث عن تفاصيله هاهنا، فلعلكم على علم به وعليكم الرجوع إلى مصادره إن شئتم.

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من النساء من مختلف مدن البلاد بمناسبة ذكرى ولادة فاطمة الزهراء ، ١٣٦٨/١٠/٢٧.

ولم يزل هذا الفهم الخاطئ بالرغم من هذا الضجيج والتهويل فيما يخص قضية المرأة ومزاعم اوربا في الدفاع عن الحقوق الانسانية للمرأة، فالأوربيون حيث إنهم استفاقوا متأخرين كأنهم يحاولون تلافي تخلفهم الزماني عن طريق هذا الضجيج والعجيج المصطنع، فحتى منتصف العقد الثاني من هذا القرن لم تكن المرأة في أية بقعة من أوربا ـ حتى تلك التي كانت تحكمها الديمقراطية ـ تمتلك حق التصويت أو التصرف بممتلكاتها الخاصة، ومنذ العقد الثاني أي السنوات ما بين ١٩١٦ - ١٩١٨ بدأت الدول الاوربية تدريجاً بمنح المرأة الحق في التصرف بثرواتها ومساواتها مع الرجل في الحقوق الاجتماعية.

وهنالك ـ بطبيعة الحال ـ في تاريخ أوربا نسوة تسلقن إلى منصب الملكة أو أصبحن من أشراف النساء، غير ان وجاهة امرأة واحدة أو عدة نساء يجمعهن نسب واحد أو حصلن عليه لانتمائهن لطبقة أو عنصر معين، لا يمكن تعميمه على قضية المرأة برمتها، فهذه الضروب من التميز مشهودة على طول الخط، أي هنالك من النساء من ارتقين إلى أعلى المستويات ووصلن إلى منصب الملوكية ـ مثلاً ـ حيث حصلن على هذه المنزلة عن طريق الوراثة الأسرية وما شابه ذلك، أما سائر نساء المجتمع فلا نصيب لهن من الحقوق، على العكس مما تراه الأديان التي يمثلها الآن الإسلام الناصع الاصيل، ومن المسلّم به ان سائر الاديان تشاطره الرؤية.

إذن فالحضارة الغربية ـ وهي تحاول الآن تلافي ذلك التخلف المريع فيما يتعلق بقضية المرأة ـ قد سلكت منحى آخر لبلوغ مرامها وذاك ما يتمحور ـ حسب اعتقادي ـ بقولبة المفاهيم الانسانية للمرأة بأطر المواقف الدعائية

والمصالح السياسية والاقتصادية، وهو ما حصل في أوربا حيث شرعوا منذ البداية بمنح النساء حقوقهن تأسيساً على هذه القواعد العوجاء.

٢ ـ المرأة في ظل النظام الملكي الفاسد

سمعتم عن دور الجواري في العهد الساساني، فما هي دُور الجواري؟ انه الامتهان الذي يمارسه الرجل حيث تتيح له سلطته حيازة ألف من النساء، ولو قدّر لقوم السلطان بأجمعهم استملاك المئات من النساء لفعلوا! لاحظوا أي نظرة للمرأة ينمّ عنها هذا الفعل![1].

كانت المرأة في العهد الملكي المشؤوم في إيران تعاني الظلم على حقيقته وعلى كافة الأصعدة، فإن رامت ولوج العلم تعين عليها الانسلاخ عن رباط الدين والتقوى والعفاف، وهل كان بمقدور فتاة مسلمة المحافظة على حجابها ورصانتها ووقارها في الجامعات أو الاوساط التعليمية والمراكز العلمية والثقافية؟! وهل كانت تنجو امرأة وقورة ترتدي الحجاب الاسلامي أو حتى ذلك الحجاب غير الكامل وهي تمرّ في احد شوارع طهران أو بعض المدن الاخرى دون ان تطالها لدغات العبثيين وضحايا الفساد والفحشاء هدايا الغرب؟!

لقد عمدوا إلى ما يجعل العلم أمراً متعذراً على نساء هذا البلد ما خلا تلك الحالات الاستثنائية التي تتميز بالتخلي عن الحجاب، وانسلاخ المرأة عن التقوى والوقار الاسلامي. وهكذا أيضاً بالنسبة لميدان السياسة والفعاليات الاجتماعية أي لو أرادت امرأة تسلّق أحد المناصب في العهد الملكي في إيران كان عليها التخلي عن حجابها وعفافها والوقار الذي تتميز به المرأة المسلمة، وذاك بطبيعة

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

الحال منوط بطبيعة المرأة وقابليتها، فإن كانت خاوية العنصر انزلقت حتى أذنيها، أما اذا كانت منيعة فهي تستطيع المحافظة على كيانها إلى حد ما، نظراً للضغوط المستمرة التي تواجهها من قبل الواقع الاجتماعي، هكذا كان حال مجتمعنا حتى حلّ الإسلام والثورة والإمام[1].

المطلعون على تاريخ السفور والخلاعة في مجتمعنا وبدايته على يد الأسرة البهلوية المشؤومة، وأولئك الذين شهدوا تلك الايام يدركون مدى ما فُرض على شعبنا من التبرج والاختلاط الذي لا يعرف الحدود، وهذا ليس بالأمر الذي يرتضيه شعبنا بسهولة بل هو مفروض عليه[2].

نظراً لإبقاء النظام السابق على أغلبية النساء أمّيات وبمنأى عن القضايا السياسية والاجتماعية التي تدور في البلاد، فلم يكن يجمعهن أيّ رباط بمصير البلاد، بل كنّ يجهلن ما اذا كانت المرأة قادرة على المساهمة في بناء مصير بلدها؛ ومنهن من تشبهن بالنساء الاوربيات، فإذا ما صادف المرء واحدة منهن تبادر إلى ذهنه أنها دخلت إيران توّاً من إحدى الدول الاوربية، أو كأنها كانت تعيش في الوسط الغربي! وإذا ما جرى الحديث معها يتضح أنها امرأة أمية أو شبه أمية دفعها خواء شخصيتها لانتحال شخصية مزيفة، فقد كانت تتبرج لاختطاف الانظار نحوها.

إنه انحطاط بالنسبة للمرأة، فليس تقدماً ان تنهمك المرأة بالتجميل والموضات والتبرج وارتداء الملابس الفاخرة والجواهر، ومن ثم استغلالها

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من النساء من مختلف مدن البلاد بمناسبة ذكرى ولادة فاطمة الزهراء ، ١٣٦٨/١٠/٢٧.

(٢) من حديث قائد الثورة في لقائه الطبيبات والممرضات بمناسبة يوم الممرض، ١٣٦٨/٩/١٥.

كأداة لبلوغ شتى المآرب والحيلولة دون ولوجها المعترك السياسي والأخلاق والتربية. هل هنالك أعظم من هذه الجريمة بحق المرأة؟! وأيّ فعل هذا الذي قام به النظام البائد بشكل دقيق ومخطط له![1].

٣ ـ منزلة المراة في الإسلام والثورة الاسلامية

أ ـ الزهراء ﷺ النموذج الأمثل

إنّ الإنسان كلّما فكّر وتدبّر أكثر في أحوال الزهراء الطاهرة ﷺ يحتار أكثر، وحيرة الإنسان ليست ناجمة عن كيفية تمكّن هذا الكائن الإنساني من نيل هذه الرتبة من الكمالات المعنوية والمادّية في سنين الشباب ـ وهي بالطبع حقيقة تثير الحيرة أيضاً ـ بل من القدرة العجيبة التي استطاع الإسلام بها أن يبلغ بتربيته الرفيعة إلى درجة تُمكّن إمرأة شابّة كسب هذه المنزلة العالية في تلك الظروف الصعبة، فعظمة هذا الكائن وهذا الإنسان الرفيع تثير العجب والحيرة، وكذلك عظمة الرسالة التي أظهرت هذا الكائن عظيم القدر وجليل المنزلة.

ولدت بنت النبي ﷺ الكريمة في السنة الخامسة للبعثة طبقاً للقول المشهور، وعلى هذا فإنّ عمر فاطمة الزهراء ﷺ حين الاستشهاد كان ١٨ عاماً. وقيل انّ ولادة هذه السيّدة الكريمة كانت في السنة الثانية أو السنة الأُولى للبعثة، فيكون الحدّ الأكثر لعمرها ٢٢ أو ٢٣ عاماً.

ولو أخذتم جميع القيود التي يمكن أن تحيط بالمرأة ـ خاصّة في تلك الفترة حيث كانت القيود أكثر ـ فعند ذلك ترون العظمة التي أثبتتها هذه السيدة المكرّمة في تلك الظروف، وخلال هذا العمر القصير. وبالطبع إنّني لا أتمكّن أن

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من النساء من مختلف مدن البلاد بمناسبة ذكرى ولادة فاطمة الزهراء ﷺ، ١٣٦٨/١٠/٢٧.

أتكلّم عن الجوانب المعنوية والروحية والإلهية لتلك السيدّة الكريمة، فأنا أصغر من أن ادرك تلك الأُمور، وحتّى لو استطاع شخص إدراك ذلك فإنّه لا يستطيع وصفها وبيانها كما هو حقّها، فتلك الجوانب المعنوية هي عالم آخر.

وقد روي عن الإمام الصادق﵇ انّه قال: « **انّ فاطمة كانت مُحدَّثة** » أي أنّ الملائكة كانت تنزل عليها وتأنس معها وتحدّثها، وهناك روايات عديدة في هذا المجال. وإنّ كونها محدّثة لا يختصّ بالشيعة فقط، فالشيعة والسنّة يعتقدون أنّه كان هناك أشخاص في صدر الإسلام ـ أو من الممكن وجودهم ـ كانت تحدّثهم الملائكة، ومصداق هؤلاء في رواياتنا هي فاطمة الزهراء﵍.

وقد ورد في هذه الرواية عن الإمام الصادق﵇ بأنّ الملائكة كانت تأتي فاطمة الزهراء﵍ وتتحدّث معها وتقرأ عليها آيات اللّه، وكما انّ هناك تعبير في القرآن حول مريم﵍ في الآية ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فإنّ الملائكة كانت تخاطب فاطمة الزهراء﵍ وتقول: « **يافاطمة إنّ اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين** ».

ثمّ يقول الإمام الصادق﵇ في هذه الرواية بأنّ الملائكة في إحدى الليالي كانت تتحدّث مع فاطمة﵍ وكانت تذكر هذه العبارات، فقالت فاطمة الزهراء﵍ لهم: « **أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم** » فقالت الملائكة لفاطمة الزهراء﵍ بأنّ مريم كانت المفضّلة على النساء في زمانها وفاطمة مفضّلة على النساء في كلّ الأزمنة من الأوّلين والآخرين[2].

فأيّ مقام معنوي رفيع هذا؟ إنّ الإنسان العادي مثلنا لا يمكنه أن يتصوّر في ذهنه هذه العظمة والدرجة.

---

(١) آل عمران الآية: ٤٢ .

(٢) انظر: بحار الأنوار ج٤٣، ص٧٨.

وقد روي عن أمير المؤمنين‌ﷺ أنّ فاطمة الزهراء‌ﷺ قالت له بأنّ الملائكة تأتي وتتحدّث معها وتقول لها بعض المسائل، فقال لها أمير المؤمنين‌ﷺ بأنْ تخبره عندما تسمع صوت الملك حتّى يكتب ما تسمع، فكتب أمير المؤمنين ما أملته الملائكة على فاطمة الزهراء‌ﷺ وأصبح هذا كتاباً موجوداً لدى الأئمة‌ﷺ اسمه (مصحف فاطمة) أو (صحيفة فاطمة)[1].

وقد جاء في روايات عديدة أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يراجعون (مصحف فاطمة) في مسائلهم المتنوّعة، ثمّ قال الإمام‌ﷺ: **« إنّه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون »**[2]، فأيّ علم رفيع هذا؟ وأيّة معرفة وحكمة ليس لها نظير هذه التي أعطاها اللّه تعالى لإمرأة في سنيّ الشباب؟ هذا هو المقام المعنوي للزهراء‌ﷺ.

إنّ هذه المسائل المعنوية لها ارتباط كبير بالفضائل العملية، ارتباط بما ينجم عن جهد فاطمة الزهراء‌ﷺ وهذا المقام لا يعطى مجّاناً وبلا سبب، فعمل الإنسان له تأثير كبير في إحراز الفضائل والمناقب المعنوية.

البنت التي ولدت في لهيب الجهاد المرير للنبي‌ﷺ في مكّة، والتي أعانت أباها وواسته في شعب أبي طالب، كانت فتاة عمرها حوالي ٧ - ٨ سنوات أو أقل أو أكثر بعدة سنوات (حسب اختلاف الروايات)، ومع ذلك تحمّلت تلك الظروف، مَنْ الّذي يرفع عن وجهها غبار الهمّ في تلك الظروف حيث توفّيت خديجة وأبو طالب والنبي لوحده بلا مواس، والجميع كانوا يلوذون به؟ فلا خديجة ولا أبو طالب في تلك الظروف الصعبة، وفي ذلك الجوع والعطش

---

(١) انظر الكافي: ج١، ص٢٤٠، ح٢.

(٢) المصدر نفسه.

والبرد والحر الذي استمرّ ثلاث سنوات في شعب أبي طالب (وهي من الفترات الصعبة في حياة النبي ﷺ)؛ حيث كان يعيش عدد من المسلمين في شقّ جبل وهم في حالة إبعاد إجباري، في تلك الأحوال تحمّلت هذه الفتاة المشاكل فكانت كالمنقذ للنبي ﷺ وأُمّ لأبيها، وممرضة عظيمة لذلك الإنسان العظيم.

فقد واست النبي ﷺ وتحمّلت العناء وعبدت اللّه وعزّزت إيمانها وهذّبت نفسها وفتحت قلبها للمعرفة والنور الإلهي، وهذه هي الأُمور التي توصل الإنسان إلى الكمال.

وبعد الهجرة وفي بداية سنين التكليف تزوّجت فاطمة الزهراء ﷺ من علي بن أبي طالب ﷺ، ولعلّكم جميعاً تعرفون البساطة وحالة الفقر التي مرّت بها فاطمة الزهراء ﷺ بعد زواجها وهي بنت الشخص الأوّل في العالم الإسلامي، والحاكم على أُولئك الناس.

إنّ حياة فاطمة الزهراء ﷺ في جميع الأبعاد كانت مليئة بالعمل والسعي والتكامل والسمو الروحي للإنسان، وكان زوجها الشاب في الجبهة وميادين الحرب دائماً، وكانت مشاكل المحيط والحياة قد جعلت فاطمة الزهراء ﷺ مركزاً لمراجعات الناس والمسلمين.

وقد أمضت البنت المعينة للنبي ﷺ حياتها بمنتهى الرفعة في تلك الظروف، وقامت بتربية أولادها الحسن والحسين وزينب وإعانة زوجها علي ﷺ وكسب رضا أبيها النبي ﷺ، وعندما بدأت مرحلة الفتوحات والغنائم لم تأخذ بنت النبي ذرّة من لذائذ الدّنيا وزخرفها ومظاهر الزينة والأُمور التي تميل لها قلوب الشابّات والنساء.

وكانت عبادة فاطمة الزهراء عليها السلام عبادة نموذجية، يقول الحسن البصري الذي كان أحد العبّاد والزهّاد في العالم الإسلامي حول فاطمة الزهراء عليها السلام بأنّ بنت النبي عبدت اللّه ووقفت في محراب العبادة إلى درجة (تورَّمت قدماها)[1].

ويقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بأنّ اُمّه وقفت تعبد اللّه في إحدى الليالي حتّى الصبح (حتى انفجر عمود الصبح). ويقول الإمام الحسن عليه السلام انّه سمعها تدعو دائماً للمؤمنين والمؤمنات، وتدعو للناس وتدعو للمشاكل العامّة للعالم الإسلامي، وعند الصباح قال لها: **«يا أمّاه أما تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك»**، فقالت: **«يا بنيّ الجار ثمّ الدار»**[2].

إنّ جهاد تلك المكرّمة في الميادين المختلفة هو جهاد نموذجي في الدفاع عن الإسلام، وفي الدفاع عن الإمامة والولاية، وفي الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله، وفي المعاشرة مع أكبر القادة الإسلاميين وهو أمير المؤمنين الذي كان زوجها. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام مرّة بشأن فاطمة الزهراء عليها السلام **«ما أغضبتني ولا عصيت لي من أمراً»**[3].

ومع تلك العظمة والجلالة فإنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت زوجة في بيتها وإمرأة كما يقول الإسلام، وعالمة رفيعة في محيط العلم.

وعن الخطبة التي قالتها فاطمة الزهراء عليها السلام في مسجد المدينة بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله قال العلاّمة المجلسي[4]: إنّ على كبار الفصحاء والبلغاء والعلماء أن يجلسوا ويوضّحوا كلمات وعبارات هذه الخطبة، فقد كانت قيّمة إلى هذه الدرجة.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣، ص٧٦.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣، ص٨١.

(٣) بحار الأنوار ج٤٣، ص١٣٤.

(٤) انظر بحار الأنوار: ج٢٩، ص٢٤٧.

ومن حيث الجمال الفنّي فإنّها كانت مثل أجمل وأرفع كلمات نهج البلاغة، وفي مستوى كلام أمير المؤمنين. ذهبت فاطمة الزهراء ووقفت في مسجد المدينة وتكلّمت ارتجالاً أمام الناس حوالي ساعة كاملة بأفضل وأجمل العبارات وأصفى المعاني.

هكذا كانت عبادتها وفصاحتها وبلاغتها وحكمتها وعلمها ومعرفتها وحكمتها وجهادها وسلوكها كزوجة وكأُمّ، وإحسانها إلى الفقراء. فمرّة أرسل النبي رجلاً عجوزاً فقيراً إلى بيت أمير المؤمنين وقال له أن يطلب حاجته منهم، فأعطته فاطمة الزهراء جلداً كان ينام عليه الحسن والحسين حيث لم يكن عندها شيئاً غيره، وقالت له أن يأخذه ويبيعه ويستفيد من نقوده.

هذه هي شخصية فاطمة الزهراء الجامعة للأطراف، إنها أُسوة للمرأة المسلمة.

ب ـ النماذج الأخرى للنساء

اننا نعتقد بقدرة النساء في كل مجتمع بشري سليم ـ وينبغي إتاحة الفرصة لهنّ ـ على تحمّل مسؤولياتهن لبلوغ التطور على الأصعدة العلمية والاجتماعية والتنموية والادارية في هذا العالم، فلا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة.

ان الهدف من خلق كل انسان هو ذات الهدف من خلق البشرية بأجمعها، وهو بلوغ الكمال والاستثمار الأمثل للفضائل التي يقوى كل انسان على التنعم بها، لذلك فلا وجود للفوارق بين الرجل والمرأة. ومثال ذلك فاطمة الزهراء وتليها سائر أعلام النساء على امتداد التاريخ؛ أي انَّ فاطمة الزهراء قمة الانسانية لا ينافسها أحد أبداً، وكما نلاحظ فإنها قد اختطفت تلك الفرصة وحصلت على تلك القابلية حتى بلغت الذروة.

إذن فلا ينبغي ان يكون فرق بين المرأة والرجل، ولعل هذه هي العلة الكامنة في انتقاء الباري تعالى لنموذجين من النساء حين إيراده للأمثلة عن الصالحين والطالحين من البشر في القرآن الكريم، فهو يسوق امرأة فرعون وامرأتي نوح ولوط كمثالين على كلتا الطائفتين، فيقول: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾[1]. وبالمقابل فهو يضرب امرأتي نوح ولوط مثلاً عندما يريد طرح نموذج للإنسان الطالح الشقي السائر بالاتجاه المنحرف.

ان الإسلام يريد الوقوف بوجه هذا الاستنتاج الخاطئ أو هذا النمط المنحرف من الفهم الذي حام حول قضية المرأة على امتداد التاريخ، وانني لأعجب لما دهى الفكر البشري من اعوجاج إزاء قضية الرجل والمرأة إلاّ ما ندر، فإذا ما استثنيتم تعاليم الأنبياء ستجدون عدم صوابية الموقع الذي يحتله كل من الرجل والمرأة والنسبة بينهما وفق مقاييس البشر وتحليلاتهم وأفكارهم.

وحتى لو أمعنتم النظر في ثنايا الحضارات الراقية في التاريخ من قبيل الحضارة الرومانية أو الايرانية تشاهدونها تحمل فهماً خاطئاً عن المرأة، مما لا أريد الحديث عن تفاصيله هاهنا، فلعلكم على علم به وعليكم الرجوع إلى مصادره إن شئتم.

ولم يزل هذا الفهم الخاطئ بالرغم من هذا الضجيج والتهويل فيما يخص قضية المرأة ومزاعم اوربا في الدفاع عن الحقوق الانسانية للمرأة، فالأوربيون حيث إنهم استفاقوا متأخرين كأنهم يحاولون تلافي تخلفهم الزماني عن طريق هذا الضجيج والعجيج المصطنع، فحتى منتصف العقد الثاني من هذا القرن لم تكن المرأة في أية بقعة من أوربا ـ حتى تلك التي كانت تحكمها الديمقراطية ـ

---

(١) التحريم الآية: ١١.

تمتلك حق التصويت أو التصرف بممتلكاتها الخاصة، ومنذ العقد الثاني أي السنوات ما بين ١٩١٦ - ١٩١٨ بدأت الدول الاوربية تدريجاً بمنح المرأة الحق في التصرف بثرواتها ومساواتها مع الرجل في الحقوق الاجتماعية.

وهنالك ـ بطبيعة الحال ـ في تاريخ أوربا نسوة تسلقن إلى منصب الملكة أو أصبحن من أشراف النساء، غير ان وجاهة امرأة واحدة أو عدة نساء يجمعهن نسب واحد أو حصلن عليه لانتمائهن لطبقة أو عنصر معين، لا يمكن تعميمه على قضية المرأة برمتها، فهذه الضروب من التمييز مشهودة على طول الخط، أي هنالك من النساء من ارتقين إلى أعلى المستويات ووصلن إلى منصب الملوكية ـ مثلاً ـ حيث حصلن على هذه المنزلة عن طريق الوراثة الأسرية وما شابه ذلك، أما سائر نساء المجتمع فلا نصيب لهن من الحقوق، على العكس مما تراه الأديان التي يمثلها الآن الإسلام الناصع الاصيل، ومن المسلّم به ان سائر الاديان تشاطره الرؤية.

إذن فالحضارة الغربية ـ وهي تحاول الآن تلافي ذلك التخلف المريع فيما يتعلق بقضية المرأة ـ قد سلكت منحى آخر لبلوغ مرامها وذاك ما يتمحور ـ حسب اعتقادي ـ بقولبة المفاهيم الانسانية للمرأة بأطر المواقف الدعائية والمصالح السياسية والاقتصادية، وهو ما حصل في أوربا حيث شرعوا منذ البداية بمنح النساء حقوقهن تأسيساً على هذه القواعد العوجاء.

انني وحيثما أستقرئ الأفكار التي تزخر بها الرؤية العالمية للإسلام أدرك بوضوح ان المجتمع البشري سينجح في بلوغ السلامة والكمال على صعيد قضية الرجل والمرأة متى ما أدرك رؤى الإسلام في ذلك دون زيادة أو نقيصة، وبعيداً عن الافراط والتفريط وجهد في تبيانها، وهذا ما نطرحه امام العالم فيما يتعلق

بقضية المرأة. أما ما تمارسه الثقافات المادية بحق المرأة وهو قائم في يومنا هذا فذاك مما لا نرتضيه إطلاقاً، ولا نرى فيه منفعة او صلاحاً للمرأة أو المجتمع.

ان الإسلام يتطلع إلى أن ترتقي النساء اعلى مستويات التكامل فكرياً وعلمياً واجتماعياً وسياسياً، والأسمى من ذلك كله التكامل في الفضائل والمعنويات، وأن يثمر وجودهن عن عطاء زاخر للمجتمع البشري، وذلك ما تقوم عليه تعاليم الإسلام بأسرها ومنها مسألة الحجاب[1].

٤ ـ الرؤية الجديدة لدور المراة في الجمهورية الإسلامية

لقد كان معلم الثورة الكبير الامام الخميني (قدس سره) كثير الإعظام لدور المرأة في الثورة حدوثاً وبقاءً، وكذلك مكانتها في تكامل المجتمع الاسلامي وتكاملها الاسلامي والثوري، والحق هو ذاك.

وهذا ما يستلزم من المرأة الايرانية والمسلمة مواصلة طريقها بعزيمة راسخة للانعتاق من المصائد التي نصبها الغرب للإيقاع بها في وحل ثقافته المنحطة، وأن لا تستسلم بأي وجه لإغراءاتهم التي يستهدفون من ورائها اتخاذ المرأة آلة لتمرير سياساتهم الهدامة المذلة، ولابد من توخي الفطنة في الفصل بين مكانة المرأة ومنزلتها علمياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً، وبين هبوطها إلى المستوى الذي تغدو معه أداة ووسيلة لتحقيق المآرب السياسية والشخصية، وأن لا يقع الخلط بين ذلك وبين ما يطمح اليه المتحرر الواعي من البشر.

فالاسلام يرى في المنازل السامية موقعاً لائقاً بالمرأة، ويرى وجوب سلوك هذه المراتب وحفّ طريقها بالقيم والمقررات والأحكام، ولو أن الثقافة الغربية ـ بنظرتها التي قامت على أساسها ـ منحت للمرأة منزلتها ـ وبديهي افتقار الرؤية

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه الطبيبات في أنحاء البلاد، ١٣٦٨/١٠/٢٦.

المادية لتلك الآفاق الواسعة من المعنويات ـ لما كانت لتجرؤ على تجريد المرأة من حصانتها إزاء اللذات والشهوات والنزوات الدنيئة، لكنها أصّلت ذلك وجعلت منه منطلقاً لتقييم المجتمعات والمعتقدات.

ليس هناك ما يدفع وسائل الدعاية الاستكبارية والصهيونية في محاولتها الإيحاء بممارسة إيران الإسلامية الظلم بحق المرأة، سوى أن إيران قد وضعت حداً للفساد الاجباري الذي فرضه الغرب عن طريق النظام العميل، فأطيح بنظام الخلاعة والاختلاط الذميم بين الرجل والمرأة.

وها هي المرأة في إيران اليوم اكثر فعالية ونشاطاً من السابق في الميادين العلمية والسياسية والفنية، وعلى صعيد مختلف النشاطات الاجتماعية؛ هذه النشاطات تأتي في المرتبة الثانية من الامور التي تحظى باهتمام العقل الغربي ونظرياته وصنائع الصهيونية والاستعمار، أما الذي يهمه بالدرجة الاولى فهو ما ترفضه إيران الإسلامية رفضاً قاطعاً، ويتمثل في اختراق الحدود في العلاقة بين الرجل والمرأة، وهتك الحرمات الانسانية للمرأة وتبديلها إلى وسيلة لإشباع الرغبات أو آلة لترويج سلع التجميل والبهرجة الاستهلاكية.

لقد أفلح الشعب الايراني وبفضل الثورة بأن يطرح رؤية حديثة بشأن المرأة وقيمها، ويصنع أنموذجاً راقياً للمرأة المثالية. إنه نجاح عظيم وحركة خالدة جديرة بالاقتداء، وبالإمكان مشاهدة آثار هذه الحركة ونفوذها على الصعيد العالمي بالرغم من الضجيج الذي تثيره الدوائر الغربية وصلافة وسائل إعلامها[1].

لقد برهن الدور الذي قامت به المرأة في الثورة على إمكانية المرأة للقيام بدور جوهري في التحولات التاريخية والعالمية في ظل إيمانها ووعيها بعيداً عن

---

(١) بيان قائد الثورة الى ملتقى دراسة شخصية المرأة، ١٣٦٨/٨/٣.

مستنقعات الفساد التي افتعلها الغرب لها، كما برهن على أن رفعة المرأة وسموها لا تكمن في ما هيأت لها الأيادي الصهيونية الآثمة في هذا العالم الوضيع، وإنما في ظلال الطهارة والعفة والشعور بالمسؤولية تستطيع المرأة مواكبة الرجل في مسيرتها، وقد تتقدمه في بعض الحالات.

على النسوة في ظل نظام الجمهورية الإسلامية ان يعرفن قدر العظمة التي منحها إياهن الإسلام، وليخلعن عن أعناقهن أصفاد الطبيعة الاستهلاكية التي كبلهن بها الناهبون والرأسماليون الدوليون،وأن ينظرن بعين الاحتقار والاشمئزاز لكل ظواهر الثقافة الغربية المنافية للقيم من قبيل الخلاعة والمعاشرة المطلقة للرجال، والتلوث بشتى أصناف الفساد في الدول المتقدمة وأغلبية الدول المتخلفة.

وليعلمن إن المرأة الايرانية اليوم ـ وبتواجدها في ميادين السياسة والعمل وميادين الثورة، متحلية بالتقوى والطهارة ـ لهي الأفضل من بين نساء العالم، وهذا ما يحظى بتصديق المنصفين ورواد الحق في أرجاء العالم رجالاً ونساءً[1].

لقد تقدمت النسوة وتكاملن كثيراً بعد انتصار الثورة العملاقة، ولقد كان دورهن في الثورة دوراً مصيرياً وكذا في الحرب، وسيكون لهن الدور المصيري في المرحلة اللاحقة ان شاء الله، وذلك مشروط بأن نحافظ على الجوانب القيمية لدى المرأة لأنها هي التي تضمن المستقبل وتصونه، سائلاً المولى القدير لكنّ التأييد[2].

---

(١) بيان قائد الثورة بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل قائد الثورة الكبير الامام الخميني (قدس سره)، ١٣٦٨/٤/٢٣.

(٢) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

٥- مواجهة الثورة لاتهامات الدعاية الاستكبارية بشأن المراة

تتهمنا وسائل الدعاية الاستكبارية والصهيونية بإهمال التطور العلمي والثقافي للنساء، وهم على علم بزيف هذا الاتهام لكنهم يرددونه. ليس الأمر كما يصورون، فإننا نؤمن بالقيم الانسانية الواقعية للمرأة، ولا نرى فرقاً بين الرجل والمرأة، ونعتقد بإنسانيتهما وأن ميدان التكامل مشرع أمامهما بكل أبوابه، وسينالان من التكامل بما يتناسب وسعيهما ونشاطهما وسيرهما الحثيث نحو الله سبحانه.

فطريق العلم مفتوح أمامهما وكذا ميدان المشاركة السياسية، وقد شاهدنا دور المرأة في الثورة، فهو إن لم يتفوق على دور الرجل فلم يكن بأقل منه، وهكذا في الحرب فلو لم تهتف النسوة بملحمة الحرب ولم تنظر النساء في بيوتهن إلى الحرب على أنها واحدة من القيم، لما توفرت لدى الرجال العزيمة والحوافز للتوجه نحو الجبهة.

لقد تظافرت العشرات من العوامل التي ساقت الحشود الهائلة من التعبويين نحو الجبهات، وكانت من أهمها الروحية التي تتمتع بها الأمهات والزوجات وسائر النساء، ولعلني أقوى على الادعاء بأنني وخلال لقاءاتي بعوائل الشهداء المكرمة لم أرَ أمّاً منكسرة روحياً قط، وبطبيعة الحال فإن العوائل لا تتحد في طبيعة التفكير فبعضها يتميز بتماسكه فيما يتميز البعض الآخر بضعفه، وآخر لم يدرك الواقع بوضوح، فيما أدرك آخرون الحقيقة بقمة الوضوح. بيد أننا وعند زيارتنا لكل هذه العوائل أو أغلبها لم نلمس تدنياً في روحية المرأة عن روحية الرجل.

هذا هو وضع المرأة في مجتمعنا، أما أولئك فلم يلقوا المرأة وحدها بل هي والرجل في وادٍ سحيق من الفساد. فعلى أبناء شعبنا أن يستجمعوا قواهم، فمن المحال أن يعود مجتمعنا الإسلامي والثوري إلى الثقافة الغربية الفاسدة المتسافلة، ولا إمكانية أبداً لحدوث مثل هذا ويسمح أبناء شعبنا ورموز الثورة بأن تأخذ حياة الشعب وسلوكياته منحى يؤدي به إلى تلك الثقافة الفاسدة التي زرعها الغرب فينا وفرضها علينا.

المطلعون على تاريخ السفور والخلاعة في مجتمعنا وبدايته على يد الأسرة البهلوية المشؤومة، وأولئك الذين شهدوا تلك الأيام يدركون مدى ما فُرض على شعبنا من التبرج والاختلاط الذي لا يعرف الحدود، وهذا ليس بالأمر الذي يرتضيه شعبنا بسهولة بل هو مفروض عليه[١].

٦ ـ سيرة النساء بعد انتصار الثورة الإسلامية

بعد انتصار الثورة تغيرت سيرة النساء في بلدنا واستدارت حركتهن باتجاه معاكس تماماً لما كان قبل الثورة، فأخذت تصبّ في مجرى التطور العلمي والأخلاقي والسياسي والتواجد في الساحة لتفيض عطاءً للمجتمع بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، لذلك عليكنّ الحذر من التراجع القهقرى عن هذا الدرب، وعلى النسوة في بلدنا الحذر من تضييع الخط للثورة.

إنه لأمر معيب على المرأة الإيرانية المسلمة الثورية في يومنا هذا الانغماس بالمجوهرات وأدوات الزينة، وعار عليها الانهماك بتجميل الصدر والذراع بالجواهر والمزركشات والتجميل وموضات الملابس وتتخذ من ذلك صنماً لها، وان تلك المرأة التي تلهث وراء مثل هذه الأمور لها من القيمة أدناها. فليس

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه الطبيبات والممرضات بمناسبة يوم الممرض، ١٣٦٨/٩/١٥.

الذهب ولا الموضات مما يرفع شأن المرأة، بل الإعراض عن الذهب وعن الموضات التي اتخذها العدو فخاً للإيقاع بالنساء هو الذي يزين المرأة، وحيث إن المرأة المسلمة قد عثرت الآن على هويتها فحذار من تضييعها"[1].

٧ ـ عفاف المراة وحجابها

إن الإسلام لا يرفض الزينة بحدها المعقول، أما تجاوز حدود المعقول بحيث يتحول إلى سباقٍ وتقليد وتنافس وتعلق للمرأة بالكماليات فإن ذلك يمثل أحد دواعي الانحراف، ومنافٍ تماماً للهدف الذي يتوخاه الإسلام بالنسبة للنساء، ولقد تقدم مني القول بأن هذا هو منطلق حركتنا الذي ارتكز عليه الإمام(قدس سره) فيما يتعلق بقضية المرأة.

على أية حالٍ إن من أهم الواجبات هو مواجهة ذلك بشدة، ولسنا في ذلك بموقع الدفاع فحسب بل الهجوم، وهجومي يتمثل في مقاضاتنا للغرب، فنحن الذين نقول له: إنكم تمتهنون المرأة وتدّعون كذباً المساواة بين كلا الجنسين، إنه ضرب من الخداع والتآمر السياسي والثقافي، وإنكم بهذا الأسلوب إنما تختانون المرأة.

إننا نقول بأن المرأة إنما تصون كرامتها بالحجاب والزي الإسلامي الصحيح، وترتقي بنفسها عن المستوى الذي يريده لها العبثيون في العالم حيث لا يخلو منهم زمان ولا مكان، والمراد من قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[2] هو أن لا يتميز تصرف المرأة في مقابل الرجل بالخضوع.

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من النساء من مختلف مدن البلاد بمناسبة ذكرى ولادة فاطمة الزهراء ، ١٣٦٨/١٠/٢٧.

(٢) الأحزاب الآية: ٣٢.

ان للمسائل الطبيعية والغريزية بين الرجل والمرأة محلها ولا إشكال فيها، بيد أن خضوع المرأة أمام الرجل هو بالضبط ما يسود المجتمع الغربي حالياً، فالنمط السائد الآن من تقدم المرأة أثناء المسير أمام الرجل إنما هو ظاهر القضية، أما باطنها فهو العكس من ذلك تماماً[1].

لقد أكدتُ مراراً للخطباء والمبلغين حول قضية المرأة أننا لسنا الذين يتعين علينا الدفاع عن مواقفنا، بل على الثقافة الغربية الوضيعة ان تدافع عن نفسها؛ لأننا نطرح للمرأة ما لا قدرة لكل عالمٍ أو منصفٍ إنكاره.

إننا ندعو المرأة للالتزام بالعفة والحصانة والحجاب ونبذ الاختلاط الفاحش بين الرجل والمرأة، والمحافظة على كرامتها الإنسانية وعدم التجمل أمام الرجال الأجانب كي ينالوا لذتهم، فما هو وجه السوء في ذلك؟! إنها كرامة المرأة المسلمة، وعلى أولئك الذين يشجعون المرأة على التزّين بالنحو الذي يشبع غرائز الرجال في الأزقّة والأسواق من خلال نظرتهم إليها أن يدافعوا عن أنفسهم، لماذا نزلوا بالمرأة إلى هذا المستوى من الحضيض وأذلّوها؟

إن ثقافتنا هي تلك الثقافة التي يرتضيها الأماجد والعلماء من البشر ـ حتى في الغرب ـ وعليها بنوا سيرتهم، فالسيدات العفيفات المتحصنات ممن يرين لأنفسهن شأناً لسن على استعداد لأن يصبحن وسيلة لإشباع غرائز الأباعد وطعمةً للأعين، والثقافة الغربية الوضعية تعجّ بمثل هذه المفاسد[2].

المرأة الإيرانية التي تسلك ـ ببركة الثورة ـ طريقاً صالحاً بمقدورها اليوم اقتحام ميدان العلم ومختلف الميادين، وطيّ أعلى المراتب العلمية إلى جانب

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس المركزي للجمعيات النسوية، ١٥/ ٢/ ١٣٧١.

(٢) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من نسوة البلاد بمناسبة يوم المرأة، ١٣٧١/٩/٢٥.

محافظتها على دينها وعفّتها وتقواها ورصانتها وما تتميز به المرأة المسلمة من شخصية وحرمة، فما أكثر الطالبات والعالمات اللواتي يضمهنّ جمعكنّ هذا.

وبوسع النساء المسلمات أيضاً ولوج ميدان العلوم والمعارف الدينية بدون أن يقف حائل في طريقهن، فهنالك الكثير من طالبات ومدرسات العلوم الدينية بينكن الآن ممنّ اقتحمن ميدان الفقه الإسلامي والمعرفة الدينية، وهذا ما كان يعنى به إمامنا العظيم كثيراً. وبوسع المرأة في بلدنا اليوم تسجيل تواجدها في ميدان السياسة والنشاطات السياسية والاجتماعية والجهادية، وإعانة أبناء الشعب والثورة والتعبير عن شخصيتها مع المحافظة على عفّتها ووقارها وحجابها الإسلامي.

الغرب ووسائله الإعلامية ـ لاسيما الأقلام المأجورة وأذناب أصحاب الرساميل وجهابذة الصهاينة في العالم ـ تظافروا جميعاً للتهكّم على الجمهورية الإسلامية والتحامل على مسألة الحجاب إعلامياً، علّهم يفلحون بإقصائنا عن الساحة، بيد أن إيران الإسلامية والمرأة المسلمة فيها حافظت على تمسكها بالحجاب لصيانة كرامة المرأة بكل اقتدار وحزم وبروح ملؤها الثقة بالنفس، بالرغم من شدة حملاتهم الدعائية.

والعالم الغربي هو الذي يجنح اليوم نحو الحجاب، فها أنتنّ تشاهدن النساء المسلمات في شتى الأمصار ـ سواء الإسلامية التي لا وجود للحجاب فيها وهي منغمسة بالثقافة الغربية، أو الدول الأوربية ـ يُقبلنَ على الحجاب. ولقد شاهدنا النساء في البلدان النائية عنّا واللواتي كانت الثقافة الغربية قد أثرت فيهنَّ وسحرتهنَّ قد تغيرن بعد انتصار الثورة الإسلامية، وأخذن يرتدين ذات الحجاب الذي ترتدينه أنتنّ أيتها النسوة الإيرانيات المسلمات.

هذا هو التقدم الذي حققتَه، لذلك يتعين على النساء المؤمنات في مجتمعنا السعي لكي يعرفن قدر المرأة الإيرانية المسلمة، وشأن المرأة المسلمة.

فالمرأة الإيرانية المسلمة هي تلك المرأة التي تتوخى الموازين الشرعية في علاقتها وارتباطها بالرجل، ولا ترى أنها وسيلة لإشباع غريزة البصر عند الرجل فحسب، بل ترى في نفسها السمو فوق هذا المستوى أيضاً. وهي تلك المرأة التي تأبى الابتذال واستقطاب أعين الناظرين نحوها وإشباع رغباتهم عن طريق محاسنها وشعرها وبدنها، وهي تلك المرأة التي تنظر إلى نفسها واقفة على قمة تتربع على ذراها فاطمة الزهراء سلام الله عليها ـ أفضل امرأة على امتداد التاريخ ـ ومثل هذه المرأة يتعين عليها الإعراض عن ألاعيب الثقافة الغربية والأساليب التآمرية للغرب[1].

الحجاب لا يعني عزل المرأة، ومَنْ كان هذا فهمه عن الحجاب فهو فهم خاطئ تماماً.. الحجاب يعني الحيلولة دون الاختلاط المطلق بين الرجل والمرأة في المجتمع؛ لأن الاختلاط المطلق يدمّر المجتمع ويدمّر الرجل والمرأة أيضاً، لاسيما المرأة بالذات، والحجاب لا يمنع المرأة أو يقيدها عن النشاطات السياسية والاجتماعية، وانتنَّ الشاهد العملي على هذا الادّعاء.

لعل العَجَب كان ولايزال يراود البعض لوجود امرأة على مستوى علمي رفيع ـ وقد نلتنَّ هذا المستوى الرفيع في فرع الطب والحمد لله ـ قد واءَمت نفسها مع التعاليم الإسلامية وبالذات منها الحجاب، فذاك مما كان متعذراً تصديقه من قبل البعض ولا قدرة لهم على تصوره، ناهيك عن التعامل الأهوج للعبثيين من الرجال الذين كانوا يتهكّمون بالحجاب، فلقد كانت المحجبات

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من النساء من مختلف مدن البلاد بمناسبة ذكرى ولادة فاطمة الزهراء ، ٢٧/١٠/١٣٦٨.

القلائل من الجامعيات يتعرضنَ للسخرية والاستخفاف في عهد النظام الطاغوتي.

إنه سلوك غير إنساني وفظّ ومنحرف أن يتهكم المرء ويستهين بما لا ترتضيه نفسه، وهذا ما تقوم به وسائل الإعلام الغربية حالياً أي انهم يفعلون فعل الأجلاف، ولا مجال للحديث عنهم الآن، لكن حديثنا يدور حول أولئك الذين ليسوا من الأجلاف، ويعتقدون بمعايير العلم والكلام ومن أهل الفكر والمنطق ممّن لم يكونوا على قناعة بقدرة امرأة ملتزمة بالمسائل الشرعية ـ ومنها الحجاب ـ على طيّ المدارج العلمية ومن ثم تصبح عالمة، كما لم تتوفر لديهم القناعة بأن مثل هذه المرأة تغدو ذات شأنٍ على صعيد الأمور السياسية والاجتماعية، ولا أن تتحول إلى عنصر ثوري فعّال.

هذه التصورات الباطلة أثبتت الثورة عدم صوابيتها؛ فلقد شاهدنا أن النسوة أثناء الثورة صرن جنوداً في الخط الأول لها بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، وهذا لا أقوله مبالغةً بل إننا كنّا شهوداً أثناء وقائع الثورة على وقوف النساء في بلدنا في الخط الأول للثورة، فلو لم تتّسق النسوة مع الثورة وكنَّ قد رفضنها ولم تتوفر لديهنّ القناعة بها، لما انتصرت الثورة. وإنني على قناعة بأنه لولاهنَّ لما نزل نصف عدد الثوريين إلى الساحة مباشرة أولاً، ولكان لهنَّ تأثير غير مباشر على الأبناء والأزواج والأخوة وعلى الوسط العائلي بشكل عام ثانياً، وبالتالي لما حصل هذا الإنجاز.

فللمرأة بالغ التأثير من الناحية الثقافية على الوسط العائلي، وتواجدهن هو الذي قصم ظهر العدو وسار بحركة الجهاد بمعناها الحقيقي إلى الأمام. ثم إننا شاهدنا المواهب التي تتحلى بها النساء على الأصعدة السياسية، وقابلياتهن على

التحليل والحديث والاستعداد لتقبّل المسؤولية في النظام الإسلامي، وهذا الأمر في طريقه نحو الاتساع[1].

لقد جاء الإسلام وجاءت الثورة وجاء الإمام ليضع المرأة في صلب النشاط السياسي للبلد وحمّل النساء راية الثورة، وفي المقابل استطاعت المرأة المحافظة على حجابها ووقارها وكرامتها الإسلامية وعفّتها ودينها وتقواها، لذلك ليس هنالك مَنْ يطوق عنق المرأة الإيرانية والمرأة المسلمة بدَينٍ أكثر جسامة من هذا[2].

إننا إذ نلتزم بالحجاب بهذا القدر فلأنه يعين المرأة على الارتقاء إلى أسمى مراتبها المعنوية، ويحفظها من أن تقع فريسة المنزلقات التي تعترض طريقها، والنقطة التي تعاكس ذلك تماماً هي الثقافة الرومانية الغالبة على أوربا اليوم، والتي تقبل المرونة مع كل شيء إلاّ أمرين أو ثلاثة، أحدها المحافظة على حالة التوازن والانضباط في العلاقة بين الرجل والمرأة، أي المنعة قبالة ما يسمونه الحرية الجنسية.

فهم متصلبون إزاء هذا الأمر، ولا أهمية عندهم لأيّ عملٍ آخر يفعلونه؛ لذلك فإن الرجعي في نظرهم مَنْ يركز على هذه المسألة، فإذا فُصل نسبياً بين الرجال والنساء في بلدٍ ما كان ذلك خلافاً للحضارة، وهم صادقون في قولهم هذا؛ إذ إن حضارتهم لم تقم إلاّ على أطلال الحضارة الرومانية ليس إلاّ، وذلك ما لا نصيب له من الصحة على صعيد القيم. وبناءً على هذا فإن الغرب مدين لنا؛ إذ إنهم جاؤوا لامتهان المرأة طوال الحقبة المنصرمة وحتى يومنا هذا[3].

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه الطبيبات في أنحاء البلاد، ١٣٦٨/١٠/٢٦.

(٢) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من النساء من مختلف مدن البلاد بمناسبة ذكرى ولادة فاطمة الزهراء ﷺ، ١٣٦٨/١٠/٢٧.

(٣) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

٨ ـ عمل المرأة

الإسلام لا يوافق فقط على عمل المرأة، بل لعله يوجبه إن لم يتزاحم مع عملها الأساسي والجوهري أي تربية الطفل والمحافظة على بيتها. فلا قدرة لأيّ بلدٍ على الاستغناء عن الأيدي العاملة النسوية في شتى المرافق، غاية الأمر أن لا يتعارض هذا العمل مع كرامة المرأة وشأنها المعنوي والانساني.

فينبغي عدم إذلال المرأة ودفعها للخضوع والضعة، والتكبر مذموم من الجميع إلاّ من المرأة في مقابل الرجال الأجانب؛ فالمرأة يجب أن تتكبر أمام الرجل الغريب ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾[1]، وما ذلك إلاّ لصيانة كرامتها، وهذا ما يصبو إليه الإسلام ويعدّه أنموذجاً للمرأة المسلمة.

لاحظوا أيّ معجزة عظيمة تصنعها المرأة المسلمة إن هي عادت إلى فطرتها وجبلّتها، وهذا ما شوهد في ثورتنا ونظامنا الإسلامي ويُشاهد حالياً والحمد لله.

أيّة عظمة كنّا قد لمسناها في النساء كهذي التي نراها اليوم عند أمهات الشهداء! وأية تضحية وجدناها عند الشابات من النسوة كالتي شهدناها أثناء فترة الحرب! أولئك اللواتي دفعن بأزواجهن الأعزاء إلى سوح الوغى وحافظن على عفتهن والأمانة المودعة لديهنَّ كي يخوضوا ميادين الحرب وهم مرتاحو البال.

إنها عظمة الإسلام التي تجلّت على سيماء نسوتنا الثوريات خلال حقبة الثورة وخلال هذه الفترة أيضاً، فليكفّ المروجون لعدم إمكانية النساء من كسب العلم مع المحافظة على الحجاب والعفة وإدارة البيت وتربية الأبناء، فما أكثر العالمات في مجتمعنا وفي مختلف الحقول، وهنالك نسبة عالية من الجامعيات المثابرات الموهوبات والخريجات من الدراسات العليا وفي مختلف الفروع العلمية.

---

(١) الأحزاب الآية: ٣٢.

إن النساء في الجمهورية الإسلامية يواظبن اليوم على صيانة عفتهنّ وبراءتهنّ وطهارتهنّ وحجابهنّ بشكل تام، وعلى تربية أبنائهنّ وفقاً للنهج الإسلامي، ويؤدين واجباتهن الزوجية كما يريد الإسلام، وينشطن على الصعيد العلمي والسياسي أيضاً»[1].

٩ ـ دور المرأة المسلمة في التصدي للغزو الثقافي

على المرأة المسلمة الاجتهاد في طريق النبوغ والعلم وبناء الذات معنوياً وأخلاقياً، وأن يكون لها قصب السبق في ميدان الجهاد والكفاح بشتى ضروبه، وعدم الاكتراث بزخارف الدنيا وزبرجها، وأن ترقى بعفّتها وبراءتها وطهارتها مستوى ترتدع معه أبصار الأجانب العبثيين عنها، وتكون مصدر سكينة لزوجها وأبنائها في البيت، ومبعث طمأنينة واستقرار في الوسط العائلي، ويتربى في حضنها الدافئ الطافح بالمودة والرأفة وعلى أنغام حديثها المفعم بالمعاني والمحبة أبناء سالمون انقياء من العقد النفسية، طاهرون روحياً، وتُنجب للمجتمع الأفذاذ من الرجال والنساء.

فالأم أسمى وأرفع شأناً من كل مبتكر، فربما يتسنى للأكابر من العلماء ابتكار أجهزة غاية في التعقيد أو الصواريخ العابرة للقارات أو السفن الفضائية، لكنها ليست بذات الأهمية حيث يصنع المرء انساناً مترقياً، ومثل هذا لا يقدر عليه إلاّ الأم فقط، وذلك هو المثل الإسلامي الأعلى للمرأة. ويخطئ العالم الاستكباري الجاهل حينما يتصور أن قيمة المرأة وشأنها في التبذل أمام أنظار الرجال لتتصفحها أعين العبثيين، ويستمتعوا بها ومن ثم يطرون عليها.

إن بساط ما يسمى اليوم بحرية المرأة الذي مدَّته الثقافة الغربية المتسافلة إنما يقوم على أساس عرضهم المرأة أمام الرجال ليشبعوا رغباتهم الجنسية منها

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من نسوة البلاد بمناسبة يوم المرأة، ١٣٧١/٩/٢٥.

ويتلذذوا بها، وبالتالي تتحول المرأة إلى أداة لاستمتاع الرجال. وهذا ما يطلقون عليه حرية المرأة، فهل يا ترى هذه حرية المرأة؟!

أولئك المتشدقون في بلاد الغرب الجاهل الغافل الضال بدفاعهم عن حقوق الإنسان ـ وبالذات حقوق المرأة ـ إنما يمارسون الظلم بحق المرأة في واقع الأمر.

عليكم النظر للمرأة على أنها إنسان متسامٍ كي تتضح ما هي معالم تكاملها وحقوقها وحريتها، انظروا للمرأة على أنها مخلوقٌ بمقدوره أن يغدو مصدراً لإصلاح المجتمع، وإنجاب العظماء كي تتضح أمامكم حقيقة المرأة وما هي طبيعة حريتها.

انظروا للمرأة على أنها العنصر الأساسي في بناء العائلة؛ فبالرغم من قيام الأسرة على عنصري الرجل والمرأة وتأثيرهما المشترك في بناء الأسرة وكيانها، بيد أن الاطمئنان الذي يسود العائلة والسكينة والوئام الذي يملأ أجواءها منوط بالمرأة وطبيعتها الأنثوية، فانظروا إليها بهذه الرؤية كي تتجلى أمامكم كيفية بلوغ المرأة كمالها وأين تكمن حقوقها[1].

افرضوا أن سيدةً ذات مستوىً علمي عالٍ لكنها تعاني الابتذال في علاقاتها الاجتماعية، فهل تتصورون لها شأناً؟ وبالطبع فإن السيدة العالمة قليلاً ما تجنح نحو الابتذال، وبالرغم من أن إحدى آفات الأمية أنها تجرف أكثر عدد من النساء نحو الابتذال، غير أن هذا الابتذال لا يعرف الحدود، فإن المرأة وإن كانت على قدرٍ عالٍ من العلم إذا كانت تجهل هذه الجوهرة الإنسانية المودعة في كيانها ـ التي هي موضع اعتزاز لدى الرجل أيضاً، وكل من الرجل والمرأة

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه بمجموعة من نسوة البلاد بمناسبة يوم المرأة، ١٣٧١/٩/٢٥.

يجهدان لنيل العلم والحكمة كي يتجليا في ذاتهما ـ وبقي هذا العلم مكموداً مهملاً متروكاً فما هي أهميته؟

إنها إحدى المسائل القيمية أن تتنامى الجوهرة الإنسانية لدى كل من الرجل والمرأة، فينبغي إحياء الجوانب القيمية في مجتمعنا، فمثلاً مسألة الحجاب بحدّ ذاتها ـ وإن كانت مقدمة لما هو أسمى ـ هي واحدة من القيم(١).

أقول لكن أيتها السيدات، إنكن تحملن رسالة للعالم وعليكنَّ بيانها وإعلانها أمام الدنيا، وهي ليست شفوية أو خطية بل هي في أغلبها عملية؛ فعلى عاتق النساء الإيرانيات ـ لاسيما اللواتي نجحن في سيرتهن في مختلف الحقول العلمية في إطار الإسلام وتعاليمه، والأهم من ذلك التحرك في إطار الحجاب ـ تقع مسؤولية إفهام نساء العالم لاسيما الفتيات والطالبات عملياً أن العلم لا يعني الانحلال، وليس من لوازم طلب العلم التحلل عن الموازين الخلقية فيما يتعلق بعلاقة الرجل والمرأة، بل من المقدور طلب العلم وبلوغ أسمى المراتب إلى جانب الالتزام التام بالمعايير، ووجودكن بإمكانه التعبير عن نموذج حي من الرسالة العالمية للإسلام(٢).

في الوسط الجامعي ذي الأهمية القصوى يتعين على السيدات من المدرسات والجامعيات السعي لنشر روحية الإسلام وثقافته، فإن وجد في جامعات البلاد ـ لا سمح الله ـ أناس يستخفون بالحجاب الإسلامي ويتجرأون على النسوة والجامعيات المسلمات، فلا تسمحنَ لهم بترويج أفكارهم الفاسدة.

يجب أن يكون الوسط الجامعي وسطاً إسلامياً يتسامى فيه المسلم لاسيما المرأة المسلمة، تلك المرأة المقتدية بفاطمة الزهراء سلام الله عليها، وذاك في

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧١/١٠/٤.

(٢) من حديث قائد الثورة في لقائه الطبيبات في أنحاء البلاد، ١٣٦٨/١٠/٢٦.

غاية الأهمية بالنسبة لمستقبل البلاد. والقضية لها بالغ الأهمية لاسيما على صعيد بعض الجامعات من قبيل جامعة إعداد المدرسين التي تمثل في حقيقتها مؤسسة ثورية[1].

أ ـ الحفاظ على الشخصية الايمانية

إنني أوصي الشابات من النساء وربات البيوت المسلمات بأن لا يستجبن للترويج للروح الاستهلاكية التي زرعها الغرب كالجذام في المجتمعات العالمية لاسيما مجتمعات الدول النامية ومنها بلدنا، فالإنفاق لا بأس به إن كان في حده الضروري لا بمستوى الإسراف.

وعلى السيدات اللواتي يتحملن المسؤولية في مختلف مرافق البلاد أو زوجات المسؤولين أن يكن أسوة لغيرهن في ابتعادهن عن الإسراف، وليعلّمن الأخريات أن المرأة المسلمة أسمى من الوقوع أسيرة الذهب والفضة والجواهر وما شابه ذلك.

ومن البديهي أنني لا أريد القول بحرمتها، لكنني أريد القول بأن شأن المرأة المسلمة أسمى من الانهماك في إنفاق الأموال لشراء الجواهر والحلي ومزخرفات الحياة، والإسراف على متع الحياة وكمالياتها في وقت يعيش غالبية أبناء الشعب حياة يحتاجون فيها إلى العون والمساعدة؛ فالمرأة المسلمة تتأسى بمن هي متنزهة عن هذه الفعال، وهذا واحدٌ من الميادين التي نفتخر بها قبالة العالم الاستكباري[2].

ما يؤسف له أن الجنوح نحو التجمّل الذي خفّت حدته منذ مدة في مجتمعنا ـ وكانت النسوة في مطلع انتصار الثورة لم يعرن اهتماماً لهذه الزينة

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من نسوة البلاد بمناسبة يوم المرأة، ١٣٧١/٩/٢٥.

(٢) من حديث قائد الثورة في لقائه مجموعة من نسوة البلاد بمناسبة يوم المرأة، ١٣٧١/٩/٢٥.

والجواهر ـ وكما يطرق الأسماع، أخذ يتنامى من جديد في أوساط المجتمع. لذلك يتعين على العالمات المفكرات العارفات من نسائنا أن يعتبرنه خطراً، ويحذرن التحرك بهذا الاتجاه.

وبطبيعة الحال فإن هذا الخطر يشمل الرجال أيضاً، غاية الأمر أنه يتعاظم لدى النساء، وفي كثير من الحالات يقع الرجال تحت تأثير أزواجهم فيما يخص هذه القضية، فعليكن التصدي لهذا الأمر والحذر منه فلا تفرطن في الزينة والتجميل، وإنني لا أخالف حد الاعتدال فيه لكنه إذا ما اتخذ منحى الإفراط فإنه مذموم.

فعلى النساء الحذر وعدم إيلاء مزيد اهتمام للزي والتجميل والجواهر والحلي وإلى غير ذلك، ليتركز اهتمامهن على التألق والجمال الواقعي إن شاء الله[1].

ب ـ الحفاظ على المظهر الإسلامي

فيما يتعلق بلباس المرأة يجب أن تتضح طبيعة لباس المرأة الإيرانية على حقيقتها، ولا أعني بذلك المظهر الخارجي بل ذلك الملبس الذي ترتديه حينما تكون بين النساء أي المخبوء تحت العباءة، ـ وللعباءة والزي الإسلامي بحثه الخاصة به لا أريد هنا التطرق إليه ـ لاحظوا زي المرأة الهندية فهو زي بسيط، ومعلوم لديكم زي المرأة الأوربية، فهل للمرأة الإيرانية زيها الخاص بها؟ وإن كان كذلك، فأي منها يحكي عن إيرانيته؟

فالموضات التي تصدرها لنا مصانع الخياطة في أوربا وتلك التي نستوردها من لندن وباريس ليست إيرانية، ولقد تناهى إلى مسامعي أن بعض النساء يسافرن إلى الخارج مرة أو مرتين خلال السنة لشراء الملابس أو يزودهن بها

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

المقيمون هناك، ومن ثم يستعرضن هذه الملابس في محافل النساء! إنه الترويج لثقافة الغرب.

إننا حيث ننادي بالموت لأمريكا نبادر بأنفسنا لترويج الثقافة الأمريكية! والغرب إنما يعتمد بالأساس على الثقافة متخذاً السياسة مقدمة لها، فإذا ضمنوا الثقافة ضمنوا كل شيء. ومن دواعي الأسف أن نجلب بأنفسنا هذه الثقافة إلى بلادنا بصورة أزياء وغيرها من المظاهر.

ما هو الإشكال الذي يعتري الثقافة الإيرانية والزي الإيراني والحلي الإيرانية كي نلجأ للثقافة الغربية؟! علماً بأن ذلك كله اعتباري، أي أن الموضة التي تنزل اليوم ستفقد جاذبيتها بعد خمس سنوات وتحل محلها موضة أخرى، فلا واقعية لهذه الأمور بل هي اتفاقية، وعلى هذا فإن كانت غير واقعية وجمالها اعتباري وانتزاعي فما الداعي لأن يكون اللباس الذي يختاره ويرتديه الغرب هو الجميل؟! نحن إيرانيون وعلينا العودة للعثور على ما هو متعلق بنا[1].

ينبغي الانتباه إلى أن كل بحث يدور حول قضية زي المرأة يجب أن لا يتأثر بالهجوم الإعلامي الغربي فهو إن تأثر به فسد، فعلى سبيل المثال لو نفكر مع أنفسنا ونقول إن الجميع يصرحون بضرورة الحجاب دون العباءة، فهذا تفكير خاطئ. ولا أريد هنا حصر الحجاب بالعباءة، بل أقول إن العباءة هي أفضل أنواع الحجاب، وهي رمز وطني لنا أيضاً لا يتعارض أبداً مع أي نشاط تقوم به المرأة.

فإذا كان النشاط اجتماعياً أو سياسياً أو فكرياً فبإمكان العباءة أن تتحول إلى حجاب رسمي للمرأة وهي أفضل أنواع الحجاب، وبإمكان المرأة طبعاً أن تبقى على حجابها دون أن ترتدي العباءة، غاية الأمر أنه لابد أن يوضع حدٌ هنا، إذ إن

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس للجمعيات النسوية، ١٣٧١/٢/١٥.

بعض النساء يتهربن من العباءة خشية التعرض للحملة الإعلامية الغربية، لكنهن إذ يهربن من العباءة لن يرتدين ذلك الحجاب الواقعي بدون العباءة، لأن الغرب يطاله في هجومه أيضاً!

لا تتصورن أننا لو ألقينا العباءة جانباً والخمار والوارد في القرآن ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[1]، واستبدلناه بغطاء الرأس وغيره من الزي، فإنهم سيكفّون عنا. كلا، فهم لا يقنعون بذلك، وإنما يحاولون جاهدين إنزال ثقافتهم البغيضة موضع التطبيق كما كان الحال في عهد الشاه حيث السفور والتبرج، وما ان يبلغ الوضع هذا المستوى حتى يتفاقم التحلل والانفلات كما في عهد الشاه، حيث كان التحلل يضرب بأطنابه في مدينة طهران وبعض مدن البلاد الأخرى ما يفوق حتى صغار المدن الأوربية.

وإذا كان للمرأة الأوربية البسيطة لباسها وزيها الخاص بها، فإن الوضع هنا لم يكن كذلك، وهكذا الحال في الكثير من الدول المتخلفة إسلامية كانت أو غير إسلامية. وبناءً على هذا ينبغي الالتزام بالجوانب القيمية بمنتهى الدقة والإمعان دون مسامحة[2].

جـ - أهمية المطالعة في حياة المرأة

من بين الأعمال المهمة للغاية تعويد النساء على قراءة الكتب، فعليكن حث النساء في بيوتهن على المطالعة عبر اكتشاف السبل الكفيلة بذلك.

ومما يؤسف له أن نساءنا لا يأنسن كثيراً بالمطالعة، فهنالك الآلاف من الكتب التي تنزل للأسواق وتنفد دون أن يطلعن عليها، هذه الكتب تمثل المعارف البشرية التي تعبئ العقول بمزيد من الإدراك والتفكير والابداع

---

(١) النور الآية: ٣١.

(٢) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

وتضعها في الموقع الصحيح والأفضل، ومن بين القضايا المهمة تعلم الأسلوب الصحيح للعمل داخل البيت، أي طريقة التعامل مع الزوج والأبناء.

إنهن نساء طيبات للغاية ويتمتعن بالحلم والصبر والتفاني والأخلاق الحسنة، غير انهن يجهلن المنهجية الصحيحة في التعامل مع الزوج أو الأولاد، فهذه مناهج علمية تطورت شيئاً فشيئاً من خلال التجارب البشرية وقطعت مراحل جديدة، فعلى من توفرت لديهم التجارب ومن لديهم القدرة أن ينقبوا عن هذه السبل ويرشدوا النساء إليها، على أمل ان تزال هذه الموانع التي تقدم التنويه إليها عن طريق النساء ليمضين قدماً بإذنه تعالى.

ولقد نهضت الثورة كثيراً بنسائنا، وإنني لأشاهد من النساء ما يتفوقن على الرجال بالتفاني والتضحية والجلَد إزاء الحوادث وهذا ما صرحت به مراراً، وحيث إنني كثيراً ما أجالس عوائل الشهداء والتقي أمهات وآباء الشهداء، فغالباً ما أجد أم الشهيد تفوق أباه روحية وفهماً وقابلية لتحمل هذه الحادثة المهمة؛ وهنالك حالات معاكسة أيضاً، لكن الحالة الأولى هي الغالبة تقريباً[1].

د ـ المحافظة على جو الأسرة

إن قضية الأسرة قضية في غاية الأهمية إذ إن الأسرة تمثل أهم المفاصل، فاذهبن وتحرين ما يجرى داخل العوائل وتفحصن عن السبب في هذه المعضلات، ونقبن عن جذورها وضعن الخطط البعيدة الأمد الكفيلة بالقضاء على هذه المعضلات.

فقضية الأمومة والزوجية والبيت والأسرة من القضايا الجوهرية والمصيرية، ولا بد ان تحتل الأسرة الاصالة في كل خططنا، أي أنكِ لو أصبحتِ من أكبر المتخصصات في الطب أو أي فرع آخر ولم تكوني ربة بيت فذلك خلل بالنسبة

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

لك، فبإمكانك أن تكوني ربة بيت أي سيدة البيت، وهذا هو المحور بالأساس، واذا جاز لنا ان نضرب مثلاً لذلك فهي ملكة النحل.

ففي ذلك المهد الذي يسمى الأسرة يفترض ان ترفرف العواطف والمشاعر المرهفة ويزهو بها، ويتنعم الأبناء بطعم المحبة والحنان، ويفترض أن لا يجد الزوج بطبيعته التي تفوق طبيعة المرأة بساطة وقساوة مؤنساً وبلسماً لجروحه سوى زوجته ـ فحتى الرجل الكبير يحتاج إلى حنو يشابه حنو الأم ـ أي ان الزوجة تؤدي ما تقوم به الأم مع طفلها الصغير، والنابهات الفطنات من النساء على معرفة بهذه المسألة، وكل هذه العواطف والمشاعر المرهفة بحاجة إلى وجود محور جوهري يعني سيدة البيت، وإلا فستصبح الأسرة كياناً خاوياً من المعنى.

إنكن حيث تعلمن خارج البيت سواء في الطب أو أي نشاط علمي، أو التخطيط لمشروع معين، أو التدريس في الجامعة فإن ذلك جميعاً محفوظ وفي محله، لكن عليكن أن تخصصن للبيت حصته أيضاً[1].

خامسا: الثقافة

ما هو السبب الذي يدعو إلى أن يكون من يعمل بفكره غريباً أو مناهضاً بالضرورة لتقاليده القومية ولوطنه ولتاريخه؟ أو ان يكون معادياً للدين؟

يمكن استخلاص جواب هذا السؤال من بين ثنايا كلام المرحوم نفسه أو غيره من الكلمات التي تحدثت عن هذا الموضوع، وهو ان السبب الذي دعا إلى ظهور مفهوم الثقافة للمرة الأولى في فرنسا هي الظروف التي كانت فيها فرنسا وأوربا تنتقل من فترة القرون الوسطى، نابذة وراءها الديانة المسيحية التي

---

(١) من حديث قائد الثورة في لقائه أعضاء المجلس الثقافي الاجتماعي النسوي، ١٣٧٠/١٠/٤.

طبعتها الكنيسة آنذاك بالعنف والخرافات وقتل العلماء، ومحاكمة المخترعين والمكتشفين وابادتهم أو نفيهم، واتلاف الكتب العلمية.

فكان من الطبيعي ان يظهر حينذاك عقلاء يعرضون عن مثل ذلك الدين الحافل بالخرافات وبكل ما لا يرتضيه أي إنسان، ويتوجهون صوب أعمال جديدة ويضعون موسوعة فرنسية جديدة، ويشرعون بأعمال علمية كبرى. من البديهي ان طبيعة عمل أولئك الأشخاص كانت توجب عليهم الاعراض عن ذلك الدين.

ثم جاء المثقف الإيراني المقلّد في العصر القاجاري حينما أدخل مفهوم الـ«انتلكتول» إلى البلد وأطلق عليه اسم «منوِّر الفكر» أولاً، واسم «المثقف» تالياً ـ بما يحمله من خصوصية مناهضة للدين ـ وجعله في مواجهة الإسلام الذي يحمل أفضل الأفكار والمعارف وأمتن الأدلة وأسمى الأخلاق، وكان يؤدي في ذلك الوقت في إيران نفس الغاية التي كان المثقفون الغربيون يطمحون إلى تحقيقها في بلدانهم.

من الطبيعي انكم تعتقدون ان الثقافة بمعناها الحقيقي لا تنطوي على أي عداء للدين ولا للتعبّد، وبإمكان الإنسان ان يكون مثقفاً ـ بالمعنى الذي ذكره جميعهم للمثقف، أي من ينظر إلى المستقبل ويؤدّي عملاً فكرياً ولديه توجّه نحو التطور ـ وان يكون في الوقت ذاته متديّناً ومتعبّداً، وان يكون كالمرحوم الدكتور البهشتي، وكالشهيد المطهري، وكمثل الكثير من شخصياتنا المثقفة المتديّنة التي رأيناها، وليست هناك من ضرورة تدعوه لمعاداة الدين.

ومن المثير هنا حين احتساب عدم التعبّد شرطاً مؤكداً من الشروط الأساسية للثقافة ينتج عن ذلك ان العلامة الطباطبائي ـ الذي يعتبر من أكبر فلاسفة عصرنا ويقصده من فرنسا فلاسفة وشخصيات كبيرة مثل هنري كوربان، ويمكثون عدّة

سنوات هنا للاستفادة منه ـ لا يعتبر مثقفاً! أما المتشاعر (شاعر ليس لشعره قيمة تذكر) الذي لا يؤمن بالدين ولا بالتقاليد الإيرانية العريقة، وأمضى عدّة أيام في أوربا وأمريكا فهو مثقف! وكلما كان قد مكث هناك أكثر، فهو أعمق ثقافة! ياله من تعريف مغلوط وياله من جو قبيح أشيع في إيران باسم الثقافة.

واقعة الثقافة

من الطبيعي ان ادعياء الثقافة حينما يريدون التحدث في هذا المجال يجلسون عادة وينمقون الكلمات زاعمين ان الثقافة لا تنسجم مع الدين، وان الدين إذا حلَّ في بلد يطغى على كل جوانب الحياة فيه.

ومن المؤسف أن المرحوم جلال آل أحمد نفسه وقع في مثل هذا الخطأ التاريخي إذ ذكر في هامش أحد كتبه، بما ان العلماء والكتاب والأدباء أصبحوا إلى جانب الجهاز الحاكم في العهد الصفوي ـ يعني مثلاً ان ميرداماد جلس إلى جانب الشاه عبّاس ـ لهذا فقد انحطت الفلسفة والشعر والأدب والفن آنذاك، إلا ان هذا التصور مغلوط، فليس هناك عهد أغزر عطاء في الأدب من العهد الصفوي.

لم يكن المرحوم آل أحمد شاعراً ويبدو لي انه صرّح بهذا الرأي عن عدم معرفة، ويعود سبب ذلك إلى ان الشعراء المعارضين للأسلوب الهندي ألقوا في الأذهان رأياً مغلوطاً شائعاً. فالأسلوب الهندي قد ازدهر في العهد الصفوي وظل قائماً إلى عهد الزندية وأوائل العهد القاجاري، ثم برزت بعد ذلك جماعة يُقال لها (المتجددون) واتحاد أدباء أصفهان عارضت الطريقة الهندية بشدّة، ومع ان أشعارهم لم تبلغ من الجودة ما بلغته الأشعار المنظومة على الطريقة الهندية، إلا

انهم على كل الأحوال كانوا معارضين لها، وعلى هذا الأساس أشيع منذ ذلك الحين ان العهد الصفوي كان عهد انحطاط الأدب.

والحقيقة ان الأمر ليس كذلك؛ فالكثير من الشعراء الكبار من أمثال صائب وكليم وعرفي وطالب الآملي ـ وهم شعراء كبار قلّما نجد نظيراً لهم في تاريخ الشعر ـ كانوا من شعراء العهد الصفوي. وقد أورد النصر آبادي في «تذكرة النصر آبادي» أسماء ما يقارب ألف شاعر في عصره في أصفهان مع تاريخ حياة كل واحد منهم. إذن كان في مدينة كمدينة أصفهان ألف شاعر، ولاشكّ في انهم شعراء جيّدون طبعاً.. واشعارهم موجودة، وتذكرة النصر آبادي موجودة أيضاً، فأين ومتى كان لنا مثل هذا العدد من الشعراء؟

وفي الفلسفة برز الملا صدرا في العهد الصفوي وهو أكبر فيلسوف ظهر في تاريخ الفلسفة الإسلامية، والميرداماد أيضاً برز في العهد الصفوي، وفيه أيضاً برز الفيض الكاشاني العارف الشهير، وكذلك اللاهيجي الفيلسوف والمتكلم المعروف، فما معنى قولهم ان العصر الصفوي كان عصر انحطاط الشعر؟ بل بالعكس كان العهد الصفوي عهد ازدهار الأدب والفن.

المراد من الأدب طبعاً هو الشعر لا النثر، وحتى النثر ازدهر أيضاً ولكنه لم يبلغ تلك الذروة. وكذا الحال في الأعمال المعمارية والفنية؛ فقد كان أفضلها ما أنجز في العهد الصفوي.

لا يمكنكم العثور على امتداد التاريخ على مثيل لمسجد الشيخ لطف الله من جهة، وميدان نقش جهان في أصفهان من جهة أخرى، وغيرهما من الأبنية الأخرى من جهة ثالثة إلا في ما ندر.

في العهد الصفوي لم يكونوا يدخلون الشعراء إلى البلاط حتى يقال انهم كانوا يقدّمون لهم الأموال، وانني هنا لست بصدد الدفاع عن العهد الصفوي، لأننا على طرفي نقيض مع الملوك، والملكية أساساً أمر مستهجن ولا يمكن لملك ان يكون صالحاً؛ فالملكية تعني التملك والمالكية، ومن يطلق على ذاته سمة الملك ـ أي الشاه ـ يتعامل مع شعبه ومع رعيته من منطلق ملكيته لهم.

والإسلام يرفض الملوكية أساساً، وسبق لي ان أشرت إلى ان الخلافة والولاية هي النقطة المقابلة للملكية، وزعماء العهد الصفوي كانوا ملوكاً أيضاً وليس بوسعنا الدفاع عنهم.

إلا ان الكلام الذي سبقت الاشارة إليه مغلوط من الناحية التاريخية ولا يمكن القول ان الأدب والشعر قد انحطّا في العهد الصفوي، وأُلاحظ حالياً بعض الآراء تطرح في الإذاعة وفي التلفاز وهنا وهناك انطلاقاً من تلك الاثارات.

والحقيقة هي ان العهد الصفوي لم يكن عهد انحطاط أدبي؛ فلم يأت من بعد (حافظ) شاعر يضاهي (صائب) في الشعر الغزلي، ولم يأت من بعد الرودكي شاعر مكثر كصائب الذي له مائتا ألف بيت. وهو طبعاً شاعر مجيد يمكن الوقوف عند شعره والدفاع عنه، وإلا فالشعراء العاديون كثيرون.

إذن، فالمجتمع الديني ـ كما تقدم القول ـ يهوى الثقافة بطبعه؛ لأن أهداف الدين أهداف ثقافية ومعنوية على تماسّ بالروح والعقل والقلب. وبناءً على هذا فليس بوسع المتدين أو الجمع الديني أن يتخلى عن الطموحات والتطلعات والمنى الثقافية.

إذن، فالمجتمع الديني ثقافي بالقوة وبالطبع، لكنه ليس كذلك بالفعل؛ أي إنه يعاني خللاً في رؤاه ومعلوماته وبصيرته وواقعة الثقافي، بمعنى أن شعبنا ـ على سبيل المثال ـ لا يميل لمطالعة الكتب، وذلك بمثابة خلل فادحٍ، والكثير من

أبناء شعبنا لا يطالعون الصحف، وأغلبهم إذا ما ألقوا نظرة على الصحف فإنهم يكتفون بعناوينها الكبيرة، وينصتون للمذياع بدافع اللهو لا للتعلم واستماع الأخبار والتزود بالمعلومات الحياتية والقضايا الثقافية.

إذن، فعلينا معالجة هذا النقص على أن يتصدى له جهاز ثقافي، ذلك هو وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي[1].

---

(١) حديث قائد الثورة في تاريخ ١٣٧١/٩/٤.

الفهرست

الفصل الأول

أمور عامة

الفصل الثاني

في خطر الغزو الثقافي وسبل المواجهة

•اسباب عامة

•أسباب انطلقت مع انتصار الثورة

الفصل الثالث

مواجهة الغزو الثقافي

الفصل الرابع

مقولات هامة من صلب الدين تبني الانسان وترقي بالمجتمع

إصدارات دار الولاية للثقافة والاعلام

١ـ مرجعية سماحة آية الله العظمى الخامنئي (دام ظله)

يشتمل الكتاب على ثلاثة فصول:
الأول: بحث حول الاجتهاد والمرجعية.
الثاني: سيرة حياة آية الله العظمى الخامنئي (دام ظله).
الثالث: شهادات العلماء في مرجعية السيد القائد (دام عزه).
يقع الكتاب في ٢٠٢ صفحة من حجم وزيري.

٢ـ الطريق إلى جمران

كتاب يعكس فيه الكاتب مشاهدته وانطباعه حول شخصية مفجر الثورة الإسلامية الإمام الخميني (قده) عندما حظي بلقائه عام ١٩٨٢م في حسينية جمران بطهران
يقع الكتاب في ٨٥ صفحة من حجم رقعي.

٣ ـ الغزو الثقافي (الجزء الأول)

المقدمات والخلفيات التاريخية
مقتطفات من خطابات وبيانات سماحة السيد القائد الخامنئي (دام ظله) تعكس رؤية سماحته حيال مقولة الغزو الثقافي.
يقع الكتاب في ٢٥٤ صفحة من حجم وزيري

٤ ـ حديث الولاية (الجزء الأول)

كتاب يضم بين دفتيه مجموعة من توجيهات سماحة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى الخامنئي (دام ظله) ما بين الفترة من رحيل الإمام الخميني (قده) إلى أربعينيته.
يقع الكتاب في ٢٤٨ صفحة من حجم وزيري

٥ ـ أمريكا في فكر الإمام الخامنئي (دام ظله)

هذا الكتاب يضم أقوال ومواقف الإمام الخامنئي (دام ظله) كطليعة للنضال ضد أمريكا في العصر الحاضر لَمِنْ أهم وأغنى المصادر لمعرفة طبيعة الحكومة الأمريكية المستكبرة.
يقع الكتاب في ٣١٣ صفحة من حجم رقعي.

٦ ـ أمريكا في فكر الإمام الخميني (قده)

يؤرخ النشاطات والتدخلات الأمريكية في المنطقة.. ويكشف عن عملاء أمريكا وأياديها ويوضح السياسات الغامضة والمعقدة التي يتوسل بها الاستكبار العالمي لهزيمة النظام الإسلامي، ويقدم أفضل الحلول في كيفية مواجهة أم الفساد وكشف القناع عن سياساتها الشيطانية.
يقع الكتاب في ٣٩٥ صفحة من حجم رقعي.

٧ ـ الحوزة وعلماء الدين

هذا الكتاب يحتوي على عدة مواضيع حول تأريخ الحوزة وعلماء الدين ودورهما في تربية المجتمع وإرشاد الناس ومواقفهما الجهادية بوجه أعداء الدين ودعم القضايا الإسلامية الكبرى وتأريخهم المشرق وقد استفيدت من خلال توجيهات وإرشادات ولي أمر المسلمين السيد علي الخامنئي (دام ظله).